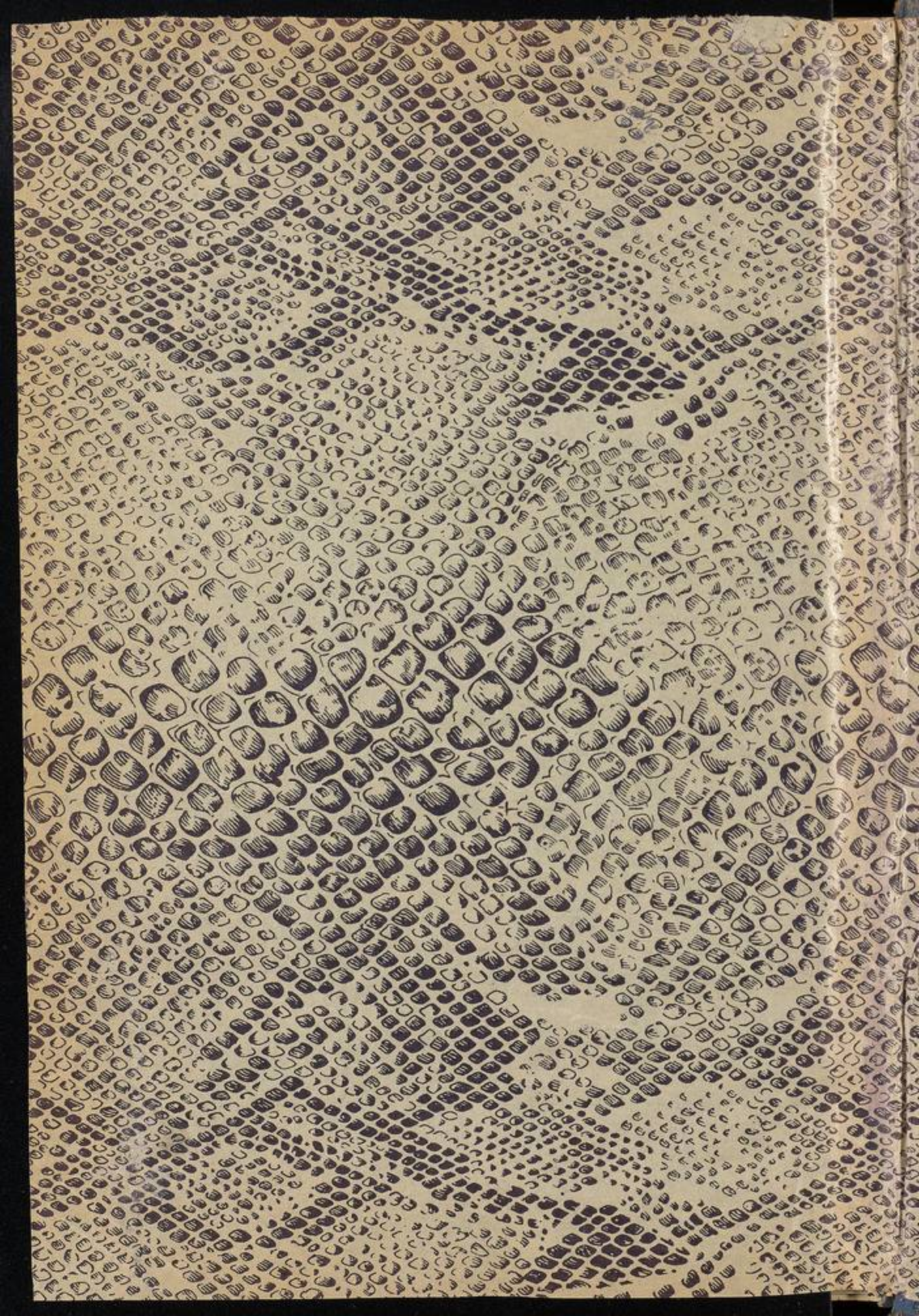
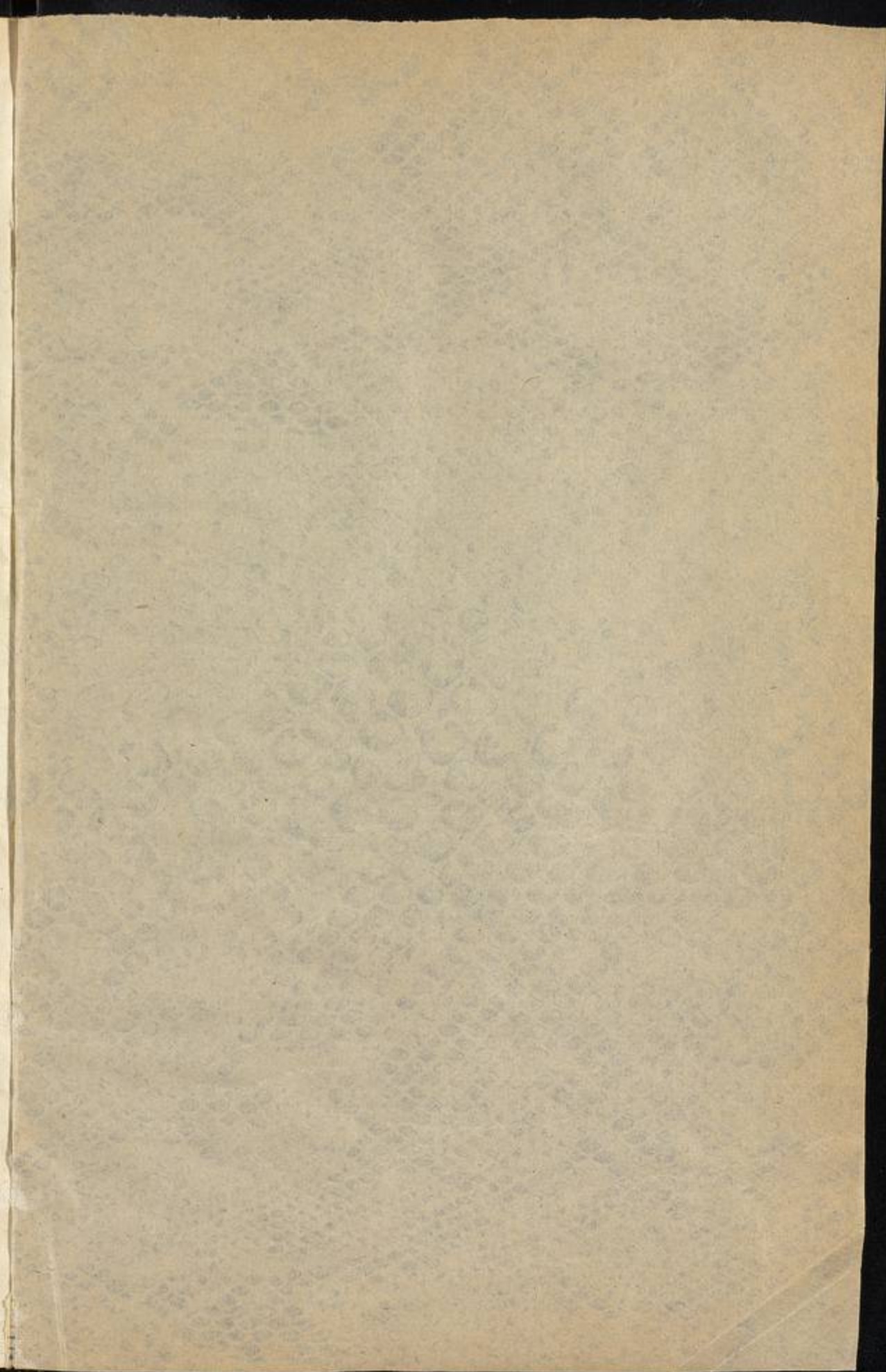


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







وزارة المعارف العمومية

نفسية القرآن الكريم

المسمى بآراء التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سبحانه الرحمة والرضوان آمين

قال في كشف الظنون :

(مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل) للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد
النسفي المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشر وسبعائة . أتت له الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة
الأوهام الخ . وهو كتاب وسط في التأويلات ، جامع لوجوه الإعراب والقراءات ،
متضمن لدقائق علم البديع والإشارات ؛ موشح بأقوال أهل السنة والجماعة ، خال
عن أباطيل أهل البدع والضلالة ؛ ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المختل (٥١)

المجلد الثاني

حق الطبع محفوظ للوزارة

طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة ، سنة ١٩٣٩

تباع مطبوعات الحكومة بصالة البيع بوزارة المالية . أما المكاتبات
الخاصة بهذه المطبوعات فترسل رأساً الى قسم النشر بالمطبعة الأميرية

تمت النسخة . . . ٣٠ ملجم

893.7K84
DN5

v. 2

رتب هذا المجلد ورقمه وصححه وضبطه لغة وقراءات

الشيخان

محمود أحمد البطرأوى شرف الدين محمود خطاب

الأستاذ بدار العلوم سابقاً

المفتش بالوزارة

v. 2

سورة يونس عليه السلام مكية

وهي مائة وتسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ^(٢) أَكَّانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ ^(٣)
أَوْحَيْنَا ^(٤) إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ ^(٦)

(١) (الر) ونحوه مال حمزة وعلى وأبو عمرو . وهو تعديد للحروف على طريق التحدى .

(٢) (تلك) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات . و (الكتاب) السورة .

(٣) ذى الحكمة لاشتماله عليها . أو المحكم عن الكذب والافتراء .

(٤) الهمزة لإنكار التعجب والتعجب منه . (أن أوحينا) اسم كان و (عجبا) خبره .

واللام فى (للناس) متعلق بمخدوف هو صفة لعجبا . فلما تقدم صار حالا .

(٥) بأن أنذر . أو هى مفسرة ، إذ الإيحاء فيه معنى القول .

(٦) بأن لهم .

ومعنى اللام فى (للناس) أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منه . والذى تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظماهم — فقد كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيماً أبى طالب — وأن يذكركم البعث وينذر بالنيران وينشر بالجنان . وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب . لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم . وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بهجيب أيضا لأن الله تعالى إنما يختار للنبوّة من جمع أسبابها . والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها . والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى . فكيف يكون عجبا ؟ إنما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء .

قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ^(١)
 إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى ^(٢)
 عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمْ اللَّهُ ^(٣)
 رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ^(٥)
 رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(٦) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ^(٧)
 رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(٨) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ^(٩)

(١) أى سابقة وفضلا ومترلة رفيعة . ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الحميلة والسابقة قدما ، كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد ، وباعا لأن صاحبها يبيع بها . فقيل : لفلان قدم فى الخير . وإضافتها إلى (صدق) دلالة على زيادة فضل ، وأنه من السوابق العظيمة . أو مقام صدق . أو سبق السعادة .

(٢) (إن هذا) الكتاب (لسحر) مدنى وبصرى وشامى . ومن قرأ (لساحر) فهذا إشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين فى تسميته سحرا .

(٣) أى استولى . فقد يقُدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود .

(٤) (يدبر) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الأمر) أى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش . لما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره . وكذلك قوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) دليل على عزته وكبريائه .
 (٥) (ذالكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذى يستحق العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع .

(٦) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع .

(٧) (جميعا) حال . أى لا ترجعون فى العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه . والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع .

(٨) مصدر مؤكّد لقوله (إليه مرجعكم) .

(٩) مصدر مؤكّد لقوله (وعد الله) .

إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
 يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ
 مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
 يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(١) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه .

(٢) أى الحكمة بابتداء الخلق وإعادةه هو جزاء المكلفين على أعمالهم .

(٣) بالعدل . وهو متعلق بيجزى أى ليجزئهم بقسطه ويوقئهم أجورهم . أو بقسطهم
 أى بما أفسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا ، إذ الشرك ظلم (إن الشرك لظلم عظيم) .
 وهذا أوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ،
 ولوجه كلامى .

(٤) الباء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها . وقبلها قبل همزة لأنها للمركبة أجمل .
 والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس .

(٥) وقدر القمر أى وقتر مسيره (منازل) . أو (وقدره) ذا (منازل) كقوله (والقمر
 قدرناه منازل) .

(٦) أى (عدد السنين) والشهور . فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور .

(٧) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور .

(٨) (ما خلق الله ذلك) المذكور (إلا) متبسا (بالحق) الذى هو الحكمة البالغة
 ولم يخلقه عبثا .

(٩) مكى وبصرى وحفص . وبالنون غيرهم .

(١٠) فيتفعون بالتأمل فيها .

(١١) فى مجيئ كل واحد منها خلف الآخر ، أو فى اختلاف لونهما .

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيْتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
 آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

(١) من الخلائق .

(٢) خصهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر .

(٣) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغلقتهم عن التفطن للحقائق . أو لا يؤمنون

حسن لقائنا كما يؤمله السعداء . أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف .

(٤) (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقي .

(٥) وسكنوا فيها سكون من لا يزجج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا .

(٦) لا يتفكرون فيها . لا وقف عليه لأن خبر إن (أولئك ماواهم النار) .

(٧) (أولئك) مبتدأ (وماواهم) مبتدأ ثان و (النار) خبره وبالجملة خبر (أولئك) .

(٨) الباء يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا .

(٩) (يهديهم ربهم بإيمانهم) يستددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى إلى الثواب . ولذا جعل (تجرى من تحتهم الأنهار) بيانا له وتفسيرا . إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها . أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة ومنه الحديث " إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة . والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار " . وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال بإيمانهم ولم يضم إليه العمل الصالح .

(١٠) متعلق بتجرى أحوال من (الأنهار) .

(١١) (دعواهم) أى دعاؤهم لأن (اللهم) نداء الله . ومعناه (اللهم) إنا نسبحك . أى يدعون

الله بقولهم (سبحانك اللهم) ، تلذذا بذكره لاعبادة .

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ^(١) وَإِنِ حَرَدَعَوْهُمْ ^(٢) أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٣)
 وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ^(٤)
 فَانذُرْ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ^(٥) وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ ^(٦)
^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

(١) أى يحيى بعضهم بعضا بالسلام . أو هى تحية الملائكة ليأهم وأضيف إلى المفعول .
 أو تحية الله لهم .

(٢) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح .

(٣) (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين). (أن) مخففة من الثقيلة وأصله أنه (الحمد لله رب العالمين) . والضمير للشأن . قيل أول كلامهم التسبيح وأجره التحميد . فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختتمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا .

(٤) أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير . فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم . والمراد أهل مكة وقولهم (فأمطر علينا حجارة من السماء) . أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما يعجل لهم الخير ونجيهم إليه (لقضى إليهم أجلهم) لأنهم لا يمتدوا وأهلكوا . (لقضى إليهم أجلهم) شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل .
 (٥) وجه اتصاله بما قبله أن قوله (ولو يعجل الله) متضمن معنى نفي التعجيل . كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم . أى فتمهلهم وتفيض عليهم النعمة مع طغيانهم لإلزاما للحجة عليهم .

(٦) شركهم وضلالهم .

(٧) يترددون .

(٨) أصابه . والمراد به الكافر .

(٩) أى دعا الله لإزالته .

(١٠) (لجنبه) فى موضع الحال بدليل عطف الخالين أى (أو قاعدا أو قائما) عليه . أى دعانا مضطجعا . وفائدة ذكر هذه الأحوال أن معناه أن المضطجع لا يزال داعيا لا يفتقر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها سواء كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطبق المشى .

(١١) أزلنا ما به .

مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرِّ مَسٍّ ^(١) كَذَلِكَ ^(٢) زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ^(٣) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ ^(٤) مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ^(٥) وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ ^(٦)
بِالْبَيِّنَاتِ ^(٧) وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ^(٨) كَذَلِكَ ^(٩) نَجْزِي الْقَوْمَ ^(١٠) الْمُجْرِمِينَ ^(١١)
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ^(١٢) فِي الْأَرْضِ ^(١٣) مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ ^(١٤) كَيْفَ ^(١٥) تَعْمَلُونَ ^(١٦)

(١) أى مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد . أو مر عن موقف
الابتهاال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به . والأصل كأنه لم يدعنا نخفف وحذف
ضمير الشأن .

(٢) مثل ذلك الترين .

(٣) (للمسرفين) للجاوزين الحد في الكفر . زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون)
من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر .

(٤) ي أهل مكة .

(٥) أشركوا . وهو ظرف لأهل مكة .

(٦) الواو للحال . أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم .

(٧) بالمعجزات .

(٨) (وما كانوا ليؤمنوا) إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على
كفرهم . وهو عطف على (ظلموا) . أو اعتراض . واللام لتأكيد النفي . يعنى أن السبب
في إهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إهمالهم بعد أن أزموا الحجة ببعثة الرسل .

(٩) (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الإهلاك (نجزي القوم المجرمين) . وهو وعيد لأهل
مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٠) الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم . أى استخلفناكم فى الأرض بعد
القرون التى أهلكتها .

(١١) أى لننظر أتعلمون خيرا أو شرًا فنعاملكم على حسب عملكم . (وكيف) فى محل
النصب بتعلمون لا بنظر . لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله . والمعنى أنتم
بنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاعتذار بما فيكم . قال عليه السلام
"الدينا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون" .

وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْءَانٍ
 غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ
 إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٦﴾

(١) حال .

(٢) (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان
 والوعيد لأهل الطغيان : (أنت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك ، تتبعك (أو بدله)
 بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة ، وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها . فأمر بأن يجيب عن
 التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط
 ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي
 (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) لا أتبع إلا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لأن
 الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله .

(إني أخاف إن عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أي يوم

القيامة .

وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان ، وقد ظهر لهم العجز عنه . إلا أنهم كانوا
 لا يعترفون بالعجز ، ويقولون (لو نشاء لقلنا مثل هذا) . ولا يحتمل أن يريدوا بقوله (أنت بقرآن
 غير هذا أو بدله) من جهة الوحي لقوله (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) . وغرضهم
 في هذا الاقتراح الكيد . أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنت قادر على مثله
 فأبدل مكانه آخر . وأما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه
 الله فينجوا منه ، أو لا يهلكه فيسخرها منه . فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافتراءه
 على الله .

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
 عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ
 ﴿٣﴾

(١) يعنى أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أسمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحاً يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل مثور ومنظوم مشحونا بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا الله .

(٢) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى .

(٣) من قبل نزول القرآن ، أى فقد أقيمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتهمونى باختراعه .

(٤) (أنلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لا من مثلى . وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم (أنت بقرآن غير هذا) من إضافة الافتراء إليه .

(٥) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى أنه ذو شريك وذو ولد ، وأن يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء .

(٦) بالقرآن . فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر سواء .

(٧) (ما لا يضرهم) إن تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) إن عبدوها .

(٨) أى الأصنام .

(٩) أى فى أمر الدنيا ومبشمتا لأنهم كانوا لا يقترنون بالبعث (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) . أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور .

قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ ^(١)
 وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ^(٢) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفْنَا ^(٣)
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ^(٤)
 وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ^(٥)
 فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ^(٦) وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ^(٧)

(١) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله . وإذالم يكن معلوماله ودو عالم بجميع المعلومات ، لم يكن شيئاً . وقوله (في السموات ولا في الأرض) تأكيد لفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو معدوم .

(٢) نزه ذاته عن أن يكون له شريك . وبالتالي حمزة وعلى . و(ما) موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم .

(٣) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم . وذلك فى عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل . أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً .

(٤) فصاروا مللاً .

(٥) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة .

(٦) (لضى بينهم) عاجلاً (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل . وسبق كلمته لحكمة . وهى أن هذه الدار دار تكليف ، وتلك الدار دار ثواب وعقاب .

(٧) أى آية من الآيات التى اقترحوها .

(٨) أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال الآيات المقترحة لا غير .

(٩) (فانتظروا) نزول ما اقترحوه (إنى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم

لعنادكم ووجودكم الآيات .

(١٠) أهل مكة .

(١١) خصباً وسعة .

مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا
 يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُسِيرُ كُرْمَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا
 كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

- (١) يعنى القحط والجوع . ومعنى (مستهم) خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم .
- (٢) أى مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها . روى أنه تعالى سأل القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا . فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه . فإذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهى للفاجأة . وهو كقوله (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) أى وإن تصبهم سيئة قنطوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا . والمكر إخفاء الكيد وطيه ، من الجارية المكورة المطوية الخلق .
- (٣) إنما قال (قل الله أسرع مكرًا) ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلت على ذلك كأنه قال : وإذا رحمتهم من بعد ضراء فاجثوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء .
- (٤) يعنى الحفظة .
- (٥) إعلام بأن ما تظنوننه خافيا لا يخفى على الله وهو متمم منكم . وبالباء سهل .
- (٦) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير . (ينشركم) شامى .
- (٧) أى السفن .
- (٨) أى السفن .
- (٩) بمن فيها . رجوع من الخطاب إلى الغيبة للبالغة .
- (١٠) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة .
- (١١) بتلك الريح لينها واستقامتها .
- (١٢) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلتقتها .
- (١٣) ذات عصف أى شديدة الهبوب .

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ^(٢) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ^(٣) دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ^(٤) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ
إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^(٥) يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَيَّ
أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٦)

(١) هو ما علا على الماء .

(٢) (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج .

(٣) أهلكوا . جعل إحاطة العدو بالحى مثلا في الإهلاك .

(٤) من غير إشتراك به لأنهم لا يدعون حينئذ معه غيره .

(٥) يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الأهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين)

لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك .

ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها . كأنه قيل يسيروكم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء . وجواب إذا (جاءتها) . و(دعوا) بدل من (ظنوا) لأن دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به .

(٦) يفسدون فيها .

(٧) باطلا أى مبطلين .

(٨) أى ظلمكم يرجع إليكم كقوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

(٩) (متاع) حفص . أى تمتعون (متاع الحياة الدنيا) . و (على أنفسكم) خبر لبغيتكم . غيره بالرفع على أنه خبر (بغيتكم) و (على أنفسكم) صلته كقوله (فبغى عليهم) . ومعناه إنما بغيتكم على أمثالكم . أو هو خبر و (متاع) خبر بعد خبر . أو (متاع) خبر مبتدأ مضمرة أى هو (متاع الحياة الدنيا) . وفي الحديث "أسرع الخير ثوبا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة" . وروى "ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغى وعقوق الوالدين" . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "لو بغى جبل على جبل لذلك الباغى" . وعن محمد بن كعب : ثلاث من كن فيه كن عليه "البغى والنكث والمكر" . قال الله تعالى (إنما بغيتكم على أنفسكم) (ولا يحيق المكر السبى إلا بأهله) (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه) .

(١٠) فنخبركم به ونجازيكم عليه .

إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
 الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
 وَازْيَنْتَ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا
 حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

(١) من السحاب .

(٢) (فاختلط به) بالماء (نبات الأرض) . أى فاشتبك بسببه حتى خالط

بعضه بعضا .

(٣) يعنى الحبوب والثمار والبقول .

(٤) يعنى الحشيش .

(٥) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه .

(٦) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى . وهو كلام فصيح جعلت الأرض

أخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكنتها وتزينت
 بغيرها من ألوان الزين .

(٧) أهل الأرض .

(٨) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لفلتها .

(٩) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم .

(١٠) بفعلنا زرعها شيئا بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله .

(١١) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث . حذف المضاف فى هذه المواضع لابتداء منه ليستقيم

المعنى .

(١٢) هو مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كان لم تغن أنفا .

(١٣) فينتفعون بضر الأمتال .

وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقصيرها وانقراض نعيمها بعد

الإقبال ، بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التفت وتكاثف وزين الأرض

وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ (٢) إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣)

بمحضرة ورفيفه . وحكمة التشبيه التنبيه على أن الحياة صفوها شبيبتها . وكدرها شبيتها . كما أن صفو الماء في أعلى الإناء . قال :

ألم تر أن العمر كأس سلافة * فأوله صفو وآخره كدر

وحقيقته : تزيين جنة الطين ، بمصالح الدنيا والدين ، كاختلاط النبات على اختلاف التلوين . فالطينة الطيبة تنبت بساتين الأنس ، ورياحين الروح ، وزهرة الزهد ، وكروم الكرم ، وحبوب الحب ، وحدائق الحقيقة ، وشقائق الطريقة . والحيثية تخرج خلاف الخلف ، وتسام الإثم ، وشوك الشرك ، وشيح الشح ، وحطب العطب ، ولعاع اللعب . ثم يدعوه معاده ، كما يحين للحرث حصاده . فترايله الحياة مغترا ، كما يهيج النبات مصفرا . فتغيب جثته في الرمس ، كأن لم تغن بالأمس . إلى أن يعود ربيع البعث ، وموعد العرض والبحث . وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره . ولا بد من ترك ما زاد . كما لا بد من أخذ الزاد . وأخذ المال لا يخلو من زلة . كما أن خائض الماء لا ينجو من بلة . وجمعه وإسائه تلف صاحبه وإهلاكه . فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء . والنصاب كمنه حائل بين المجتاز . والجواز إلى المفاض ، لا يمكن إلا بقنطرة وهي الزكاة وعمارتها بذل الصلات . فمتى اختلت القنطرة ، غزقته أمواج القناطير المقنطرة . وعن هذا قال عليه السلام " الزكاة قنطرة الإسلام " . وكذا المال يساعد الأوغاد ، دون الأبحار . كما أن الماء يجتمع في الوهاد . دون النجاد . وكذلك المال لا يجتمع إلا بكدة البخيل . كما أن الماء لا يجتمع إلا بسد المسيل . ثم يفنى ويتلف . ولا يبقى كالماء في الكف .

(١) هي الجنة . أضافها إلى اسمه تعظيما لها . أو السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه . وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم (إلا قيدا سلاما سلاما) .

(٢) ويوفق (من يشاء) .

(٣) إلى الإسلام أو طريق السنة . فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية ، خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية . والمعنى يدهو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون .

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ
 جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ ﴿١٢﴾

(١) آمنوا بالله ورسوله .

(٢) المثوبة الحسنى وهى الجنة .

(٣) رؤية الرب عز وجل . كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الأشعريّ
 وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم . وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر
 إلى الله تعالى . وعن صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إذا دخل أهل الجنة يقول الله
 تبارك وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟
 قال : فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر الى ربهم" .
 ثم تلا (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث
 لا بهذه العبارة وقال إنه حديث مدفوع ، مع أنه مرفوع . قد أورده صاحب المصابيح ،
 فى الصحاح . وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد . وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان .

(٤) ولا يغشى (وجوههم) .

(٥) غبرة فيها سواد .

(٦) ولا أثرهوان . والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار .

(٧) عطف على (للذين أحسنوا) أى وللذين كسبوا .

(٨) فنون الشرك .

(٩) الباء زائدة كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) . أو التقدير جزاء سيئة مقدر بمثلها .

(١٠) ذل وهوان .

(١١) من عقابه .

(١٢) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه .

كَأَنَّمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ
 أَنتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ ﴿١١﴾
 فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٢﴾ هُنَالِكَ

(١) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل . أى هم سود الوجوه . وقطعا جمع قطعة ووجوه
 مفعول ثان لأغشيت . (قطعا) مكى وعلى من قوله (بقطع من الليل) . وعلى هذه القراءة مظالمها
 صفة لقطع . وعلى الأول حال من (الليل) . والعامل فيه (أغشيت) لأن (من الليل) صفة لقطعا
 فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة . أو معنى الفعل فى (من الليل) .

(٢) أى الكفار وغيرهم .

(٣) حال .

(٤) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم .

(٥) أكد به الضمير فى (مكانكم) لسد مسد قوله الزموا .

(٦) عطف عليه .

(٧) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا .

(٨) من عبوده من دون الله من أولى العقل أو الأصنام ينطقها الله عز وجل .

(٩) إمتا كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم وهو

قوله (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لللائكة أهؤلاء إياكم) إلى قوله (بل كانوا يعبدون الجن) .

(١٠) أى كفى الله (شهدا) . وهو تمييز .

(١١) (إن) مخففة من الثقيلة . واللام فارقة بينها وبين النافية .

(١٢) فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان .

تَبَلُّوا كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ
 مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
 وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ

(١) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقيح أم حسن ، أنافع أم ضار ، أمقبول أم مردود . وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت . (تتلو) حمزة وعلى ، أى تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذى يهديه إلى طريق الجنة أو النار ، أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر . كذا عن الأخفش .

(٢) ربهم الصادق فى ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة . أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا .

(٣) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله . أو بطل عنهم ما كانوا يخلقون من الكذب وشفاعة الآلهة .

(٤) (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات .

(٥) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويها عليه من الفطرة العجيبة . أو من يجهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيها أدنى شيء .

(٦) أى الحيوانات والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر وبالجاهل وعكسها .

(٧) ومن يلى تدبير أمر العالم كله . جاء بالعموم بعد الخصوص .

(٨) فسيجيئونك عند سؤالك أت القادر على هذه هو (الله) .

(٩) (أفلا تتقون) الشرك فى العبودية إذ اعترفتم بالربوبية .

(١٠) أى من هذه قدرته هو (الله) .

رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ
 كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ
 مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى
 تُؤْفَكُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي
 لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي

(١) الثابت ربو بيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر .

(٢) أى لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال .

(٣) (فأنى تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك .

(٤) مثل ذلك الحق .

(٥) (كلمات) شامى ومدنى . أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال ، أو كما حق

أنهم مصروفون عن الحق ، فكذلك (حققت كلمة ربك) .

(٦) تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه .

(٧) بدل من الكلمة . أى حق عليهم انتفاء الإيمان أو حق عليهم كلمة الله أن إيمانهم

غير كائن . أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب و(أنهم لا يؤمنون) تعليل أى لأنهم لا يؤمنون .

(٨) إنما ذكر (ثم يعيده) وهم غير مقرين بالإعادة لأنه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما .

على أن فيهم من يقتر بالإعادة . أو يحتمل إعادة غير البشر كإعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال

والنبات .

(٩) أمر نبيه بأن ينوب عنهم في الجواب . يعنى أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا

بكلمة الحق فتكلم عنهم .

(١٠) فكيف تصرفون عن قصد السبيل .

(١١) يرشد إليه .

(١٢) يقال هداه للحق وإلى الحق بجمع بين اللغتين . ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى .

(لا يهتدى) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش . وباشمام الهاء فتحة أبو عمرو .

وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير محيى والأصل (يهتدى) وهى قراءة عبد الله . فأدغمت التاء

فَأَلَّكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ^(١) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ^(٢) إِنَّ الظَّنَّ
لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ^(٣) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ^(٤) بِمَا يَفْعَلُونَ ^(٥) وَمَا كَانَ
هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى ^(٦) مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي
بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٧) وَتَفْصِيلَ ^(٨) الْكِتَابِ ^(٩) لَا رَيْبَ فِيهِ ^(١٠) مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١١)

في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين . وبكسر الياء والهاء وتشديد
الدال يحيى ، لاتباع ما بعدها . وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش . والمعنى
أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين
للنظر في الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل . فهل من
شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى إلى الحق مثل هداية الله؟ ثم قال: أفمن يهدى إلى
الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله؟ وقيل معناه أم من لا يهتدى
من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل . أو لا يهتدى ولا يصح منه
الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه .

(١) (كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله .

(٢) (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للأصنام إنها آلهة وإنما شفعاء عند الله . والمراد
بالأكثر الجميع .

(٣) (إلا ظنا) بغير دليل . وهو اقتداؤهم بأسلافهم ظنا منهم أنهم مصيبون .

(٤) وهو العلم .

(٥) فى موضع المصدر أى إغناء .

(٦) من اتباع الظن وترك الحق .

(٧) أى افتراء من دون الله . والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره
وإعجازه مفترى .

(٨) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة .

(٩) وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله (كتاب الله عليكم) .

(١٠) داخل فى حيز الاستدراك . كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا متفيا عنه الريب

كائنا من رب العالمين . ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ
 وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

لا ريب في ذلك. فيكون (من رب العالمين) متعلقاً بتصديق وتفصيل. ويكون (لا ريب فيه) اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريم .

(١) بل يقولون اختلقه .

(٢) (قل) إن كان الأمر كما تزعمون (فاتوا) أتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأتتم مثلي في العربية .

(٣) أي (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله .

(٤) (إن كنتم صادقين) أنه افتراه .

(٥) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه . وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم . ومعنى التوقع في (ولمّا يأتهم تأويله) أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء . وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً . فدقهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به . وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علوّ شأنه وإعجازه لمّا كرّر عليهم التحدى وجرّبوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا . ويجوز أن يكون معنى (ولمّا يأتهم تأويله) ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق . يعني أنه كتاب معجز من جهتين : من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يجزّوا إخباره بالمغيّبات وصدقه وكذبه .

(٦) مثل ذلك، التكذيب .

(٧) يعني كفار الأمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عناداً وتقليداً للآباء .

عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ (١) وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ (٢) وَرَبُّكَ
 أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي (٣) وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ
 بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ
 إِلَيْكَ (٤) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ (٥)
 أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ

(١) بالنبي - أو بالقرآن أى يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالكذب .

(٢) لا يصدق به ويشك فيه .

أو يكون للاستقبال . أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصتر .

(٣) بالمعاندين أو المصرين .

(٤) وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم .

(٥) جزاء عملى .

(٦) جزاء أعمالكم .

(٧) فكل مؤاخذ بعمله .

(٨) ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون

ولا يقبلون . فهم كالصم .

(٩) أنطمع أنك تقدر على إسماع الصم - ولو انضم - إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم -

العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع فى صماخه دوى الصوت . فإذا اجتمع سلب العقل والسمع
 فقد تم الأمر .

(١٠) ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون .

(١١) أتحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم - إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن

الأعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس . وأما العمى مع الحق بفهد البلاء . يعنى أنهم
 فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم - والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر .

شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ^(١) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ ^(٢) كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا
 إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ^(٣) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا
 كَانُوا مُهْتَدِينَ ^(٤) وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ ^(٥) بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ^(٦) أَوْ نتوفينك ^(٧) فإلينا
 مرجعهم ^(٨) ثم الله شهيد ^(٩) على ما يفعلون ^(١٠) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ^(١١)

(١) (ولكن الناس) حمزة وعلى . أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا
 أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء .

(٢) وبالياء حفص .

(٣) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أو في قبورهم لول ما يرون .

(٤) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا . وذلك عند خروجهم من القبور .
 ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم . (كأن لم يلبثوا) حال من (هم) أى (نحشرهم)
 مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة . و (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنهم .
 و (يتعارفون بينهم) حال بعد حال . أو مستأنف على تقديرهم (يتعارفون بينهم) .
 (٥) على إرادة القول أى (يتعارفون بينهم) فإين ذلك . أو هى شهادة من الله على خسرتهم .
 والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر .

(٦) (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها . وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل
 ما أخسرهم .

(٧) من العذاب .

(٨) (أو نتوفينك) قبل عذابهم .

(٩) جواب (نتوفينك) . وجواب (نرينك) محذوف . أى (وإما نرينك بعض الذى
 نعدهم) فى الدنيا فذاك (أو نتوفينك) قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة .

(١٠) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون

وقيل (ثم) هنا بمعنى الواو .

(١١) (رسول) يبعث إليهم لينبئهم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق .

(١٢) (فإذا جاء) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه .

قَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ^(١) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ^(٢) إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ^(٤) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٥) لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ^(٦) إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ ^(٧) سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ^(٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ ^(٩) إِن اتَّكُمُ عَذَابُهُ ^(١٠) بَيِّنَاتًا ^(١١) أَوْ نَهَارًا ^(١٢) مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ^(١٣) الْمَجْرِمُونَ ^(١٤) إِذَا مَا وَقَعَ ^(١٥) أُمَّتُمْ بِهِ ^(١٦)

- (١) قضى بينهم) بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين.
- أو (ولكل أمة) من الأمم يوم القيامة (رسول) تنسب إليه وتدعى به (فإذا جاء رسولهم) الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان (قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) لا يعذب أحد بغير ذنبه .
- (٢) لما قال (وإما نزيك بعض الذي نعدهم) أى من العذاب ، استعجلوا لما وعدوا من العذاب فتزل (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب .
- (٣) (إن كنتم صادقين) أن العذاب نازل . وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين .
- (٤) يا محمد .
- (٥) من مرض أو فقر .
- (٦) من صحة أو غنى .
- (٧) استثناء منقطع . أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن . فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب .
- (٨) (لكل أمة) وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح . فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون . فلا تستعجلوا .
- (٩) الذى تستعجلونه .
- (١٠) نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وأتم ساهون نائمون لا تشعرعون .
- (١١) وأتم مشغولون بطلب المعاش والكسب .
- (١٢) (منه) أى من العذاب . والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور . فأى شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ؟ والاستفهام فى (ما ذا) يتعلق بأرايم لأن المعنى: أخبرونى (ماذا يستعجل منه المجرمون). وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه . ولم يقل ما ذا يستعجلون منه لأنه أريدت الدلالة على موجب

١) ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ٢) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
 ٣) الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٤) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ
 ٥) قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٦) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ
 ٧) ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ٨) وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ

ترك الاستعجال وهو الإجماع . أو (ماذا يستعجل منه المجرمون) جواب الشرط نحو إن أتيتك
 ماذا تطعمني . ثم تتعلق الجملة بأرأيتم . أو (أتم إذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط . و (ماذا
 يستعجل منه المجرمون) اعتراض . والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
 الإيمان . ودخول حرف الاستفهام على (ثم) كدخوله على الواو والفاء في (أفأمن أهل القرى)
 (أو أمن أهل القرى) .

- ١) على إرادة القول . أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب (الآن) آمنتم به . (الآن)
 بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ، نافع .
 ٢) أى (تستعجلون) بالعذاب تكذيبا واستهزاء .
 ٣) عطف على قيل المضمرة قبل (الآن) .
 ٤) أى الدوام .
 ٥) من الشرك والتكذيب .
 ٦) ويستخبرونك فيقولون : أحق هو ؟ وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء .
 والضمير للعذاب الموعود .
 ٧) يا محمد .
 ٨) نعم والله .
 ٩) إن العذاب كائن لا محالة .
 ١٠) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة .
 ١١) كفرت وأشركت . وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة .
 ١٢) ما فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها .
 ١٣) لجعلته فدية لها . يقال فده فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فده .
 ١٤) وأظهرها . من قولهم أسر الشيء إذا أظهره . أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة
 الأمر . فأسر من الأضداد .

وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ هُوَ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾
قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥﴾

(١) بين الظالمين والمظلومين . دل على ذلك ذكر الظلم .

(٢) أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله بقوله (ألا إن لله ما فى السموات والأرض)
فكيف يقبل الفداء ؛ وأنه الميثب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق
بقوله (ألا إن وعد الله حق) .

(٣) هو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره .

(٤) وإلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى .

(٥) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد . والموعظة
التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب . فما فى القرآن من الأوامر والنواهي
داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب . إذ الأمر يقتضى حسن المأمور به فيكون
مرغوباً . وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح . وعلى هذا فى النهى .

(٦) أى (لما فى) صدروكم من العقائد الفاسدة .

(٧) (وهدى) من الضلالة .

(٨) لمن آمن به منكم .

(٩) يا محمد .

(١٠) أصل الكلام (بفضل الله وبرحمته) فليفرحوا بذلك (فليفرحوا) . والتكرير للتأكيد
والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا . فحذف
أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه . والفاء داخلة لمعنى الشرط . كأنه قيل إن فرحوا بشيء
فليخصوهما بالفرح . أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا . وهما كتاب الله والإسلام .
فى الحديث " من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكى الفاقة كتب الله الفقيرين عينيه إلى
يوم يلقاه " وقرأ الآية . (فليفرحوا) يعقوب .

(١١) وبالتاء شامى .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ^(٣)
 قُلْ أَلَا لِلَّهِ آذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ^(٥) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ
 عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٧) إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ ^(٨)
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ^(٩) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَوْنَهَا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ ^(١١)

(١) أخبروني .

(٢) (ما) منصوب بأنزل أو بأرأيتم أي أخبروني به . نعم الأرزاق تخرج من الأرض .
 ولكن لما نيّطت أسبابها بالسماء — نحو المطر الذي به تنبت الأرض النبات ، والشمس التي
 بها النضج وينع الثمار — أضيف إزالتها إلى السماء .

(٣) فبعضتموه وقام : هذا حلال وهذا حرام كقوله (ما في بطون هذه الأنعام خالصة
 لذكورنا ومحرم على أزواجنا) .

(٤) متعلق بأرأيتم . و (قل) تكرر للتوكيد . والمعنى أخبروني (الله أذن لكم) في التحليل
 والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه .

(٥) أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه .

أو الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أنفثرون على الله ، تقريراً للافتراء .

والآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل من الأحكام و باعثة على وجوب الاحتياط فيه
 وآلا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان . وإلا فهو مفتر على الديان .

(٦) ينسبون ذلك إليه .

(٧) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه . أي أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم
 ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة . وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره .

(٨) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام .

(٩) (لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه .

(١٠) (ما) نافية . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . والشأن الأمر .

(١١) (منه) من التنزيل كأنه قيل (وما تتلوا) من التنزيل (من قرآن) لأن كل جزء منه قرآن .

والإضمار قبل الذكر تفخيم له . أو من الله عز وجل .

وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَنُونِ ﴿١٣﴾

(١) (ولا تعملون) أنتم جميعا .

(٢) أى عمل .

(٣) شاهدين رقباء نحصى عليكم .

(٤) تخوضون . من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه .

(٥) وما يبعد وما يغيب . وبكسر الزاى على حيث كان .

(٦) وزن نملة صغيرة .

(٧) رفعهما حمزة على الابتداء . والخبر (إلا في كتاب مبين) . يعنى اللوح المحفوظ . ونصبهما غيره على نفي الجنس . وقدمت الأرض على السماء هنا وفي سبأ قدمت السموات لأن العطف بالواو . وحكمه حكم التثنية .

(٨) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة . أو هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقهم . أو هم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها . أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية .

(٩) (لاخوف عليهم) إذا خاف الناس .

(١٠) (ولاهم يحزنون) إذا حزن الناس .

(١١) منصوب بإضمار أعنى أو لأنه صفة لأولياء . أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هم (الذين آمنوا) .

(١٢) (وكانوا يتقون) الشرك والمعاصى .

(١٣) ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه . وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له . وعنه عليه السلام "ذهبت النبوة وبقيت المبشرات . والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" . وهذا لأن مدة الوحى ثلاث

وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٤) وَلَا يَحْزُنكَ
 قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٠) إِلَّا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ (١٢)

وعشرون سنة. وكان في ستة أشهر منها يؤمر في النوم بالإندار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً. أو هي شبة الناس له والذكر الحسن. أو لهم البشرى عند الزرع بأن يرى مكانه في الجنة.

(١) هي الجنة.

(٢) لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده.

(٣) إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين.

(٤) وكلتا الجملتين اعتراض. ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج. وتسكت.

(٥) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك.

(٦) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل: مالي لا أحزن؟ فقيل (إن العزة). والوقف

لازم على (قولهم)، لئلا يصير (إن العزة) مذكول الكفار.

(٧) إن الغلبة والتفهر في مآكة الله جميعاً لا يملك أحد شيئاً منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم. (كتب الله لأعلن أنا ورسلي). (إنا لننصر رسلنا). أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك.

(٨) حال.

(٩) (هو السميع) لما يقولون.

(١٠) (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك.

(١١) يعني العقلاء وهم الملائكة والثقلان. وخضعهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكاً له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق ألا يكون له نداً وشريكاً.

(١٢) (ما) نافية أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسنة ومنها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال. أو استفهامية، أي وأي شيء يتبعون؟ و(شركاء) على هذا نصب بيدعون،

(١) إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 (٣) أَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا (٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 (٥) يَسْمَعُونَ (٦) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
 (٧) وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)

وعلى الأول يتبع . وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء . فاقصر على
 أحدهما للدلالة . والمخذوف مفعول (يدعون) . أو موصولة معطوفة على (من) كأنه قيل ولله
 ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء . أى وله شركاؤهم .

(١) إلا ظنهم أنهم شركاء الله .

(٢) يحزرون ويقدر أن تكون شركاء تقديرا باطلا .

ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذى جعل لكم الليل) .

(٣) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار .

(٤) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم .

(٥) (يسمعون) سماع مذكر معتبر .

(٦) تزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء .

(٧) علة لئنى الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل
 ليتشرف به . والكل أمانة الحاجة . فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منقيا . ولأن الولد
 بعض الوالد فيستدعى أن يكون مرتبا . وكل مرتب ممكن . وكل ممكن يحتاج إلى الغير .
 فكان حادثا . فاستحال القديم أن يكون له ولد .

(٨) (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا . ولا تجتمع البتة معه .

(٩) ما عندكم من حجة بهذا القول . والباء حقا أن تتعلق بقوله (إن عندكم) على أن يجعل
 القول مكانا لسلطان كقولك : ما عندكم بأرضكم موز . كأنه قيل إن عندكم فما تقولون سلطان .
 ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون) .

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ^(١) ^(٢) مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا^(٣)
 مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ^(٤) ^(٥) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ^(٦)
 نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ^(٧) يَتَقَوَّمُ^(٨) إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ
 اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ^(٩) وَشُرَكَاءَكُمْ^(١٠) ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً^(١١)
^(١٢)

(١) بإضافة الولد إليه .

(٢) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة .

(٣) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبه
 النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به .

(٤) المخلد .

(٥) بكفرهم .

(٦) واقرا عليهم .

(٧) (نبأ نوح) خبره مع قومه . والوقوف عليه لازم إذ لو وصل لصار (إذ) ظرفا
 لقوله (واتل) . بل التقدير : واذكر (إذ قال لقومه) .

(٨) عظم وثقل كقوله (ولمّا لكبيرة إلّا على الخاشعين) .

(٩) (مقامى) مكانى . يعنى نفسه كقوله (ولمّن خاف مقام ربه جنتان) أى خاف ربه .
 أو قيامى ومكنى بين أظهركم ألف سنة إلّا نحسين عاما . أو مقامى وتذكيرى بآيات الله لأنهم
 كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيننا وكلامهم مسموعا .
 (١٠) أى فوضت أمرى إليه .

(١١) من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه .

(١٢) الواو بمعنى مع . أى فأجمعوا أمركم مع شركائكم .

(١٣) أى غمّا عليكم وهما . والغم والغمة كالركب والكربة . أو ملتبسا فى خفية . والغمة
 السترة من غمّه إذا ستره . ومنه الحديث "لا غمة فى فرائض الله" أى لا تستر ولكن يجاهر بها .
 والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجادرونى به .

ثُمَّ أَقْضُوا إِلَىٰ وَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
 أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أكونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَنجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
 إِلَىٰ قَوْمِهِمْ بِجَاءَهُمْ وَالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ

(١) (ثم أقضوا إلى) ذلك الأمر الذى تريدون بي ، أى أدوا إلى ما هو حق عندكم
 من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه . أو اصنعوا ما أمكنكم
 (٢) ولا تمهلونى .

(٣) فان أعرضتم عن تذكيرى ونصحى .

(٤) (فما سألتكم من أجر) فأوجب التولى . أو (فما سألتكم من أجر) ففاتى ذلك بتوليكم .

(٥) وهو الثواب الذى يثبني به فى الآخرة . أى مانصحتكم إلا لله لا لغرض من أغراض
 الدنيا . وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدينى .

(٦) من المستسلمين لأوامره ونواهيہ . (إن أجرى) بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص .

(٧) فداموا على تكذيبه .

(٨) (فنجيناه) من الفرق .

(٩) يخلفون الهالكين بالفرق .

(١٠) هو تعظيم لما جرى عليهم ، وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله ،
 وتسلية له .

(١١) من بعد نوح عليه السلام .

(١٢) أى هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا .

(١٣) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم .

(١٤) فأصروا على الكفر بعد الحجىء (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم . يريد أنهم

كانوا قبل بعثة الرسول أهل جاهلية مكذبين بالحق . فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة
 الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد .

كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (١) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى (٢)
 وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣)
 فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٤) قَالَ مُوسَى (٥)
 أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٦) قَالُوا (٧)
 أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ (٨)
 وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ (٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُؤْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ (١٠)

(١) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب .

(٢) من بعد الرسل .

(٣) بالآيات التسع .

(٤) (فاستكبروا) عن قبولها . وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبيينها ويتعظموها عن قبولها .

(٥) كفاراً ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها .

(٦) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله .

(٧) (قالوا) لحبهم الشهوات (إن هذا سحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر .

(٨) (أتقولون) إنكار . ومقولهم محذوف أى هذا سحر . ثم استأنف إنكاراً آخر فقال (أستخر هذا) خبر ومبتدأ .

(٩) أى لا يظفر (الساحرون) .

(١٠) لتصرفنا .

(١١) من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون .

(١٢) أى الملك لأن المورك موصوفون بالكبرياء والمظمة والعلو . (ويكون) حماد ويحيى .

(١٣) أرض مصر .

(١٤) بمصطفين فيما جئنا به .

(١٥) (سحار) حمزة وعلى .

فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُتَقُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا الْقُوا
 قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤﴾
 فَأَمَّا أَمْنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ
 أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٥﴾

(١) (ما) موصولة واقعة مبتدأ . و (جئتم به) صلتها . و (السحر) خبر . أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله . (السحر) بعد وقف أبو عمرو على الاستفهام . فعلى هذه القراءة (ما) استفهامية . أى أى شىء جئتم به ؟ أهو السحر ؟

(٢) يظهر بطلانه .

(٣) لا يثبت بل يدمره .

(٤) (ويحق الله الحق) ويشبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه . أو يظهر الإسلام بعداته

بالنصرة .

(٥) (ولو كره المجرمون) ذلك .

(٦) (فما آمن لموسى) فى أول أمره .

(٧) إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه . وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف . أو الضمير فى (قومه) لفرعون . والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته .

(٨) الضمير فى (وملائهم) يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر . أولاد ذواتهم أصحاب يأترون له . أو إلى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشرف بنى إسرائيل لأنهم كانوا يمتنعون أعتابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم . دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم فرعون .

(٩) لغالب فيها قاهر .

(١٠) (إن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعز بادعائه الربوبية .

وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقُومُ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ^(٣)
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(٤) وَنَجِّنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ^(٥) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا
 لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بِيوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦)

(١) صدقتم به وبآياته .

(٢) فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون .

(٣) شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط .

(٤) إيماناً قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين . لا جرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه . فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص .

(٥) موضع فتنه لهم أي عذاب يعدّبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا . والفاتن المضل عن الحق .

(٦) أي من تعذيبهم وتسخيرهم .

(٧) تبوأ المكان اتخذ مباءة كقوله توطنه إذا اتخذ وطنه . والمعنى اجعلوا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه .

(٨) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة . وكان موسى ومن معه يصلّون إلى الكعبة . وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلّوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الإسلام بمكة .

(٩) (وأقيموا الصلاة) في بيوتكم حتى تأمنوا .

(١٠) يا موسى . ثنى الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحد آخر لأن اختيار مواضع العبادة مما يفوض إلى الأنبياء . ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور . وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيماً لها ولإبشائها .

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَنَّا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدُدْ
 عَنَّا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٧﴾ قَالَ قَدْ
 أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

(١) هو ما يترتب به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك .

(٢) أى نقدا ونعما وضيعة .

(٣) (ليضلوا) الناس عن طاعتك . كوفى . ولا وقف على الدنيا لأن قوله (ليضلوا) متعلق
 بآيت . و (ربنا) تكرر الأول للإلحاح فى التضرع . قال الشيخ أبو منصور رحمه الله : إذا علم منهم
 أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله . وهو كقوله : (إئتما نملى لم
 ليزدادوا إئتما) . فتكون الآية حجة على المعتزلة .

(٤) أى أهلكها وأذهب آثارها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك . والطمس المحو
 والهلاك . قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئاتها منقوشة وقيل وسائر أوالهم كذلك .

(٥) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية .

(٦) جواب الدعاء الذى هو (اشدد) .

(٧) إلى أن يروا (العذاب الأليم) .

وكان كذلك فإنهم لم يؤمنوا إلى الفرق : وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل . وإئتما دعا
 عليهم بهذا لما أيس من إيمانهم وعلم بالرحى أنهم لا يؤمنون . فأما قبل أن يعلم بأنهم لا يؤمنون
 فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان . وهو يدل على أن
 الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا .

(٨) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن . فثبت أن التأمين دعاء فكان
 إخفاؤه أولى . والمعنى أن دعاء كما مستجاب وما طلبتا كائن ولكن فى وقته .

(٩) فإئتما على ما أئتما عليه من الدعوة والتبليغ .

(١٠) ولا تتبعان طريق الجهالة الذين لا يعامون صدق الإجابة وحكمة الإمهال . فقد
 كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة . (ولا تتبعان) بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين
 تشبيها بنون التثنية ، شامى . وخطأه بعضهم لأن النون الحقيقية واجبة السكون . وقيل هو إخبار
 عما يكونان عليه وليس بنهى . أو هو حال وتقديره فاستقيا غير متبعين (سبيل الذين لا يعلمون) .

وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
 وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
 ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾ ءَأَلْكَنَّ وَقَدْ
 عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨﴾ فَالْيَوْمَ نُخَيِّدُكَ بِسَدَنِكَ
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠)

(١) هو دليل لنا على خلق الأفعال .

(٢) فلحقهم . يقال تبعته حتى أتبعته .

(٣) (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظالما . وانتصبا على الحال أو على المفعول له .

(٤) لا وقف عليه لأن (قال آمنت) جواب (إذا) .

(٥) (إنه) حمزة وعلى على الاستئناف بدل من (آمنت) . وبالفتح غيرهما على حذف الباء

التي هي صلة الإيمان .

(٦) فيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث (قال آمنت) ثم قال (وأنا من

المسلمين) .

كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل
 منه حيث أخطأ وقته وكانت المزة الواحدة تكفي في حالة الاختيار .

(٧) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك ؟ قيل

قال ذلك حين أجمه الغرق . والعامل فيه أتؤمن .

(٨) من الضالين المضلين عن الإيمان . روى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا : ما قول

الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته ومحمد حقه وأدعى السيادة دونه ؟

فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب : جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه

أن يفرق في البحر . فلما أجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه .

(٩) نلقيك بنجوة من الأرض . فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور .

(١٠) في موضع الحال أى في الحال التي لا روح فيك وإتما أنت بدن . أو (بدنك) كاملا

سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير . أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس . أو بدرعك

وكانت له درع من ذهب يعرف بها . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه (بأبدانك) وهو مثل قولهم

هو بأجرامه أى ببدنك كله وأفيا بأجزائه . أو بدروعك لأنه ظاهر بينها .

لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً^(١) وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ أَيْتِنَا
لَعَافِلُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقَ^(٢) وَرَزَقْنَاهُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ^(٣) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ فَإِن كُنْتَ
فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِّن قَبْلِكَ^(٥)

(١) لتكون لمن وراءك من الناس علامة . وهم بنو إسرائيل . وكان في أنفسهم أت فرعون أعظم شأنًا من أن يغرق . وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقه . فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه . وقيل (لمن خلفك) لمن يأتي بعدك من القرون . ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ، وأن ما كان يدعيه من الربوبية محال ، وأنه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره .

(٢) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام .

(٣) (فما اختلفوا) في دينهم (حتى جاءهم العلم) أى التوراة . وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى تأويل الآيات من القرآن . أو المراد العلم بمحمد . واختلف بنو إسرائيل — وهم أهل الكتاب — اختلفوا فى صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو .

(٤) يميز المحق من المبطل ويميز كلاً جزاءه .

(٥) لما قدم ذكر بنى إسرائيل وهم قراء الكتاب ، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوراة والإنجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ فى ذلك فقال : فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا — وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلتها أو بمباحثة العلماء — فسل علماء أهل الكتاب فأنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك . فالمراد ودف الأخبار بالسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه .

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٢﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
 مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ
 عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
 الْأَلِيمَ ﴿٥﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴿٦﴾ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴿٨﴾

(١) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك .

(٢) الشاكين . ولا وقف عليه للعطف .

(٣) أى فائت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله .
 أو هو على طريقة التهييج والإلهاب كقوله (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) . (ولا يصدتك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) ، ولزيادة التثبيت والعصمة . ولذلك قال عليه السلام عند نزوله " لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق " . أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته . أى وإن كنتم فى شك مما أنزلنا إليكم كقوله (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) . أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب : إذا عز أخوك فهن . أو (إن) للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل . أى لا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لترداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاناة إحياء الموتى . فإن قلت إنما يجيء إن للنفى إذا كان بعده إلا كقوله (إن الكافرون إلا فى غرور) . قلت ذلك غير لازم ، ألا ترى إلى قوله (إن أمسكهما من أحد من بعده) فإن للنفى وليس بعده إلا .

(٤) (حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا . أو قوله (لأملاآت جهنم) الآية . ولا وقف على (لا يؤمنون) لأن (ولو جاءتهم) تعلق بما قبلها .

(٥) أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم . أو عند القيامة ولا يقبل منهم .

(٦) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكتها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاناة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بحنقه .

(٧) بأن تقبل الله إيمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار .

(٨) استثناء منقطع . أى ولكن قوم يونس . أو متصل والجملة فى معنى النفى . كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة (إلا قوم يونس) . وانتصابه على أصل الاستثناء .

لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
 إِلَىٰ حِينٍ ﴿١﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ
 النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٤﴾

(١) الى آجالهم . روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا . فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسأهم وصبيانهم ودوابهم وفتروا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم الى بعض وأظهروا الإيمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم . وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن تراءوا المظالم حتى إن الرجل كان يقاع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده . وقيل نرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا: يا حى- حين لا حى- ويا حى- محي الموتى ويا حى- لا إله إلا أنت . فقالوا . فكشف الله عنهم . وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل . افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله .

(٢) على وجه الإحاطة والشمول .

(٣) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه . أخبر عن كمال قدرته ونفوذه مشيئته أنه لو شاء لأمن من فى الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به ، وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به . وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والإلحاء - أى لو خلق فيهم الإيمان جبرا لآمنوا . لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا ، دليله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أى ليس إليك مشيئة الإكراه والخبر فى الإيمان إنما ذلك إلى - فاسد . لأن الإيمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار . وتأويله عندنا أن الله تعالى لطف لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار . ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق . والاستفهام فى (أفأنت) بمعنى النفى أى لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الإيمان لأنه يكون بالتصديق والإقرار ولا يمكن الإكراه على التصديق .

(٤) بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه .

وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ فَهَلْ
 يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلِ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ
 مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا
 نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ قُلِ يَتَّبِعَهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي
 فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ ﴿١٤﴾

- (١) أى العذاب أو السخط أو الشيطان، أى ويسأط الشيطان. (ونجعل) حماد ويحى.
- (٢) لا ينتفمون بعقولهم .
- (٣) (انظروا) نظر استدلال واعتبار .
- (٤) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار .
- (٥) (ما) نافية .
- (٦) والرسل المنذرون أو الإنذارات .
- (٧) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون .
- (٨) يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب اوقائعها .
- (٩) معطوف على كلام محذوف يدل عليه (إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) كأنه قيل
 نهلك الأمم (ثم ننجى رسلنا) على حكاية الأحوال الماضية .
- (١٠) ومن آمن معهم .
- (١١) أى مثل ذلك الإنجاء (ننجى المؤمنين) منكم ونهلك المشركين. و(حقا علينا) اعتراض
 أى حق ذلك علينا حقاً . (ننجى) بالتخفيف على وحفص .
- (١٢) يا أهل مكة .
- (١٣) (إن كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه. ثم وصف
 دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الأصنام .
- (١٤) يميتمكم . وصفه بالتوقى ابراهيم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر
 على شيء .

وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ^(٢)
 وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٣) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ^(٤)
 وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ^(٥) ^(٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ^(٧)
 فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ^(٨) وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ^(٩) يُصِيبُ بِهِ ^(١٠)
^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤)

(١) أى بأن أكون . يعنى أن الله أمرنى بذلك بما ركب فى من العقل وبما أوحى الى فى كتابه .

(٢) أى (و) أوحى الى (أن أقم) لبشا كل قوله (أمرت) . أى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله أو استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا .

(٣) حال من الدين أو الوجه .

(٤) (ما لا ينفعك) إن دعوته .

(٥) (ولا يضررك) إن خذلته .

(٦) فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضررك . فكفى عنه بالفعل إيجازا .

(٧) (إذا) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان . وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك .

(٨) يصبك .

(٩) مرض .

(١٠) لذلك الضرر .

(١١) إلا الله .

(١٢) عافية .

(١٣) فلا راد لمراهه .

(١٤) بالخير .

مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ^(١) ^(٢) ^(٣) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ^(٤)
 قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ ^(٥)
 فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ
 وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ^(١١)

(١) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه .

(٢) المكفر بالبلاء .

(٣) المعافى بالعطاء .

أتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله هو الصار النافع
 الذى إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجناد الذى
 لا شعور به ؟ وكذا إن أردك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف
 بالأوثان ؟ وهو الحقيق إذا بأن توجه إليه العبادة دونها . وهو أبلغ من قوله (إن أردنى الله
 بضر هل هن كاشفات ضرة أو أردنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) . وإنما ذكر المس
 فى أحدهما والإرادة فى الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين الإرادة والإصابة فى كل واحد
 من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما . فأوجز الكلام
 بأن ذكر المس وهو الإصابة فى أحدهما والإرادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك .
 على أنه قد ذكر الإصابة بالخير فى قوله (يصيب به من يشاء من عباده) .

(٤) يا أهل مكة .

(٥) القرآن أو الرسول .

(٦) اختار الهدى وأتبع الحق .

(٧) فما نفع باختياره إلا نفسه .

(٨) ومن أثر الضلال فما ضر إلا نفسه . ودل اللام وعلى على معنى النفع والضر .

(٩) بحفيظ موكول إلى أمركم (إنما أنا بشير ونذير) .

(١٠) (واصبر) على تكذيبهم وإيذائهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة .

(١١) لأنه المطلع على السرائر فلا يحتاج إلى بينة وشهود .

سورة هود عليه السلام مكية

وهى مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبَ أَحْكَمَتْ ءَايَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿٤﴾
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا
 رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْتَبِعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٦﴾

(١) أى هذا (كتاب) . فهو خبر مبتدأ محذوف .

(٢) صفة له . أى نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقص ولا خال كالبناء المحكم .

(٣) (ثم فصلت) كما تفصل الفلاذ بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والنقص .
 أو جعلت فصولاً سورة وسورة وآية وآية . أو فزقت في التزليل ولم تنزل حملة أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أى بين ونخلص . وليس معنى (ثم) التراخى في الوقت ولكن في الحال .

(٤) صفة أخرى لكتاب ، أو خبر بعد خبر ، أو صلة لأحكمت وفصلت . أى من عنده أحكامها وتفصيلها .

(٥) مفعول له أى لئلا تعبدوا . أو (أن) مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول . كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله . أو أمركم ألا تعبدوا إلا الله .

(٦) أى من الله .

(٧) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار .

(٨) أى استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة .

(٩) بطول نعمكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة .

(١٠) إلى أن يتوفاكم .

وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ^(١) وَإِنْ تَوَلَّوْا ^(٢) فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ^(٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ^(٤) وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٥) إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ
صُدُورَهُمْ ^(٦) لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ^(٧) إِلَّا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ^(٨) يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ^(٩)
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ^(١٠) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ^(١١)

(١) ويعطى في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا ينقص منه شيئا .

(٢) وإن تولوا .

(٣) هو يوم القيامة .

(٤) رجوعكم .

(٥) فكان قادرا على إعادتهم .

(٦) يزورون عن الحق ويخرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدرة ومن ازورده عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه .

(٧) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم .

(٨) يتغطون بها . أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام (جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) .

(٩) أى لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافي عنه . قيل نزلت في المنافقين .

(١٠) بما فيها .

(١١) (على الله رزقها) تفضلا لا وجوبا .

وَيَعْلَمُ مَسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ^(٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ^(٤) وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ ^(٥)
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ^(٦) وَلَئِن قُلْتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ^(٧) وَلَئِن أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى آمَةٍ ^(٨)
^(٩) ^(١٠)

(١) مكانه من الأرض ومسكنه .

(٢) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أورحم أو بيضة .

(٣) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح . يعني ذكرها
مكتوب فيه مبين .

(٤) (وهو الذي خلق السموات والأرض) وما بينهما (في ستة أيام) من الأحد إلى
الجمعة ، تعليما للتأني .

(٥) أي فوقه . يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض إلا الماء . وفيه دليل
على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض . قيل بدأه بخلق ياقوته
خضراء فنظر إليها بالهيبه فصارت ماء . ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء .
وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لأهل الأفكار .

(٦) أي خلق السموات والأرض وما بينهما للمتحن فيهما ولم تخلق هذه الأشياء لأنفسها .

(٧) أ كثر شكرا . وعنه عليه السلام "أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة
الله . فمن شكر وأطاع أتابه . ومن كفر وعصى عاقبه" . ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال (ليلوكم)
أي ليفعل بكم ما يفعل المبلى لأحوالكم كيف تعملون .

(٨) أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث . فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته
إنكار ما فيه من البعث وغيره . (ساحر) حمزة وعلى يريدون الرسول . والساحر كاذب مبطل .

(٩) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر .

(١٠) إلى جماعة من الأوقات .

مَعْدُودَةٌ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْحِسُهُ (١) أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢) وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ (٣) ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
 مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ (٤) وَلَيْنَ أَذْقْنَاهُ نِعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهْزِئٍ (٥)
 لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ (٦) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا (٧)

(١) معلومة أو قلائل . والمعنى إلى حين معلوم .

(٢) (ليقولن ما يجحسه) ما يمنع من النزول، استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء .

(٣) (ألا يوم يأتيهم) العذاب . و(يوم) منصوب بمصروفا ، أى ليس العذاب مصروفا

عنه يوم يأتيهم .

(٤) (ليس) العذاب .

(٥) وأحاط بهم .

(٦) العذاب الذى كانوا به يستعجلون . وإنما وضع (يستهزون) موضع يستعجلون لأن

استعجالهم كان على وجه الاستهزاء .

(٧) هو للجنس . واللام فى (لئن) لتوطئة القسم .

(٨) نعمة من صحة وأمن وجدة .

(٩) ثم سلناه تلك للنعمة .

(١٠) جواب القسم . شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوقة فاطع رجاءه

من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه .

(١١) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساء له .

(١٢) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله .

(١٣) أى المصائب التى ساءت .

(١٤) أشربطر .

(١٥) (فخور) على الناس بما أذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر .

(١٦) (صبروا) فى المحنة والبلاء .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ
 مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ
 مَعَهُ مَلَكٌ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ

(١) وشكروا في النعمة والرخاء .

(٢) (مغفرة) لذنوبهم .

(٣) يعنى الجنة .

(٤) أى لعلك تترك أن تلقى عليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به . كانوا
 يقترحون عليه آيات تعنتا لاسترشادا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به
 كافية في رشادهم . ومن اقتراحتهم (لولا أنزل عليه كتر أو جاء معه ملك) وكانوا لا يعتدون
 بانقرآن وتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى إليهم مالا يقبلونه
 ويضحكون منه . فهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم .

(٥) بأن تتلوه عليهم . ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام
 كان أفسح الناس صدرا ، ولأنه أشكل بتارك .

(٦) مخافة (أن يقولوا) .

(٧) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكثر لنتفقه والملائكة لصدقه ولم أنزل عليه ما لا يزيد
 ولا نقترحه .

(٨) أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت بتبلغه ولا عليك
 أن ردوا أو تهاونوا .

(٩) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل . فتوكل عليه وكل أمرك إليه
 وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استجبارهم ولا مبال بسفههم
 واستهزائهم .

(١٠) (أم) منقطعة .

(١١) الضمير لما يوحى إليك .

قُلْ فَاتُوا بَعْشِرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيَّتٍ (١) وَأَدْعُوا (٢) مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣) فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ
 بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يُرِيدُ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (٥)

(١) تحذاهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب . فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد
 (٢) (مثله) في الحسن والجزالة . ومعنى (مثله) أمثاله ذهابا إلى مائة كل واحدة منها له .
 (٣) صفة لعشر سور . لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أتى اختلقته من عند نفسي فاتوا أتم أيضا بكلام مثله محتاق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء مثلى .

(٤) (وادعوا) إلى المعاونة على المعارضة .

(٥) (إن كنتم صادقين) أنه مفترى .

(٦) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز الخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه . (و) اعلمو عند ذلك (أن لا إله إلا) الله وحده وأن توحيدوه واجب والإشراك به ظلم عظيم . وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله (لكم فاعلموا) بعد قوله (قل) لأن الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم . أولأت رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدثونهم . أولأت الخطاب لأشركين والضمير في (فإن لم يستجيبوا) لمن استطعت . أى فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه (فاعلموا) أنما أنزل بعلم الله أى بإذنه أو بأمره .

(٧) (فهل أتم) متبعون للإسلام بعد هذه الحجمة القاطعة ؟

ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أتم عليه وازدادوا يقينا على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد . ومعنى (فهل أتم مسلمون) فهل أتم مخلصون .

(٨) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا . وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق . وهم الكفار أو المناقون .

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّوا
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ
 وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ

(١) وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنعهم . أى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة . إنما أرادوا به الدنيا وقد وثى إليهم ما أرادوا .

(٢) أى كان عملهم في نفسه باطلا لأنه لم يعمل لغرض صحيح . والعمل الباطل لا ثواب له .

(٣) (أ) من كان يريد الحياة الدنيا (فمن كان على بينة من ربه) . أى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقارونهم . يعنى أن بين الفريقين تباينا يتنا . وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره . (كان على بينة من ربه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق . وهو دليل العقل .

(٤) ويتبع ذلك البرهان .

(٥) (شاهد) يشهد بصحته وهو القرآن .

(٦) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا .

(٧) ومن قبل القرآن .

(٨) وهو التوراة . أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن (كتاب موسى) عاينه السلام .

(٩) (إماما) كتابا مؤتمرا به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم . وهما حالان .

(١٠) أى من كان على بينة .

(١١) بالقرآن .

(١٢) بالقرآن .

مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرُّ مَوْعِدُهُ^(٢) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ^(٣) إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ^(٤)
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ^(٥) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا
 عَلَى رَبِّهِمْ^(٦) أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^(٧) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ^(٨)
 وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ^(٩) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ^(١٠) يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ^(١١)

- (١) يعنى أهل مكة ومن ضاهمهم من المنحزيين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (٢) مصيره ومورده .
- (٣) شك .
- (٤) من القرآن أو من الموعد .
- (٥) يخبسون في الموقف وتعرض أعمالهم .
- (٦) ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا . و (الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب وصاحب ، أو شهيد كشريف وأشرف .
- (٧) الكاذبين على ربهم .
- (٨) يصرفون الناس عن دينه .
- (٩) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة . أو ييغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد .
- (١٠) هم) الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به .
- (١١) أى ما كانوا .
- (١٢) بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم .
- (١٣) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه . ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم . وهو من كلام الأشهاد .
- (١٤) لأنهم أضلوا الناس عن دين الله . (يضعف) مكى وشامى .

مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١﴾ أَوْلَايِكَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ
 كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾

(١) أى استماع الحق .

(٢) (وما كانوا يبصرون) الحق .

(٣) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله .

(٤) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاءاتها .

(٥) (هم الأخسرون) بالصدّة والصدود . وفي (لاجرم) أفعال أحدها أن (لا) ردّ لكلام سابق ، أى ليس الأمر كما زعموا . ومعنى (جرم) كسب وفاعله مضمر و (أنهم في الآخرة) فى محلّ النصب . والتقدير كسب قلوبهم خسراتهم فى الآخرة . وثانيها أن (لاجرم) كلمتان ركبتا فصار معناهما حقاً . وأنّ فى موضع رفع أنّه فاعل لحق أى حق خسراتهم . وثالثها أنّ معناه لا محالة .

(٦) واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع . من الخبت وهى الأرض المطمئنة .

(٧) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم ، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع .

(٨) يعنى الفريقين .

(٩) تشبيهاً . وهو نصب على التمييز .

(١٠) (أفلا تذكرون) فتنتفعون بضرب المثل .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ^(١) ﴿﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا
 إِلَّا اللَّهَ ^(٢) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ^(٣) ﴿﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ أَتَّبَعَكَ ^(٤)
 إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ ^(٥) وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ^(٦) ﴿﴾ ^(٧) ^(٨) ^(٩)

(١) (أنى) أى بأنى . والمعنى أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله (إنى لكم نذير مبين) بالكسر فتمت اتصل به الجاز ففتح كما فتح فى كأت . والمعنى على الكسر . وبكسر الألف شامى ونافع وعاصم وحمة على إرادة القول .

(٢) (أن) مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير .

(٣) وصف اليوم باليوم من الإسناد المجازى لوقوع الألم فيه .

(٤) يريد الأشراف لأنهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أهبة ، أولأنهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة .

(٥) أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون مليكا أو ملكا .

(٦) أخسأؤنا . جمع الأردل .

(٧) وبالهمزة أبو عمرو .

(٨) وبغير همز أبو عمرو . أى أتبعوك ظاهر الرأى أو أول الرأى . من بدأ يبدو إذا ظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشئ أولا . وانتصابه على الظرف . أصله وقت حدوث ظاهر رأيه أو أول رأيه . فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه . أرادوا أن أتباعهم لك شئ عن لهم بديهية من غير روية ونظر ولو تفكروا ما أتبعوك . وإتما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الأشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكراههم وإهانتهم . ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله . وإتما يعده . ولا يرفعه بل يضعه .

(٩) (من فضل) فى مال ورأى . عنوا نوحا وأتباعه .

بَلْ نُنظِّكُمْ كَالَّذِينَ (١) قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي
 وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ (٤) فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ (٥) أَنْزَلْتُكُمْ فِيهَا وَأَنْتُمْ لَهَا
 كَاذِبُونَ (٧) وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا
 أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (١٣)

(١) أى نوحا فى الدعوة ومتبعيه فى الإجابة والتصديق. يعنى توأطأتم دلى الدعوة والإجابة
 تسببيا للرياسة .

(٢) أخبرونى .

(٣) برهان وشاهد منه يشهد بصحة دعواى .

(٤) يعنى النبوة .

(٥) (فعميت) أى خفيت (فعميت) حمزة وعلى وحفص ، أى أخفيت . أى فعميت
 عليكم البينة فلم تهتكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد . وحقيقته أن الحجة
 كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره .

(٦) أى الرحمة . والواو دخلت هنا تمة لليم . وعن أبى عمر وإسكان الميم . ووجهه أن
 الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنّها الراوى سكونا . وهو لحن لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ
 طرحها إلا فى ضرورة الشعر .

(٧) لا تريدونها .

(٨) على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله (إنى لكم نذير) .

(٩) أجرا يثقل عليكم إن أدبتم ، أو على إن أبيتهم .

(١٠) (أجرى) مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص

(١١) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم .

(١٢) (لأنهم ملاقوا ربهم) فيشكوننى إليه إن طردتهم .

(١٣) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل ، أو تجهلون لقاء ربكم ، أو أنهم خير منكم .

وَيَقَوْمٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ إِنَّا بَدَأْنَا بِآدَمَ وَعَادَ وَنَحْنُ ظَالِمُونَ (١)
 وَعِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ
 تَزَيَّجْنَ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا أَنَّهُنَّ صَاحِبَاتِنَا فَتَبَرَّنَّ (٢) إِذْ أَتَىٰ آلَ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ
 مُجْرِمُونَ (٣) فَاذْهَبْ عَنْ آلِكَ وَالْجَنَّةِ الْكَبِيرِ (٤) وَتِلْكَ آيَاتُ الْكُرْآنِ الَّتِي
 نُنزِّلُهَا عَلَيْكَ لَعَلَّ لَئِنِ انظُرْتَهَا تَفَكَّرَ (٥) وَمَا تَجِدُ إِلَّا عَلَيْهَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنِ الْغَيْبِ مَا شَاءَ لَا يَلِيكَ شَيْءٌ (٦) وَإِنِّي لَأَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا نَبُئُكَ (٧) فَاتَّبَعْنَاهُ
 نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَنُوحًا وَآلَهُمْ إِذْ حَمَلْنَا إِلَهُمُ الْوَهْدَانَ
 وَإِذْ بَعَثْنَا فِي هَارُونَ إِذْ جَاءَهُمْ كُفْرًا أَنْ يُقِيمُوا صُورًا لِّلْجِبَالِ وَإِسْمَاعِيلَ إِذْ
 قَضَىٰ رَبُّهُ أَلِفَ لَيْلٍ وَمِائَةَ عَشْرٍ أَتَىٰ عَلَى الْكَلْبِ الْمَوْلُودِ إِذْ سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ
 وَكَانَ فِي سَبْعِينَ سَنَةً عِندَ رَبِّهِ إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِالْحَقِّ مُنِيبًا لِّئَلَّا يَقُولَ
 لَوْلَا إِنِّي صِدْقٌ (٨) فَاتَّبَعْنَاهُ نَحْنُ وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَنُوحًا
 وَآلَهُمْ إِذْ حَمَلْنَا إِلَهُمُ الْوَهْدَانَ (٩) وَإِنِّي لَأَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا نَبُئُكَ (١٠)

(١) من يمتنع من انتقامه .

(٢) تتعظون .

(٣) (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) فأدعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم (وما نرى لكم علينا من فضل) .

(٤) (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم . وهو معطوف على (عندي خزائن الله) أى (لا) أقول أنا (أعلم الغيب) .

(٥) (ولا أقول إنى ملك) حتى تقولوا لى ما أنت إلا بشر مثلنا .

(٦) ولا أحكم على من استرذلتهم من المؤمنين لفقركم أن الله لن يؤتيهم خيرا فى الدنيا والآخرة هو انهم عليه ، مساعدة لكم وتزولا على هواكم — والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه . وأصله تزرى فأبدلت التاء دالا — (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد . وإتما على قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطلع على خفى أسرارهم .

(٧) (إنى إذا لمن الظالمين) إن قلت شيئا من ذلك .

(٨) خاصمتنا .

(٩) (فاتننا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) فى وعدك .

(١٠) أى ليس الإتيان بالعذاب إلى . وإتما هو إلى من كفرتم به .

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ
 لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا
 تُجْبِرُمُونَ ﴿٧﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ
 فَلَا تَبْتَسِيسَ مِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا

(١) أى لم تقدرُوا على الهرب منه .

(٢) هو إعلام موضع الغي ليقى ، والرشد ليقضى (وايكفى) (إنى إذا) (نصحي) مدنى وأبر عمرو .

(٣) أى يضلكم . وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف .

تقديره إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعمكم نصحي إن أردت أن أنصح إكم . وهو دليل
 بين لنا فى إرادة المعاصى .

(٤) فية تصرف فيكم على قضية إرادته .

(٥) فيجازيكم على أعمالكم .

(٦) بل أ (يقولون افتراه) .

(٧) يقال أجرم الرجل إذا أذنب . أى إن صح أنى افتريته فعلى عقوبة إجرامى أى افترائى .

(وأنأ برىء مما تجرمون) من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلى . أى ولم يثبت ذلك وأنا برىء
 منه . فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم .

(٨) إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقع . وفيه دليل على أن الإيمان حكم التجدد كأنه قال

إن الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت . وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الإيمان بالقرآن .

(٩) فلا تحزن حزن بأئس مستكين . والابتأس افتعال من البؤس وهز الحزن والفقر .

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ، فقد جان وقت الانتقام من أعدائك .

(١٠) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا . وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن الله معه أعينا

تكلؤه من أن يزيغ فى صنعته عن الصواب .

(١١) وأنا نوحى إليك ولنهمك كيف تصنع . عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف

صنعة الفلك . فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجؤ الطير .

وَلَا تُحِطُّبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ ﴿٣﴾
 وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا
 فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٥﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ
 عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا

(١) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك .

(٢) محكوم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه .

(٣) حكاية حال ماضية .

(٤) من عمله السفينة . وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون
 منه ويقولون له : يانوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا . وجواب كلهما (سخروا) . و (قال)
 استئناف على تقدير سؤال سائل . أو (قال) جواب و (سخروا) بدل من (مر) أو صفة لملاء .

(٥) (نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) منا عند رؤية الفلك .

روى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في ستين . وكان طولها
 ثلاثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع . وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع . وطولها في السماء
 ثلاثون ذراعا . وجعل لها ثلاثة بطون . فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام ،
 وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام . وركب نوح ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج
 إليه من الزاد . وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء .

(٦) (من) في محل نصب يتعلمون أي (فسوف تعلمون) الذي (يأتيه) — ويعنى به

إياهم — (عذاب يخزيه) ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق .

(٧) وينزل عليه .

(٨) وهو عذاب الآخرة .

(٩) هي التي يتبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء . وهي غاية لقوله
 (ويصنع الفلك) أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد . وما بينهما من الكلام حال من
 (يصنع) . أي يصنعها (و) الحال أنه (كلما مرّ عليه ملاّ من قومه سخروا منه) .

(١٠) عذابنا .

وَفَارَ التَّنُورَ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ
 عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ^(٥) وَقَالَ أَرَكُبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا ^(٦) إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٧) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ^(٨)

(١) هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته . وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز .
 وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام . وقيل التنور وجه الأرض .

(٢) في السفينة .

(٣) تفسيره في سورة المؤمنين .

(٤) (وأهلك) عطف على اثنين . وكذا (ومن آمن) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم .
 واستثنى من أهله (من سبق عليه القول) أنه من أهل النار . وما سبق عليه القول بذلك
 إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وإرادته . جل خالق العباد، عن أن يقع في الكون خلاف
 ما أراد .

(٥) قال عليه السلام "كانوا ثمانية : نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونسأؤهم" . وقيل كانوا
 عشرة خمسة رجال وخمس نسوة . وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساء وأولاد نوح : سام
 وحام ويافث ونسأؤهم . فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء .

(٦) (بسم الله) متصل بركبوا، حالا من الواو . أى (اركبوا فيها) مسمين الله أوقائلين بسم الله
 وقت إبحارها ووقت إرسائها . إما لأن المجرى والمرسى للوقت ، وإما لأنهما مصدران كالإجراء
 والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم : خفوق النجم . ويجوز أن يكون (بسم الله مجراها
 ومرساها) جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها . وهى مبتدأ وخبر . يعنى أت نوحا عليه السلام أمرهم
 بالركوب ، ثم أخبرهم أت مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله لإجرائها وإرسائها . وكان
 إذا أراد أن تجرى قال بسم الله بخرت ، وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست . (مجرىها) بفتح
 الميم وكسر الراء من جرى إتما مصدر أو وقت ، حمزة وعلى وحفص . وبضم الميم وكسر الراء
 أبو عمرو . والباقون بضم الميم وفتح الراء .

(٧) (لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم .

(٨) متصل بمحذوف دل عليه (اركبوا فيها باسم الله) كأنه قيل : فركبوا فيها يقولون
 بسم الله (وهى تجرى بهم) أى السفينة تجرى وهم فيها .

فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ^(١) وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ^(٢) يَبْنِي أَرْكَبَ ^(٣) مَعَنَا ^(٤)
 وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ^(٥) قَالَ سَاوِيَ ^(٦) إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ^(٧)
 قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ^(٨) وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ ^(٩)
 مِنَ الْمَغْرِقِينَ ^(١٠) وَقِيلَ يَتَّارِضْ ^(١١) أَبْلَعِي مَاءَكَ ^(١٢) وَيَسْمَأُ ^(١٣) أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ ^(١٤)

(١) يريد موج الطوفان. وهو جمع موجة كتمر وتمرة. وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه
 بدخول الرياح الشديدة في خلاله. شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها.
 (٢) كنعان وقيل يام. والجمهور على أنه ابنه الصليبي. وقيل كان ابن امرأته.
 (٣) (في معزل) عن أبيه وعن السفينة. مفعول من عزله عنه إذا نحاه وأبعده. أو في معزل
 عن دين أبيه.

(٤) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك يا بنيأ.
 غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة.

(٥) (اركب معنا) في السفينة. أي أسلم واركب.

(٦) ألبأ.

(٧) يمنعني من الغرق.

(٨) إلا الراحم وهو الله تعالى. أو (لا عاصم اليوم) من الطوفان (إلا من رحم) الله. أي (إلا)
 مكان (من رحم) الله من المؤمنين. وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك
 اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاتهم، يعني
 السفينة. أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحم الله فهو المعصوم كقوله (ما لهم به
 من علم إلا اتباع الظن).

(٩) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه.

(١٠) فصار أو فكان في علم الله.

(١١) أنشفي (ماءك) وتشربي. والبلع النشف.

(١٢) أمسكي.

(١٣) نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومتعد.

وَقَضَى الْأَمْرَ ^(١) وَأَسْتَوَتْ ^(٢) عَلَى الْجُودِيِّ ^(٣) وَقِيلَ ^(٤) بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

(١) وأنجز ما وعد الله نوحا من إهلاك قومه .

(٢) واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر .

(٣) هو جبل بالموصل .

(٤) أى سخقا لقوم نوح الذين غرقوا . يقال بعد بعداً وبعداً إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت . ولذلك خص بدعاء السوء .

والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة علم البيان. وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها. فنقول: إن الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد، وأن تقطع طوفان السماء فانقطع، وأن تفيض الماء النازل من السماء ففيض، وأن تقضى أمر نوح وهو إنجاز ما تكا وعدناه من إغراق قومه فقضى، وأن نسوى السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظلمة غرقى، نبي الكلام على تشبيه المراد بالأمر الذى لا يتأتى منه - لكمال هيئته - العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكوين المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وأن السموات والأرض متفاداة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء يميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجود الانقياد لأمره والإذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده. ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل (وقيل) على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للمجاد وهو (يا أرض. ويا سماء)، ثم قال مخاطبا لها (يا أرض) و(يا سماء) على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار اغور الماء فى الأرض البلع الذى هو أعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفى، ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء فى الإنبات كتقوى الآكل بالطعام. ثم قال (ماءك) بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك. ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم التأتى. ثم قال (وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا) ولم يصرح بن أغاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوى السفينة وقال بعدا، كما لم يصرح بقائل (يا أرض. ويا سماء) سلوكا فى كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها واحد لا يشارك فى فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره (يا أرض ابلعى ماءك

ويا سماء أفعلى) ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غيره . ثمّ ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم إظهاراً لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم .

ومن جهة علم المعانى . وهو النظر في فائدة كلّ كلمة فيها ، وجهة كلّ تقديم وتأخير فيما بين جملها . وذلك أنه اختير (يا) دون أخواتها لكونها أكثر استعمالاً ، ولدلائها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به . ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعى القرب . ولم يقل يأتها الأرض للاختصار . واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخف وأدور . واختير (ابلى) على ابتلى لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين (أفعلى) . وقيل (أفعلى) ولم يقل عن المطر ، وكذا لم يقل (يا أرض ابلى ماءك) فبلعت (ويا سماء أفعلى) فأقلعت اختصاراً . واختير (غيض) على غيظ ، وقيل (الماء) دون أن يقول ماء الطوفان ، و(الأمر) ولم يقل أمر نوح وقومه ، لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك . ولم يقل وسويت على الجودى ، أى أقوت على نحو (قيل) و(غيض) اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله (وهى تجرى بهم) إرادة للطابقة . ثم قيل (بعدا للقوم) ولم يقل ليعبد القوم طلباً للتأكيد مع الاختصار . وهذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم . وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدّم النداء على الأمر فقيل (يا أرض ابلى ويا سماء أفعلى) ولم يقل ابلى يا أرض وأفعلى يا سماء جرياً على مقتضى الكلام فيمن كان مأموراً بحقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقبيه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح . ثمّ قدّم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها . ثمّ أتبع (وغيض الماء) لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها . ثمّ ذكر ما هو المقصود وهو قوله (وقضى الأمر) أى أنجز الموعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في الفلك . وعلى هذا فاعتبر .

ومن جهة الفصاحة المعنوية . وهى كما ترى نظم للعانى لطيف وتأدية لها مخصصة مبيّنة لا تعقيد يُعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق إلى المراد .

ومن جهة الفصاحة اللفظية . فالفاظها على ما ترى عربيّة مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات ، سلسلة على الأسلات . كلّ منها كالماء في السلاسة ، وكالعسل في الحلاوة ، وكالنعيم في الرقة .

ومن ثمّ أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية . والله درّشان التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر . ولا نظنّ الآية مقصورة على المذكور ، فاعل المتروك أكثر من المسطور .

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ^(١) فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي ^(٢) وَإِنِّي وَعَدَكَ ^(٣)
 الْحَقَّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ^(٤) الْحَاكِمِينَ ^(٥) قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
 أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ^(٦) فَلَا تَسْأَلَنِي ^(٧) مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

(١) نداءؤه ربه دعائه له وهو قوله (رب) مع ما بعده من اقتضاء وعده في تسمية أهله .

(٢) أى بعض أهلى لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيدا له فهو بعض أهله .

(٣) وإن كل وعد تعده فهو الحق النايب الذى لا شك فى إنجاز الوفاء به . وقد

وعدتني أن تنجى أهلى فما بال ولدى ؟ .

(٤) أى أعلم الحكام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل . ورب غريق

فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم
 الحاكمين فاعتبر واستعبر .

(٥) علل لانتفاء كونه من أهله بقوله (إنه عمل غير صالح) .

وفيه ايدان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب ، وأن نسيبك فى دينك — وإن كان

حبشياً وكنيت قرشياً — لصيقك . ومن لم يكن على دينك ، وإن كان أمس أقرار بك رحماً
 فهو أبعد بعيد منك . وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها :

« فإتماهى إقبال وإدبار » أو التقدير إنه ذو عمل . وفيه إشعار بأنه إنما أنجى من

أنجى من أهله لصالحهم لا لأنهم أهله . وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته . (عمل غير

صالح) على : قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه

لأنه كان ينافق . وإلا لا يحتمل أن يقول ابنى من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى

عن سؤال مثله بقوله (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا إنهم مغرقون) . فكان يسأله على الظاهر

الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لتبيننا عليه السلام ويضمرون الخلاف له

ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه . وقوله (ليس من أهلك) أى من الذين وعدت النجاة لهم

وهم المؤمنون حقيقة فى السر والظاهر .

(٦) اجترأ بالكسرة عن الياء كوفى . (تسألنى) بصرى (تسألنى) مدنى . (تسألنى) شامى .

فخذف الياء واجترأ بالكسرة . والنون نون التأكيد . (تسألنى) مكى .

(٧) يجوز مسألته .

إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
 أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ^(٢) وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ^(٣) قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا ^(٤) وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى
 أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ^(٥) وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ^(٦) ثُمَّ يَمَسُّهُمْ ^(٧) مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(٨)

(١) هو كما هي رسولنا بقوله (فلا تكون من الجاهلين) .

(٢) أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديبا بأدبك وبتعاطف بموعظتك .

(٣) (وإلا تغفر لي) ما فرط مني (وترحمني) بالعصمة عن العود إلى مثله .

(٤) بفتح منّا أو بسلامة من الفرق .

(٥) هي الخيرات النامية . وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه . فقد جعل أكثر الأنبياء
 من ذريته ، وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله .

(٦) (من) للبيان . فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات . أو قيل لهم
 أمم لأن الأمم تتشعب منهم . أو لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة من معك . وهي الأمم إلى آخر
 الدهر . وهو الوجه .

(٧) رفع بالابتداء .

(٨) (سننتعبهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش . صفة . والخبر محذوف
 تقديره ومن معك (أمم سننتعبهم) . وإنما حذف لأن (ممن معك) يدل عليه .

(٩) أي في الآخرة .

والمعنى أن السلام منّا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون من معك . ومن معك
 أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار . وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء . والخلق بعد الطوفان
 منه ومن كان معه في السفينة . وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة
 إلى يوم القيامة . وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر .

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ^(١)
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ^(٢) إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ^(٣) وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا^(٤)
 قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ^(٥) إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ^(٦)
 يَنْقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٧)
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٨)

(١) تلك إشارة إلى قصة نوح عليه السلام . ومحملها الرفع على الابتداء . والجمل بعدها
 وهي (من أنباء الغيب نوحينا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) ، أخبار . أى تلك
 القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك بسهولة عندك وعند قومك .

(٢) (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها .

(٣) (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح ، وتوقع في العاقبة لك ولبن كذبك
 نحو ما كان لنوح ولقومه .

(٤) (إن العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك .

(٥) واحدا منهم . وانتصابه للعطف على (أرسلنا نوحا) . أى (و) أرسلنا (إلى عاد أخاهم) .

(٦) عطف بيان .

(٧) وحدوه .

(٨) بالرفع ، نافع . صفة على محل الجاز والمجرور . وبالجزء ، على . على اللفظ .

(٩) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء .

(١٠) ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة . والنصيحة لا يحضها
 إلا حسم المطامع . وما دام يتوهم شيء منها لم تتجع ولم تنفع .

(١١) (أفلا تعقلون) إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا إلا من الله وهو نواب
 الآخرة . ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك .

وَيَقَوْمٌ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا (٤)
 وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٧) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا
 بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠)

(١) آمنوا به .

(٢) (توبوا إليه) من عبادة غيره .

(٣) أى المطر .

(٤) حال . أى كثرة الدور .

(٥) إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة ، لأنهم كانوا أصحاب
 زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء . وكانوا مدلين بما أتوا من شدة البطش والقوة .
 وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح . وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام
 نسائهم . فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولاد ، على الإيمان والاستغفار . وعن الحسن بن
 على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية . فلما خرج قال له بعض صحابه إني رجل ذو مال ولا
 يولد لي . علمنى شيئاً لعل الله يرزقنى ولدا . فقال الحسن عليك بالاستغفار . فكان يكثر الاستغفار
 حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين . فبلغ ذلك معاوية : فقال هلاً
 سألته مم قال ذلك ؟ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل . فقال ألم تسمع قول هود (ويزدكم قوة
 إلى قوتكم) وقول نوح (ويمدكم بأموال وبنين) ؟

(٦) ولا تعرضوا عني وعمما أدعوكم إليه .

(٧) مصرين على إجرامكم وآثامكم .

(٨) كذب منهم وبحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا أنزل عليه
 آية من ربه) مع فوت آياته الحصر .

(٩) هو حال من الضمير فى (تاركى آلهتنا) كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين (عن قولك) .

(١٠) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه . إلفاظا له من الإجابة .

إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ آهْتِنَا بِسُوءٍ ^(١) قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
 وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ^(٢) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ^(٣) ثُمَّ
 لَا تُنظِرُونَ ^(٤) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
 بِنَاصِيَتِهَا ^(٥) إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
 مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ^(٧)

(١) (إن) حرف نفى ، فنفي جميع القول إلا قولاً واحداً وهو قولهم (اعتراك) أصابك
 (بعض آهتنا بسوء) يحنون وخبل . وتقديره : ما نقول قولاً إلا هذه المقالة أى قولنا اعتراك
 بعض آهتنا بسوء .

(٢) أى من إشرأكم آلهة من دونه . والمعنى إني أشهد الله (أنى برىء مما تشركون) .
 وأشهدوا أتم أيضاً أنى برىء من ذلك . وجرى به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل
 لمن يبس الثرى بينه وبينه : أشهد على أنى لا أحبك تهكماً به واستهانة بحاله .
 (٣) أتم وأهتكم .

(٤) لا تمهلون . فإنى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معزرتكم وإن تعاوتتم على . وكيف
 تضررتنى آهتكم وما هى إلا جماد لا يضر ولا ينفع ؟ وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصدت
 عن عبادتها بأن تحبلى وتذهب بعقلى ؟

(٥) أى مالكتها . لما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم ، وصفه بما
 يوجب التوكل عليه من اشتغال ربوبيته عليه وعليهم ، ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته
 وتحت قهره وسلطانه . والأخذ بالناصية تمثيل لذلك .

(٦) إن ربى على الحق لا يعدل عنه . أو (إن ربى) يدل (على صراط مستقيم) .

(٧) هو فى موضع فقد ثبتت الحجة عليكم .

(٨) كلام مستأنف . أى ويهلككم الله ويحى بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم .

(٩) (ولا تضررونه) بتوليكم (شيئاً) من ضرر قط ، إذ لا يجوز عليه المضار وإتما تضررون

أنفسكم .

إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ^(١) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ^(٢) وَنَجَّيْنَاهُمْ ^(٣) مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ^(٤) وَتِلْكَ ءَعَادٌ
 جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ^(٥) وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ^(٦)
 وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٧) إِلَّا هُودًا ^(٨) كَفَرُوا
 رَبَّهُمْ ^(٩) إِلَّا بَعْدَ لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ^(١٠) وَإِلَى ثَمُودَ إِخْوَانِهِمْ صَالِحًا قَالَ
 يَنْقُومَ ^(١١) أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

(١) رقيب عليه مهيمن. فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم. أو من كان رقبيا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار، لم يضر مثله مثلكم.

(٢) وكانوا أربعة آلاف.

(٣) أي بفضل منّا لا بعملهم. أو بالإيمان الذي أنعمنا عليهم.

(٤) وتكرار (نجينا) للتأكيد. أو الثانية من عذاب الآخرة ولا يذاب أغلظ منه.

(٥) (وتلك عاد) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا. ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم).

(٦) لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله (لا نفرق بين أحد من رسله).

(٧) يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل. لأنهم الذين يجرون الناس على الأمور ويأندون ربهم. ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم.

(٨) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين.

(٩) تكرر (إلا) مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم. والدعاء ببعدها بعد هلاكهم—وهو دعاء بالهلاك—للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له.

(١٠) عطف بيان لعاد. وفيه فائدة لأن عادا عادان الأرتى القديمة التي هي قوم هود والنقص فيهم والأخرى إرم.

(١١) لم ينشئكم منها إلا هو. وإنشأوهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم.

وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٤﴾
 قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
 آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَبِيُّنَا لَبِئْسَ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٌ ﴿٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴿٦﴾

(١) وجعلكم عمّارها وأراد منكم عمارتها. أو استعمركم من العمر، أي أطال أعماركم فيها. وكانت أعمارهم من ثلثائة إلى ألف. وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبيّ من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم. فأوحى الله إليهم أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى.

(٢) فاسألوه مغفرته بالإيمان.

(٣) داني الرحمة

(٤) مجيب لمن دعاه.

(٥) فيما بيننا.

(٦) (مرجوا) للسيادة والمشاورة في الأمور. أو كما نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه.

(٧) حكاية حال ماضية.

(٨) من التوحيد.

(٩) موقع في الريبة، من أرابه إذا أوقعه في الريبة. وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة.

(١٠) (رحمة) نبوة. أتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال: قدروا أتى على بينة من ربّي وأتني نبيّ على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصبت ربّي في أوامره (فمن ينصرنى من الله) فمن يعنى من عذاب الله (إن عصيته) في تبليغ رسالته ومنكم عن عبادة الأوثان.

فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿١﴾ وَيَقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا
 تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٢﴾
 فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٣﴾
 فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴿٤﴾

(١) (فما تزيدونني) بقولكم (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا).

(٢) بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إياكم إلى الخسران .

(٣) (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل. و(لكم) متعلق
 بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها . فلما تقدمت انتصبت على الحال .

(٤) أى ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها .

(٥) عقر أو نحر .

(٦) عاجل .

(٧) (فعقروها) يوم الأربعاء .

(٨) (فقال) صالح .

(٩) استمتعوا بالعيش .

(١٠) في بلدكم . وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف . أو في دار الدنيا .

(١١) (ثلاثة أيام) ثم تهلكون . فهلكوا يوم السبت .

(١٢) أى غير مكذوب فيه . فأتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به .
 أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمعقول .

(١٣) (أمرنا) بالعذاب أو عذابنا .

(١٤) قال الشيخ رحمه الله : هذا يدل على أن من نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله
 كما قال عليه السلام " لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله " .

وَمَنْ نَحَزِي يَوْمِيذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ^(٣) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ^(١)
 الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ^(٤) ^(٥) ^(٦) كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ^(٧) إِلَّا إِنَّ
 ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ^(٨) إِلَّا بَعْدًا لَثَمُودٍ ^(٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى ^(١١)

(١) بإضافة الخزي إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة . وافتحها مدنى وعلى لأنه مضاف
 إلى إذ، وهو مبنى . وظروف الزمان إذا أضيفت إلى الأسماء المهمة والأفعال الماضية بنيت
 واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو
 للعطف وتقديره (و) نجيناهم (من خزي يومئذ) أى من ذلّه وفضيحتة . ولا خزي أعظم من خزي
 من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه . وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب
 الغليظ بعذاب الآخرة .

(٢) القادر على تيجية أوليائه .

(٣) الغالب يهلك أعدائه .

(٤) أى صيحة جبريل عليه السلام .

(٥) منازلهم .

(٦) ميتين .

(٧) لم يقيموا فيها .

(٨) (ثمود) حمزة وحفص .

(٩) (ثمود) على . فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر . ومنعه للتعريف
 والتأنيث بمعنى القبيلة .

(١٠) جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا .

(١١) هى البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط . والأول أظهر .

قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ^(١) مَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ^(٢) بِعِجْلٍ حَنِيذٍ^(٣) فَلَمَّا رَأَى^(٤)
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً^(٥) قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا
 أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ^(٦) وَأَمْرَاتِهِ^(٧) قَائِمَةً^(٨) فَضَحِكْتُمْ^(٩) فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ^(١٠)
 وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ^(١١) قَالَتْ يَوَيْلَتِي^(١٢) أَلِدُ وَأَنَا مَجْزُورٌ

(١) سلمنا عليك سلاما .

(٢) أمركم (سلام) . (سلم) حمزة وعلى بمعنى السلام .

(٣) فما لبث في الحجيء به بل عجل فيه . أو فما لبث مجيئه . والعجل ولد البقرة . وكان مال إبراهيم البقر .

(٤) مشوى بالحجارة المحماة .

(٥) نكروا نكر بمعنى . وكانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه . والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة . ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه . دليله قوله (وأوجس منهم خيفة) أي أضمر منهم خوفا (قالوا لا تخف) (إننا أرسلنا) بالعذاب (إلى قوم لوط) . وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا . وإنما قالوا (لا تخف) لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه .

(٦) (قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم . أو على رؤوسهم تخدمهم .

(٧) (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة ، أو بهلاك أهل الخبائث ، أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب . أو غاضت .

(٨) وخصت بالبشارة لأن النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ، ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل .

(٩) ومن بعده .

(١٠) بالنصب شامى وحمزة وحفص بفعل مضمر (فبشّرناها بإسحاق) ووهبنا لها يعقوب

من وراء إسحاق . بالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد .

(١١) الألف مبدلة من ياء الإضافة . وقرأ الحسن (يا ويلتي) بالياء على الأصل .

(١٢) ابنة تسعين سنة .

وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ^(٢) قَالُوا أَتَعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ^(٤) فَلَمَّا ^(٥)
ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ^(٦)

(١) ابن مائة وعشرين سنة . (هذا) مبتدأ و (بعلي) خبره و (شيخا) حال . والعامل
معنى الإشارة التي دلت عليه ذا ، أو معنى التنبيه الذي دل عليه (هذا) .

(٢) أن يولد ولد من هرمين (عجيب) . وهو استبعاد من حيث العادة .

(٣) (من أمر الله) من قدرته وحكمته . وإنما أنكرت الملائكة تعجبها لأنها كانت
في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات . فكان عليها أن تتوقر ولا
يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان
التعجب . وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) .
أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإلحاح به يا أهل بيت النبوة .
فليست بمكان عجيب . وهو كلام مستأنف علل به إنكار التعجب ، كأنه قيل إياك
والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم . وقيل الرحمة النبوة والبركات
الأسباط من بني إسرائيل ، لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم . و (أهل البيت) نصب
على النداء أو على الاختصاص .

(٤) محمود بتعجيل النعم .

(٥) ظاهر الكرم بتأجيل النقم .

(٦) (فلما ذهب عن إبراهيم الروع) الفزع - وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر
أضيافه - (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف
وملى سرورا بسبب البشرى فزع للجادلة . وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا .
أو (يجادلنا) جواب لما . وإتما جىء به مضارعا لحكاية الحال . والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته
لما هم أنهم قالوا (إنا مهلكو أهل هذه القرية) . فقال رأيتم لو كان فيها نحسون مؤمنا
أتهلكونها ؟ قالوا لا . قال فأربعون ! قالوا لا . قال فثلاثون ؟ قالوا لا حتى بلغ العشرة .
قالوا لا . قال رأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا لا . فعند ذلك (قال إن
فيها لوطا . قالوا نحن أعلم بمن فيها . لننجينه وأهله) .

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿١﴾ يَتَّبِعُ إِبْرَاهِيمَ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٢﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ مُضَاعِقٌ بِيَهُمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٣﴾

(١) (إن إبراهيم حلِيم أواه) غير عجول على كل من أساء إليه . أو كثير الاحتمال ممن آذاه ، صفوح عمن عصاه كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع إلى الله . وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة . فيبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه . فقالت الملائكة (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك .

(٢) قضاؤه وحكمه .

(٣) لا يردّ بجدال وغير ذلك . (عذاب) مرتفع باسم الفاعل وهو (آتيهم) تقديره وإيهم

يأتيهم .

(٤) ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ .

(٥) لما أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم (سوء بهم) احزن . لأنه حسب أنهم إنس . نجاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم .

(٦) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره .

(٧) شديد .

روى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات . فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية ؟ قالوا وما أمرهم ؟ قال أشهد بالله إنها لشرّ قرية في الأرض عملا . قال ذلك أربع مرّات . فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد . فخرجت امرأته فأخبرت بهم قوما .

وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يهرعون إِلَيْهِ ^(١) وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ^(٢) قَالَ يَتَقَوْمِ
هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ^(٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ ^(٤) وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي ^(٥) أَلَيْسَ مِنْكُمْ
رَجُلٌ رَشِيدٌ ^(٦) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ^(٧) وَإِنَّكَ لَتَعْلَمِ
مَا نُرِيدُ ^(٨) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ^(٩)

(١) يسرعون كما تدفعون دفعا .

(٢) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مروا عليها وقل عندهم استقباحها . فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء .

(٣) (هؤلاء بناتي) فترجوهن . أراد أن يبق أضيافه بناته وذلك غاية الكرم . وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الأمة . فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران . وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه .

(٤) أحل . (هؤلاء) مبتدا و(بناتي) عطف بيان و(هن) فصل و(أطهر) خبر المبتدأ . أو (بناتي) خبر ، و (هن أطهر) مبتدأ وخبر .

(٥) (فاتقوا الله) بإيثارهن عليهم .

(٦) ولا تهنوني ولا تفضحوني . من الخزي . أو ولا تخجلوني . من الخزية وهي الحياء . وبالياء أبو عمرو في الوصل .

(٧) في حق ضيوفي . فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عرافة الكرم وأصالة المروءة .

(٨) أي رجل واحد يهتدى إلى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء .

(٩) حاجة ، لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا فذهبنا إتيان الذكران .

(١٠) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة .

(١١) جواب لو محذوف أي لفعلت بكم واصنعت . والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت إلى قوى أستند اليه وأتمتع به فيحمنيني منكم . فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته .

قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِهَا هَلِكًا بِقَطْعِ مَنِ الْبَيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُهُمْ
الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨﴾ مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ
(٤) (٣) (٢) (١) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

(١) روى أنه أغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويحادلهم فتسوروا الجدار . فلما رأته الملائكة ما لقي لوط من الكرب (قالوا يالوط) إن ركك لشديد (إننا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا وإياهم . ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم . فاذن له . فضرب جناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى (فطمسنا أعينهم) فصاروا لا يعرفون الطريق . فخرجوا وهم يقولون النجاء فات في بيت لوط قوما سخرة .
(٢) جملة موصحة للتي قبلها ، لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره .
(٣) (مأسر) بالوصل حجازي . من سري .

(٤) طائفة منه أو نصفه .

(٥) (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه إلى . أخلف ، أو لا ينظر إلى ما وراءه ، أو لا يتخلف منكم أحد .
(٦) (امراتك) مستثنى من (فأسر بأهلك) . وبالرفع مكى . وأبو عمرو على البذل من أحد .
وفي إخراجها مع أهله روايتان : روى أنه أخرجها معهم وأمر ألا يلتفت منهم أحد إلا هي . فلما سمعت هذة العذاب التفتت وقالت يا قوماه . فادركها حجر فقتلها . وروى أنه أمر بأن يخلقها مع قومها فات هواها إليهم . فلم يسرها . واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين .

(٧) (إنه) أى إن الأمر . وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم ؟ قالوا (إن موعدهم الصبح) . فقال أريد أسرع من ذلك . فقالوا (أليس الصبح بقريب) ؟

(٨) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ، أى أسفل قراها ، ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم . وذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) . هي كلمة معربة من « سنك كل » بدليل قوله (حجارة من طين) .

(٩) نعت لسجيل . أى متابع أو مجموع معد للعذاب .

(١٠) نعت لحجارة أى معلمة للعذاب . قيل مكتوب على كل واحد اسم من سمي .

(١١) في نزائنه أو في حكمه .

وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ^(١) وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا ^(٢)
 اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ^(٣) ^(٤) إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ ^(٥)
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ^(٦) وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ^(٧)
 بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ^(٨) ^(٩) ^(١٠)

(١) بشيء بعيد. وفيه وعيد لأهل مكة، فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يعني ظالمى أمتك. ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة. أو الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمزون بها فى مسائرهم .

(٢) (مدین) اسم مدينتهم أو اسم جدتهم مدین بن إبراهيم . أى وأرسلنا شعيبا إلى ساكنى مدین أو إلى بنى مدین .

(٣) أى الميكل بالمكيال .

(٤) والموزون بالميزان .

(٥) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف . أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون .

(٦) مهلك . من قوله (وأحيط بثمره) وأصله من إحاطة العدو . والمراد عذاب الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة .

(٧) أتموهما .

(٨) بالعدل .

نہوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذى هو حسن فى العقول لزيادة الرغبة فيه . وجرى به مقيدا بالقسط ، أى ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان .

(٩) البخس النقص . كانوا يقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فهوا عن ذلك .

(١٠) العثى والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل . ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم فى الأرض .

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ^(٢)
 قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ
 فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ^(٤) قَالَ يَتَقَوَّمُ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ^(٦)

(١) (خير لكم إن كنتم مؤمنين) ما يبقى لكم من الحلال بعد التزهر عما هو حرام عليكم بشرط أن تؤمنوا . نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لأنهم يسلمون معها من تبعة البخر والتطفيف . إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب . ولا يظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر . وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبه على جلالة شأنه . أو المراد (إن كنتم) مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إيتاكم .

(٢) (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم . فاحفظوها بترك البخر .

(٣) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له : ما تستفيد بهذا ؟ فكان يقول إنها تأمر بالمحسن وتنهى عن القبائح . فقالوا على وجه الاستهزاء (أصلواتك تأمرك) أن نأمرنا بترك عبادة (ما) كان (يعبد آباؤنا أو أن) نترك التبسط (في أموالنا ما نشاء) من إيفاء ونقص ؟ وجاز أن تكون الصلوات أمره مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا . وبالتوحيد كوفي غير أبي بكر .

(٤) أى السفبه الضال . وهذه تسمية على القلب استهزاء . أو إنك حلیم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك .

(٥) من لدنه .

(٦) يعنى النبوة والرسالة . أو مالا حلالا من غير بخر وتطفيف .

وجواب (أرأيتم) محذوف . أى أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا أمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي ، والأبياء لا يبعثون إلا لذلك ؟

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَّا مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ ^(١) إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ^(٢)
 وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ^(٣) وَيَقَوْمٍ لَا يَعْبُرُونَ
 شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ^(٤)
 وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ^(٥) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ ^(٦) قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا ^(٧)

(١) يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم . يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت موافق عنه . وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده . ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء ، يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا .

(٢) ما أريد إلا أن أصلحكم به وعظمتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف ونهيتي عن المنكر .

(٣) ظرف . أي مدة استطاعتي الإصلاح وما دمت متمكنا منه لا ألو فيه جهدا .

(٤) وما كوني موفقا لإصابة الحق فيما آتى وأذر إلا بمعونته وتأيدته .

(٥) اعتمدت .

(٦) أرجع في السراء والضراء .

(٧) أي لا يكسبتم خلافا لإصابة العذاب . جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين .

(٨) وهو الغرق والريح والرجفة .

(٩) (ببعيد) في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم ، أو في المكان فمنازلهم قريبة منكم ، أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى . وسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما .

(١٠) يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين .

(١١) يحب أهل الوفاء من الصالحين .

(١٢) أي لا يفهم صحة ما تقول . وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء .

(١٣) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها .

وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١١﴾ قَالَ يَنْقُومِ ارْهَطَى
 أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴿٢﴾ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا
 تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤﴾ وَيَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴿٥﴾ إِيَّايَ عَمِلٌ ﴿٦﴾
 سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ﴿٧﴾

(١) ولولا عشيرتك لقتلناك شرقتة . وكان رهطه من أهل ماتهم . فلذلك أظهروا
 الميل إليهم والإيثار لهم .

(٢) (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك
 عن الرجم . وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا . وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على
 أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل . كأنه قيل (وما أنت علينا بعزيز) بل رهطك هم الأعزة
 علينا . ولذلك قال في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) . ولو قيل وما عززت علينا
 لم يصح هذا الجواب . وإنما قال (أرهطى أعز عليكم من الله) والكلام واقع فيه وفي رهطه
 وأنهم الأعزة عليهم دونه ، لأن تهاونهم به وهو نجي الله تهاون بالله . وحين عز عليهم رهطه دونه
 كان رهطه أعز عليهم من الله . ألا ترى إلى قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ؟

(٣) ونسبتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به . والظهري منسوب إلى
 الظهر . والكسر من تغيرات النسب كقولهم في النسبة إلى الأمس اسمى .

(٤) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها .

(٥) هى بمعنى المكان . يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة . أو مصدر من مكن فهو
 مكين إذا تمكن من الشئ . يعنى اعملوا قازين على جهتم التى أنتم عليها من الشرك والشتان
 لى ، أو اعملوا متمكين من عدواتى مطيقين لها .

(٦) (إي عامل) على حسب ما يؤتىنى الله من النصرة والتأييد ويمكننى .

(٧) (من) استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها ، كأنه قيل سوف (تعلمون) أينما يأتيه
 عذاب (يخزيه) أى يفضحه وأينما هو كاذب . أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف
 تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم . وإدخال الفاء

وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ^(٢) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ
 جَاثِمِينَ ^(٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ^(٥) إِلَّا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ^(٦)
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ^(٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا ^(٨)

في (سوف) وصل ظاهر بحرف وضع للوصل . ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هو
 جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال
 سوف تعلمون . والإتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة . وأبلغها الاستئناف .

(١) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم .

(٢) منتظر . والرقيب بمعنى الراقب من رقبة كالتضريب بمعنى الضارب . أو بمعنى
 المراقب كالعشير بمعنى المعاصر . أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع .

(٣) صاح بهم جبريل فهلكوا . وإنما ذكر في آخر قصة عاد ومدين (ولما جاء) وفي آخر
 قصة ثمود ولوط (فلما جاء) لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد، وذلك قوله (إن موعدهم الصبح)
 (ذلك وعد غير مكذوب) فجاء بالفاء الذى هو للتسبب كقولك : وعدته فلما جاء الميعاد
 كان كيت . وأما الأخرى ان فقد وقعنا مبتدئين فكان حقهما أن تعطفها بحرف الجمع على
 ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة .

(٤) الجاثم اللازم لمكانه لا يريم . يعنى أن جبريل صاح بهم صيحة نزلت روح كل
 واحد منهم بحيث هو بغتة .

(٥) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين .

(٦) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك، كالرشد بمعنى الرشد . ألا ترى إلى قوله (كما بعدت
 ثمود) . وقرئ (كما بعدت) . والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب ، إلا أنهم فترقوا
 بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فترقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا
 وعد وأوعد .

(٧) المراد به العصا لأنها أبهرها .

(٨) أى الملاء .

أَمْرٌ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٢﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةُ وَيَوْمِ
 الْقِيَامَةِ بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ ﴿٤﴾

(١) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبین . وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم ، وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان . ومثله بمعزل عن الألوهية . وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلّموا أنّ مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط . أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة . ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه ، تفسيراً له وإيضاحاً . أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته ؟ والرشد يستعمل في كلّ ما يحمّد ويرتضى كما استعمل النفي في كلّ ما يذم . ويقال قدّمه بمعنى تقدّمه .

(٢) أدخلهم . وجرى ، بانغظ الماضي لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به . فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة . يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه .

(٣) المورود .

(٤) الذي وردوه . شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه اتباعه بالواردة . ثم قال (وبئس الورد المورود) الذي يردونه ، النار . لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده .

(٥) أي الدنيا .

(٦) أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة .

(٧) (بئس الرفد المرفود) رفدهم . أي بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى .

(٨) (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر . أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك .

مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ
عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ (٢)
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (٣) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ
ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ (٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ (٥)
(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢)

(١) (منها) من القرى (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عاقى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد . والجمله مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

(٢) (وما ظلمناهم) بإهلا كما يآهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكتوا .

(٣) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله .

(٤) يعبدون . وهى حكاية حال ماضية .

(٥) عذابه . و(لما) منصوب بما أغنت .

(٦) تحسير . يقال تب إذا خسر، وتببه غيره أوقعه فى الخسران . يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيئا بل أهلكتهم .

(٧) محل الكاف الرفع، أى ومثل ذلك الأخذ (أخذ ربك إذا أخذ القرى)، أى أهلها .

(٨) حال من (القرى) .

(٩) مؤلم شديد صعب على المأخوذ . وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها . فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يفتر بالإمهال .

(١٠) فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة .

(١١) لعبرة .

(١٢) أى اعتقد صحته ووجوده .

ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۖ وَمَا نُوْتِرُوهٗٓ إِلَّا
 لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۖ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِي
 وَسَعِيدٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ لِهَمِّ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ۚ

(١) إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه .

(٢) هو مرفوع يجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس . وإنما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم . وإنه أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه . يجمعون للحساب والثواب والعقاب .

(٣) أى مشهود فيه ، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به . أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد .

(٤) (وما نؤخره) أى اليوم المذكور . الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها . والعدانما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها ، فعنى قوله (وما نؤخره إلا لأجل معدود) ، إلا لانتهاؤ مدة معدودة بحذف المضاف . أو ما نؤخر هذا اليوم إلا لتنتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا .

(٥) وبالياء مكى . وافقه أبو عمرو ونافع وعلى فى الوصل . وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة توجب حذفها . وحذف الياء والاجترأ عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل . ونظيره (ما تكأ نبيغ) . وفاعل (يأت) ضمير يرجع إلى قوله (يوم مجموع له الناس) لا اليوم المضاف إلى (يأت) . و (يوم) منصوب باذكر أو بقوله (لا تكلم) أى لا تتكلم .

(٦) أى لا يشفع أحد إلا بإذن الله . (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) .

(٧) الضمير لأهل الموقف لدلالة (لا تكلم نفس) عليه . وقد مر ذكر الناس فى قوله (مجموع له الناس) .

(٨) معذب .

(٩) أى (و) منهم (سعيد) أى منعم .

(١٠) (لهم فيها زفير) هو أول نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره . أوهما إخراج النفس وردة . والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى فى النار .

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ^(٣) إِنَّ رَبَّكَ
 فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ^(٤) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ^(٥) فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ^(٦) عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ^(٧)

(١) حال مقدرة .

(٢) في موضع النصب . أى مدة دوام السموات والأرض . والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للأبد . والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) . وقيل ما دام فوق وتحت ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلتهم ويظلمهم إما سماء أو عرش . وكل ما أظلك فهو سماء . أو هو عبارة عن التأييد ونفى الاقتران كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأييد .

(٣) هو استثناء من الخلود في عذاب النار . وذلك لأن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده ، بل يعذبون بالمهزير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار . أو (ما شاء) بمعنى من شاء . وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم إياها بكونهم في النار أيا ما . فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأييد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار . وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم .

(٤) (فعال لما يريد) بالشق والسعيد .

(٥) (سعدوا) حمزة وعلى وحفص . سعد لازم . وسعده يسعده متعد .

(٦) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة . وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه . أو معناه إلا من شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة . وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لأهل الجنة . ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء . والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الأحاديث المروية في هذا الباب . وكفى به إثمنا .

(٧) (عطاء غير مجدود) غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله (لهم أجر غير ممنون) . وهو نصب على المصدر أى أعطوا (عطاء) . قيل كفرت الجهمية بأربع آيات (عطاء غير مجدود) (أكلها دائم) (وما عند الله باق) (لا مقطوعة ولا ممنوعة) .

فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَتُولَاءَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ^(٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيِبٌ ^(١٠) وَإِنَّ كَلِمًا لِيُوفِينَهِمْ ^(١١)

(١) لما قص الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من تقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) - أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص، في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم - تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدة بالانتقام منهم، ووعداً لهم.

(٢) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم. وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله. وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية. و (ما) في (مما) و (كما) مصدرية أو موصولة، أي من عبادتهم وعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها.

(٣) (وإنما لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وقينا آباءهم أنصباهم.

(٤) حال من (نصيبهم) أي كاملاً.

(٥) التوراة.

(٦) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن. وهو تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٧) أنه لا يعاجلهم بالعذاب.

(٨) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل.

(٩) من القرآن أو من العذاب.

(١٠) من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي.

(١١) التنوين عوض عن المضاف إليه، يعني وإن كلهم أي وإن جميع المختلفين فيه (ليوفينهم). (وإن) مشددة (لما) مخففة بصرى وعلى. (ما) مزيدة جى بها ليفصلها بين لام إن ولام (ليوفينهم). وهو جواب قسم محذوف. واللام في (لما) موطئة للقسم. والمعنى وإن جميعهم والله (ليوفينهم).

رَبِّكَ أَعْمَلْتَهُمْ^(١) إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ
 تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا^(٤) إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَرْكَبُوا^(٥)
 إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ^(٦)

بعكس الأولى - أبو بكر . مخففان مكى . ونافع على إعمال لمخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها
 الذى هو التثقيل ولأن إن تشبه الفعل . والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك
 فكنا المشبه به . مشددتان غيرهم . وهو مشكل . وأحسن ما قيل فيه أنه من لمت الشيء
 جمعه لما . ثم وقف فصار لما . ثم أجرى الوصل مجرى الوقف . وجاز أن يكون مثل
 الدعوى والثروى وما فيه ألف التانيث من المصادر . وقرأ الزهري (وإن كلاً لما) بالتونين
 كقوله (أكلأ لما) وهو يؤيد ما ذكرنا . والمعنى وإن كلاً مالمومين أى مجموعين كأنه قيل
 وإن كلاً جميعاً كقوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) . وقال صاحب الإيجاز (لما) فيه معنى
 الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل (وإن كلاً لما) بعثوا (ليوفيتهم ربك أعمالهم) .
 وقال الكسائى ليس لى بتشديد (لما) علم .

(١) أى جزاء أعمالهم من إيمان وجمود وحسن وقبيح .

(٢) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها .

(٣) معطوف على المستتر فى (استقم) . وجاز للفواصل . يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب
 عن الكفر ورجع إلى الله مخلصاً .

(٤) ولا تخرجوا عن حدود الله .

(٥) فهو مجازيكم فاتقوه . قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق
 عليه من هذه الآية . ولهذا قال "شيبتنى هود" .

(٦) (ولا تركبوا) ولا تميلوا . قال الشيخ رحمه الله : هذا خطاب لأتباع الكفرة أى لا تركبوا
 إلى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم إليه (فتمسكم النار) . وقيل الركوب إليهم الرضا بكفرهم .
 وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين . وعن الموفق أنه صلى خالف الإمام فلما قرأ هذه الآية غشى
 عليه فلما أفاق قيل له . فقال هذا فىمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم ! وعن الحسن جعل الله
 الدين بين لآعين (ولا تطغوا) (ولا تركبوا) . وقال سفيان : فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي
النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْتُمُ
لِلذَّاكِرِينَ ﴿٧﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩﴾

الزائر للوك . وعن الأوزاعي : ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه " . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء ؟ فقال لا . فقيل له يموت . فقال دعه يموت .

(١) حال من قوله (فتمسك النار) أى فتمسك النار وأتم على هذه الحالة . ومعناه (وما لكم من دون الله من أولياء) يقدر على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره .

(٢) ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم . ومعنى (ثم) الاستبعاد أى النصرة من الله مستبعدة .
(٣) غدوة وعشية . وصلاة الغدوة الفجر . وصلاة العشية الظهر والعصر ، لأن ما بعد الزوال عشي . وانتصاب (طرفي النهار) على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره . تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه .

(٤) وساعات من الليل . جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار . من أزلفه إذا قرّبه . وصلاة الزلف المغرب والعشاء .

(٥) إن الصلوات الخمس يذهبن الذنوب . وفي الحديث " إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب " . أو الطاعات . قال عليه السلام " أتبع السيئة الحسنة تمحها " . أو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقيل نزلت في عمرو بن غزية الأنصاري - بائع التمر . قال لامرأة : في البيت تمر أجود ، فدخلت فقبلها ، فندم بغناه حاكيا باكيا . فزلت . فقال عليه السلام : هل شهدت معنا العصر ؟ قال نعم . قال : هى كفارة لك . فقيل أله خاصة ؟ قال بل للناس عامة .

(٦) إشارة إلى (فاستقم) فما بعده . أو القرآن .

(٧) عظة للعظمين .

(٨) (واصبر) على امتثال ما أمرت به والانتها عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به .

(٩) جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهي من قوله (فاستقم) إلى قوله (واصبر)

وغير ذلك من الحسنات .

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ (١)
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ (٢)
 وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (٣) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (٤)
 وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (٥)

(١) فهلا كان . هو موضوع للتخصيص ومخصوص بالفعل .

(٢) أولو فضل . وسمى الفضل والجودة (بقية) ، لأن الرجل يستقى مما يخرجه أجوده وأفضله ، فصار مثلا في الجودة والفضل . ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم . ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا .

(٣) عجب مجدا عليه السلام وأتمته أن لم يكن في الأمم التي ذكر الله إهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي .

(٤) استثناء منقطع . أى ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي . و(من) في (ممن أنجينا) للبيان لا للتبويض لأن النجاة للناهبين وحدهم بدليل قوله (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) .

(٥) أى التاركون للنهي عن المنكر ، وهو عطف على مضمراى (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) نهوا عن الفساد (واتبع الذين ظلموا) شهواتهم . فهو عطف على نهوا .

(٦) أى اتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترفة من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم .

(٧) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون .

(٨) اللام لتأكيد النفي .

(٩) (بظلم) حال من الفاعل ، أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظلما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم . وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادا آخر .

(١٠) أى متفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك . وقالت المعتزلة :

هى مشيئة قسر : وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز .

(١١) (مختلفين) في الكفر والإيمان . أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك .

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٢) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ
 مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٣) وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ^(٤) مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ^(٥)
 مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ^(٦) وَوَعِظَةٌ^(٧) وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ^(٨)
 وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ^(٩) أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ^(١٠) إِنَّا عَامِلُونَ^(١١) وَانْتَظِرُوا^(١١)

(١) إلا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه .

(٢) أى ولما هم عليه من الاختلاف (خلقهم). فعندنا خلقهم للذى علم أنهم سيصبرون إليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم أنهم سيصبرون إليه. كذا فى شرح التأويلات.

(٣) (وتمّت كلمة ربك) وهى قوله لللائكة (لأملأت جهنم من الجنة والناس أجمعين)

لعلمه بكثرة من يختار الباطل .

(٤) (وكُلًّا) التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبا. وهو منصوب بقوله (نقص عليك) .

(٥) بيان لكل .

(٦) بدل من (كلًا) . ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأن تكرار الأدلة أثبت للقلب .

(٧) أى فى هذه السورة أو فى هذه الأنباء المقتصة ما هو حق .

(٨) من أهل مكة وغيرهم .

(٩) على حالكم وجهتكم التى أتم عليها .

(١٠) (إنّا عاملون) على مكانتنا .

(١١) (وانتظروا) بنا الدوائر .

إِنَّا مُتَّظِرُونَ ﴿١﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا ﴿٢﴾
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

(١) (إنا متظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النعم النازلة بأشباهكم .

(٢) لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم .

(٣) (وإليه يرجع الأمر كله) فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم . (يرجع)

نافع وحفص .

(٤) وتوكل عليه فإنه كافيك وكافلك وفي الحديث " من أحب أن يكون أقوى الناس

فليتوكل على الله تعالى " .

(٥) وبالنسبة مدني وشامي وحفص . أي أنت وهم على تغليب المخاطب . قيل خاتمة

التوراة هذه الآية .

سورة يوسف عليه السلام مكية

وهي مائة وإحدى عشرة آية شامية واثنان عشرة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ^(١) ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^(٢) ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ^(٣) ^(٤)

(١) (تلك) إشارة إلى آيات هذه السورة. و(الكتاب المبين) السورة. أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها لتزولها بلسانهم، أو قد أين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام. فقد روى أن علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمداً لم تنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام. (٢) أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه (قرآناً عربياً) وسمى بعض القرآن قرآناً لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه.

(٣) لكي تفهموا معانيه. (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته).

(٤) نرين لك أحسن البيان. والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها، عن الزجاج. وقيل القصص يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص. تقول: قص الحديث يقصه قصصاً. ويكون فعلاً بمعنى مفعول كالنقض والحسب. فعلى الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص على أن يكون (أحسن) منصوباً با نصب المصدر لإضافته إليه. والمقصود محذوف لأن (بما أوحينا إليك هذا القرآن) مغن عنه. والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتصر على أبداع طريقة وأعجب أسلوب فإتاك لا ترى اقتصاصه في كتب الأولين مقاربا لاقتصاصه في القرآن. وإن أريد بالقصص المقصود فعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث. وإتاما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيره. والظاهر أنه أحسن ما يقتصر في بابيه كما يقال: فلان أعلم الناس أي في فنه. واشتقاق القصص من قص أثره إذا تبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً.

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠﴾
 إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ يَبْنِي لِيَ تَقْصُصَ رُءْيَاكَ

(١) أى بإيحاءنا إليك هذه السورة .

(٢) (لمن الغافلين) عنه . الضمير يرجع إلى (ما أوحينا) . (إن) مخففة من الثقيلة . واللام فارقة بينها وبين النافية . يعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحاءنا إليك من ابلاهلين به .

(٣) بدل اشتمال من (أحسن القصص) لأن الوقت مشتمل على القصص . أو التقدير اذكر (إذ قال) .

(٤) اسم عبرانى لاعربى إذ لو كان عربيا لانصرف لخلقه عن سبب آخر سوى التعريف .

(٥) يعقوب .

(٦) (أبت) شامى . وهى تاء تأنيث عوضت عن ياء الإضافة لتناسبها لأن كل واحدة منهما زائدة فى آخر الاسم . ولهذا قلبت هاء فى الوقف . وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمدكر كما فى رجل ربة . وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة . ومن فتح التاء فقد حذف الألف من يا أبنا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى يا غلام .

(٧) من الرؤيا لا من الرؤية .

(٨) أسماؤها بيان النبى عليه السلام : جريان والذبال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين .

(٩) (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته . والكواكب إخوته . قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر . وأجريت مجرى العقلاء فى (رأيتهم لى ساجدين) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود . وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية بالحال . أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له : كأن أباه قال له كيف رأيتها؟ فقال (رأيتهم لى ساجدين) أى متواضعين ، وهو حال . وكان ابن ثنى عشرة سنة يومئذ . وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة أو ثمانون .

(١٠) بالفتح حيث كان حفص .

(١١) هى بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة . وفتق بينهما بحرفى التأنيث كما فى القرية والقربى .

عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾
 وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
 وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

(١) جواب النهى أى إن قصصتها عليهم كادوك . عرف يعقوب عليه السلام أن الله يصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين نخاف عليه حسد الإخوة . وإتما لم يقل فيكيدوك كما قال (فيكيدونى) لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف . وذلك نحو فيحناؤوا لك . ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا) .

(٢) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد .

(٣) ومثل ذلك الاجتباء الذى دلّت عليه رؤياك .

(٤) يصطفيك . والاجتباء الاصطفاء . افعال من جبيت الشيء إذا حصّلت له لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته .

(٥) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه . كأنه قيل وهو يعلمك .

(٦) أى تأويل الرؤيا . وتأويلها عبارتها وتفسيرها . وكان يوسف أخبر الناس للرؤيا . أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله . وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحداثثة .

(٧) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة . أى جعلهم أنبياء فى الدنيا ولموكا وتقاهم عنها إلى الدرجات العلا فى الجنة . وآل يعقوب أهله . وهم نسله وغيرهم . وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل . إلا أنه لا يستعمل إلا فىمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك . ولا يقال آل الخاتم ولكن أهله . وإتما علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب فلذا قال (وعلى آل يعقوب) .

(٨) أراد الجدّ وأبا الجدّ .

(٩) عطف بيان لأبويك .

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۖ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِفِينَ ۖ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عَصَبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا

(١) يعلم من يحق له الاجتباء .

(٢) يضع الأشياء مواضعها .

(٣) أى فى قصتهم وحديثهم . وأسماؤهم يهوذا ورويين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر . وأتهم ليا بنت ليان . ودان ونفتالى وجاد وآشر ، من سُرِّيَّتين : زلفة وبلهة . فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف .

(٤) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شيء . وآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب . (آية مكي .

(٥) لمن سأل عن قصتهم وعرفها .

(٦) اللام لام الابتداء . وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة . أرادوا أن زيادة محبة لها أمر ثابت لا شبهة فيه . وإنما قالوا (وأخوه) وهم إخوانه أيضا لأن أمهما كانت واحدة . وإنما قيل (أحب) فى الاثنين لأن "أفعل من" لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكور والمؤنث . ولا بد من الفرق مع لام التعريف . وإذا أضيف ساغ الأمران .

(٧) الواو للحال . والعصبة العشرة فصاعدا . أى أنه يفضلهما فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة تقوم بمرافقه . فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما .

(٨) غلط فى تدبير أمر الدنيا . ولو وصفوه بالضلالة فى الدين لكفروا .

(٩) من جملة ما حكى بعد قوله (إذ قالوا) كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال (لا تقتلوا يوسف) . وقيل الأمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين بفعلوا أمرين .

(١٠) (أرضاً) منكورة مبهولة بعسدة عن العمران . وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف . ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة .

يَجُلُّ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٤﴾ قَالَ قَائِلٌ
 مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ أَبِيهِ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴿٥﴾
 إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَصِاحُونَ ﴿٧﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٨﴾

(١) يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم . والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركونهم فيها . فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه . وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال (ويبقى وجه ربك) .

(٢) مجزوم عطفا على (يجلُّ لكم) .

(٣) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو من بعد قتله أو طرحه .
 نارجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا .

(٤) تائبين إلى الله مما جئتم عليه . أو يصلح حالكم عند أبيكم .

(٥) هو يهوذا . وكان أحسنهم فيه رأيا .

(٦) (لا تقتلوا يوسف) فإن القتل عظيم .

(٧) فى قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر . (غيايات) وكذا ما بعده ، مدنى .

(٨) بعض الأقوام الذين يسرون فى الطريق .

(٩) (إن كنتم فاعلين) به شيئا .

(١٠) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه ؟ وأرادوا بذلك — لما عزموا على

كيد يوسف — استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم . وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب ألا يأمنهم عليه .

(١١) (نرع) نتسع فى أكل الفواكه وغيرها . والرَّعَة السعة . وبكسر العين مجازى من

ارتعى يرتعى . افعال من الرعى (ونلعب) نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض . الياء فيها مدنى وكوفى . وبالنون فهما مكى وشامى وأبو عمرو .

(١٢) (وإنا له لحافظون) من أن يناله مكروه .

قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ^(٢)
 قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ^(٣) إِنَّا إِذَا نَحَسَرْنَا ^(٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ
 وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ ^(٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ ^(٧) بِأَمْرِهِمْ ^(٨) هَذَا

(١) أى يحزنى ذهابكم به . واللام لام الابتداء .

(٢) اعتذر إليهم بأن ذهابهم به مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة ، وأنه يخاف عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبيهم .

(٣) اللام موطئة للقسم . والقسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) .

(٤) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع . والواو للحال .

(٥) جواب للقسم مجزئاً عن جزاء الشرط . أى إن لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها . وأجابوا عن عذره الثانى دون الأول لأن ذلك كان يغيظهم .

(٦) أى عزموا على إلقائه فى البئر . وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام . وجواب (لما) محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى . فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا . فلما أرادوا إلقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فترعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم . ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه . ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكى . وكان يهوذا يأتية بالطعام . ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه . فدفعه إبراهيم إلى إسحق ، وإسحق إلى يعقوب . فجعله يعقوب فى تيمة علقها فى عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه .

(٧) أوحى إليه فى الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام . وقيل كان إذ ذاك مدركا .

(٨) أى لتحدثن إخوتك بما فعلوا بك .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمَا عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا
 ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الذِّبَابُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
 لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

(١١) (وهم لا يشعرون) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك. وذلك أنهم حين دخلوا
 عليه ممتارين (فعر ففهم وهم له منكرون) دعا بالصواع فوضمه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني
 هذا الجمام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه في غيابة الحب وقتل لأبيه
 أكله الذئب وبعتموه بثمان بنحس. أو يتعلق (وهم لا يشعرون) بأوحينا أي آسنه بالوحي
 وأزلنا عن قلبه الوحشة (وهم لا يشعرون).
 (٢) للاستتار والتجسس على الاعتذار.

(٣) حال. عن الأعمش: لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف.


(٤) لما سمع صوتهم فرح وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا لا.
 قال فما بالكم وأين يوسف؟ (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتسابق في العدو أو في الرمي.
 والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتقاء والترامى وغير ذلك.
 (٥) بمصدق لنا.

(٦) ولو تكلمنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف. فكيف وأنت سبي
 الظن بنا غير واثق بقولنا.

(٧) ذى كذب. أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب
 هو الكذب بعينه، والزور بذاته. روى أنهم ذبحوا سخلة واطبخوا القميص بدمها وزل عنهم
 أن يمزقوه. وروى أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين
 القميص؟ وأخذته وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص. وقال: تالله
 ما رأيت كالיום ذبنا أحلم من هذا. أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه. وقيل كان في قميص
 يوسف ثلاث آيات: كان دليلا ليعقوب على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيرا، ودليلا
 على براءة يوسف حين قد من دبره. ومحل (على قميصه) النصب على الظرف كأنه قيل وجاءوا
 فوق قميصه بدم.

(٨) قال يعقوب عليه السلام.

(٩) زينت أو سهلت.

لَكُم أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ (١) وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (٢) 
 وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ (٣) قَالَ يَا بَشْرِي هَذَا غُلْمٌ (٤)
 وَأَسْرُوهُ بِضُعةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٥) وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِحَسَنٍ دَرَاهِمٍ (٦)
 وَاسْرُوهُ بِضُعةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧) وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِحَسَنٍ دَرَاهِمٍ (٨)
 وَاسْرُوهُ بِضُعةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩) وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِحَسَنٍ دَرَاهِمٍ (١٠)
 وَاسْرُوهُ بِضُعةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١١) وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِحَسَنٍ دَرَاهِمٍ (١٢)
 وَاسْرُوهُ بِضُعةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٣) وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِحَسَنٍ دَرَاهِمٍ (١٤)

(١) (أمرًا) عظيما ارتكبتموه .

(٢) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً، أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل . وهو ما لا شكوى فيه إلى الخلق .

(٣) أى أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه .

(٤) رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر . وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الحب . فأخطثوا الطريق فزلوا قريبا منه . وكان الحب في قفرة بعيدة من العمران . وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف .

(٥) هو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي .

(٦) أرسل الدلو ليملاها . فتشبت يوسف بالدلو فترعه .

(٧) كوفى . نادى البشري ، كأنه يقول تعالى فهذا أوانك . غيرهم (بشراى) على إضاقتها لنفسه . أو هو اسم غلامه فناده مضافا إلى نفسه .

(٨) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشروهم به .

(٩) الضمير للوارد وأصحابه . أخفوه من الرفقة . أو لإخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة : هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا ، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه .

(١٠) حال ، أى أخفوه متاعا للتجارة . والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أى قطع .

(١١) بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخبيهم من سوء الصنيع .

(١٢) وباعوه .

(١٣) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا . أو زيف .

(١٤) بدل من (ثمن) .

مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ (٣)
 لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ (٦) وَلَدًا (٧) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا
 لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ (٨) مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ (١٠)

(١) قليلة تعدد عددا ولا توزن . لأنهم كانوا يعدون ما دون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها . وكانت عشرين درهما .

(٢) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف . و (فيه) ليس من صلة (الزاهدين) أى غير راغبين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول . وإنما هو بيان كأنه قيل فى أى شىء زهدوا فقال زهدوا (فيه) .

أو معنى (وشروه) واشتروه يعنى الرفقة من إخوته (وكانوا فيه من الزاهدين) أى غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق . ويروى أن إخوته أتبعوهم وقالوا استوتبوا منه لا يأتبق .

(٣) هو قطفير ، وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر . والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات فى حياته . واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا . وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة ، واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة ، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة .

(٤) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه .

(٥) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيا بدليل قوله "إنه ربى أحسن مشواى" . وعن الضحاك : بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه .

(٦) لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله .

(٧) أو نتبناه ونقيمه مقام الولد . وكان قطفير عقيا وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك .

(٨) (وكذلك) إشارة إلى ما تقدم من إيجائه وعطف قلب العزيز عليه . والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف (مكنا ليوسف) أى كما أنجبناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (فى الأرض) أى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه .

(٩) (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) كان ذلك الإنجاء والتكبير .

(١٠) لا يمنع عما شاء . أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد لإخوته .

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ^(٢) وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ^(٣)
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ^(٤) وَرَوَدَتْهُ الْآبِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ^(٥)
 وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ^(٦) وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ^(٧) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ^(٨) إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ^(٩)
 إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ^(١١) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ^(١٢) وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا ^(١٣) أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ

(١) (لا يعلمون) ذلك .

(٢) منتهى استعداد قوته . وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون .

(٣) حكمة . وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه . أو حكما بين الناس وفقها .

(٤) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عفوان أمره .

(٥) أى طلبت يوسف أن يواقعها . والمرادة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب .

كأن المعنى خادعته عن نفسه ، أى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرج من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه . وهى عبارة عن التحمل لمواقفته إياها .

(٦) وكانت سبعة .

(٧) (هَيْتَ) اسم لنعال وأقبل . وهو مبنى على الفتح . (هَيْتُ) متى بناه على الضم .

(هَيْتَ) مدنى وشامى . واللام للبيان . كأنه قيل : لك أقول هذا كما نقول هلم لك .

(٨) أعوذ بالله معاذا .

(٩) أى إن الشأن والحديث .

(١٠) (رَبِّي) سيدى ومالكى — يريد قطفير (أحسن مَثْوَايَ) حين قال لك (أكرمى

مَثْوَاهُ) . فما جزاؤه أن أخونه فى أهله . أو أراد بقوله (إنه ربى) الله تعالى لأنه مسبب الأسباب .

(١١) الخائون أو الزناة .

(١٢) هم عزم . يقال هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه .

(١٣) (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع ، قاله الحسن . وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله

(وهم بها) هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذه عليه . ولو كان همه كهمها

لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين . وقيل (وهم بها) وشارف أن بهم بها . وجواب

(لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أى لكان ما كان . وقيل (وهم بها)

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ^(٤)
وَأَسْتَبِقَا إِلَىٰ بَابٍ ^(٥)

جوابه . ولا يصح ، لأن جواب اولا لا يتقدم عليها لأنه في حكم الشرط وله صدر الكلام .
والبرهان الحجة . ويجوز أن يكون (وهم بها) داخلا في حكم القسم في قوله (ولقد هممت به) ويجوز
أن يكون خارجا . ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ،
أن يقف على (به) ويتبدى بقوله (وهم بها) . وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمين . وفسرهم
يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستقلة على قفاها . وفسر البرهان
بأنه سمع صوتا ليأبك وإياها مرتين ، فسمع ثالثا أعرض عنها . فلم ينبج فيه حتى مثل له يعقوب
عاضا على أملتة . وهو باطل . ويدل على بطلانه قوله (هي راودتني عن نفسي) ولو كان ذلك
منه أيضا لما برأ نفسه من ذلك . وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) . ولو كان
كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه . وقوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) ولو كان كذلك
لخانه بالغيب . وقوله (ما علمنا عليه من سوء) (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه
لمن الصادقين) . ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح
وذى النون وداود عليهم السلام . وقد سمد الله مخلصا . فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام
وجاهد نفسه بمجاهدة أولى العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء .

(١) محل الكاف نصب . أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه . أو رفع أي الأمر مثل ذلك .

(٢) خيانة السيد .

(٣) الزنا .

(٤) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى . أي الذين أخلاصهم الله لطاعته . وبكسرهما
غيرهم . أي الذين أخلاصوا دينهم لله . ومعنى (من عبادنا) بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة
المخلصين .

(٥) وتسابقا إلى الباب هي للطلب وهو للهرب . على حذف الجاز وإيصال الفعل كقوله
(وأختار موسى قومه) ، أو على تضمين (استبقا) معنى ابتدرا . نفر منها يوسف فأسرع يريد
الباب ليخرج وأسرع وراءه لتمنعه الخروج . ووحد الباب وإن كان جمعه في قوله (وغلقت
الأبواب) لأنه أراد الباب البرآنى الذى هو المخرج من الدار . ولما هرب يوسف جعل
فراش القفل يتناثر ويسقط حتى نخرج .

وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ^(١) وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ
 أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ^(٢) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي
 عَنْ نَفْسِي^(٣) وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا^(٤) إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ
 فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ^(٥) وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ
 وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ^(٥) فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ^(٦)

(١) اجتذبت من خلفه فانقذ أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه .

(٢) وصادفها بعلمها قطفير مقبلا يريد أن يدخل . فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الرية ولتخويف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكراها . (ما) نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو (عذاب أليم) وهو الضرب بالسياط . ولم تصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا لأنها قصدت العموم أي كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب ، لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف .

(٣) لما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني) .
 ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها .

(٤) هو ابن عم لها . وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف . وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهدي . وسعى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها .

(٥) والتقدير (وشهد شاهد) فقال (إن كان قيصه) . وإنما دلّ قد قيصه من قبل على أنها صادقة لأنه يسرع خلفها ليحققها فيعثر في مقدم قيصه فيشقه . ولأنه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخزق قيصه من قبل . وأما تكبير (قبل) و(دبر) فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر . وإنما جمع بين إن التي للاستقبال وبين كان لأن المعنى إن يعلم أنه كان قيصه قد .

(٦) (فلما رأى) قطفير (قيصه قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنه) إن قولك (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) ، أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولأمتها .

إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴿٣﴾
 إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ
 تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

(١) لأنهن أطف كيدا وأعظم حيلة . وبذلك يغابن الرجال . والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق . وعن بعض العلماء إنى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال لمن (إن كيدك عظيم) .
 (٢) حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث . وفيه تقريب له وتلطيف لمحلّه .

(٣) (أعرض عن هذا) الأمر واكتمه ولا تتحدث به . ثم قال لراعيل (واستغفري لذنبك) .
 (٤) من جملة القوم المتعمدين للذنب . يقال خطيء إذا أذنب متعمدا . وإنما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث . وكان العزيز رجلا حلما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول .

(٥) جماعة من النساء . وكن نحسا : امرأة الساق ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن ، وامرأة الحاجب . والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأتيها غير حقيقي . ولذا لم يقل قالت . وفيه لغتان كسر النون وضمتها .
 (٦) في مصر .

(٧) يردن قطير . والعزيز الملك بلسان العرب .

(٨) غلامها يقال فتأى وفتأتى أى غلامى وجارىتى .

(٩) لتنال شهوتها منه .

(١٠) تميز أى قد شغفها حبه . يعنى حرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد . والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها اسان القلب .

(١١) فى خطأ وبعد عن طريق الصواب .

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ^(١) وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ^(٢) مَتَكًا ^(٣) وَآتَتْ ^(٤) كُلَّ ^(٥)
 وَاحِدَةٍ ^(٦) مِنْهُنَّ ^(٧) سَكِينًا ^(٨) وَقَالَتْ ^(٩) أَخْرِجْ ^(١٠) عَلَيْنَ ^(١١) فَلَمَّا رَأَيْنَهُ ^(١٢) أَكْبَرْنَهُ ^(١٣) وَقَطَعْنَ ^(١٤) أَيْدِيَهُنَّ ^(١٥)

(١) راعيل .

(٢) باغتيابهن وقولهن (امرأة العزيز) عشقت عبدها الكنعاني ، ومقتها . وسمى
 الاغتياب مكرًا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره . وقيل كانت استكتمتهن
 سرها فأفشيته عليها .

(٣) دعتهن . قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات .

(٤) وهيات . افعلت من العناد .

(٥) ما يتكئن عليه من نمارق . قصدت بتلك الهيئة — وهي قعودهن متكئات
 والسكاكين في أيديهن — أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على
 أيديهن فيقطعنها . لأن المتكى إذا بهت لشيء وقعت يده على يده .

(٦) وكانوا لا يأكلون في ذلك الزمان إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم .

(٧) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة . وبضمها غيرهم .

(٨) أعظمته وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق . وكان فضل يوسف على الناس
 في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء . وكان إذا سار في أزقة مصر يرى تلالؤ
 وجهه على الجدران . وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه . وقيل ورث الجمال من جدته سارة . وقيل
 أكبرن بمعنى حضن . والهاء للسكت ، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنه لا يتعدى إلى مفعول
 يقال أكبرت المرأة إذا حاضت . وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحوض تخرج من حد الصغر .
 وكان أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله :

خف الله واسترذا الجمال ببرقع * فإن لحث حاضت في الخلدور العواتق

(٩) وجرحها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها . أى أردن أن

يقطعن الطعام الذى فى أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن .

وَقُلْنَا حَشَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ قَالَتْ
 فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمَ
 وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجُنَ ﴿٢٢﴾ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٣﴾
 قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴿٢٤﴾

(١) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء . تقول أساء القوم حاشا زيد . هي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة . فمعنى (حاشا الله) براءة الله وتنزيهه الله . وقراءة أبي عمرو (حاشا لله) نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ ويتره . وغيره (حاش لله) بخذف الألف الأخيرة . والمعنى تنزيه الله من صفات العجز ، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله .

(٢) نفين عنه البشرية لغرابية جماله وأثبتن له الملكية وبتن بها الحكم لما ذكر في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ذكر فيها أن لا أقبح من الشيطان .

(٣) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه . تعني إنكن لم تصورنه حق صورته وإلا لعذرتنني في الافتتان به .

(٤) الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البايغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستراة منها . وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام برىء مما فسّر به أولئك الفريق الهمم والبرهان . ثم قلن له أطع مولاتك . فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما أمره) — الضمير راجع إلى (ما) وهي موصولة . والمعنى (ما أمر) به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير . أو (ما) مصدرية . والضمير يرجع إلى يوسف أي ولئن لم يفعل أمرى إياه أي موجب أمرى ومقتضاه — (ليسجنن) ليحبسن .

(٥) الألف بدل من نون التأكيد الخفيفة .

(٦) (وليكونا من الصاغرين) مع السراق والسفك والأباق ، كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق . فلا يهنا ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك ، كما معني هنا كل ذلك . ومن لم يرض بمثل في الحرير على السرير أميرا ، حصل في الحصر على الحصر حسيرا . فلما سمع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) . أسند الدعوة

وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(٣)
 فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٤)
 ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَتِهِ ^(٥) حَتَّىٰ حِينٍ ^(٦) وَدَخَلَ ^(٧)
 مَعَهُ السَّجَنَ فَتَيَّانٌ ^(٨)

إِلَيْهِنَّ لِأَنَّهُنَّ قُلْنَ لَهُ : مَا عَلَيْكَ لَوْ أَحْبَبْتَ مَوْلَاتِكَ . أَوْ افْتَنَّتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ بِهِ فَدَعَتْهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا سِرًّا . فَالْتَجَأَ إِلَىٰ رَبِّهِ (قَالَ رَبِّ السَّجَنَ أَحَبَّ إِلَيَّ) مِنْ رُكُوبِ الْمَعْصِيَةِ .

(١) فزع منه إلى الله في طلب العصمة .

(٢) أمل إليهن . والصبوة الميل إلى الهوى . ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيما وروحها .

(٣) من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء . أو من السفهاء .

(٤) لما كان في قوله (وإلا تصرف عني كيدهن) معنى طلب الصرف والدعاء ، قال (فاستجاب له ربه) . أى أجاب الله دعاءه .

(٥) (السميع) لدعوات المتجئين إليه .

(٦) (العليم) بحاله وحالته .

(٧) (بدأ) فاعله مضمرة لدلالة ما يفسره عليه وهو (ليسجنته) . والمعنى بدأ لهم بدء أى ظهر لهم رأى (ليسجنته) . والضمير في (لهم) للعزير وأهله .

(٨) وهى الشواهد على براءته كقصد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك .

(٩) (ليسجنته) لإبداء عذر الحال ، وإرخاء الستر على القيل والقال . وما كان ذلك إلا باستئزال المرأة لزوجها . وكان مطواعا لها وحميلا ذلولا زمامه في يدها . وقد طمعت أن يذللها السجن ويستخره لها . أو خافت عليه العيون ، وظننت فيه الظنون . فألحأها الخجل من الناس ، والوجل من الباس ، إلى أن رضيت بالحجاب ، مكان خوف الذهاب ، لتشتفى بخبره ، إذا منعت من نظره .

(١٠) إلى زمان . كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه .

(١١) (ودخل معه السجن فتیان) عبدان للملك : خبازه وشرابيه ، بهمة السم . فأدخلا

قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَخْضِرَ عِصْرًا ^(٢) وَنَحْمَرًا ^(٣) وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا ^(٤) بِتَأْوِيلِهِ ^(٥) إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ^(٦)
 قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ^(٧) إِلَّا نَبَأْتُكُمَا ^(٨) بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا

السيجن ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معنى الصجبة . تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له . فيجب أن يكون دخولها السيجن مصاحبين له .

(١) أى شراييه .

(٢) أى فى المنام وهى حكاية حال ماضية .

(٣) أى عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه . أو النمر بلغة عمان اسم للعنب .

(٤) أى خبازه .

(٥) بتأويل ما رأيناه .

(٦) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا ، أو من المحسنين إلى أهل السيجن . فإنك تداوى المريض ، وتعزى الحزين ، وتوسع على الفقير . فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا . وقيل إنهما تحالما له ليمتحناه . فقال الشرايى : إني رأيت كأني فى بستان فإذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته . وقال الخباز : إني رأيت كأني فوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة . فإذا سباع الطير تنهش منها .

(٧) أى بيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل . لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترض ذلك فوصل به رصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينهشهما بما يحمل إليهما من الطعام فى السيجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت . فيكون كذلك . وجعل ذلك تحلصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك . وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده — وغرضه أن يقتبس منه ، لم يكن من باب التريكة .

(٨) إشارة لهما إلى التأويل ، أى ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات .

مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
 كَافِرُونَ ﴿١﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا
 أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ يَصْحَبِي السَّجْنُ عَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
 (١) (٢) (٣)

(١) أوحى به إلى ولم أقله عن تكهن وتنجيم .

(٢) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعديلا لما قبله . أى علمنى ذلك وأوحى به
 إلى لآتى رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم . وتكرير "هم" للتوكيد .
 والمراد به ترك الابتداء لا أنه كان فيه ثم تركه .

(٣) وهى الملة الحنيفية . وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي
 يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ، ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله .

(٤) ما صح لنا معشر الأنبياء .

(٥) أى شىء كان صنما أو غيره .

(٦) (ذلك) التوحيد .

(٧) (لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا يتنون .

(٨) ياساكنى السجن كقوله (أصحاب النار وأصحاب الجنة) .

(٩) يريد التذوق فى العدد والتكاثر . أى أن تكون أرباب شتى يستعبدك هذا ويستعبدك
 هذا (خير) لكما (أم) أن يكون لك رب واحد قهار لا ينال ولا يشارك فى الربوبية ؟ وهذا
 مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام .

(١٠) خطاب لها ولأن كان على دينهما من أهل مصر .

(١١) من دون الله .

(١٢) أى سميتم ما لا يستحق الألوهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون إلا
 أسماء لا مسميات لها . ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته يزيد .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ^(٢) إِنْ الْحُكْمُ ^(٣) إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ ^(٤) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ^(٥)
 ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(٦) يَصْحَابِ السِّجْنِ ^(٧)
 أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ ^(٨) خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ^(٩)
 قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ^(١٠) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ^(١١)

(١) بتسميتها .

(٢) حجة .

(٣) (إن الحكم) في أمر العبادة والدين (إلا لله) . ثم بين ما حكم به فقال : (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) .

(٤) (ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلّت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا يدلّ على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه) .

(٥) عبر الرؤيا فقال : (يا صاحبي السجن) .

(٦) يريد الشراي .

(٧) سيده .

(٨) أى يعود إلى عمله .

(٩) أى الخباز .

(١٠) روى أنه قال للأول ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده . وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضى في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه . وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل . ولما سمع الخباز صلبه قال : ما رأيت شيئا . فقال يوسف (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) أى قطع وتمّ ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما . أى ما يجرّ إليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر .

(١١) الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد . وإن كان بطريق

الوحي فالظان هو الشراي . أو يكون الظن بمعنى اليقين .

أَذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٣)
 وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سَنِبَلَاتٍ
 خَضِرٌ وَأَحْرُ يَا بَسِئَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٦)

(١) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله رحمني ويخلصني من هذه الورطة .

(٢) فأنسى الشرايبي (ذكر ربه) أي أن يذكره لربه أو عند ربه . أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره . وفي الحديث "رحم الله أحمى يوسف لو لم يقل (اذكرني عند ربك) لما لبث في السجن سبعا" .

(٣) أي سبعا عند الجمهور . والبضع ما بين الثلاث إلى التسع .

(٤) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته . رأى سبع بقرات سمان تخرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف . فابتلعت العجاف السمان . ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أحر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها . فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها . وقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا . ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا . (سمان) جمع سمين وسمينة . والعجاف المهازيل . والعجف الهزال الذي ليس بعده . والسبب في وقوع (عجاف) جمعا لعجفاء — وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال — حملة على تقيضه وهو سمان . ومن دأبهم حمل النظير على النظير والتقيض على التقيض . وفي الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر ، لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله (وأحر يابسات) بمعنى وسبعا أحر .

(٥) كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء .

(٦) اللام في (الرؤيا) للبيان كقوله (وكانوا فيه من الزاهدين) . أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها . تقول عبرت الرؤيا والرؤيا عبرت . أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك : كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه ، و(تعبرون) خبر آخر أو حال . وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآثر أمرها كما

قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَّى
مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٧﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴿٨﴾

تقول عبرت النهر إذا قطعتة حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره . ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مألها وهو مرجعها . وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر .

(١) أى هى (أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان . وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش . الواحد ضغث . فاستعيرت لذلك . والإضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام . وإنما جمع وهو حلم واحد تزييدا فى وصف الحلم بالبطلان . وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها .

(٢) أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل . إنما التأويل للمنامات الصحيحة . أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الأحلام بخابرين .

(٣) (نجا) من القتل .

(٤) من صاحبي السجن .

(٥) بالدال هو الفصيح . وأصله اذ تكرر فابدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الأولى فى الثانية لتقارب الحرفين . وعن الحسن (وادكر) . ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم . أى تذكّر يوسف وما شاهد منه .

(٦) بعد مدة طويلة . وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها ، تذكّر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك .

(٧) أنا أخبركم به عمّن عنده علمه .

(٨) (فإرسلونى) بإيادى يعقوب . أى فابعثونى إليه لأسأله . فأرسلوه إلى يوسف فأثابه فقال : (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق . وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعترف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول .

أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَا كَاهِنَ سَبْعِ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأَنْحَرٍ
 يَا بَسْتِ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ
 سِنِينَ دَابَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢﴾
 ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَا كَلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
 تُحْصِنُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤﴾

(١) إلى الملك وأتباعه .

(٢) (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من عنتك .

(٣) هو خبر في معنى الأمر كقوله (تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون) . دليله قوله
 (فذروه في سنبله) . وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للبالغة في وجود الماء وربه فيجعل كأنه
 موجود فهو يخبر عنه .

(٤) بسكون الهمزة . وحفص يحركه . وهما مصدران دأب في العمل . وهو حال من
 المسأورين أي دائبين .

(٥) (فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس .

(٦) (مما تأكلون) في تلك السنين .

(٧) هو من إسناد المجاز . جعل أكل أهلهم مسندا إليهم .

(٨) أي في السنين المخصصة .

(٩) تحرزون وتحبئون .

(١٠) أي من بعد أربع عشرة سنة .

(١١) من الغوث أي يجاب مستغيثهم . أو من الغيث أي يعطرون . يقال : غيئت
 البلاد إذا مطرت .

(١٢) (يعصرون) العنب والزيتون والسمن فيتخذون الأثربة والأدهان . (تعصرون) حمزة .

فأقول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب ، والعجاف واليابسات بسنين
 مجدبة . ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجي ، مباركا كثيرا الخير غزير
 النعم . وذلك من جهة الوحي .

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ
 مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتَنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
 مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّسْوَةُ كَذَبْنَ عَلَيَّ فَحَبَسْنَاهُنَّ فِي السِّجْنِ وَنَحْنُ
 فِيهَا كَالْحَيَاتِ الْمَيِّتَةِ وَالْعَزِيزُ غَرِيْبٌ أَعْمَىٰ ﴿٥١﴾

(١) (فلما جاءه الرسول) ليخرجه من السجن .

(٢) أى الملك .

(٣) أى حال (النسوة) .

(٤) إنما ثبت يوسف وتأتى في إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمى به وسجن فيه لثلاثين سنة في السجن سبب سبب كبير . وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في موافقتها . وقال عليه السلام "لقد عجبنا من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرط أن يخرجوني . ولقد عجبنا منه حين أتاه الرسول فقال (ارجع إلى ربك) ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة وبأدرت الباب ولما ابتغيت العذر . إن كان حلياً ذا أناة" . ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن .

(٥) أى إن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله وهو مجازيهن عليه .

(٦) رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسائله فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن: (ما خطبكن)، ما شأنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) . هل وجدتن منه ميلاً إليكين ؟

(٧) تعجباً من قدرته على خلق عفيف مثله .

(٨) من ذنب .

(٩) ظهر واستقر .

أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ
أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٢﴾ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي
إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

(١) (وإنه لمن الصادقين) في قوله (هي راودتني عن نفسي). ولا مزيد على شهادتها
له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرف به. ثم رجع الرسول
إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف
(ذلك) أي امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أني لم أخنه بالغيب)
بظهر الغيب في حرمة. (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه
أو وهو غائب عني. أو (ليعلم) الملك أني لم أخن العزيز.

(٢) أي (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) لا يستدده. وكأنه تعريض بامرأته
في خيانتها أمانة زوجها. ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لثلاثا يكون لها مزكياً وليبين
أن ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها
بالبراءة الكلية ولا أزيها في عموم الأحوال. أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهمم الذي
هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم.

(٣) أراد الجنس أي أن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات.
(٤) (إلا ما رحم ربي) إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة. ويجوز أن يكون (ما رحم)
في معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربي. يعني أنها أمانة بالسوء في كل وقت إلا وقت العصمة.
أو هو استثناء منقطع. أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة.

وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي (ذلك) الذي قلت (ليعلم) يوسف (أني لم أخنه)
ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه (وما أبرئ نفسي) مع ذلك
من الخيانة فإني قد خنته حين قرفته وقلت (ما جزء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن)
وأودعته السجن — تريد الاعتذار مما كان منها — إن كل نفس (لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي)
إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إن ربي غفور رحيم)، استغفرت ربها واسترحمتها
مما ارتكبت. وإنما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه.
وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله (ذلك ليعلم) متصل بقوله (فأسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن أيديهن). .

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِنِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ ^(٢) قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ ^(٣)
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ^(٤) قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ^(٥)

(١) اجعله خالصا لنفسى .

(٢) فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب .

(٣) (قال) الملك ليوسف .

(٤) (مكين) ذو مكانة ومنزلة. (أمين) مؤتمن على كل شيء. روى أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مربكا وبعث إليه لباس الملوك فقال أجب الملك نخرج من السجن. ودعا لأهله اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار. فهم أعلم الناس بالأخبار في الوقعات. وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا . فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره ، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره . ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية . فقال ما هذا اللسان ؟ قال لسان أبائى . وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه . وقال أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياى منك . قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن . ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك . وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الأهرام فىأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لأحد قبلك . قال الملك : ومن لى بهذا ومن يجمعه ؟ (قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الأرض) ولتى على خزائن أرضك يعنى مصر .

(٥) أمين أحفظ ما تستحفظنيه ، عالم بوجوه التصرف . وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يؤتونه . وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكين مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد ، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك . فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا . وفى الحديث "رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة " .

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ^(١) مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ^(٢) نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ^(٣) وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ^(٤) وَلَا جِزْيَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ^(٥) وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ^(٦)

قالوا : وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر . وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة . وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به . وقيل : كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له .

(١) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف في الأرض) أرض مصر . وكانت أربعين فرسخا في أربعين . والتمكين الإقدار وإعطاء المكنة .

(٢) أى كل مكان أراد أن يتخذ منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه . (نشاء) مكي .

(٣) بعبثا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم .

(٤) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك .

(٥) (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا .

(٦) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة .

(٧) (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش . قال سفيان بن عيينة ، المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة . والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . وتلا الآية . روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمته ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكلا بالدر والياقوت . فقال : أما السرير فأشد به ملكك . وأما الخاتم فأدبر به أمرك . وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي . فجلس على السرير ودانت له الملوكة وفوض الملك إليه أمره . وعزل قطفير . ثم مات بعد . فزوجه الملك امرأته . فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت ؟ فوجدتها عذراء . فولدت له ولدين أفرايم وبيشا . وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس . وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدرهم والدنانير

وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ^(١) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ ^(٢) قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ^(٣)
 أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ ^(٤) وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ^(٥) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
 كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ^(٦) قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ^(٧)

في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ، ثم بالحلى والجواهر في الثانية ، ثم بالدواب في الثالثة ، ثم بالعبيد والإماء في الرابعة ، ثم بالدور والعقار في الخامسة ، ثم بأولادهم في السادسة ، ثم برفاقهم في السابعة حتى استرقهم جميعا . ثم اعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملا كههم . وكان لا يبيع لأحد من المتارين أكثر من حمل بعير .

وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا . وذلك قوله :
 (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف .

(١) لتبديل الزى ، ولأنه كان من وراء الحجاب ، ولطول المدة وهو أربعون سنة .

(٢) أعطى كل واحد منهم حمل بعير . وقرئ بكسر الجيم شاذًا .

(٣) روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية ، قال لهم : أخبروني من أتم وما شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فحشنا نثار . فقال لعلكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادى . فقالوا معاذ الله ! نحن بنون نبي حزين لفقد ابن كان أحبنا إليه . وقد أمسك أخا له من أمه يستأنس به . فقال اتوني به إن صدقتم .

(٤) أتمه .

(٥) كان قد أحسن لأنزالهم وضيافتهم . رغبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه .

(٦) فلا أبيعكم طعاما .

(٧) أى فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله (فلا كيل لكم) . أو هو بمعنى النهى .

(٨) سنخادعه عنه ونحتال حتى نزرعه من يده .

(٩) (وإننا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفترط فيه ولا نتوانى . قال فدعوا بعضكم رهنا .

فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف .

وَقَالَ لِفَتَيَيْنِهِ اجْعَلُوا بَضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا
إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ
مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ قَالَ هَلْ
ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴿١١﴾

(١) كوفي غير أبي بكر. (لفتيته) غيرهم. وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ. وفعلة للقلّة وفعالان للكثرة. أي لعلمانه السكّالين.

(٢) أوعيتهم وكانت نعالا أو أدما أو ورقا وهو أليق بالدس في الرحال.

(٣) يعرفون حق ردّها وحق التكرّم باعطاء البدلين.

(٤) (إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفتزغوا ظروفهم.

(٥) لعلّ معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون، أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لردّ الأمانة، أو لم يرمن الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا.

(٦) (فلما رجعوا إلى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل.

(٧) يريدون قول يوسف (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل.

(٨) نرفع المانع من الكيل و(نكّل) من الطعام ما نحتاج إليه. (يكنل) حمزة وعلى أي يكنل أخونا فينضمّ اكتياله إلى اكتيالنا.

(٩) (وإنّا له لحافظون) عن أن يناله مكروه.

(١٠) يعني أنكم قاتم في يوسف (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون) كما تقولونه في أخيه ثمّ ختم بضمّانكم فما يؤمنني من مثل ذلك؟ ثمّ قال (فإنّه خير حافظا). فتوكّل على الله فيه ودفعه إليهم.

(١١) كوفي غير أبي بكر، وهو حال أو تمييز. ومن قرأ (حفظا) فهو تمييز لا غير.

وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ^(١) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ
إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِّغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا
وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ^(٢) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ ^(٣) إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ^(٤)

(١) فأرجو أن ينعم عليّ بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين . قال كعب لما قال (فالله خير
حفظًا) قال الله تعالى وعزّتي وجلالي لأردنّ عليك كليهما .

(٢) (ما) للنفي ، أي (ما نبغى) في القول ولا تتجاوز الحق . أو (ما نبغى شيئًا) وراء ما فعل بنا
من الإحسان . أو ما نريد منك بضاعة أخرى . أو للاستفهام ، أي أي شيء نطلب وراء هذا؟

(٣) (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جملة مستأنفة موصّحة لقوله (ما نبغى) والجمل بعدها
معطوفة عليها أي أنّ بضاعتنا (ردت إلينا) فنستظهر بها (ونمير أهلنا) في رجوعنا إلى الملك .
أي نجلب لهم ميرة . وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا ومجيئنا فما
يصيبه شيء مما تخافه (وزداد) وسق (بعير) باستصحاب أخينا .

(٤) سهل عليه متيسر لا يتعاضمه .

(٥) (حتى تؤتوني) وبالياء مكّيّ (موثقًا) عهدًا (من الله) . والمعنى حتى تعطوني
ما أتوتق به من عند الله . أي أراد أن يخلفوا له بالله . وإثما جعل الحلف بالله موثقًا منه
لأنّ الحلف به مما يؤكّد به العهود . وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه .

(٦) جواب اليمين لأنّ المعنى حتى تحلفوا (لتأتني به) .

(٧) إلا أن تغلبوا فلم تطبقوا الإتيان به فهو مفعول له . والكلام المثبت — وهو قوله
(لتأتني به) — في تأويل النفي . أي لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم . يعني لا تمتنعوا
منه لعلّة من العلال إلا لعلّة واحدة وهي (أن يحاط بكم) . فهو استثناء من أعمّ العامّ في المفعول له .
والاستثناء من أعمّ العامّ لا يكون إلا في النفي . فلا بدّ من تأويله بالنفي .

فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ^(٤) وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَدْخُلُوا
 مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ ^(٦) إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ^(٧) وَلَمَّا
 دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ^(٨) مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ^(١٠)

(١) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام .

(٢) بعضهم يسكت عليه لأن المعنى (قال) يعقوب . غير أن السكته تفصل بين القول
 والمقول وإذا لا يجوز . فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النعمة اسم الله .

(٣) من طلب الموثق وإعطائه .

(٤) رقيب مطلع .

(٥) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم . ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة
 الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكرة الأولى . فالعين حق عندنا . ووجه بأن يحدث الله تعالى
 عند النظر إلى الشيء والإعجاب به قصصا فيه خلا . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ
 الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : أعيدكما بكلمات الله التامة من كل هامة ، ومن
 كل عين لامة . وأنكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا . وقيل إنه أحب ألا يفطن بهم
 أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم .

(٦) أى إن كان الله أراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق
 وهو مصيبتكم لا محالة .

(٧) التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه .

(٨) أى متفرقين .

(٩) (ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة .

(١٠) أى شيئا قط حيث أصابهم ماساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم ، واقتضاهم
 بذلك ، وأخذ أخيم بوجدان الصواع في رحله ، وتضاعف المصيبة على أيهم .

إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَيْهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم
 بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتَهَا الْعِيرُ ﴿٦﴾

(١) (إلا حاجة) استثناء منقطع أى ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي

شفقته عليهم .

(٢) يعنى قوله (وما أغنى عنكم) وعلمه بأن القدر لا يغنى عنه الخذر .

(٣) لتعليمنا إياه .

(٤) (لا يعلمون) ذلك .

(٥) ضمّ إليه بنيامين .

(٦) روى أنهم قالوا له : هذا أخونا قد جئناك به ، فقال لهم أحسبتم . فأنزلهم
 وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال
 لو كان أخى يوسف حياً لأجاسنى معه . فقال يوسف بقى أخوكم وحيداً فأجلسه معه على
 مائدته وجعل يؤا كفه . وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال ومن يجد أخاً
 مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل . فبكى يوسف وعانقه . ثم قال له (إنى أنا أخوك)
 يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى . فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا
 على خير . ولا تعلمهم بما أعلمتك . وروى أنه قال له فأنا لا أفارقك . قال لقد علمت اغتنام
 والذى بى . فإن حبستك ازداد غمى . ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يحمد . قال
 لا أبالى . فافعل ما بدا لك . قال فإنى أؤدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقتك لبيتياً لى
 ردك بعد تسريحك معهم . فقال افعل .

(٧) هياً أسبابهم وأوفى الكيل لهم .

(٨) السقاية هى مشربة يسقى بها وهى الصواع . قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت
 صاعاً يكال به لعزّة الطعام . وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب .

(٩) ثم نادى مناد . آذنه أى أعلمه . وأذن أكثر الإعلام . ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه .
 روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم
 قيل لهم (أيتهما العير إنكم لسارقون) .

(١٠) هى الإبل التى عليها الأحمال لأنها تعبر أى تذهب وتجيء . والمراد أصحاب العير .

إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿١﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ
 صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ
 عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ
 إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٥﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا

(١) كناية عن سرقتهم إياه من أبيه .

(٢) هو الصاع .

(٣) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفييل أوذيه إلى من جاء به . وأراد يسوق بعير
من طعام جعل لمن حصله .

(٤) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم .

(٥) استشهدوا بعلامهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأماتهم حيث دخلوا وأفواه
رواحلهم مشدودة لثلاث تناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق ، ولأنهم ردوا بضاعتهم
التي وجدوها في رحالهم .

(٦) وما كنا نوصف قط بالسرقة .

(٧) الضمير للصواع أي فما جزاء سرقتهم .

(٨) (إن كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه .

(٩) أي جزاء سرقتهم أخذ من وجد في رحله . وكان حكم السارق في آل يعقوب أن
يسترق سنة . فلذلك استفتوا في جزائه .

(١٠) تقرير للحكم . أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير .

أو (جزاؤه) مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره .

(١١) (كذلك نجزي الظالمين) أي السراق ، بالاسترقاق .

(١٢) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا
أخذ شيئاً . فقالوا والله لا تركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأتقنا .

(١٣) أي الصواع . ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنه لأن التانيث يرجع إلى السقاية ،

مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ (٢)
 إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَرْفَعُ (٣) دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءِ (٤) وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٥)
 قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ

أولاً لأن الصواع يذكر ويؤت . روى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحطنا وسودت وجوهنا . يا بني راحيل ما يزال لنا منك بلاء . متى أخذت هذا الصاع؟ فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء . ذهبتم بأخي فأهلكتموه . ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم .

(١) الكاف في محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه إياه .

(٢) تفسير للكيد وبيان له ، لأن الحكم في دين الملك — أى في سيرته — للسارق أن يغرّم مثلى ما أخذ لا أن يستعبد .

(٣) أى ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه .

(٤) بالتثنية كوفى أى في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه .

(٥) فوفقه أرفع درجة منه في علمه . أو فوق العلماء كلهم عليم (هم) دونه في العلم وهو الله عز وجل .

(٦) أرادوا يوسف . قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه . وقيل كان في المنزل دجاجة فأعطاها السائل . وقيل كانت منطقة لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكبر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه ، وكانت لا تصبر عنه . فلما شب أراد يعقوب أن يزرعه منها فعمدت إلى المنطقة فخرمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت : فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها . فوجدوها محزومة على يوسف . فقالت إنه لى سلم أفعل به ما شئت . فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت .

(٧) أى مقالتهم إنه سرق كأنه لم يسمعها .

يُيَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا
 الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴿١٣﴾ إِنَّا نَرَىكَ مِنْ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعِنَا بِهِ وَإِنَّا إِذَا
 لظالمون ﴿١٥﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا
 أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّبْتُمْ فِي يُوسُفَ

(١) تمييز. أى أنتم شرّ منزلة فى السرقة لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه .

(٢) تقولون أو تكذبون .

(٣) (كبيراً) فى السنّ وفى القدر .

(٤) أبدله على وجه الاسترخاء أو الاستبعاد. فإنّ أباه يتسلّى به عن أخيه المفقود .

(٥) (إنّا نراك من المحسنين) إلينا فأتمم إحسانك . أو من عادتك الإحسان فأجر على

عادتك ولا تغتربها .

(٦) أى نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ . فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من .

(٧) (إذا) جواب لهم وجزاء لأنّ المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا . وهذا لأنّه وجب على

قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع فى رحله واستعباده . فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً
 فى مذهبكم . فلم تطالبون ما عرفتم أنّه ظلم ؟

(٨) يتسوا . وزيادة السين والتاء للبالغة كما مرّ فى (استعصم) .

(٩) من يوسف وإجابته إياهم .

(١٠) (خلصوا) انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجياً) ذوى نجوى ،

أو فوجاً (نجياً) أى مناجياً للمناجاة بعضهم بعضاً . أو تحضوا تناجياً لاستجاعتهم لذلك وإفاضتهم
 فيه بجدّ واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته . فالنجى يكون بمعنى المناجى

كالسمير بمعنى المسامر ، وبمعنى المصدر الذى هو التناجى . وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم
 على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيرهم .

(١١) (كبيرهم) فى السنّ وهو روبين . أو فى العقل والرأى وهو يهوذا . أو رئيسهم وهو شمعون .

(١٢) (ما) صلة . أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم . أو

مصدرية . ومحلّ المصدر الرفع على الاستدعاء . وخبره الظرف وهو (من قبل) . ومعناه وقع

(من قبل) تقرّبكم (فى يوسف) .

فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يُحْكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥﴾
 أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا
 وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٧﴾ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا
 فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٩﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرُوا جَمِيلًا
 عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ

(١) فلن أفارق أرض مصر .

(٢) (حتى يأذن لي أبي) في الانصراف إليه .

(٣) (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالموت أو بقتلهم .

(٤) لأنه لا يحكم إلا بالعدل .

(٥) وقرئ (سرق) ، أى نسب إلى السرقة .

(٦) (وما شهدنا) عليه بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقة وتيقنا إذ الصواع استخرج
من وعائه .

(٧) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق .

(٨) يعنى مصر . أى أرسل إلى أهلها فأسألم عن كنه القصة .

(٩) وأصحاب العير . وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام .

(١٠) (وإننا لصادقون) في قولنا . فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل
سؤلت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه . وإلا فمن أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترق لولا فتواكم
وتعليمكم .

(١١) بيوسف وأخيه وكبيرهم .

(١٢) (العليم) بحالى فى الحزن والأسف .

(١٣) الذى لم يتلنى بذلك إلا للحكمة .

(١٤) وأعرض عنهم كراهة لما جاءوا به .

وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ ^(١) وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ^(٢) قَالُوا ^(٤)
تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ^(٦) أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ^(٥)

(١) أضاف الأسف — وهو أشد الحزن والحسرة — إلى نفسه . والألف بدل من ياء الإضافة . والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلف . ونحوه (أناقلتم إلى الأرض أرضيتهم) . (وهم ينهون عنه وينأون عنه) . (ويحسبون أنهم يحسنون صنعا) (من سبأ نبيا) . وإنما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادى أسفه على يوسف دون الآخرين . وفيه دليل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا .

(٢) إذا كثرت الاستعبار ومحقت العبرة سواد العين وقلبتة إلى بياض كدر . قيل قد عمى بصره . وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا .

(٣) لأن الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن . قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما ، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب . ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأن الإنسان مجبول على ألا يملك نفسه عند الحزن ، فلذلك حمد صبره . ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم . وقال "القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنما عليك يا إبراهيم لمحزونون" . وإنما المذموم الصباح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب .

(٤) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم . فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله : (إذ نادى وهو مكظوم) من كظم السقاء إذا شده على مائه .

(٥) أى لا تفتأ تخذف حرف النفي لأنه لا يلبس إذ لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون . ومعنى لا تفتأ لا تزال .

(٦) مشفيا على الهلاك مرضا .

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ^(١)
يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ ^(٢)
لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ^(٣) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا ^(٤)
يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَبَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ^(٥)

(١) البت أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبته إلى الناس ، أى ينشره . أى لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم . إنما أشكو إلى ربى داعيا له وملتجئا إليه . نخلونى وشكائى . وروى أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فوقف بياكم مسكين فلم تطعموه . وإن أحب خلقى إلى الأنبياء ثم المساكين . فاصنع طعاما وادع عليه المساكين . وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت .

(٢) وأعلم من رحمته أنه يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب . وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف ؟ فقال لا والله هو حى فاطلبه . وعلمه هنا الدعاء : إذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معرفه أبدا ولا يحميه غيرك ، فرج عتى .

(٣) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما . وهو تفعل من الإحساس وهو المعرفة .

(٤) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه .

(٥) إن الأمر والشأن .

(٦) إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون) لأن من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ونعمته . وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه فى نعمته فيئأس من رحمته . فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يأتيا العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع .

(٧) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقار لها . من أزعجته إذا دفعته وطرده . قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا .

(٨) الذى هو حقتا .

وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿١﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ
 بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا أَعْنُكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا
 يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
 أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٤﴾

(١) وتفضل علينا بالمساحة والإغماض عن رداء البضاعة . أوزدنا على حقنا . أوهب لنا أخانا .

(٢) لما قالوا (مسنا وأهلنا الضر) وتضرعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتالك أن عرفهم نفسه حيث (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) ؟ أى هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه (إذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه ، أو إذ أنتم في حد السفه والطيش؟ وفعلهم بأخيه تعريضهم لياه للغم بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه ، ويذاؤهم له بأنواع الأذى .
 (٣) بهزتين كوفى وشامى .

(٤) اللام لام الابتداء و (أنت) مبتدأ و (يوسف) خبره . والجملة خبر إن .

(٥) وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه .

(٦) (قد من الله علينا) بالألفة بعد الفرقة . وذكر نعمة الله بالسلمة والكرامة ، ولم يبدأ بالملامة .

(٧) (إنه من يتق) الفحشاء .

(٨) (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة .

(٩) أى أجرهم . فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين . وقيل : من يتق مولاه ، ويصبر على بلواه ، لا يضيع أجره في دنياه وعقباه .

(١٠) اختارك وفصلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر الحسن .

(١١) وإن شأنا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر . لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك .

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٣) أَذْهَبُوا
بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٦)

(١) لا تعير عليكم .

(٢) متعلق بالثريب أو يغفر . والمعنى لا أرتب لكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة الثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ؟ ثم ابتداء فقال : (يغفر الله لكم) . فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم . يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع . أو (اليوم يغفر الله لكم) بشارة بعاجل غفران الله . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش : ما ترونني فاعلا بكم ؟ قالوا نظنّ خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت . فقال أقول ما قال أنخى يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) . وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت رسول الله فاتل عليه (قال لا تثريب عليكم اليوم) . ففعل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك . ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك . فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلى العين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ . ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أتى من حفدة إبراهيم .

(٣) أى إذا رحمتكم وأنا الفقير القتور، فما ظنكم بالغنى الغفور ؟

(٤) سألهم عن حال أبيه . فقالوا إنه عمى من كثرة البكاء . قال (اذهبوا بقميصي هذا) . قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويد يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفى .

(٥) يصر بصيرا . تقول جاء البناء محكما أى صار . أو (يأت) وهو بصير . قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء ، كما ذهبت بقميص الجفاء . وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إني كنتعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا .

(٦) لينعموا بأثار ملكي ، كما اغتموا بأخبار هلكي .

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ ^(١) إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ^(٢) لَوْلَا ^(٣) أَن تَفْنَدُونَ ^(٤)
 قَالُوا تَأَلَّفَ لَكَ لِنِي ضَلَّكَ الْقَدِيمِ ^(٥) فَلَمَّا ^(٦) أَن جَاءَ الْبَشِيرُ ^(٧) أَلْقَاهُ ^(٨) عَلَى
 وَجْهِهِ فَارْتَدَّ ^(٩) بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ^(١٠) إِنِّي ^(١٠) أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(١) خرجت من عريش مصر . يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز
 حيطانه .

(٢) قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من قومه .

(٣) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام .

(٤) التفنيد النسبة إلى الفند وهو الحرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند . والمعنى
 لولا تفنيدكم لباي لصدقتموني .

(٥) أي أسباطه .

(٦) لني ذهابك عن الصواب قديما في إفراط محبتك ليوسف . أو في خطئك القديم
 من حب يوسف . وكان عندهم أنه قد مات .

(٧) أي يهوذا .

(٨) طرح البشير القميص على وجه يعقوب . أو ألقاه يعقوب .

(٩) فرجع . يقال رده فارتد . وارتده إذا ارتجعه .

(١٠) قال ألم أقل لكم) يعني قوله (إني لأجد ريح يوسف) أو قوله (ولانيأسوا من روح الله) .
 وقوله (إني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول . أو وقع عليه والمراد قوله
 (إنما أشكوبني وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وروى أنه سأل البشير كيف يوسف؟
 قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك؟! على أي دين تركته؟ قال على دين الإسلام . قال الآن
 تمت النعمة .

قَالُوا يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ
أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٣﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ
وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴿٤﴾ وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا

(١) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقدك وحق ابنك . إنا تبنا واعترفنا بخطايانا .

(٢) أحر الاستغفار إلى وقت السحر ، أو إلى ليلة الجمعة ، أو ليتعزف حالم فى صدق
التوبة ، أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم .

ثم إن يوسف وجه إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بن معه . فلما بلغ قريبا
من مصر خرج يوسف والمالك فى أربعة آلاف من الجند والعطاء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا
يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه) ضم إليه (أبويه)
واعتنقهما . قيل كانت أمه باقية . وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته . والخالة أم كما أت العم أب .
ومنه قوله (وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) . ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
أنه حين استقبلهم أنزلم فى مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه
(وقال لهم بعد ذلك ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) من ملوكها . وكانوا لا يدخلونها إلا ببجوار
أو من الفحط . وروى أنه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام : السلام عليك يا مذهب الأحران .
وقال له يوسف : يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجعنا ؟ قال بلى .
ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى وبينك . وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف ونعمسائة
وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والمهرمى . وكانت الذرية ألف ومائتى ألف .

(٣) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم
أبويه فرفعهما على السرير (وخرؤا له) يعنى الإخوة الأحد عشر والأبوين (سجدوا) وكانت السجدة
عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد . وقال الزجاج : سنة التعظيم
فى ذلك الوقت أن يسجد للعظم . وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه . وخرورهم سجدا
بأباه . وقيل (وخرؤا) لأجل يوسف (سجدوا) لله شكرا . وفيه نبوة أيضا . واختلف فى استنبأهم .

(٤) أى الرؤيا .

رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ
 بَعْدِ أَنْ تَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
 فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

(١) أى صادقة . وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون
 أو اثنتان وعشرون .

(٢) يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه .

(٣) ولم يذكر الحب لقوله (لا تريب عليكم اليوم) .

(٤) من البادية لأنهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون فى المياه والمناجع .

(٥) أى أفسد بيننا وأغرى .

(٦) أى لطيف التدبير (لما يشاء) .

(٧) (الحكيم) بتأخير الآمال إلى الآجال . أو حكم بالاثتلاف بعد الاختلاف .

(٨) ملك مصر .

(٩) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا . و (من) فيهما للتبعيض إذ لم يؤت إلا بعض ملك
 الدنيا وبعض التأويل .

(١٠) انتصابه على النداء .

(١١) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين ، وبوصل الملك الفانى بالملك الباقى .

(١٢) طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده (ولا تموتن إلا وأتم مسلمون) .
 وعن الضحاك ، مخلصا . وعن التستري (مسلما) إليك أمرى . وفى عصمة الأنبياء : إنما
 دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لأن ظواهر الأنبياء لنظر
 الأمم إليهم .

وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
 وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ
 النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿٤﴾
 ﴿٥﴾

(١) من آياتي أو على العموم .

روى أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة
 وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس . قال يا بني ما أعقك ! عندك
 هذه القراطيس وما كتبت إلى علي ثمان مراحل . فقال أمرني جبريل . قال أو ما تسأله ؟
 قال أنت أبسط إليه مني فأسأله . فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك (وأخاف أن يأكله الذئب)
 قال فهلاً خفتني . وروى أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه
 بالشام إلى جنب أبيه إسحق . فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه
 ثلاثاً وعشرين سنة . فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت . وقيل ما تمناه نبي
 قبله ولا بعده . فتوفاه الله طيباً طاهراً . فتخاصم أهل مصر وتشاحنوا في دفنه كل يحب أن
 يدفن في محلته حتى هموا بالقتال فأرأوا أن يعملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه
 في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً حتى نقل موسى
 عليه السلام بعد أربعين سنة تابوته إلى بيت المقدس . وولد له أفرايم وميشا وولد لإفرايم
 نون ولنون يوشع قتي موسى . ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر . ولم تزل
 بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه .

(٢) (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف . والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وهو مبتدأ (من أنباء الغيب) و (نوحيه إليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب
 (إذ أجمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من إلقاء يوسف في البئر (وهم يَمْكُرُونَ) بيوسف
 ويغنون له الغوائل . والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك
 لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على إلقاء أخيهم في البئر .

(٣) أراد العموم أو أهل مكة . أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم .

(٤) على التبليغ أو على القرآن .

(٥) جعل .

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ^(١) وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ^(٢) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ
مُشْرِكُونَ^(٣) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ^(٤)
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^(٥) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ^(٦)

(١) ما هو إلا عظة من الله (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من

رسله .

(٢) (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات
والأرض يمرُّون عليها) على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات
(معرضون) لا يعتبرون بها . والمراد ما يرون من آثار الأمم المالككة وغير ذلك من العبر .

(٣) أى وما يؤمن أكثرهم فى إقراره بالله وبأنه خلق السموات والأرض إلا
وهو مشرك بعبادة الوثن . الجمهور على أنها نزلت فى المشركين لأنهم معززون بالله خالقهم
ورازقهم . وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله . ومع ذلك يشركون به غيره . ومن جملة الشرك
ما يقوله القدرية من إثبات قدرة التخليق للعبد . والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو
أنه لا خالق إلا الله .

(٤) عقوبة تغشاهم وتشملهم .

(٥) القيامة .

(٦) حال ، أى بقاء .

(٧) (وهم لا يشعرون) بإتيانها .

(٨) (هذه) السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد (سبيل) . والسبيل والطريق
يذكران ويؤنثان . ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أى أدعوا إلى دينه مع حجة
واضحة غير عمياء .

أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا

(١) (أنا) تأكيد للاستتراف (أدعو) (ومن اتبعني) عطف عليه أى أدعو إلى سبيل الله أنا
 ويدعو إليه من اتبعني أو (أنا) مبتدأ و (على بصيرة) خبر مقدم (ومن اتبعني) عطف على (أنا).
 يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى .

(٢) وانزهه عن الشركاء .

(٣) (وما أنا من المشركين) مع الله غيره .

(٤) لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون (لوشاء ربنا لأنزل ملائكة). أو ليست فيهم امرأة.

(٥) بالنون حفص .

(٦) لأنهم أعلم وأحلم . وأهل البوادي فيهم الجهل والجهلاء .

(٧) أى (ولدار) الساعة (الآخرة) .

(٨) (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا به .

(٩) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزه وعلى .

(١٠) يتسوا من إيمان القوم .

(١١) (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم . وبالتخفيف كوفى ،
 أى وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا . أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا
 من جهة الرسل أى كذبهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه .

(١٢) (جاءهم نصرنا) للأنبياء والمؤمنين بهم بغاة من غير احتساب .

فَنَجِيٍّ مِّنْ نَّسَاءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١٠﴾ لَقَدْ كَانَ
 فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ
 الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

(١) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم ، على لفظ الماضى المبني للفعل .
 والقائم مقام الفاعل (من) . الباقون (فنجي) بنونين ثابتهما ساكنة مخففة للجيم بعدها ، وإسكان الياء .

(٢) أى النبي ومن آمن به .

(٣) عذابنا .

(٤) الكافرين .

(٥) أى فى قصص الأنبياء وأمهم . أو فى قصة يوسف وإخوته .

(٦) حيث تقل من غاية الحب إلى غيابة الحب ، ومن الحصر إلى السرير . فصارت
 عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة .

(٧) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار .

(٨) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته وما نصب بعد (لكن) معطوف على خبر (كان) .

(٩) (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه فى الدين لأنه القانون الذى تستند إليه السنة
 والإجماع والقياس .

(١٠) (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنيائه .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « علموا أرقاءكم سورة يوسف فأبى عبد تلاها وعلمها
 أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القرة ألا يحسد مسلما » .
 قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فى ذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه فى الدين ومع
 الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك ، فأنت مع مخالفتهم إياك
 فى الدين أحرى أن تصبر على أذاهم . وقال وهب إن الله تعالى لم ينزل كتابا إلا وفيه سورة يوسف
 عليه السلام تامة كما هى فى القرآن العظيم . والله أعلم .

سورة الرعد مكية

وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الْمَرْتِلِكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ (٢) وَالَّذِي (٣) أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ (٤) وَلَكِنَّ (٥)
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا (٧)
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ (٨) وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (٩)

- (١) أنا الله أعلم وأرى . عن ابن عباس رضی الله عنهما .
- (٢) إشارة إلى آيات السورة .
- (٣) أريد بالكتاب السورة . أي (تلك) الآيات (آيات) السورة الكاملة العجيبة في بابها .
- (٤) أي القرآن كله .
- (٥) خبر (والذي) .
- (٦) (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوله عمد . ثم ذكر ما يوجب الإيمان فقال (الله الذي رفع السموات) . أي خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها . و (الله) مبتدأ والخبر (الذي رفع السموات) .
- (٧) حال . وهو جمع عماد أو عمود .
- (٨) الضمير يعود إلى السموات . أي ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان . أو إلى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لعمد . أي بغير عمد مرثية .
- (٩) استولى بالاعتدال ونفوذ السلطان .
- (١٠) (وسخّر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده .
- (١١) وهو انقضاء الدنيا .

يُدْبِرُ الْأَمْرَ يُفْصِلُ الْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
 مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٩﴾
 وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ
 وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴿١٥﴾

(١) أمر ملكوته وربوبيته .

(٢) يبين آياته في كتبه المنزلة .

(٣) لعلمكم توفقون بأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه .

(٤) بسطها .

(٥) جبالا ثوابت .

(٦) (وأنهارا) جارية .

(٧) أي الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك .

(٨) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلمها بعد ما كان أبيض منيرا . (يغشي) حمزة وعلى وأبو بكر .

(٩) فيعلمون أن لها صناعا عليا حكيا قادرا .

(١٠) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة ، وكريمة إلى زهيدة ، وصلبة إلى رخوة . وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه .

(١١) معطوفة على (قطع) .

(١٢) (وزرع) بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على (قطع) . غيرهم بالجر بالعطف على (أعناب) . والصنوان جمع صنو . وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد . وعن حفص بضم الصاد . وهما لغتان .

(١٣) وبالياء عاصم وشامي .

(١٤) وبالياء حمزة وعلى .

(١٥) في الثمر . وبسكون الكاف نافع ومكى .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^(١) وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلِهِمْ أَئِذَا كُنَّا
 تُرَابًا أَوْ آتَا كُنَّا خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ^(٢)
 فِي آعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
 بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
 لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ^(٤) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) عن الحسن : مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها .

(٢) (وإن تعجب) يا محمد من قولهم في إنكار البعث .

(٣) خبر ومبتدأ . أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه ، لأن من قدر على إنشاء ما عدت عليك كانت الإعادة أهون شئ عليه وأيسره . فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب .

(٤) (أئذا كنا) إلى آخر قولهم ، في محل الرفع بدل من (قولهم) . قرأ عاصم وحمة كل واحد بهمزتين .

(٥) (أولئك) الكافرون المتأدون في كفرهم .

(٦) وصف لهم بالإصرار . أو من جملة الوعيد .

(٧) دل تكرار (أولئك) على تعظيم الأمر .

(٨) بالنقمة قبل العافية . وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأثمهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره .

(٩) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا؟ والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة . (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

(١٠) (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب . ومحلّه الحال ، أى ظالمين لأنفسهم . قال السدى : يعنى المؤمنين . وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها . (وإن ربك لشديد العقاب) على الكافرين . أوهما جميعا فى المؤمنين لكنّه معلق بالمسيئة فيهما . أى (ينفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) .

لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ إِيْمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٢)
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ
 عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٤) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٨)
 سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوَلُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ (١٠)

(١) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا . فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى . فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (إيما أنت منذر) إيما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل . وما عليك إلا الإتيان بما يصرح به أنك رسول منذر . وصحة ذلك حاصلة بأى آية كانت . والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها .

(٢) (هاد) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتكلمون .

(٣) (ما) في هذه المواضع الثلاثة موصولة . أى يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمازج وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك ، وما تغيضه الأرحام أى ويعلم ما تنقصه . يقال غاض الماء وغضته أنا . وما تزداده . والمراد عدد الولد فإنها تستعمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة . أو جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا . أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى ستين عندنا ، وإلى أربع عند الشافعى وإلى خمس عند مالك . أو مصدرية . أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها .

(٤) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) .

(٥) ما غاب عن الخلق .

(٦) ما شاهده .

(٧) العظيم الشأن الذى كل شيء دونه .

(٨) المستعلى على كل شيء بقدرته ، أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها .

وبالبياء فى الحالين مكى .

(٩) (سواء) أى فى علمه .

(١٠) متوار .

وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١) لَهُ مُعَقَّبَاتٌ (٢) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (٣) يُحْفَظُونَهُ
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ (٥) حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (٦) وَإِذَا
 أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا (٧) فَلَا مَرَدَّ لَهُ (٨) وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ (٩) مِنْ وَاٍ (١٠)

(١) ذاهب في سر به ، أى فى طريقه ووجهه . يقال سرب فى الأرض سروباً .
 (وسارب) عطف على (من هو مستخف) لاعلى (مستخف) . أو على (مستخف) غير أن (من) فى
 معنى الاثنين .

(٢) (له) الضمير مردود على (من) . كأنه قيل : لمن أسرّ ومن جهرو ومن استخفى ومن سرب
 (مُعَقَّبَات) جماعات من الملائكة تعقب فى حفظه . والأصل معقبات فأدغمت التاء فى القاف .
 أو هو مفعلات . من عقبه إذا جاء على عقبه لأنت بعضهم يعقب بعضاً ، أو لأنهم يعقبون
 ما يتكلم به فيكتبونه .

(٣) أى قدامه ووراءه .

(٤) هما صفتان جميعاً . وليس (من أمر الله) بصلة للفظ . كأنه قيل له معقبات من
 أمر الله . أو (يحفظونه من) أجل (أمر الله) ، أى من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه .
 أو (يحفظونه) من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له .

(٥) من العافية والنعمة .

(٦) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى .

(٧) عذاباً .

(٨) فلا يدفعه شيء .

(٩) (وما لهم) من دون الله (من وال) ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم .

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ^(١) ^(٢) ^(٣)
 وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ^(٤) وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ^(٥) وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ ^(٦)
 فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ^(٧) ^(٨)

(١) انتصبا على الحال من البرق ، كأنه في نفسه خوف وطمع . أو على ذا خوف وذا طمع . أو من المخاطبين أى خائفين وطامعين . والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث . قال أبو الطيب :

فتى كالسحاب الجلون يخشى ويرتجى * يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق
 أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ؛ ويطمع فيه من له نفع فيه .

(٢) هو اسم جنس والواحدة سحابة .

(٣) (الثقال) بالماء . وهو جمع ثقيلة . تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال .

(٤) قيل يسبغ سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب" . والصوت الذى يسمع ، زجره السحاب حتى ينتهى إلى حيث أمر .

(٥) ويسبغ (الملائكة) من هيئته وإجلاله .

(٦) الصاعقة نار تسقط من السماء .

(٧) لما ذكر علمه النافذ فى كل شىء واستواء الظاهر والخبىء عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدايته قال (وهم يجادلون فى الله) . يعنى الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجادلون فى الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم (من يحيى العظام وهى رميم) ويردون الواحداية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله . أو الواو للحال أى (فيصيب بها من يشاء) فى حال جدالهم . وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل فاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتله : — أخبرنى عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد .

(٨) أى المحاولة وهى شدة المحاورة والمكيدة . ومنه تحمل لكذا إذا تكلف لاستعمال

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
 شَيْئًا إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ

الحيلة واجتهد فيه . ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان . والمعنى أنه شديد المكر
 والكي لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون .

(١) أضيفت إلى الحق الذي هو ضدّ الباطل للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحقّ وأنها
 بمنزلة الباطل . والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله
 فكانت دعوة ملابسة للحقّ لكرمه حتميقا بأنه يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع
 بخلاف ما لا ينفع ولا يهدى دعاؤه . واتصال (شديد المحال) و(له دعوة الحق) بما قبله
 على قصة أربد ، ظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر . وقد
 دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله : ” اللهم اخسفهما بما شئت “
 فأجيب فيهما . فكانت الدعوة دعوة حق . وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إن دعا
 عليهم .

(٢) والآلهة الذين يدعوه الكفار .

(٣) من دون الله .

(٤) (شئ) من طلباتهم .

(٥) استثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دلّ عليها (لايستجيبون) لأن الفعل بحروفه
 يدلّ على المصدر، وبصيغته على الزمان، وبالضرورة على المكان والحال . بخاز استثناء كلّ منها من
 الفعل . فصار التقدير : لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء .
 أي كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغه . والماء جماد لا يشعر بسط
 كفيه ولا يعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغه . وكذلك ما يدعونه جماد
 لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم . واللام في (ليبلغ) متعلق بباسط
 كفيه .

(٦) وما الماء ببالغ فاه .

وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ^(١) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ^(٢) وَظِلَالَهُمْ ^(٣) بِالْغُدُوِّ ^(٤) وَالْأَصَالِ ^(٥) قُلْ مَنْ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ^(٦) قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ ^(٧) أَوْلِيَاءَ
لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ^(٨) قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى ^(٩) وَالْبَصِيرُ ^(١٠)

(١) في ضياع لا منفعة فيه . لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم ، وإن دعوا الأصنام لم يستطع إجابتهم .

(٢) ولله يسجد من في السموات والأرض) يسجد تعبد واتباع .

(٣) حال . يعنى الملائكة والمؤمنين .

(٤) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق .

(٥) معطوف على (من) ، جمع ظل .

(٦) جمع غداة كفى وقناة .

(٧) جمع أصل جمع أصيل . قيل ظل كل شىء يسجد لله بالغدو والأصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع .

(٨) (قل) حكاية لاعتراهم لأنه إذا قال لهم (من رب السموات والأرض) لم يكن لهم بد من أن يقولوا (الله) . دليله قراءة ابن مسعود وأبى (قالوا الله) . أو هو تلقين أى فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هذا .

(٩) أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة ؟

(١٠) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررا عنها . فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آرتموهم على الخالق الرازق الميثب المعاقب ؟ فما أين ضلالتكم !

(١١) أى الكافر والمؤمن . أو من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شىء .

أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا نَخْلَقَهُ ۗ فَتَشْبِهُهُ
 أَنْخَلَقُوا عَلَيْهِمْ قُلُوبَ اللَّهِ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۗ أَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا

(١) ملل الكفر والإيمان . (يستوى) كوفي غير حفص .

(٢) بل أجمعوا . ومعنى الهمزة الإنكار .

(٣) خلقوا مثل خلقه . وهو صفة لشركاء أى أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا .
 مثل خلق الله .

(٤) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله
 عليه فاستحقوا العبادة فتتخذهم له شركاء وعبدهم كما يعبد . ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
 لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق .

(٥) أى خالق الأجسام والأعراض . لا خالق غير الله ، ولا يستقيم أن يكون له شريك
 فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة . ومن قال إن الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها
 فتشابه الخلق على قولهم .

(٦) المتوحد بالربوبية .

(٧) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور .

(٨) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه .

(٩) من السحاب .

(١٠) مطرا .

(١١) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة . وإما نكر لأن المطر لا يأتى
 إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض .

(١٢) بمقدارها الذى علم الله أنه نافع للمطور عليهم غير ضار .

(١٣) أى رفع .

(١٤) هو ما على وجه الماء من الرغوة . والمعنى علاه زبد .

(١٥) متفخضا مرتفعا على وجه السيل .

وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ^(٥)
 كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ^(٦) فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً^(٧) وَأَمَّا
 مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ^(٨) كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ^(٩)

(١) وبالياء كوفي غير أبي بكر. و (من) لابتداء الغاية ، أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء . أو للتبعيض أى وبعضه زبد .

(٢) حال من الضمير فى (عليه) أى (ومما توقدون عليه) ثابتا (فى النار) .

(٣) مبتغين حلية . فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى (توقدون) .

(٤) (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الأواني وما يتمتع به فى الحضر والسفر . وهو معطوف على (حلية) أى زينة من الذهب والفضة .

(٥) (زبد) خبث وهو مبتدأ . (مثله) نعمت له . و (مما توقدون) خبر له . أى لهذه الفلزات إذا أغليت زبد مثل زبد الماء .

(٦) أى مثل الحق والباطل .

(٧) حال أى متلاشيا . وهو ما تقذفه القدر عند الغليان ، والبحر عند الطغيان . والجفاء الرمي . وجفأت الرجل صرعه :

(٨) من الماء والحلى والأواني .

(٩) فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار . وكذلك الجواهر تبقى فى الأرض مدة طويلة .

(١٠) ليظهر الحق من الباطل .

قيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه . فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع ، وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة . وذلك ما كثر فى الأرض باق بقاء ظاهرا : يثبت الماء فى منفعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة . وشبهه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به ، وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه إذا أذيب . قال الجمهور : وهذا مثل قاله الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل . فالماء

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ^(١) الْحُسْنَى ^(٢) وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ^(٣) لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ^(٤) أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ^(٥) وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ^(٦)

القرآن نزل لحياة الجنان كلما، للأبدان والأودية للقلوب . ومعنى (بقدرها) بقدر سعة القلب وضيقه . والزبد هو اجس النفس ووساوس الشيطان . والماء الصافي المتفجع به مثل الحق . فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو . وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية . وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممتدة بالإخلاص المعتدة للخلاص . فان الأعمال جالبة للنواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب . وأما لزبد فالرياء والحلل والممل والكسل .

(١) أى أجابوا . اللام متعلقة بيضرب ، أى (كذلك يضرب الله الأمثال) للؤمنين الذين استجابوا .

(٢) هى صفة لمصدر (استجابوا) ، أى استجابوا الاستجابة الحسنى .

(٣) أى (و) للكافرين (الذين لم يستجيبوا) . أى هما مثلا الفريقين .

(٤) كلام مبتدأ فى ذكر ما أعد لغير المستجيبين . أى لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبدلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله .

والوجه أن الكلام قد تم عند قوله (كذلك يضرب الله الأمثال) وما بعده كلام مستأنف . و(الحسنى) مبتدأ خبره (للذين استجابوا) . والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة . (والذين لم يستجيبوا) مبتدأ خبره (لو) مع ما فى حيزه .

(٥) المناقشة فيه . فى الحديث "من نوقس الحساب عذب" .

(٦) ومرجعهم بعد المحاسبة النار .

وَبئْسَ الْمِهَادُ (١) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
 أَعْمَى (٢) إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٣) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
 الْمِيثَاقَ (٤) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (٥)
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٦) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ (٧)

(١) المكان المتهدد . والمذموم محذوف أى جهنم .

(٢) دخلت همزة الإنكار على الفاء لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل فى أن
 حال من علم (أن ما أنزل إليك من ربك الحق) فاستجاب ، بمعزل من حال الجاهل الذى
 لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كمن هو أعمى) ، كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
 والإبريز .

(٣) أى الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا .

(٤) (الذين) مبتدأ والخبر (أولئك لهم عقبي الدار) كقوله (والذين يتقضون عهد الله ...
 أولئك لهم اللعنة) وقيل هو صفة (لأولى الأبواب) . والأول أوجه . وعهد الله ما عقدوه على
 أنفسهم من الشهادة برؤيته . (وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى) .

(٥) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله
 وبين العباد . تعميم بعد تخصيص .

(٦) من الأرحام والقربات . ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان (إنما المؤمنون إخوة) بالإحسان إليهم على حسب الطاقة
 ونصرهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم . ومنه مراعاة
 حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر .

(٧) أى وعيده كله .

(٨) (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا .

(٩) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والأموال ومشاق التكليف .

(١٠) لا يقال ما أصبره وأحملة للنوازل ، وأوقره عند الزلازل ، ولا لثلا يعاب فى الجزع .

(١١) داوموا على إقامتها .

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ
لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٥٤﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٥٥﴾ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ
بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٥٧﴾

(١) أى من الحلال وإن كان الحرام رزقا عندنا .

(٢) يتناول النوافل لأنها في السر أفضل ، والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفيا
للتهمة .

(٣) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سئى غيرهم . أو إذا حرموا ، أعطوا
وإذا ظلموا عفاوا ، وإذا قطعوا وصلوا ، وإذا أذنبوا تابوا ، وإذا هربوا أتابوا ، وإذا رأوا
منكرا أمروا بتغييره . فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة .

(٤) عاقبة الدنيا . وهى الجنة لأنها التى أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها .

(٥) بدل من عقى الدار .

(٦) (ومن صلح) أى آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ (صلح) . والفتح
أفصح . و(من) فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى (يدخلونها) . وساغ ذلك وإن لم يؤكد
لأن ضمير المفعول صار فاصلا . وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه . ووصفهم بالصلاح ليعلم
أن الأنساب لا تنفع بنفسها . والمراد أبوا كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم .

(٧) (يدخلون عليهم) فى قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات ، بالهدايا وبشارات الرضا .

(٨) فى موضع الحال . إذ المعنى قائلين (سلام عليكم) أو مسلمين .

(٩) متعلق بمحذوف تقديره هذا (بما صبرتم) . أى هذا الثواب بسبب صبركم عن

الشهوات أو على أمر الله . أو بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم . والأول أوجه .

(١٠) (فنعم عقى الدار) الجنة .

(١١) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول .

(١٢) (ويفسدون فى الأرض) بالكفر والظلم .

أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (١) ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ (٢) وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ (٤) ۞
 وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن
 يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَىٰ بَيْتِهِ (٥) مَن يُنَاصِبُ (٦) ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ
 اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٧) ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) الإبعاد من الرحمة .

(٢) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبي الدار ، وأن يراد بالدار جهنم
 وبسوءها عذابها .

(٣) أي ويضيق لمن يشاء . والمعنى (الله) وحده هو (يبسط الرزق... ويقدر) دون غيره .

(٤) (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه
 عليهم ، ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة .

(٥) وخفى عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرأ يتمتع به كعجالة
 الرابك وهو ما يتعجله من تمرات أو شربة سويق .

(٦) أي الآية المقترحة .

(٧) (يضل من يشاء) باقتراح آيات بعد ظهور المعجزات .

(٨) ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه .

(٩) هم (الذين) . أو محله النصب بدل من (من) .

(١٠) تسكن .

(١١) (بذكر الله) على الدوام . أو بالقرآن أو بوعده .

(١٢) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين .

(١٣) مبتدأ

طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّعَابٍ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
 قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
 قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿١٠﴾ وَلَوْ أَنَّ
 قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴿١١﴾

(١) خبره . وهو مصدر من طاب كيشرى . ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا .
 ومعناها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك . واللام في (لهم)
 للبيان مثلها في سقيا لك . والواو في (طوبى) منقلبة عن ياء لضمّة ما قبلها كموقن . والقراءة
 في (وحسن مآب) بالرفع والنصب تدلّ على محلّها .

(٢) مرجع .

(٣) (كذلك) مثل ذلك الإرسال (أرسلناك) لإرساله شأنه شأنه وفضل على سائر الإرسالات .
 ثم فسّر كيف أرسله فقال (في أمة قد خلت من قبلها أمة) . أى أرسلناك في أمة قد تقدّمتها
 أمة كثيرة فهمى آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء .

(٤) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم (الذى أوحينا إليك) .

(٥) وحال هؤلاء أنهم يكفرون .

(٦) بالبلغ الرحمة الذى وسعت رحمته كلّ شيء .

(٧) (قل هو ربى) وربّ كلّ شيء .

(٨) أى هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء .

(٩) (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم .

(١٠) مرجعى فيثيبنى على مصابرتكم . (متابى وعقابى ومآبى) فى الحالين يعقوب .

(١١) (ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال) عن مقارضاها ، أو (قطعت به الأرض) حتى تصدع
 وتتزايد قطعاً ، أو (كلم به الموتى) فنسمع وتجيّب ؛ لكان هذا القرآن . لكونه غاية فى التذكير
 ونهاية فى الإنذار والتخويف . بجواب (لو) محذوف . أو معناه (ولو أن قرآنا) وقع به تسيير
 الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبئهم ، لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله (ولو أننا
 نزلنا إليهم الملائكة) الآية .

بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ
 جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ^(٤) أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ
 دَارِهِمْ ^(٥) حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ^(٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ^(٧) وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ
 بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ^(٩)

(١) بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها .

(٢) أفلم يعلم . وهي لغة قديم من النخع . وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنته
 معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون ، كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن
 ذلك . دليله قراءة على رضى الله عنه . أفلم يقين . وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس
 مستوى السنات . وهذه والله فرية ما فيها مرية .

(٣) من كفرهم وسوء أعمالهم .

(٤) داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم
 وأولادهم وأموالهم .

(٥) (أو تحل) القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطايروا عليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها .

(٦) أى موتهم أو القيامة .

أو (لا يزال) كفار مكة (تصيبهم بما صنعوا) برسول الله من العداوة والتكذيب (قارعة) لأن
 جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم (أو تحل) أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك
 يوم الحديبية (حتى يأتى وعد الله) أى فتح مكة .

(٧) أى لا خلف فى مواعده .

(٨) الإملاء الإمهال وأن يترك ملاءة من الزمان فى خفض وأمن .

(٩) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به ، وتسلية له .

أَفَمَنْ هُوَ قَاتِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ^(١) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا ^(٢) قَلَّ سَمُوهُمْ ^(٣)
 أَمْ تَنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ^(٤) أَمْ بَيِّنُونَ مِنَ الْقَوْلِ ^(٥) بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا مَكْرَهُمْ ^(٦) وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ^(٧) وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ^(٨)
 لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(٩) وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 وَاقٍ ^(١١) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ^(١٢) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا دَخَلُوا ^(١٣)

(١) احتجاج عليهم في إشراكهم بالله. يعنى أفالله الذى هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعتد لكل جزاءه ، كمن ليس كذلك .

(٢) أى الأصنام .

(٣) أى سموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم .

(٤) أم المتقطعة أى بل أتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض. فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء . والمراد نفى أن يكون له شركاء .

(٥) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله (ذلك قولهم بأفواههم . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها) .

(٦) كيدهم للإسلام بشركهم .

(٧) عن سبيل الله . بضم الصاد كوفى . ويفتحها غيرهم . ومعناه وصدوا المسالمين عن سبيل الله .

(٨) من أحد يقدر على هدايته .

(٩) (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والأسر وأنواع المحن .

(١٠) أشد لدوامه .

(١١) من حافظ من عذابه .

(١٢) صفتها التى هى فى غرابة المثل . وارتفاعة بالابتداء والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم (مثل الجنة) . أو الخبر (تجرى من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر .

(١٣) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع .

وَوَظَلَّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ
 الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ
 إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴿١٢﴾ وَكَذَلِكَ
 أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
 مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿١٣﴾

(١١) وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس .

(١٢) أى الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعنى منتهى أمرهم .

(١٣) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ، ومن النصارى بأرض الحبشة .

(١٤) أى ومن أحزابهم . وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما .

(١٥) لأنهم كانوا لا ينكرون الأفاصيص وبعض الأحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم . وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حترفوه وبدلوه من الشرائع .

(١٦) هو جواب للنكرين . أى (قل إنما أمرت) فيما أنزل إلى بـ (أن أعبد الله ولا أشرك به) . فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده . فانظروا ما ذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وآلا يشرك به .

(١٧) (إليه ادعوا) خصوصا لا ادعو إلى غيره .

(١٨) (وإليه) لا إلى غيره (مآب) مرجعى . وأتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم .

(١٩) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه ما مورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنتذار بدار الجزاء .

(١٠) حكمة عربىة مترجمة بلسان العرب . وانتصابه على الحال .

(١١) كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يشاركونهم فيها . فقيل (ولئن أتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أى ثبوت العلم بالنجيح القاطمة والبراهين الساطعة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
 لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٤﴾ يَمْحُوا
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٦﴾ وَإِنْ مَا نُزِينَاكَ
 بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا
 الْحِسَابُ ﴿٧﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴿٨﴾

(مالك من الله من ولي ولا واق) أى لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق . وهذا من باب التيسير والبعث للسامعين على الثبات فى الدين ، وألا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحق . وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان .

(١) كانوا يعيونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فتزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) إلى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) .

(٢) نساء وأولادا .

(٣) أى ليس فى وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله .

(٤) لكل وقت حكم يكتب على العباد ، أى يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته .

(٥) ينسخ (ما يشاء) نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء ، أو يتركه غير منسوخ . أو يحو من ديوان الحفظ ما يشاء ويثبت غيره . أو يحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه . (ويثبت) مدنى وشامى وحمة وعلى .

(٦) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه .

(٧) وكيفما دارت الحال — أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم ، أو توفيناك قبل ذلك — (فإنما عليك البلاغ) فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك . فلا يهمنى إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم .

(٨) أرض الكفرة .

نَنْقُصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ^(١) وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ^(٢) وَهُوَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ^(٣) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ
 مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ ^(٤) وَيَقُولُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ^(٥)

(١) بما افتتح على المساميين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام . وذلك
 من آيات النصر والغلبة . والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيك
 وتمّ ما وعدناك من النصر والظفر .

(٢) لا راد لحكمه . والمعقب الذي يكرّ على الشيء فيبطله . وحقيقته الذي يعقبه أي يقفبه
 بالرد والإبطال . ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفّ غريمه بالاقتضاء والطلب .
 والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال ، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس . ومحل (لا معقب
 لحكمه) النصب على الحال كأنه قيل : والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على
 رأسه ولا قلنسوة له ، تريد حاسرا .

(٣) فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا .

(٤) (وقد مكر الذين من قبلهم) أي كفّار الأمم الخالية بأنبيائهم . والمكر إرادة المكروه
 في خفية . ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال (فله المكر جميعا) . ثم فسر ذلك
 بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار) يعني العاقبة المحمودة . لأن
 من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله ، لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون
 وهم في غفلة عما يراد بهم . (الكافر) على إرادة الجنس مجازي وأبو عمرو .

(٥) المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود . قالوا (لست مرسلا) ولهذا قال عطاء
 هي مكية إلا هذه الآية .

(٦) بما أظهر من الأدلة على رسالتي . والباء دخلت على الفاعل و(شهدا) تمييز .

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴿١١﴾

(١١) قيل هو الله عز وجل . والكتاب اللوح المحفوظ . دليله قراءة من قرأ (ومن عنده علم الكتاب) أى ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه . وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم . وقال ابن سلام في نزلت هذه الآية . وقيل هو جبريل عليه السلام . و (من) في موضع الجر بالعطف على لفظ الله . أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجاز والمجورور إذ التقدير كفى الله . و (علم الكتاب) يرتفع بالمتدر في الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف صلة لمن . و (من) هنا بمعنى الذى ، والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب . وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذى فى الدار أخوه . فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه . فى القراءة بكسر ميم (من) يرتفع العلم بالابتداء .

سورة إبراهيم عليه السلام مكية

اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبِ^(١) أَنْزَلْنَاهُ^(٢) إِلَيْكَ^(٣) لِتُخْرِجَ^(٤) النَّاسَ^(٥) مِنَ الظُّلُمَاتِ^(٦) إِلَى النُّورِ^(٧) بِإِذْنِ^(٨) رَبِّهِمْ^(٩) إِلَى صِرَاطٍ^(١٠) الْعَزِيزِ^(١١) الْحَمِيدِ^(١٢) اللَّهُ^(١٣) الَّذِي^(١٤) لَهُ^(١٥) مَا فِي السَّمَاوَاتِ^(١٦) وَمَا فِي الْأَرْضِ^(١٧) وَيُوَلِّ^(١٨) لِلْكَافِرِينَ^(١٩) مِنْ عَذَابٍ^(٢٠) شَدِيدٍ^(٢١) الَّذِينَ^(٢٢) يَسْتَحِبُّونَ^(٢٣)

(١) هو خبر مبتدأ محذوف أى هذا (تَاب) يعنى السورة .

(٢) (أنزلناه إليك) فى موضع الرفع صفة للنكرة .

(٣) (لتخرج الناس) بدعائك إياهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى .

(٤) بتيسيره وتسهيله . مستعار من الإذن الذى هو تسهيل الحجاب . وذلك ما يمنحهم من التوفيق .

(٥) بدل من النور بتكرير العامل .

(٦) الغالب بالانتقام .

(٧) المحمود على الإنعام .

(٨) بالرفع مدنى وشامى على هو (الله) . وبالجزء غيرهما على أنه عطف بيان للعزير الحميد .

(٩) (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) خلقا وملكا .

(١٠) وهو مبتدأ وخبر وصفة . لما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان

توعد الكافرين بالويل وهو تقيض الوأل وهو النجاة . وهو اسم معنى كالهلاك .

(١١) يختارون ويؤثرون .

الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ
 فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ (٤)
 فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (٦)

(١) عن دينه .

(٢) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا . والأصل ويبغون لها فحذف الجاز وأوصل
 الفعل . (الذين) مبتدأ خبره (أولئك في ضلال) . أو مجرور صفة للكافرين . أو منصوب على
 الذم أو مرفوع على أعنى (الذين) أو هم (الذين) .

(٣) (بعيد) عن الحق . ووصف الضلال بالبعد من الإسناد المجازي . والبعد في الحقيقة
 للضلال لأنه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جدّ جدّه .

(٤) (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) إلا متكلما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو
 مبعوث به وله . فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نفهم ما خوطبنا به . فإن قلت
 إن رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس جميعا بقوله (قل يأتها الناس إلى رسول الله إليكم
 جميعا) بل إلى الثقلين وهم على الألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة . قلت
 لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها . فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن
 الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل . فتعين أن ينزل بلسان واحد . وكان لسان قومه
 أولى بالاعتين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل .

(٥) من أثر سبب الضلالة .

(٦) من أثر سبب الاهتداء .

(٧) فلا يغالب على مشيئته .

(٨) فلا يخذل إلا أهل الخذلان .

(٩) (بآياتنا) التسع .

(١٠) بأن أخرج أو أى أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقتلناه

(أخرج قومك) .

وَذَرِكُمْ بِإِيمَانٍ أَنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ^(٢) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَلَكُمْ ^(٣) مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْبِجُونَ ^(٤) أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَم بَلَاءٌ ^(٥) مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ^(٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

(١) وأذكرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم ، قوم نوح وعاد وثمود : ومنه آيات العرب لحروبها وملاحمها . أو بأيام الإنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وخلق لهم البحر .

(٢) (لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذا الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر .

(٣) (إذ) ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت . أو بدل اشتغال من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم .

(٤) ذكر في البقرة (يدبجون) وفي الأعراف (يقتلون) بلا واو ، وهنا مع الواو . والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبيانا له ، وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر .

(٥) الإشارة إلى العذاب والبلاء المحنة . أو إلى الإنجاء . والبلاء النعمة (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

(٦) (وإذ تأذن) أي آذن . ونظير تأذن وآذن توعده وأوعده . ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل ، كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه . وهو من جملة ما قال موسى لقومه . وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) واذكروا حين (تأذن ربكم) والمعنى (وإذ تأذن ربكم) فقال (لئن شكرتم) يا بني إسرائيل ماخولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة . فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود . وقيل إذا سمعت النعمة نعمة الشكر تاهبت للزيد . وقال ابن عباس رضي الله عنهما (لئن شكرتم) بالخذ في الطاعة (لأزيدنكم) بالخذ في المثوبة .

وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ^(١) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ ^(٢)
 فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ^(٣) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنَ ^(٤)
 قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ^(٥)
 جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ^(٦) فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا ^(٧)
 كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ^(٨) ^(٩) ^(١٠)

(١) ولئن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (إك عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى . أما فى الدنيا
 فسلب النعم . وأما فى العقبى فتوالى النقم .

(٢) يا بنى إسرائيل .

(٣) والناس كلهم .

(٤) (غنى) عن شكركم (حميد) وإن لم يحمده الحامدون . وأتم ضررتم أنفسكم حيث
 حرمتوها الخير الذى لا بد لكم منه .

(٥) من كلام موسى لقومه . أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام .

(٦) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا . أو عطف (الذين من بعدهم) على (قوم نوح)
 و(لا يعلمهم إلا الله) اعتراض . والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله . وعن ابن
 عباس رضى الله عنهما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبابا لا يعرفون . وروى أنه عليه السلام
 قال عند نزول هذه الآية « كذب النسابون » .

(٧) بالمعجزات .

(٨) الضميران يعودان إلى الكفرة، أى أخذوا أناملهم بأستانهم تعجبا . أو عضوا عليها
 تغيظا . أو الثانى يعود إلى الأنبياء أى رد القوم أيديهم فى أفواه الرسل كى لا يتكلموا بما
 أرسلوا به .

(٩) من الإيمان بالله والتوحيد .

(١٠) موقع فى الرية .

قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَيْ آلَ اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
 لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
 تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٨)
 قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ تَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ
 عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (١١)

(١) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة . وهو جواب قولهم (وإنما نرى شك) .

(٢) (يدعوكم) إلى الإيمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) إذا آمنتم . ولم تجئ مع (من) إلا في خطاب الكافرين كقوله (وأتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم . يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) . وقال في خطاب المؤمنين (هل أدلكم على تجارة) إلى أن قال (يغفر لكم ذنوبكم) وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء . وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولثلاث يسوى بين الفريقين في الميعاد .

(٣) إلى وقت قد سماه وبين مقلده .

(٤) أي القوم .

(٥) ما أتم .

(٦) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ؟

(٧) يعني الأصنام .

(٨) بحجة بيّنة . وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا .

(٩) تسليم لقولهم إنهم بشر مثلهم .

(١٠) (ولكن الله يمتن على من يشاء من عباده) بالإيمان والنبوة كما من علينا .

(١١) جواب لقولهم (فأتونا بسلطان مبين) . والمعنى أن الإتيان بالآية التي قد اقترحوها

ليس إلينا ولا في استطاعتنا . وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى .

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ^(١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا
 وَسَبَّلَنَا ^(٢) وَلِنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا ^(٣) وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ^(٤)
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ ^(٥) مِنْ أَرْضِنَا ^(٦) أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا
 فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ ^(٧) الظَّالِمِينَ ^(٨) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ ^(٩) الْأَرْضَ ^(١٠) مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا
 ومن حقا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندكم ومعاداتكم وإيذاكم . ألا ترى إلى قوله
 (وما لنا ألا نتوكل على الله) .

(٢) معناه وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
 التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين . قال أبو تراب : التوكل طرح
 البدن في العبودية ، وتعاقب القلب بالربوبية ، والشكر عند العطاء ، والصبر عند البلاء .

(٣) جواب قسم مضمرة أي حلفوا على الصبر على أذاهم وألا يمسكوا عن دعائهم .

(٤) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكلرا .

(٥) (سبلنا ، لرسولهم) أبو عمرو .

(٦) (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن في ملتنا) أي ليكون أحد الأمرين :
 إخراجكم أو عودكم ، وحلفوا على ذلك . والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب .
 أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد .

(٧) القول مضمرة أو أجرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه .

(٨) أي أرض الظالمين وديارهم . في الحديث "من آذى جاره ورثه الله داره" .

ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ^(٢) وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ^(٣)
 جَبَّارٍ عَنِيدٍ^(٤) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى^(٥) مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ^(٦) يَجْعَرُهُ^(٧)
 وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ^(٨) وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ^(٩)

(١) (ذلك) الإهلاك والإسكان . أى ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامي) موقفى ،
 وهو موقف الحساب . أو المقام مقحم . أرخاف قيامى عليه بالعلم كقوله (أئن هو قائم على كل
 نفس بما كسبت) . والمعنى أن ذلك حق للتقين .

(٢) عذابي . وبالياء يعقوب .

(٣) واستنصروا الله على أعدائهم . وهو معطوف على (أوحى إليهم) .

(٤) وخسر كل متكبر بطر (عنيد) بجانب للحق . معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا (وخاب

كل جبار عنيد) وهم قومهم .

وقيل الضمير للكفار . ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظناً منهم بأنهم على الحق
 والرسل على الباطل (وخاب كل جبار عنيد) منهم ولم يفتح باستفتاحه .

(٥) من بين يديه (جهنم) . وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها
 بين يديه وهو على شفيرها . أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف .

(٦) معطوف على محذوف تقديره (من ورائه جهنم) يلقى فيها ما يلقى (ويسقى) .

(٧) ما يسيل من جلود أهل النار . و(صدید) عطف بيان لماء لأنه مبهم فبين بقوله
 (صدید) .

(٨) يشربه جرعة جرعة .

(٩) ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الإساءة ؟ كقوله (لم يكذب يراها) أى لم يقرب
 من رؤيتها فكيف يراها ؟ .

(١٠) أى أسباب الموت من كل جهة ، أو من كل مكان من جسده . وهذا تفتيح لما
 يصيبه من الآلام . أى لو كان تمة موت لكان كل واحد منها مهلكا .

(١١) لأنه لو مات لاستراح .

وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ^(١) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ
 بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ
 الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ^(٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ
 يَسْأَلُ يَذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ^(١١) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ^(١٢)

- (١) ومن بين يديه . أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ .
 وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها فى الأجساد .
- (٢) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم (مثل الذين كفروا بربههم) والمثل مستعار
 للصفة التى فيها غرابة .
- (٣) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم ؟ فقيل (أعمالهم كرماد) .
- (٤) (الرياح) مدنى .
- (٥) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك : يوم ماطر . وأعمال الكفرة
 المكارم التى كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعقر الإبل للأضياف
 وغير ذلك . شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس - وهو الإيمان بالله تعالى - برماد
 طيرته الريح العاصف .
- (٦) (لا يقدرُونَ) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شىء) أى لا يرون له
 أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير فى الريح على شىء .
- (٧) إشارة إلى بعد ضلالتهم عن طريق الحق أو عن الثواب .
- (٨) ألم تعلم . الخطاب لكل أحد .
- (٩) (خالق) مضافا حمزة وعلى .
- (١٠) بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا .
- (١١) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويناق مكنهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف
 شكلهم إعلاما بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم .
- (١٢) بمتعذر .

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ
 لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِنٍ

(١) ويبرزون يوم القيامة . وإنما جرى به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وجل
 لصدقه كأنه قد كان ووجد . ونحوه (ونادى أصحاب الجنة . ونادى أصحاب النار) وغير ذلك .
 ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له ، أنهم كانوا يستترون من العيون
 عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله . فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند
 أنفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية . أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه .
 (الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والأتباع . وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ
 من يفتح الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو .

(٢) وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصدّوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم .
 (٣) تابعين . جمع تابع على تبع تكادم وخدم وغائب . أو ذوى تبع . والتبع الاتباع
 يقال تبعه تبعاً .

(٤) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه . و(من) الأولى للتبيين والثانية للتبويض كأنه
 قيل (فهل أتم مغنون عنا) بعض الشيء الذي هو عذاب الله . أو هما للتبويض ، أى فهل أتم
 مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله .

(٥) لما كان قول الضعفاء توبيخاً لهم وعتاباً على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدر
 على الإغناء عنهم ، قالوا لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله إلى الإيمان
 في الدنيا لهديناكم إليه . أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم ، أى لأغنيا عنكم
 وسلكتكم طريق النجاة كما سلكتكم طريق الهلكة .

(٦) مستويان علينا الجزع والصبر . والهمزة وأم للتسوية . روى أنهم يقولون في النار :
 تعالوا نجزع . فيجزعون خمسمائة عام . فلا ينفعهم الجزع . فيقولون : تعالوا نصبر . فيصبرون
 خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر . ثم يقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) . واتصاله بما قبله
 من حيث إن عتابهم لهم كان جزعاً مما هم فيه . فقالوا لهم (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا)
 يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها . يقولون ما هذا
 الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر .

(٧) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا . ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء
 والمستكبرين جميعاً .

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ^(١) إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ^(٢) وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ^(٣) وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ^(٤) إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ ^(٥) لِي فَلَا تَلُومُونِي ^(٦) وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ^(٧) مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ^(٨) وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ^(٩) إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ ^(١٠) مِنْ قَبْلُ ^(١١) إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾

(١) لما حكم بالجنة والنار لأهلها وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

(٢) روى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً على منبر من نار فيقول لأهل النار (إن الله وعدهم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدهم (ووعدهم) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتم) كذبتكم .

(٣) من تسلط واقتدار .

(٤) لكفى دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزيتي . والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان .

(٥) فأسرعت إجابتي .

(٦) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح ، مع أن الرحمن قد قال لكم (لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة) .

(٧) حيث أتبعتموني بلا حجة ولا برهان . وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا الترين ، باطل لقوله (لو هدانا الله) أي إلى الإيمان (لهديناكم) كما مر .

(٨) لا ينبغي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغيثه . والإصراخ الإغاثة . (بمصرخي) حمزة إتباعاً للخاء . غيره بفتح الياء لثلاث تجمع الكسرة والياء ان بعد كسرتين . وهو جمع مصرخ . فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم .

(٩) وبالياء بصرى . وما مصدرية .

(١٠) متعلق بأشركتموني ، أي كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) . ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ
 اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۗ

منه واستنكاره له كقوله (إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كافرينا بكم). أو (من قبل)
 متعلق بكفرت و (ما) موصولة، أى كفرت (من قبل) حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه
 وهو الله عز وجل. تقول: أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا. ومعنى إشارا كههم الشيطان
 بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان. وهذا آخر قول الشيطان. وقوله (إِنَّ
 الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل. وقيل هو من تمام كلام إبليس. وإنما حكي
 الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين .

(١) عطف على (برزوا) .

(٢) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره .

(٣) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم .

(٤) أى وصفه وبينه .

(٥) (كلمة) نصب بمضمر. أى جعل (كلمة طيبة كشجرة طيبة). وهو تفسير لقوله (ضرب)
 الله مثلا) نحو شرف الأمير زيدا كسناه حلة وحمله على فرس. أو انتصب (مثلا) و (كلمة) بضر
 أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا. ثم قال (كشجرة طيبة) على أنها خبر مبتدأ محذوف
 أى هى كشجرة طيبة .

(٦) أى فى الأرض ضارب بعروقه فيها .

(٧) (و) أعلاها ورأسها (فى السماء) .

والكلمة الطيبة كلمة التوحيد. أصلها تصديق بالجنان. وفرعها إقرار باللسان. وأكلها
 عمل الأركان. وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملا، فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملا.
 ولكن الأشجار لا تراء إلا للنار. فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت الإخفار
 فى عهد الإثمار. والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك .
 والجمهور على أنها النخلة. فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم
 "إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى؟". فوقع الناس فى شجر البوادي. وكنت

تُوتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (١) وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ
مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ (٣)

صبيًا . فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر
القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إنها النخلة . فقال عمر : "يا بنى لو كنت قلتها
لكانت أحب إلي من حمر النعم" .

(١) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها .

(٢) بتيسير خالقها وتكوينه .

(٣) لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للعاني .

(٤) هي كلمة الكفر .

(٥) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها . وفي الحديث أنها شجرة الحنظل .

(٦) استوصلت جنتها . وحقيقة الاجتثاث أخذ الحثة كلها وهو في مقابلة (أصلها ثابت) .

(٧) أى استقرار . يقال : قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثبوتا . شبه بها القول الذى

لا يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت .

(٨) أى يديمهم عليه .

(٩) هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(١٠) حتى إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود وغير ذلك .

(١١) الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب . فعن البراء أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال "ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه

ملك من ملائكة فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله ودينى

الإسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم . فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى . فذلك قوله

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) . ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا . ثم نومة

العروس .

(١٢) فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء . وهم

في الآخرة أضل وأزل .

وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ^(١) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا ^(٢)
 قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ^(٣) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ^(٤) وَبِئْسَ الْقَرَارُ ^(٥) وَجَعَلُوا لِلَّهِ ^(٦)
 أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا ^(٧) عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ ^(٨) إِلَى النَّارِ ^(٩)
 قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا ^(١٠) مِمَّا رَزَقْتَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ^(١١)

(١) فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين .

(٢) أى (بدلوا) شكر نعمة الله كفرًا لأن شكرها الذى يجب عليهم وضوا مكانه كفرًا فكأنهم
 غيرتوا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلاً . وهم أهل مكة . أكرمهم بحمد عليه السلام فكفروا
 نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر .

(٣) الذين تابعوهم على الكفر .

(٤) دار الهلاك .

(٥) عطف بيان .

(٦) يدخلونها .

(٧) وبتس المقتر جهنم .

(٨) أمثالا في العبادة أو في التسمية .

(٩) وبفتح الياء مكى وأبو عمرو .

(١٠) (تمتعوا) في الدنيا . والمراد به الخزلان والتخلية . وقال ذو النون التمتع أن يقضى

العبد ما استطاع من شهوته .

(١١) مرجعكم إليها .

(١٢) خصمهم بالإضافة إليه تشريفاً . وبسكون الياء شامخ وحزة وعلى والأعشى .

(١٣) المقول محذوف ، لأن (قل) تقتضى مقولا وهو أقيموا . وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة
 وأنفقوا ، يقيموا الصلاة وينفقوا . وقيل إنه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف
 اللام للدلالة (قل) عليه . ولو قيل (يقيموا الصلاة وينفقوا) ابتداء بحذف اللام لم يجوز .

(١٤) انتصبا على الحال أى ذوى سر وعلانية يعنى مسررين وعلانيين ، أو على الظرف أى
 وقتى سر وعلانية ، أو على المصدر أى إنفاق سر وإنفاق علانية . والمعنى إخفاء التطوع وإعلان
 الواجب .

مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلُوفٌ ^(١) ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ ^(٢) ﴿٢﴾
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ ^(٣) ﴿٣﴾ مِنَ الثَّمَرَاتِ
 رِزْقًا لَّكُمْ ^(٤) ﴿٤﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ^(٥) ﴿٥﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ
 الْأَنْهَارَ ^(٦) ﴿٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ^(٧) ﴿٧﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ ^(٨) ﴿٨﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ^(٩) ﴿٩﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ^(١٠) ﴿١٠﴾

(١) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالفة . والحلال المخالفة . وإما ينتفع فيه بالإتفاق لوجه الله . بفتحهما مكى وبصرى . والباقون بالرفع والتنوين .

(٢) مبتدأ .

(٣) خبره .

(٤) من السحاب مطرا .

(٥) (من الثمرات) بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات . أو (من الثمرات) مفعول (أخرج) و (رزقا) حال من المفعول .

(٦) دائمين . وهو حال من الشمس والقمر ، أى يدأبان فى سيرهما وإنارتها ودرئها الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات .

(٧) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم .

(٨) (من) للتبويض ، أى آتاكم بعض جميع ما سألتموه ، أو (وآتاكم من كل) شئ سألتموه وما لم تسألوه . فما موصوفة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله (سرايل تقيمكم الحز) . (من كل) عن أبى عمرو . و (ما سألتموه) نفي ومحلة النصب على الحال . أى آتاكم من جميع ذلك غير سائله . أو ما موصولة أى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه . فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال .

(٩) لا تطيقوا عدتها وبلوغ آخرها . هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال . وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ^(١) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ^(٢)
 آمِنًا ^(٤) وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ^(٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ ^(٦)
 كَثِيرًا ^(٨) مِّنَ النَّاسِ ^(٩) فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ^(١٠) وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ^(١١) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤)

(١) (ظلم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها. أو (ظلم) في الشدة يشكو ويحزع (كفار) في النعمة يجمع ويمنع. والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه.

(٢) (و) اذ كر (إذ قال إبراهيم).

(٣) أى البلد الحرام.

(٤) ذا أمن. والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها، وفي الثاني أن يخرجها من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا.

(٥) وبعثني أى ثبتني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال (واجعلنا مسلمين لك)، أى ثبتنا على الإسلام.

(٦) أراد بنيه من صلبه.

(٧) من (أن نعبد الأصنام).

(٨) جعلن مضلات على طريق التسيب لأن الناس ضلوا بسببهن فكانهن أضلاهم.

(٩) (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي.

(١٠) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بي.

(١١) (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فإنك غفور رحيم). أو (ومن عصاني) عصيان شرك (فإنك غفور رحيم) إن تاب وآمن.

(١٢) بعض أولادى وهم إسماعيل ومن ولد منه.

(١٣) هو وادى مكة.

(١٤) لا يكون فيه شيء من زرع قط.

عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ
 تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ
 تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴿٨﴾ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
 فِي السَّمَاءِ ﴿٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴿١١﴾

(١) هو بيت الله . سمي به لأن الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه ، أولآنه لم يزل ممنا بها به كل جبار ، أولآنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها ، أولآنه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمي عتيقا لأنه أعتق منه .

(٢) اللام متعلقة ب(أسكنت) أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع إلا (ليقيموا الصلاة) عند بيتك المحترم ويعمره بذكرك وعبادتك .

(٣) (أفئدة من) (أفئدة) (الناس) . و(من) للتبويض . لما روى عن مجاهد "لوقال أفئدة الناس زاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند" . أو للابتداء كقولك : القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس . ونكرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة — لأنها فى الآية نكرة — ليتناول بعض الأفئدة .

(٤) تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا .

(٥) (وارزقهم من الثمرات) مع سكاكم وأديا ما فيه شىء منها ، بأن تجلب إليهم من البلاد الشاسعة .

(٦) (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات فى واد ايس فيه شجر ولا ماء .

(٧) النداء المكرر داليل التضرع واللجأ إلى الله .

(٨) تعلم السر كما تعلم العلن .

(٩) من كلام الله عز وجل تصديقا لإبراهيم عليه السلام ، أو من كلام إبراهيم . و(من) للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شىء ما

(١٠) (على) بمعنى مع . وهو فى موضع الحال أى وهب وأنا كبير .

(١١) روى أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنى

عشرة سنة . وروى أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين . وإنما ذكر حال الكبر

لأن المنة بهية الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة . والظفر بالحاجة على عقب

اليأس من أجل النعم . ولأن الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم .

إِنَّ رَبِّي سَمِيعُ الدُّعَاءِ ^(١) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا ^(٢)
 وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ^(٣) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ^(٤)
 وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمِ ^(٥)
 تَسْحُصٍ فِيهِ الْأَبْصَارُ ^(٦) مَهْطَعِينَ ^(٧) مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ^(٨)

(١) يجب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان إذا تلقاه بالإجابة والقبول . ومنه سمع الله لمن حمده . وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) فشكر الله ما أكرمه به من إجابته . وإضافة السمع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها ، وأصله لسميع الدعاء . وقد ذكر سيبويه فيميلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه .
 (٢) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في (اجعلني) . وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفار . عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم الساعة .

(٣) بالياء في الوصل والوقف مكى . وافقه أبو عمرو وحزمة في الوصل . الباقون بلا ياء .
 أى استجب دعائى أو عبادتى (وأعتلكم وما تدعون من دون الله) .
 (٤) أى آدم وحواء ، أو قاله قبل النهى والياس عن إيمان أبويه .
 (٥) أى يثبت . أو أسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا مثل (وأسأل القرية) .
 (٦) تسلية للظالم وتهديد للظالم . والخطاب لغير الرسول عليه السلام . وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله : (ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله إلها آخر) . وكما جاء في الأمر (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) وقيل المراد به الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله (والله بما تعملون علم) .

(٧) أى عقوبتهم .

(٨) أى أبصارهم لا تقفز في أماكنها من هول ما ترى .

(٩) مسرعين إلى الداعى .

(١٠) رافعيها .

(١١) لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم .

وَأَعَدَّتْ لَهُمْ هَوَاءً ^(١) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ^(٢) فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ^(٣)
 رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُنْجِبَ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعَ أَرْسُلَ أَوْلَادِ تَكُونُوا
 أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ^(٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 أَنفُسَهُمْ ^(٥) وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ^(٦) وَضَرَبْنَا لَكُمْ ^(٧) الْأَمْثَالَ ^(٨)

(١) صفر من الخبز لا تعى شيئاً، من الخوف . والهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام .
 فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جراءة . وقيل جوف
 لا عقول لهم .

(٢) أى يوم القيامة . و(يوم) مفعول ثان لأنذر لا ظرف ، إذ الإنذار لا يكون في ذلك اليوم

(٣) أى الكفار .

(٤) أى ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من
 إجابة دعوتك واتباع رسلك . فيقال لهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أى
 حنتم في الدنيا أنكم إذا متتم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى ، يعنى كفرتم
 بالبعث كقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) . و(ما لكم) جواب القسم .
 وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله (أقسمتم) . ولو حكى لفظ المقسمين لقلنا ما لنا من زوال .
 أو أريد باليوم يوم هلا كههم بالعذاب العاجل . أو يوم موتهم معدّين بشدة السكرات ولقاء
 الملائكة بلا بشرى . فإنهم يسألون يومئذ أن يؤخروهم ربهم إلى أجل قريب .

(٥) (ظلموا أنفسهم) بالكفر . يقال سكن الدار وسكن فيها لأن السكنى من السكون وهو
 اللبث . والأصل تعديته بنى نحو قر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص
 تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها . ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قرؤا فيها
 واطمأنوا طمئى النفوس سائر سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون
 من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا .

(٦) (وتبين لكم) بالأخبار أو المشاهدة ، وفاعل (تبين) مضمردل عليه الكلام أى تبين
 لكم حالهم . و(كيف) ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله . وإنما نصب (كيف)
 بقوله (فعلنا بهم) أى أهلكتهم وانتقمنا منهم .

(٧) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم .

وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ ^(١) وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ ^(٢) وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ
 مِنْهُ الْجِبَالُ ^(٣) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعَدِيهِ رُسُلَهُ ^(٤) إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ^(٥) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ^(٦)

(١) أى مكروهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطالان الإسلام .

(٢) هو مضاف إلى الفاعل كالأول . والمعنى ومكتوب عند الله مكروهم فهو مجازيهم عليه بمكروه أعظم منه . أو إلى المفعول أى عند الله مكروهم الذى يمكروهم به وهو عذابهم الذى يأتينهم من حيث لا يشعرون .

(٣) (لتزول) بكسر اللام الأولى ونصب الثانية . والتقدير وإن وقع مكروهم لزوال أمر النبي صلى الله عليه وسلم فعبّر عن النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه . (كان) تامة و(إن) نافية دليله قراءة ابن مسعود (وما كان مكروهم) واللام مؤكدة لها كقوله (وما كان الله ليعذبهم) . والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكروهم . على أت الجبال مثل آيات الله وشرائعها لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا . وبتفتح اللام الأولى ورفع الثانية على . أى (وإن كان مكروهم) من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أما كنها . فإن محققة من إت واللام مؤكدة .

(٤) يعنى قوله (إنا لننصر رسلنا . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) . (مخلف) مفعول ثان لتجيبين وأضاف (مخلف) إلى (وعده) وهو المفعول الثانى له . والأول (رسله) . والتقدير مخلف رسله وعده . وإتأما قدم المفعول الثانى على الأول ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا . كقوله (إن الله لا يخلف الميعاد) . ثم قال (رسله) ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ؟

(٥) غالب لا يماكر .

(٦) (ذو انتقام) لأوليائه من أعدائه .

(٧) (يوم) انتصابه على الظرف للانتقام ، أو على إضمار اذ كر . والمعنى (يوم تبذل) هذه (الأرض) التى تعرفونها أرضا أخرى (غير) هذه المعروفة و(تبذل) (السموات) غير السموات . وإتأما حذف لدلالة ما قبله عليه . والتبديل التغيير . وقد يكون فى الذوات كقولك : بدلت ادراهم دنانير ، وفى الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسوّبتها خاتما فنقلتها من

وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٢) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ (٣) يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ (٤) يُؤْمِدُ مُّقْرَنِينَ (٥)
فِي الْأَصْفَادِ (٦) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ (٨) وَتَعْشَى (٩) وُجُوهُهُمْ النَّارُ (٩)

شكل إلى شكل واختلف في تبديل الأرض والسماوات فقبل تبدل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمنا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "هى تلك الأرض وإنما تغير". وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قرها وانشقاقها وكونها أبوابا . وقيل تخلق بدلها أرض وسماوات أخر . وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة . وعن علي رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسماوات من ذهب .

(١) وخرجوا من قبورهم .

(٢) هو كقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) ، لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ، كان الأمر في غاية الشدة .

(٣) الكافرين .

(٤) يوم القيامة .

(٥) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغالين .

(٦) متعلق بمقرنين أى يقترنون في الأصفاد . أو غير متعلق به . والمعنى مقرنين مصفدين .

والأصفاد القيود أو الأغلال .

(٧) قمصهم .

(٨) هو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فيها به الإبل الجربى فيجرحه الجرب بحدته وحره . ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار . وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسراويل ليجمع عليهم لذع القطران وحرته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش وتتن الريح . على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين . وكل ما وعده الله أو أوعده به في الآخرة فينبهه وبين ما نشاهد من جنسه مالا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسمى والمسميات ثمة . نعوذ بالله من سخنطه وعذابه (من قِطْرَانٍ)
زيد ، عن يعقوب : نحاس مذاب بلغ حره إناه .

(٩) تعلقوا باشتعالها . وخص الوجه لأنه أعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه

ولذا قال (تطلع على الأفتدة) .

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ^(١) إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ^(٢) هَذَا ^(٣)
 بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ^(٤) وَلِيُنذِرُوا بِهِ ^(٥) وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ^(٦) وَلِيَذَّكَّرَ
 أُولَئِكَ ^(٧) أَلَّا يَلْبَبُوا

(١) أى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت ، أو كل نفس من مجرمة ومطبعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المؤمنين بطاعته .

(٢) يحاسب جميع العباد فى أسرع من لمح البصر .

(٣) أى ما وصفه فى قوله (ولا تحسبن) إلى قوله (سريع الحساب) .

(٤) كفاية فى التذكير والموعظة .

(٥) بهذا البلاغ . وهو معطوف على محذوف أى لينصحوها (ولينذروا) .

(٦) لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعوتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد . لأن الخشية أم الخير كله .

(٧) ذوو العقول .

سورة الحجر مكية

وهي تسع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذُرَّهُمْ يَا كُلُوا وَيَشْرَبُوا وَيَسْتَمْتَعُوا وَيَلْبَسُوا
الْأَمْثَالَ ﴿٤﴾

(١) (تلك) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات. و(الكتاب) والقرآن المبين السورة. وتنكير القرآن للتفخيم. والمعنى (تلك آيات الكتاب) الكامل في كونه كتاباً (و) أى (قرآن مبين) كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغرابة في البيان.

(٢) (ربما) بالتخفيف مدنى وعاصم. وبالتشديد غيرهما. و(ما) هى الكافة لأنها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة. فإذا كفت وقع بعدها الفعل الماضى والاسم. وإنما جاز (يود الذين كفروا) لأن المترقب فى إخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه، فكانه قيل ربما ود. وودادتهم تكون عند النزاع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلماً. كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم. وإنما جىء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك: حلف بالله ليفعلن. ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كانوا مسلمين لكان حسناً. وإنما قلل ربب لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمتي، فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين. وقول من قال إن (رب) يعنى بها الكثرة سهو لأنه ضد ما يعرفه أهل اللغة لأنها وضعت للتقليل.

(٣) أمر إهانة أى اقطع طمعك من ارجواتهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالنذكرة والنصيحة واخلهم (ياكلوا ويشربوا) بديانهم.

(٤) ويشغلهم أمثلهم وأمانتهم عن الإيمان.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^(١) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ^(٢) مَا تَسْبِقُ
 مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ^(٣) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ
 إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ^(٤) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ^(٥) إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ^(٥)

(١) (فسوف يعلمون) سوء صديعهم . وفيه تنبيه على أن إثارة التلذذ والتعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين .

(٢) (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقريه . والقياس ألا يتوسط الواو بينهما كما في (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) . وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجاء بالواو تأكيداً لذلك . والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً لقريه — لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى — لا وصفاً . وقوله (كتاب معلوم) أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها .

(٣) أى عنه . وحذف لأنه معلوم . وأنت الأمة أولاً ثم ذكرها آخرها حملاً على اللفظ والمعنى .

(٤) (وقالوا) أى الكفار (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن (إنك لمجنون) . يعنون محمداً عليه السلام . وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) . وكيف يقزون بزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون . والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء . والتهمك سائغ ومنه (فبشرهم بعذاب أليم) . إنك لأنت الحليم الرشيد) . والمعنى إنك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله نزل عليك الذكر .

(٥) (لو) ركبت مع (لا) و(ما) لامتناع الشئ لوجود غيره أو التحضيض . وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب . والمعنى هلاً تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلاً تأتينا بالملائكة للمقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً .

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ^(٣) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ^(٤)
 وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ^(٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ^(٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ^(٨) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ^(٩)

(١) كوفي غير أبي بكر. (تنزل الملائكة) أبو بكر، و(تنزل الملائكة) أي تنزل غيرهم.

(٢) إلا تنزيلا ملتبسا بالحكمة.

(٣) (إذا) جواب لهم. وجزاء الشرط مقدر. تقديره (و) لو نزلنا الملائكة (ما كانوا) منظرين إذا وما آخر عندهم.

(٤) القرآن.

(٥) وهو رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم (يأتيها الذي نزل عليه الذكر). ولذلك قال (إننا نحن) فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتوَلَّ حفظها وإتمام استحفظها الربانيين والأخبار فاختلَفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه. وقد جعل قوله (وإننا له لحافظون) دليلا على أنه منزل من عنده آية. إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه. أو الضمير في (له) لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله (والله يعصمك).

(٦) أي (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا (في) الفرق (الأولين). والشعبة الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة.

(٧) حكاية حال ماضية لأن (ما) لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال.

(٨) يعزى نية عليه السلام.

(٩) أي كما سلكت الكفر أو الاستهزاء في شيع الأولين (نسلكته) أي الكفر أو الاستهزاء، (في قلوب المجرمين) من أمتك من اختار ذلك. يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها. وهو حجة على المعتزلة في الأصلح وخلق الأفعال.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ^(١) وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ^(٢) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ
السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ^(٣) لَقَالُوا ^(٤) إِنَّمَا سَكِرَاتُ أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ
قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ^(٥) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(٦) وَزِينَةً ^(٧) لِلنَّاظِرِينَ ^(٨)
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ^(٩) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَاتَّبَعَهُ ^(٩) شَهَابٌ مِّبِينٌ ^(٩)

(١) بالله أو بالذکر . وهو حال .

(٢) مضت طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسله . وهو وعيد لأهل
مكة على تكذيبهم .

(٣) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء .

(٤) يصعدون .

(٥) حيرت أو حبست من الإبصار من السكر أو من السكر . (سكرت) مكي أي حبست

كما يحبس النهر من الجرى .

والمعنى أنّ هؤلاء المشركين بلغ من غاؤهم في العناد أنّ لو فتح لهم باب من أبواب
السماء ، ويسر لهم معارج يصعدون فيه إليها ، ورأوا من العيان مارأوا ، لقالوا ذو شيء تتخالبه
لاحقيقة له ، ولقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا مجد بذلك . أو الضمير للملائكة ، أي
لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك . وذکر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار
ليكونوا مستوضحين لما يرون . وقال (إنما) ليدلّ على أنهم يبتون القول بأنّ ذلك ليس إلا
تسكيراً للأبصار .

(٦) خلقنا فيها .

(٧) نجومها أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم .

(٨) أي السماء .

(٩) (وحفظناها) أي السماء (من كلّ شيطان رجيم) ماعون أو مرمي بالنجوم (إلا من

استرق السمع) أي المسموع - و (من) في محل النصب على الاستثناء (فاتبعه شهاب)
نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للبصرين . قيل كانوا لا يحبون عن السموات كلّها .

فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات . فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا
من السموات كلّها .

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ^(١) وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي ^(٢) وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ^(٣) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا ^(٤) وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ ^(٥) بَرَازِقِينَ ^(٦) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ^(٧) وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ^(٨) فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ^(٩)

(١) بسطناها من تحت الكعبة . والجمهور على أنه تعالى مدّها على وجه الماء .

(٢) في الأرض جبالا ثوابت .

(٣) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصالح فيه زيادة ولا نقصان . أوله وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة . أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها . وخص ما يوزن لانتهاه الكيل إلى الوزن .

(٤) في الأرض .

(٥) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة . وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فإن تصریح الياء فيها خطأ .

(٦) (من) في محل النصب بالعطف على معاش ، أو على محل لكم . كأنه قيل (وجعلنا لكم فيها معاش) وجعلنا لكم (من لستم له برازقين) . أو جعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين . وأراد بهم العيال والماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون . فإن الله هو الرزاق يرزقهم ولما بهم . ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحو ذلك . ولا يجوز أن يكون محل (من) جرّا بالعطف على الضمير المجرور في (لكم) لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار .

(٧) ذكر الخزائن تمثيل . والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجادها وتكوينه والإتمام به . وما نعطيه إلا بمقدار معلوم . فحسب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور .

(٨) جمع لاقحة . أي (وأرسلنا الرياح) حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها . من لقيحت الناقة حملت . وضدّها العقيم . (الريح) حمزة .

(٩) فجعلناه لكم سقيا .

وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ^(١) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ^(٢)
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْجِرِينَ ^(٤) وَإِنَّ رَبَّكَ
 هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ^(٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ ^(٨)
 مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ ^(٩) وَالْجَنَّ أَنْ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ^(١٣)

(١) نفى عنهم ما أثبتته لنفسه في قوله (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) كأنه قال نحن الخازنون للساء، على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإزاله منها وما أنتم عليه بقادرين، دلالة على عظيم قدرته وعجزهم.

(٢) أى نحى بالإيجاد ونميت بالإفناء. أو نميت عند انقضاء الآجال، ونحى لجزاء الأعمال. على التقديم والتأخير. إذ الواو للجمع المطلق.

(٣) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم. وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فناؤه.

(٤) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر، أو من نرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد. أو من تقدم في الإسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر.

(٥) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم.

(٦) باهر الحكمة واسع العلم.

(٧) أى آدم.

(٨) طين يابس غير مطبوخ.

(٩) صفة لصلصال أى خلقه (من صلصال) كائن (من حمأ) أى طين أسود متغير.

(١٠) مصور.

وفي الأول كان ترابا فعجن بالساء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلاة فصور ويس فصار صلصالا فلا تناقض.

(١١) أبا الجن كآدم للناس. أو هو إبليس. وهو منصوب بفعل مضممر يفسره (خلقناه).

(١٢) من قبل آدم.

(١٣) من نار الحر الشديد النافذ في المسام. قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم

النار التي خلق الله منها الجن.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ^(١)
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ^(٢) وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ ^(٣) سَاجِدِينَ ^(٤) فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ^(٥) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ^(٦) أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ^(٧)
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ ^(٨) أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ^(٩) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ
لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ ^(١٠) مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ^(١١) قَالَ فَأَنزَلْنَاهُ مِنْهَا

(١) واذكر وقت قوله للملائكة (إني خالق بشر من صلصال من حما مسنون).

(٢) أتممت خلقته وهياتها لنفخ الروح فيها.

(٣) وجعلت فيه الروح وأحييته. وليس ثمّة نفخ وإنما هو تمثيل. والإضافة

للتخصيص.

(٤) هو أمر من وقع يقع. أي اسقطوا على الأرض. يعني اسجدوا له. ودخل الفاء لأنه

جواب (إذا). وهو دليل على أنه يجوز تقدم الأمر عن وقت الفعل.

(٥) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله (كلهم). وذكر

الكل احتمال تأويل التفرق فقطعه بقوله (أجمعون).

(٦) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جنس المستثنى

منه. وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة. قلنا غير المأمور لا يصير

بالتارك ملعونا. وقال في الكشاف: كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم

استثنى بعد التعليل كقولك: رأيتهم إلا هندا.

(٧) امتنع أن يكون معهم. و (أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد. فقيل

(أبى) ذلك واستكبر عنه. وقيل معناه ولكن إبليس أبى.

(٨) حرف الجر مع أن محذوف تقديره (مالك) في (ألا تكون مع الساجدين) أي أي غرض

لك في إباتك السجود.

(٩) اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني أن أسجد.

(١٠) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة.

فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ^(١) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ^(٢) قَالَ رَبِّ
فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ^(٣) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ^(٤)
إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ^(٥) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ ^(٦)
فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ^(٧) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ^(٨)

(١) مطرود من رحمة الله. ومعناه ملعون لأن اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها .

(٢) ضرب يوم الدين حدا للجنة لأنه أبعد غاية يضر بها الناس في كلامهم . والمراد به أنك مذموم مدعو عليك باللجنة في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب . فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه .

(٣) فأخرني .

(٤) يوم الدين . و(يوم يبعثون) و(يوم الوقت المعلوم) في معنى واحد . ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة . وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لثلاث يموت . لأنه لا يموت يوم البعث أحد . فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف .

(٥) الباء للقسم . و(ما) مصدرية . وجواب القسم (لأزوين لهم) . والمعنى أقسم يا غوائك بماي (لأزوين لهم) المعاصي . ونحو قوله (بما أغويتني لأزوين لهم) (فبعزتكم لأغوينهم) في أنه إقسام . إلا أن أحدهما إقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل . وقد فرق الفقهاء بينهما . فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين ، والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس يمين . والأصح أن الأيمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يميناً وما لا فلا . والآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال . وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر .

(٦) في الدنيا التي هي دار الغرور . أو أراد : إني أقدر على الاحتيال لأدم والتزين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزين لأولاده في الأرض أقدر .

(٧) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى . استثنى المخلصين لأنه علم أن كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه .

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
 إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾
 لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَعُيُونٍ ﴿٥﴾ آذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٦﴾ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ ﴿٧﴾

(١) أى هذا طريق حق على أن أراعيه وهو ألا يكون لك سلطان على عبادى إلا من
 اختار أتباعك منهم لغوايته. وقيل معنى (على) إلى. (على) يعقوب من علو الشرف والفضل.

(٢) الضمير للغاوين .

(٣) لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من أتباع إبليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز.
 قيل أبواب النار أطباقها وأدراكها . فأعلاها للوحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون .
 والثانى لليهود . والثالث للنصارى . والرابع للصابئين . والخامس للجوس . والسادس
 للشركين . والسابع للناققين .

(٤) وبضم العين مدنى وبصرى وحفص . المتقى على الإطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه
 مما هى عنه . وقال فى الشرح إن دخل أهل الكجائر فى قوله (لها سبعة أبواب لكل باب منهم
 جزء مقسوم) فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكجائر . وإلا فالمراد به الذين اتقوا الشرك

(٥) أى يقال لهم ادخلوها .

(٦) حال . أى سالمين أو مسلماً عليكم تسلم عليكم الملائكة .

(٧) (آمنين) من الخروج منهما والآفات فيها . وهو حال أخرى .

(٨) وهو الحقد الكامن فى القلب . أى إن كان لأحدكم غل فى الدنيا على آخر نزع الله
 ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم . وعن على رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا
 وعثمان وطلحة والزبير منهم . وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات
 فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التواد والتحاب .

إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ^(٢) لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا ^(٣)
 بِمُخْرَجِينَ ^(٤) نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ^(٥) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
 الْأَلِيمُ ^(٦) وَنَدَّبَهُمْ ^(٧) عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ^(٨) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ^(٩)
 قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ^(١٠) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ^(١١)

(١) حال .

(٢) كذلك . قيل تدور بهم الأسرة حينما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا .

(٣) (لا يمسهم) في الجنة تعب .

(٤) قيام النعمة بالخلود .

(٥) لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبدي) تقرير لما ذكر وتمكينه في النفوس . قال عليه السلام " لو يعلم العبد قدر عفو الله لما نوزع عن حرام . ولو يعلم قدر عذابه ابضع نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب " .

(٦) وأخبر أمتك . عطفته على (نبي عبدي) ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانقمامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه (هو العذاب الأليم) .

(٧) أي أضيافه . وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا . والضيف يجيء واحدا وجمعا لأنه مصدر ضافه .

(٨) أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما .

(٩) أي إبراهيم .

(١٠) خائفون لا متناعهم من الأكل أولدخولهم بغير إذن وبغير وقت .

(١١) لا تخف .

(١٢) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل . أي أنك مبشر آمن فلا توجل . وبالتخفيف وفتح النون حمزة .

(١٣) هو إسحق . لقوله في سورة هود (فبشرناها بإسحق) .

قَالَ أَبَشِّرْ مُنُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٣﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ
 إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥﴾ قَالُوا إِنَّا
 أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٦﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾

(١) أى أبشرتمنى مع مس الكبر بأن يولد لى؟ أى أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر.
 (٢) هى ما الاستفهامية داخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأى أعجوبة (تبشرون). وبكسر
 النون والتشديد مكى. والأصل تبشرونى فأدغم نون الجمع فى نون العباد ثم حذفت الياء وبيت
 الكسرة دليلا عليها. (تبشرون) بالتخفيف نافع. والأصل تبشرونى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة
 وحذف نون الجمع لاجتماع النواين. والباقون بفتح النون وحذف المفعول. والنون
 نون الجمع.

(٣) باليقين الذى لا لبس فيه.

(٤) من الآيسين من ذلك.

(٥) (قال) إبراهيم.

(٦) وبكسر النون بصرى وعلى.

(٧) إلا المخطئون طريق الصواب. أو إلا الكافرون كقوله (إنه لا يياس من روح الله
 إلا القوم الكافرون) أى لم استنكر ذلك فنوط من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى أجزاها.

(٨) فما شأنكم.

(٩) أى قوم لوط.

(١٠) يريد أهله المؤمنين. والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجماع. والمستثنى ليس
 كذلك. أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى (مجرمين) كأنه قيل (إلى قوم) قد أجزموا كلهم
 (إلا آل لوط) وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين. لأن آل لوط منحرجون فى المنقطع
 من حكم الإرسال. يعنى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا.
 ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والإهلاك.
 كأنه قيل (إننا أهلكنا قوما مجرمين. ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما فى المتصل فهم داخلون

إِلَّا أَمْرَاتِهِ قَدَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ^(٣) فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ^(١)
 قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ^(٤) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ^(٥) وَآتَيْنَاكَ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٦) فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ^(٧)
^(٨) ^(٩)

في حكم الإرسال . يعني أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء . وإذا انقطع الاستثناء جرى (إنا لمنجّوهم أجمعين) مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجّون . وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأنت إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط ؟ فقالوا (إنا لمنجّوهم) .

(١) مستثنى من الضمير المجرور في (لمنجّوهم) وليس باستثناء من الاستثناء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما أتحد الحكم فيه بأن يقول أهلكا لهم إلا آل لوط (إلا أمرأته) . وهنا قد اختلف الحكمان لأن (إلا آل لوط) متعلق بأرسلنا أو يجرمين و(إلا أمرأته) متعلق بمنجّوهم فكيف يكون استثناء من استثناء ؟ (لمنجّوهم) بالتخفيف حمزة وعلى .

(٢) وبالتخفيف أبو بكر .

(٣) الباقي في العذاب . قيل لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح إن لأنه مع اسمه وخبره مفعول (قدرنا) . ولكنه كقوله (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) . وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لهم . كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والأمر هو الملك .

(٤) أي لا أعرفكم . أي ليس عليكم زى السفر ولا أتم من أهل الحضر . فأخاف أن تطرقوني بسر .

(٥) أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله . بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بتزوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك .

(٦) باليقين من عذابهم .

(٧) (وإنا لصادقون) في الإخبار بتزوله بهم .

(٨) في آخر الليل أو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل .

(٩) وسر خلفهم لتكون مطلقا عليهم وعلى أحوالهم .

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
 الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَذُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٣﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ
 يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤﴾ قَالَ إِنَّ هَذُولَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٥﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ قَالَ هَذُولَاءِ بَنَاتِي
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

(١) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم . أو جعل النهي عن الالتفات
 كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة .

(٢) حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر .

(٣) عدى (قضينا) إلى لأنه ضمن . معنى أو حيناً كأنه قيل وأوحينا إليه مقضياً مبتوتاً .
 وفسر ذلك الأمر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) . وفي إيهامه وتفسيره تفخيم للأمر .
 ودابرهم آخرهم ، أى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد .

(٤) وقت دخولهم في الصبح . وهو حال من هؤلاء .

(٥) سدوم التي ضرب بقاضيا المثل في الجور .

(٦) (يستبشرون) بالملاكمة طمعا منهم في ركوب الفاحشة .

(٧) (قال) لوط .

(٨) (فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لأن من أساء إلى ضيفي فقد أساء إلى .

(٩) أى ولا تذأوني بإذلال ضيفي . من الخزى وهو الهوان . وبالباء فهما يعقوب .

(١٠) عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم . فأنهم كانوا يتعرضون لكل أحد . وكان عليه
 السلام يقوم بالنهي عن المنكر والمجزم بينهم وبين المتعرض له . فأوصدوه وقالوا (لئن لم تنته
 يالوط لتكونن من المخرجين) . أو عن ضيافة الغرباء .

(١١) فانكحوهن ولا تتعرضوا لهم . وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزاً .

إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢﴾ فَأَخَذْتَهُمْ
 الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ
 سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٥﴾ وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٦﴾ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَّالِمِينَ ﴿٨﴾

(١) (إن كنتم فاعلين) إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم . فقالت
 الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك إنهم لفي سكرتهم) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم
 وتميزهم بين الخطأ الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات .
 (يعمهون) يتخبرون فكيف يقبلون قولك و يصفون إلى نصيحتك؟ أو الخطأ لرسول الله صلى
 عليه وسلم . وهو قسم بحياته ، وما أقسم بحياة أحد قط ، تعظيماً له . والعمر والعمر واحد . وهو البقاء
 إلا أنهم خصوا القسم بالفتوح إيثارا للاخف لكثرة دور الخائف على ألسنتهم . ولذا حذفوا
 الخبر . وتقديره لعمرك قسمي .

(٢) صيحة جبريل عليه السلام .

(٣) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس .

(٤) رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها . والضمير لقرى قوم لوط .

(٥) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهرة .

(٦) وإن هذه القرى يعنى آثارها .

(٧) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد . وهم يبصرون تلك الآثار . وهو تنبيه لقريش
 كقوله (وإنكم لتمترون عليهم مصبحين وبالليل) .

(٨) لأنهم المتفعون بذلك .

(٩) وإن الأمر والشأن (كان أصحاب الأيكة) أى الفيضة وهم قوم شعيب عليه السلام .

(١٠) لكافرين .

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمُ ^(١) وَإِنَّمَا لِكَلِمَةٍ ^(٢) لَيْسَ بِإِمَامٍ ^(٣) مُبِينٍ ^(٤) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ ^(٥)
 الْمُرْسَلِينَ ^(٦) وَعَآدَيْنَهُمْ ^(٧) فَأَيَّتْنَا فَكَانُوا عَنْهَا ^(٨) مُعْرِضِينَ ^(٩) وَكَانُوا يَتَّخِذُونَ مِنَ
 الْجِبَالِ ^(١٠) بُيُوتًا ^(١١) آمِنِينَ ^(١٢) فَآخَذْتَهُمُ ^(١٣) الصَّيْحَةُ ^(١٤) مُصْبِحِينَ ^(١٥) فَمَا ^(١٦) أَغْنَىٰ عَنْهُمْ
 مَا ^(١٧) كَانُوا يَكْسِبُونَ ^(١٨) وَمَا ^(١٩) خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ ^(٢٠) وَالْأَرْضَ ^(٢١) وَمَا ^(٢٢) بَيْنَهُمَا ^(٢٣) إِلَّا بِالْحَقِّ

(١) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا .

(٢) يعنى قرى قوم لوط والايكة .

(٣) بطريق واضح . والإمام اسم ما يؤتم به فسعى به الطريق . ومطمع البناء لأنهما مما يؤتم به .

(٤) هم ثمود . والحجر واديهم . وهو بين المدينة والشام .

(٥) يعنى بتكذيبهم صالحا لأن كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرسول جميعا . فمن

كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا . أو أراد صالحا ومن ٤٠٠ من المؤمنين كما قيل "الحيييون"
 فى ابن الزبير وأصحابه .

(٦) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها .

(٧) أى ينقبون فى (الجبال بيوتا) أو يدنون من الحجارة .

(٨) (آمنين) لوثاقه البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن تقب اللصوص والأعداء . أو

(آمنين) من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه .

(٩) العذاب .

(١٠) فى اليوم الرابع وقت الصبح .

(١١) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الأموال الفيسة .

(١٢) إلا خلقنا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا . أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء

على الأعمال .

وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ^(٣) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ ^(٤)
 الْعَلِيمُ ^(٥) وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا ^(٦) مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ^(٨)

(١) أى القيامة لتوقعها كل ساعة .

(٢) وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك .

(٣) فأعرض عنهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء . قيل هو منسوخ بآية السيف . وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا .

(٤) الذى خلقك وخلقهم .

(٥) (العليم) بحالك وحالم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم .

(٦) أى سبع آيات . وهى الفاتحة . أو سبع سور . وهى الطوال . واختلف فى السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما . وقيل سورة يونس . أو أسباع القرآن .

(٧) هى من التثنية وهى التكرير . لأن الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة . أو من الشاء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله . الواحد مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الشاء كأنها تثنى على الله . وإذا جعلت أسبع مثنى فن للتبيين . وإذا جعلت القرآن مثنى فن للتبعيض .

(٨) هذا ليس بعطف الشئ على نفسه لأنه إذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل . دليله قوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) يعنى سورة يوسف . وإذا أريد به الأسباع فالمعنى (ولقد آتيناك) ما يقال له السبع المثنى (والقرآن العظيم) أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الشاء والعظم .

لَا تَمُدَّتْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ^(٣)
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ^(٤) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ^(٥)
 كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ^(٥) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ^(٥)

(١) أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له .

(٢) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس . يعنى قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وإن عظمت فهى إليها حقيرة وهى القرآن العظيم . فعليك أن تستغنى به ولا تمدت عينيك إلى متاع الدنيا . وفى الحديث "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" . وحديث أبى بكر : من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيمًا وعظم صغيراً .
 (٣) أى لا تتمن أموالهم (ولا تحزن عليهم) أنهم لم يؤمنوا فيتنقوى بمكانهم الإسلام والمسلمون .
 (٤) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفساً عن إيمان الأغنياء . (وقل) لهم (إنى أنا النذير المبين) أنذركم بيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم .

(٥) (كما أنزلنا على المقتسمين) متعلق بقوله (ولقد آتيناك) أى أنزلنا عليك مثل (ما أنزلنا على المقتسمين) . وهم أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء — جمع عضه وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء — حيث قالوا بعنادهم : بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل ، وبعضه باطل مخالف لها . فاقسموه إلى حق وباطل وعضوه . وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ، ويقول الآخرون سورة آل عمران لى . أو أريد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه : فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض ، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض .

ويجوز أن يكون (الذين جعلوا القرآن عضين) منصوباً بالندير أى أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير ، مثل ما أنزلنا على المقتسمين — وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدها فى كل مدخل متفرقين لينتفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول بعضهم : لا تغفروا بالخارج منا فإنه ساحر ، ويقول الآخرون كذاب والآخرون شاعر . فأهلكهم الله .

و (لا تمدت عينيك) على الوجه الأول اعتراض بينهما لأنه لما كان ذلك تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدد لمعنى التسليية من النهى عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ، ومن الأمر بأن يقبل بكليته على المؤمنين .

فَوَرِّبِكَ لِنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ
صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٦﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧﴾
وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٨﴾

(١) أقسم بذاته ور وبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في القرآن أو في كتب الله .

(٢) فاجهر به وأظهره . يقال صدع بالجمحة إذا تكلم بها جهارا من الصديق وهو الفجر .
أو (فاصدع) فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجه وهو الإبانة (بما تؤمر) . والمعنى (بما تؤمر) به من الشرائع فخذف الجاز كقوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به .
(٣) هو أمر استهانة بهم .

(٤) الجمهور على أنها نزلت في خمسة نفر كانوا يببالغون في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فأهلكهم الله . وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بشوبه سهم فأصاب سرقا في عقبه فقطعه فمات ، والعاص بن وائل دخل في أنخمه شوكه فانتفخت رجله فمات ، والأسود بن عبد المطلب عمي ، والأسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ، والحريث بن قيس امتخط قيحا ومات .

(٥) (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة .

(٦) (بما يقولون) فيك ، أو في القرآن ، أو في الله .

(٧) فافزع فيما نابك إلى الله — والفرزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود — يكفك ويكشف عنك الغم .

(٨) ودم على عبادة ربك .

(٩) أى الموت . يعنى ما دمت حيا فاشغل بالعبادة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

سورة النحل مكية

وهي مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يَنْزِلُ
 الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾

(١) كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد ، فقيل لهم (أتى أمر الله). أى هو بمنزلة الآتى الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه .

(٢) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم . فإما موصولة أو مصدرية .
 واتصال هذا باستعجالهم من حيث إن استعجالهم استهزاء وتكذيب ، وذلك من الشرك .
 (٣) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو .

(٤) بالوحى أو بالقرآن لأن كلا منهما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد ، أو يجيى القلوب الميتة بالجهل .

(٥) (أن) مفسرة لأن تنزىل الملائكة بالوحى فيه معنى القول . ومعنى (أنذروا أنه لا إله إلا أنا) أعلموا بأن الأمر ذلك ، من نذرت بكذا إذا علمته . والمعنى أعلموا الناس قولى (لا إله إلا أنا) .

(٦) نفاقون . وبالياء يعقوب .

(٧) وبالتاء فى الموضوعين حمزة وعلى . دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكرتما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق) ؛ وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) ،

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَاللَّائِمَاتُ يَخْلُقْنَهَا
 لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
 تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٣﴾ وَتَجْمَلُ أُنْقَالِكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ

وخلق ما لا بد له منه من البهائم لأكله وركوبه وحمل أنقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والأنعام خلقها لكم)، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلأقه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون). ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره .

(١) أى فإذا هو منطبق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لخطته بعد ما كان نطفة لا حس به ولا حركة . أو فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل (من يحيى العظام وهى رميم)؟ وهو وصف للإنسان بالوقاحة والتحدى فى كفران النعمة .

(٢) هى الأزواج الثمانية وأكثر ما يقع على الإبل . وانتصابها بمضمرة يفسره الظاهر كقوله (والقمر قدرناه منازل). أو بالعطف على الإنسان . أى خلق الإنسان والأنعام . ثم قال (خلقها لكم) أى ما خلقها إلا لكم يا جنس الإنسان .

(٣) هو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر .

(٤) وهى نسلها ودرتها .

(٥) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص — وقد يؤكل من غيرها — لأن الأكل منها هو الأصل الذى يعتمد عليه الناس فى معاشهم . وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به كالجارى مجرى التفكه .

(٦) (ولكم فيها جمال حين) تردونها من مراعيها إلى مراعيها بالعشى (وحين) ترسلونها بالغداء إلى مسارحها . من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشى ، لأن الرعيان إذا رويها بالعشى وسرحوها بالغداء ترينت بإراحتها وتسريحها الألفية وتفرحت أربابها وكسبتهم الجاه والحرمه عند الناس . وإنما قدمت الإراحة على التسريح لأن الجمال فى الإراحة أظهر إذا أقبلت ملائى البطون حافلة الضروع .

(٧) أحملكم .

إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ^(٢) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٣) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ
وَأَوْ شَاءَ هَدَدَكُمْ^(٦) أَجْمَعِينَ^(٧) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ

(١) وفتح الشين أبو جعفر . وهما لغتان في معنى المشقة . وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا . وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع . وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد . والمعنى (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه) لو لم تخلق الإبل إلا يجهد ومشقة ، فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم . أو معناه (لم تكونوا بالفيه) بها (الآ بشق الأنفس) . وقيل أثقالكم أبدانكم . ومنه الثقلان للجن والإنس . ومنه (وأخرجت الأرض أثقالها) أي بني آدم .

(٢) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح .

(٣) (والخيل) عطف على (الأنعام) . أي وخلق هذه للركوب والزينة . وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل بأنه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام ومنفعة الأكل أقوى . والآية سقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما . وانتصاب (زينة) على المفعول له عطفا على محل (لتركبوها) .

(٤) المراد به الجنس . ولذا قال (ومنها جائر) . والقصد مصدر بمعنى الفاعل . وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم . كأنه يقصد الوجه الذي يؤمّه السالك لا يعدل عنه . ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق ، عليه . كقوله (إن علينا للهدى) . وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا . وقيل معناه وإلى الله . وقال الزجاج : معناه (وعلى الله) تبين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج .

(٥) أي من السبيل مائل عن الاستقامة .

(٦) أراد هداية اللطف بالتوفيق والإتمام بعد الهدى العام .

(٧) (لكم) متعلق بأنزل . أو خبر لشراب . وهو ما يشرب .

وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ^(١) ﴿٢﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
 وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ آثْمَاتٍ^(٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^(٤) ﴿٣﴾ وَسَخَّرَ
 لَكُمْ^(٥) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ^(٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^(٧) ﴿٤﴾ وَمَا ذَرَأْنَا^(٨) لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا^(٩) إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ^(١٠) ﴿٥﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِمَا كَلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا^(١١)

(١) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى .

(٢) من سامت المشية إذا رعت فهى سائمة . وأسامها صاحبها . وهو من السومة . وهى العلامة . لأنها تؤثر بالرعى علامات فى الأرض .

(٣) ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا فى الجنة وإنما أنبت فى الأرض بعض من كلها للتذكرة .

(٤) فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته . والآية الدلالة الواضحة .

(٥) ينصب الكل على (و) جعل (النجوم مسخرات) . (والنجوم مسخرات) فقط —
 حفص . (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) شامى على الابتداء والخبر .

(٦) جمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة .

(٧) معطوف على (الليل والنهار) . أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك .

(٨) حال .

(٩) يتعظون .

(١٠) هو السمك . ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيؤكل سريعاً طرياً خيفة الفساد . وإنما لا يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحماً ، لأن مبنى الإيمان على العرف . ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحماً بقاء بالسمك كان حقيقاً بالإنكار .

وَلَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
 فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ
 وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٧﴾ وَعَلَّمَتِ الْبِالْيَمِّ هُم يَهْتَدُونَ ﴿٨﴾

(١) هي اللؤلؤ والمرجان .

(٢) المراد بلبسهم لبس نساءهم . ولكنتن إمتا يتزين بها من أجلهم فكأنها زيتهم
 وإباسهم .

(٣) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا . والمخرشق الماء بجزومها .

(٤) في البحر .

(٥) هو عطف على محذوف أى لتعتبروا (ولتبتغوا) . وابتغاء الفضل التجارة .

(٦) (تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به .

(٧) جبالا ثوابت .

(٨) كراهية أن تميل بكم وتضطرب ، أولئلا تميد بكم . لكن حذف المضاف أكثر . قيل
 خلق الله الأرض فجعلت تميد . فقالت الملائكة : ما هي بمقر أحد على ظهرها . فأصبحت وقد
 أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت .

(٩) (و) جعل فيها (أنهارا) لأن (ألقى) فيه معنى جعل .

(١٠) طرقا .

(١١) (لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم ، أو إلى توحيد ربكم .

(١٢) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك .

(١٣) المراد بالنجم الجنس ؛ أو هو الثريا ، والفرقدان ، وبنات نعش ، والجدى . فإن
 قلت (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب ، مقدم فيه النجم ، مقحم فيه (هم) ، كأنه
 قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون . فمن المراد بهم ؟ قلت كأنه أراد قريشا فلهم
 اهتداء بالنجوم في مسائرهم ولم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم
 والاعتبار ألزم لهم فخصصوا .

أَفَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٣) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَّا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٤) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ^(٥)
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ^(٦)
أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ^(٧) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ^(٨)

(١) أى الله تعالى .

(٢) أى الأصنام . وجرى بمن الذى هو لأولى العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولى العلم ، أو لأن المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده ؟ وإنما لم يقل أفن لا يخلق كمن يخلق — مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه لإلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله — لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشيها بها ، فأفكر عليهم ذلك بقوله (أفن يخلق كمن لا يخلق) . وهو حجة على المعتزلة فى خلق الأفعال .

(٣) فتعرفون فساد ما أتم عليه .

(٤) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر . وإنما أتبع ذلك ما عدت من نعمه تنبيها على أن ما وراءها لا ينحصر ولا يعد .

(٥) يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم .

(٦) يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم . وهو وعيد .

(٧) والآلهة الذين يدعوهم الكفار . وبالتناء غير عاصم .

(٨) أى هم (أموات) .

(٩) نفى عنهم خصائص الإلهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث ، وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث . ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك . والضمير فى (يبعثون) للداعين ، أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم . وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم ؟ وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث .

(١٠) أى ثبت بما مر أن الإلهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد .

فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢﴾
 لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٣﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ لِيَحْمِلُوا
 أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ
 مَا يَزِرُونَ ﴿٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ

(١) منكرة) للوحدانية .

(٢) وهم مستكبرون) عنها وعن الإقرار بها .

(٣) حقاً .

(٤) أى سرهم وعلايتهم فيجازيهم . وهو وعيد .

(٥) (المستكبرين) عن التوحيد . يعنى المشركين .

(٦) لهؤلاء الكفار .

(٧) (ماذا) منصوب بأنزل، أى أى شىء (أنزل ربكم). أو مرفوع على الابتداء أى أى شىء أنزله ربكم. و(أساطير) خبر مبتدأ محذوف. قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينقرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا (أساطير الأولين) أى أحاديث الأولين وأباطيلهم . واحديثها أسطورة . وإذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه نبي . فهم الذين قالوا خيراً .

(٨) أى قالوا ذلك إضلالاً للناس فحملوا أوزارهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان . واللام للتعليل .

(٩) حال من المفعول . أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال .

(١٠) محل (ما) رفع .

(١١) أى من جهة القواعد وهى الأساطين . وهذا ممثيل . يعنى أنهم سقوا منصوبات ليكروا بها رسل الله بفعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه

فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ آيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ
 عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا
 السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾
 فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤﴾

بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعفت فسقط عليهم السقف وماتوا وهاكوا .
 والجمهور على أن المراد به نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع
 وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخرت عليه وعلى قومه فهلكوا . (فأتى الله) أى أمره بالاستئصال .

(١) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون .

(٢) يذلمهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا .

(٣) على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوثقهم بها على طريق الاستهزاء بهم .

(٤) تبادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم (تשאقون) نافع أى تشاقونى فيهم ، لأن مشاقفة

المؤمنين كأنها مشاقفة الله .

(٥) أى الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعوهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا ياتفون

إليهم ويشاقونهم . يقولون ذلك شتمة بهم . أو هم الملائكة .

(٦) الفضيحة .

(٧) العذاب .

(٨) وبالياء حمزة وكذا ما بعده .

(٩) ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله .

(١٠) (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام ، أى أختبوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه

في الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجمدوا ما وجد منهم من الكفران

والعداوة . فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بل إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيك عليه . وهذا

أيضا من الشتمة . وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم .

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ
 الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ
 يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
 ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣)

(١) (اتقوا) الشرك .

(٢) وإنما نصب هذا ورفع أساطير، لأن التقدير هنا أنزل (خيرا) فأطبقوا الجواب على السؤال . وثمة التقدير هو (أساطير الأوثان) فعدلوا بالجواب عن السؤال .

(٣) أى آمنوا و عملوا الصالحات أو قالوا (لا إله إلا الله) . وهو بدل من (خيرا) حكاية لقول الذين اتقوا . أى قالوا هذا القول . فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه . أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة إحسانهم .

(٤) بالرفع أى ثواب وأمن وغنيمة .

(٥) أى لهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله (فأناهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) .

(٦) دار الآخرة . فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره .

(٧) خبر لمبتدأ محذوف . أو هو المخصوص بالمدح .

(٨) حال .

(٩) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه فى مقابلة (ظالمى أنفسهم) .

(١٠) قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال : السلام عليك ياولى الله

الله يقرأ عليك السلام . ويبشره بالجنة .

(١١) بعملكم . يقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) .

(١٢) ما ينتظر هؤلاء الكفار .

(١٣) (إلا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم . وبالياء على وحمة .

أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ
 مِنْ شَيْءٍ تَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا
 فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى
 اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

(١) أى العذاب المستأصل أو القيامة .

(٢) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب .

(٣) (وما ظلمهم الله) بتدميرهم .

(٤) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير .

(٥) جزاء سيئات أعمالهم .

(٦) وأحاط بهم جزاء استهزائهم .

(٧) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صواباً .

(٨) يعنى البحيرة والسائبة ونحوهما .

(٩) أى كذبوا الرسل وحرّموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء

(١٠) إلا أن يبلغوا الحقّ ويطعموا على بطلان الشرك وقبحه .

(١١) بأن وحدوه .

(١٢) الشيطان ، يعنى طاعته .

(١٣) لاختيارهم الهدى .

(١٤) أى لزمته لاختياره إياها .

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ^(١) إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَيَّ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ
يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ^(٢) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ
مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(٣) لِيُبَيِّنَ
لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ^(٤) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ^(٥)
إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ^(٦)

(١) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم .

(٢) يفتح الياء وكسر الدال كوفي . الباقون بضم الياء وفتح الدال . والوجه فيه أن
(من يضل) مبتدأ و (لا يهدي) خبره . ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم
على إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة .

(٣) (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم .

(٤) معطوف على (وقال الذين أشركوا) .

(٥) هو إثبات لما بعد النفي ، أى بلى يبعثهم .

(٦) هو مصدر مؤكد لما دل عليه (بلى) لأن يبعث موصد من الله وبين أن الوفاء بهذا

الوعد حق .

(٧) (لا يعلمون) أن وعده حق أو أنهم يبعثون .

(٨) متعلق بما دل عليه (بلى) أى يبعثهم (ليبين لهم) ، والضمير لمن يموت وهو يشمل

المؤمنين والكافرين .

(٩) هو الحق .

(١٠) (كاذبين) فى قولهم (لا يبعث الله من يموت) .

(١١) (فيكون) أى فهو يكون . وبالنصب شامى وعلى على جواب كن . (قولنا) مبتدأ

و (أن نقول) خبره و (كن فيكون) من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود . أى إذا أردنا

وجود شىء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف . وهذه عبارة عن سرعة

الإيجاد ، تبين أن مرادنا لا يمنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود الأمور به

عد أمر الأمر المطاع إذا ورد على الأمور المطيع الممثل ، ولا قول ثم . والمعنى أن إيجاد كل

مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات ؟

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوئِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
 فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
 إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

(١) في حقه ولو جهه .

(٢) هم رسول الله وأصحابه . ظلمهم أهل مكة فمتمروا بدينهم إلى الله . منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بجمع بين المهاجرين ومنهم من هاجر إلى المدينة .

(٣) صفة للصدر، أي تبوءة (حسنة) . أو (لنبوئتهم) مباءة حسنة وهي المدينة حيث آوهم أهلها ونصروهم .

(٤) الوقف لازم عليه لأن جواب (لو) محذوف . والضمير للكفار . أي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين . أو للمهاجرين أي (لو كانوا يملعون) زادوا في اجتهادهم وصبرهم .

(٥) أي هم (الذين صبروا) أو أعنى الذين صبروا . وكلاهما مدح . أي صبروا على مفارقة الوطن — الذي هو حرم الله المحبوب في كل قاب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم؟ — وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله .

(٦) أي يفوضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله .

(٧) (يوحى إليهم) على السنة الملائكة . (نوحى) حفص .

(٨) أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا . وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبه للغافلين .

(٩) أي والمعجزات والكتب . والباء تتعلق برجالا صفة له ، أي رجالا ملتبسين بالبينات . أو أرسلنا مضمرا كأنه قيل : بم أرسل الرسل ؟ فقيل بالبينات . أو يوحى ، أي يوحى إليهم بالبينات . أو بلا تعلمون . وقوله (فاسألوا أهل الذكر) اعتراض على الوجوه المتقدمة .

(١٠) القرآن .

لِتَبِينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا
السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمْ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
عَلَى تَحْوِيفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ يَتَفَتِّهُوا ظِلًّا عَنِ الْيَمِينِ وَالْأَشْمَالِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٥﴾

- (١) (ما نزل إليهم) في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا .
(٢) (ولعلهم يتفكرون) في تنبيهاته فينتبهوا .
(٣) أى المكرات السيئات . وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام
(٤) كما فعل بمن تقدمهم .
(٥) أى بغتة .
(٦) متقلبين فى مسائرهم ومتاجرهم .
(٧) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون
متوقعون . وهو خلاف قوله (من حيث لا يشعرون) .
(٨) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم . والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم
فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم .
(٩) وبالتاء حمزة وعلى وأبو بكر .
(١٠) (ما) موصولة بخالق الله وهو مبهم ببيانه (من شيء) .
(١١) أى ترجع من موضع إلى موضع . وبالتاء بصرى .
(١٢) أى الأيمان .
(١٣) جمع شمال .
(١٤) حال من الظلال . عن مجاهد "إذا زالت الشمس سجد كل شيء" .
(١٥) صاغرون . وهو حال من الضمير فى (ظلاله) لأنه فى معنى الجمع . وهو ما خلق الله من
كل شيء له ظل . وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لآلئها فى جملة

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢﴾
 وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٣﴾

ذلك من يعقل فغلب . والمعنى أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيمية
 عن أيمانها وشمائلها، أى ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة الله تعالى غير متمتعة عليه فيما
 سخرها له من التقيؤ . والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير متمتعة .

(١) (من) بيان لما في السموات وما في الأرض جميعا، على أن في السموات خلقا يدبون
 فيها كما تدب الأناسى في الأرض . أو بيان لما في الأرض وحده . والمراد بما في السموات
 ملائكتهم ، وبقوله (والملائكة) ملائكة من الحفظة وغيرهم . قيل المراد بسجود المكلفين
 طاعتهم وعبادتهم ، وسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله . ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا . فلذا
 جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد . وجيء بما إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم . ولو جيء بمن لتنازل
 العقلاء خاصة .

(٢) هو حال من الضمير في (لا يستكبرون) أى لا يستكبرون خائفين .

(٣) إن علقته يخافون فعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم . وإن علقته برهبهم
 حالا منه فعناه (يخافون ربهم) غالبا لهم قاهرا كقوله (وهو القاهر فوق عباده) .

(٤) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى وأتهم بين الخوف
 والرجاء .

(٥) فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي
 رجال ثلاثة ، لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص . فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما
 دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان . قلت الاسم الحامل للمعنى
 الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص ؛ فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى
 به منهما هو العدد شفع بما يؤكد فدلّ به على القصد إليه والعناية به ؛ ألا ترى أنك لو قلت
 إنما هو إله ولم تؤكد بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية .

(٦) نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترغيب
 من قوله فيآه فارهبوا . (فارهبوني) يعقوب .

وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاٰصِبًا اَفْغِيْرَ اَللّٰهُ نَتَقُوْنَ ﴿١﴾
 وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اَللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْعُرُوْنَ ﴿٢﴾ ثُمَّ اِذَا
 كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ اِذَا فَرِيْقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُوْنَ ﴿٣﴾ لِيَكْفُرُوْا بِمَا
 ءَاتَيْنٰهُمْ فَمَتَمَوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴿٤﴾ وَيَجْعَلُوْنَ لِمَا لَا يَعْلَمُوْنَ نَصِيْبًا
 مِّمَّا رَزَقْنٰهُمْ تَاللّٰهِ لَلَّذِيْنَ لَمْ نَسْئَلْهُ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُوْنَ ﴿٥﴾ وَيَجْعَلُوْنَ لِلّٰهِ الْبَنٰتِ

(١) (وله الدين) أى الطاعة (واصبًا) واجبا ثابتا لأن كل نعمة منه . فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه . وهو حال عمل فيه الظرف . أو (وله) الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب .

(٢) وأى شىء اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (ف) هو (من الله) .

(٣) المرض والفقر والجذب .

(٤) فما تضرعون إلا إليه . والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة .

(٥) الخطاب فى (وما بكم من نعمة) إن كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة . وإن كان الخطاب للمشركين فقولهم (منكم) للبيان لا للتبعيض . كأنه قال فإذا (فريق) كافر وهم أتم . ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقولهم (فلما نجأهم إلى البر ففهم مقتصد) .

(٦) (بما آتيناكم) من نعمة الكشف عنهم — كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة . ثم أوعدهم فقال : (فتمتموا فسوف تعلمون) هو عدول إلى الخطاب على التهديد .

(٧) (لما لا يعلمون) أى لألهتهم . ومعنى (لا يعلمون) أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله ، وليس كذلك لأنها جماد لا تضر ولا تنفع . أو الضمير فى (لا يعلمون) للآلهة أى لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا . وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم .

(٨) وعيد .

(٩) (عما كنتم تفترون) من أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها .

(١٠) كانت خزاة وكناية تقول : الملائكة بنات الله .

سَبَّحْنَهُ ^(١) وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ^(٢) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ ^(٣)
 مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ^(٤) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ^(٥)
 أَيَمْسِكُ ^(٦) عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ ^(٧) فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ^(٨) لِلَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ ^(٩) وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ^(١٠) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(١١)

(١) تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه ، أو تعجب من قولهم .

(٢) يعنى البنين . ويجوز فى (ما) الرفع على الابتداء و(لهم) الخبر . والنصب على العطف على البنات ، و(سبحانه) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . أى وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور .

(٣) أى صار . فظل ، وأمسى ، وأصبح ، وبات ، تستعمل بمعنى الصيرورة لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره معتماً مسوداً الوجه من الكآبة والحياء من الناس .

(٤) مملوء حنقا على المرأة .

(٥) يستخفى منهم من أجل سوء المبرهه ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشره على هون وذلل أم يثده .

(٦) حيث يعملون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويعملون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف .

(٧) صفة السوء وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق .

(٨) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين .

(٩) الغالب فى تنفيذ ما أراد (الحكيم) فى إهمال العباد .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ (١) وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ
 أَجَلٍ مُّسَمًّى (٢) فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣﴾
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ
 أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٤﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ (٥)
 (٦)

(١) (ولو يؤاخذ الله الناس) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك) على الأرض (من دابة) قط،
 ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين. عن أبي هريرة رضى الله عنه «إن الحبارى لتموت في وكرها
 بظلم الظالم». وعن ابن مسعود رضى الله عنه «كاد يجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم». .
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما (من دابة) من مشرك يدب .

(٢) أى أجل كل أحد . أو وقت تقتضيه الحكمة . أو القيامة .

(٣) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، ومن شركاء في رياستهم، ومن الاستخفاف برسالهم.
 ويجعلون له أزدل أموالهم ولأصنامهم أكرمها .

(٤) (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك . أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) (عند الله
 وهى الجنة إن كان البعث حقاً كقوله (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده
 للحسنى) . و(أن لهم الحسنى) بدلا من الكذب .

(٥) (مُفْرَطُونَ) نافع . (مُفْرَطُونَ) أبو جعفر ، فالفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون
 إليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء إذا قدمته ، أو منسيون متروكون من أفرطت
 فلانا خلفى إذا خلفته ونسيته . والمكسور الخفف من الإفراط فى المعاصى . والمشدد من
 التفريط فى الطاعات أى التقصير فيها .

(٦) أى أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من الأمم .

فَزَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣)
 وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ
 الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٥) وَإِنَّ لَكُمْ
 فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا (٦)
 (٧)

(١) من الكفر والتكذيب بالرسول .

(٢) أى قرينهم فى الدنيا تولى إضلالهم بالغرور . أو الضمير لمشركى قريش . أى زين
 للكفر قريشهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم . أو هو على حذف المضاف أى فهو ولي
 أمثالهم اليوم .

(٣) (ولهم عذاب أليم) فى القيامة .

(٤) القرآن .

(٥) للناس .

(٦) هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به .

(٧) معطوفان على محل (لتبين) إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذى
 أنزل الكتاب . ودخلت اللام على (لتبين) لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل .

(٨) (يسمعون) سماع إنصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع .

(٩) وفتح النون نافع وشامى وأبو بكر . قال الزجاج: سقيته وأسقيته بمعنى واحد . ذكر
 سيويه الأنعام فى الأسماء المفردة الواردة على أفعال ، ولذا رجع الضمير إليه مفردا . وأما
 (فى بطونها) فى سورة المؤمنين فلا ت معناه الجمع . وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة؟ فقال
 (نسقيكم مما فى بطونه) .

(١٠) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبنى
 أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة ، بل هو خالص من ذلك كله . قيل إذا أكلت البهيمة
 العلف فاستقرت فى كرشها طبخته فكان أسفل فرثا وأوسطه لبنا وأعلى دما . والكبد مسطرة

سَاءِ غَاً لِلشَّرِبِينَ ^(١) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ^(٢)
 وَرِزْقًا حَسَنًا ^(٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ^(٤) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
 النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي ^(٥) مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ^(٦)

على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر . وفي ذلك عبرة لمن اعتبر . وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم .

(١) سهل المرور في الحلق . ويقال : لم يغص أحد باللبن قط .

و (من) الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها ، والثانية لابتداء الغاية .

(٢) يتعلق بمخدوف تقديره (و) نسقيكم (من ثمرات النخيل والأعناب) أى من عصيرها . وحذف لدلالة (نسقيكم) قبله عليه . و (تتخذون منه سكرًا) بيان وكشف عن كنه الإسقاء . أو تتخذون . و (منه) من تكرير الظرف للتوكيد . والضمير في (منه) يرجع إلى المضاف المخدوف الذى هو العصير . والسكر الخمر . سميت بالمصدر من سكر سكرًا وسكرًا نحو رشدًا ورشدا . ثم فيه وجهان أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة . وثانيهما أن يجمع بين العناب والتمرة . وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد . وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله إلى حد السكر . ويحتجان بهذه الآية ويقولون عليه السلام "الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب" وبأخبار جمة .

(٣) هو الخلل والرُّبّ والتمر والزبيب وغير ذلك .

(٤) وألهم .

(٥) (أن) هى أن المفترسة لأن الإيحاء فيه معنى القول . قال الزجاج : واحد النحل نخلة كنخل ونخلة . والتأنيث باعتبار هذا .

(٦) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التى تعسل فيها و (من) فى (من الجبال) و (من الشجر ومما يعرشون) للتبعيض لأنها لا تبني بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش . والضمير فى (يعرشون) للناس . وبضم الراء شامى وأبو بكر .

ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا
 شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَقَّكُمْ وَنَمَّا يَتَفَكَّرُونَ ﴿٨﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّكُمْ إِلَى آرْذَلِ الْعَمْرِ
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

(١) أى ابني البيوت ثم كل كل ثمرة تشتهيها .

(٢) فإذا أكلتها فادخلي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل . أو إذا أكلت
 الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك (فاسلكي) إلى بيوتك راجعة (سبل ربك) لاتضلين فيها .

(٣) جمع ذلول . وهي حال من السبل لأن الله تعالى ذلها وسهلها ، أو من الضمير
 في (فاسلكي) أى وأنت ذلل متقادة لما أمرت به غير ممتنعة .

(٤) تلقيه من فيها ، يريد العسل لأنه مما يشرب .

(٥) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها .

(٦) لأنه من جملة الأدوية النافعة . وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل .
 وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك . وتذكيره لتعظيم الشفاء الذي
 فيه ، أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخص . وشكا رجل استطلاق بطن أخيه
 فقال عليه السلام : اسقه عسلا . بجاءه وقال زاده شرا . فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن
 أخيك . اسقه عسلا ، فسقاه فصبح . وعن ابن مسعود رضي الله عنه : العسل شفاء من كل داء
 والقرآن شفاء لما في الصدور . فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل . ومن بدع الروافض أن المراد
 بالنحل على وقومه . وعن بعضهم أن رجلا قال عند المهدي : آتني النحل بنو هاشم يخرج من
 بطونهم العلم . فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم . فضحك
 المهدي . وحدث به المنصور فاتخذة أضحوكة من أصحابيكم .

(٧) (يتفكرون) في عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أعطى
 أولى العقول عقولهم .

(٨) بقبض أرواحكم من أبدانكم .

(٩) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون .

لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ^(١) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ^(٢) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ^(٣) أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ^(٤) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ^(٥) أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ^(٦) وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ^(٧)

(١) لينسى ما يعلم . أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه .

(٢) (عليم) بحكم التحويل إلى الأردل من الأكل أو إلى الإفناء من الإحياء، (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء .

(٣) أى جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مما يليكم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضّلوا) في الرزق يعنى الملاك (برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء) . فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساواوا في الملبس والمطعم . (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره (فما الذين فضّلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) فيستوا مع عبيدهم في الرزق .

أو هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء . فقال لهم : أتم لا تسون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم . فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء ؟

(٤) وبالتاء أبو بكر . فجعل ذلك من جملة جحود النعمة .

(٥) أى من جنسكم .

(٦) جمع حافد . وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة . ومنه قول القانت "وإليك نسعى وتحفد" . واختلف فيه فقيل هم الأختان على البنات . وقيل أولاد الأولاد . أو المعنى (و) جعل لكم (حفدة) أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم .

(٧) أى بعضها لأن كل الطيبات فى الجنة وطيبات الدنيا انموزج منها .

أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴿٤﴾ عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ﴿٥﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

(١) هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها .

(٢) أى الإسلام .

أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم . أو الباطل ما يسؤل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما . ونعمة الله ما أحل لهم .

(٣) (ما لا يملك لهم رزقا) أى الصنم وهو جحد لا يملك أن يرزق شيئا . فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق . فإن أردت المصدر نصبت به (شيئا) أى لا يملك أن يرزق شيئا . وإن أردت المرزوق كان (شيئا) بدلا منه أى قليلا . و (من السموات والأرض) صلة للرزق إن كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا ، وصفة إن كان اسما لما يرزق .

(٤) الضمير لما ، لأنه فى معنى الآلهة بعد ما قال (لا يملك) على اللفظ . والمعنى

لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم .

(٥) فلا تجعلوا لله مثلا فإنه لا مثل له . أى فلا تجعلوا له شركاء .

(٦) (يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأتم لا تعلمون) ذلك ، أو (إن الله يعلم) كيف يضرب الأمثال (وأتم لا تعلمون) ذلك . والوجه الأول . ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) .

(٧) هو بدل من (مثلا) .

(٨) مصدران فى موضع الحال . أى مثلكم فى إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء . وقيد بالمملوك لتمييزه من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا إذ هما من عباد الله . و (لا يقدر على شيء) ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف . (ومن) موصوفة أى وحرًا رزقناه ليطابق عبدا ، أو موصولة .

(٩) جمع الضمير لإرادة الجمع أى لا يستوى القبيلان .

(١٠) (لا يعلمون) بأن الحمد والعبادة لله .

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
 مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ (١) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ
 السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ (٢)
 وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ (٣)

(١) زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين) . الأبكم الذي ولد أرس فلا يفهم ولا يفهم .

(٢) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله .

(٣) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح .

(٤) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير .

(٥) (وهو) في نفسه .

(٦) على سيرة صالحة ودين قويم .

وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع .

(٧) أى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه . أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم .

(٨) (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (إلا) كرجع طرف - وإتما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه - (أو هو) أى الأمر (أقرب) . وليس هذا لشك المخاطب . ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار . وقيل بل (هو أقرب) .

(٩) (إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات . ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم)

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ^(١) وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ^(٢) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ ^(٣)
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ^(٤) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ^(٥) وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا ^(٦)
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ^(٧) وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ^(٨)

وبكسر الألف وفتح الميم ، على ، إبتاعا لكسرة النون . وبكسرهما حمزة . والماء مزيدة
في أمتهات للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل أهراق . وشذت زيادتها في الواحدة .

(١) حال أى غير عالين شيئا من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون .

(٢) أى وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه . والأفئدة فى فؤاد كالأغربة فى غراب
وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع فى غيرها .

(٣) وبالتاء شامى وحمزة .

(٤) مذكلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب الموازية لذلك .

(٥) هو الهواء المتباعد من الأرض فى سميت العلوى .

(٦) (ما يمسكهن) فى قبضهنّ وبسطهنّ ووقوفهنّ (إلا الله) بقدرته . وفيه نغى لما
يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية .

(٧) (يؤمنون) بأن الخلق لا غنى به عن الخالق .

(٨) هو فعل بمعنى مفعول أى ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف .

(٩) هى قباب الأدم .

(١٠) ترونها خفيفة الحمل فى الضرب والنقض والنقل .

(١١) بسكون العين كوفى وشامى . و بفتح العين غيرهم . والظعن بفتح العين وسكونها
الارتحال .

(١٢) قراركم فى منازلكم . والمعنى أنها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر ، على أن
اليوم بمعنى الوقت .

وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا ^(٤) وَمَتَعْنَا ^(٥) إِلَىٰ حِينٍ ^(٦) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
 مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ^(٧) وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ^(٨) وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ^(٩)
 الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ^(١٠) بِأَسْكُمُ ^(١١) كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ^(١٢)
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ^(١٣) الْبَلْبُعُ ^(١٤) الْمُبِينُ ^(١٤) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنكُرُونَهَا
 وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ^(١٥)

- (١) أى أصواف الضأن .
- (٢) وأوبار الإبل .
- (٣) وأشعار المعز .
- (٤) متاع البيت .
- (٥) وشيئا ينتفع به .
- (٦) مدة من الزمان .
- (٧) كالأشجار والسقوف .
- (٨) جمع كَنٍّ وهو ما سترك من كهف أو غار .
- (٩) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن .
- (١٠) وهى تقى البرد أيضا، إلا أنه اكتفى بأحد الضدين ولأت الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا .
- (١١) ودرعوا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم . والبأس شدة الحرب .
- (١٢) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له .
- (١٣) أعرضوا عن الإسلام .
- (١٤) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لأت الذى عليك هو التبليغ الظاهر، وقد فعلت .
- (١٥) (يعرفون نعمة الله) التى عددناها بأقوالهم فإنهم يقولون إنها من الله (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث عبدوا غير المنعم . أو فى الشدة ثم فى الرخاء . (وأكثرهم الكافرون)

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ^(٤)
 وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ^(٧) وَإِذَا
 رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كَانُوا نَدْعُوا مِنْ
 دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ^(١١) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ ^(١٣)

أى الجاحدون غير المعترفين . أو (نعمة الله) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . كانوا يعرفونها
 ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المذكورون بقلوبهم . و (ثم) يدل على أن إنكارهم أمر
 مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر .

(١) انتصابه باذكر .

(٢) نحشر .

(٣) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر .

(٤) (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار . والمعنى لا حجة لهم . فدلّ بترك الإذن على
 أن لا حجة لهم ولا عذر . (ولا هم يستعذبون) ولا هم يسترضون . أى لا يقال لهم أرضوا ربكم
 لأن الآخرة ليست بدار عمل . ومعنى (ثم) أنهم يمتنون أى يتلون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام
 بما هو أطم وأغلب منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة .
 (٥) كفروا .

(٦) (فلا يخفف عنهم) أى العذاب بعد الدخول .

(٧) يهلون قبله .

(٨) أو ثانهم التى عبدوها .

(٩) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء .

(١٠) أى نعبد .

(١١) أى أجاوبهم بالتكذيب لأنها كانت جمادا لا تعرف من عبدها . ويحتمل أنهم
 كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تزئيا لله عن الشرك .

(١٢) يعنى الذين ظلموا .

(١٣) إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا .

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ^(١) ﴿١﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ^(٢)
 زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ^(٣) ﴿٢﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
 أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا ^(٤)
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ^(٥) ﴿٣﴾

- (١) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم ، حين كذبوهم وتبرءوا منهم .
- (٢) (الذين كفروا) في أنفسهم .
- (٣) وحملوا غيرهم على الكفر .
- (٤) أى عذابا بكفرهم وعذابا بصدتهم عن سبيل الله .
- (٥) بكونهم مفسدين الناس بالصد .
- (٦) يعنى نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم .
- (٧) يا محمد .
- (٨) على أمتك .
- (٩) (تبيانا) بليغا .

(١٠) من أمور الدين . أما في الأحكام المنصوصة فظاهر . وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وحثنا على الإجماع فيه بقوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة أتباع أصحابه بقوله "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" . وقد اجتهدوا وقاسوا ووظفوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله (فاعتبروا يا أولى الأبصار) . فكانت السنة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب . فتبين أنه كان تبيانا لكل شيء .

(١١) ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة .

(١) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٧) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ
 وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا (١١)

(١) (إن الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه . (والإحسان) إلى من أساء إليكم . أوهما الفرض والندب ، لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب .

(٢) وإعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم .

(٣) عن الذنوب المفرطة في القبح .

(٤) ما تنكره العقول .

(٥) طلب التناول بالظلم والكبر .

(٦) حال أو مستأنف .

(٧) تتعظون بوعظ الله . وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنه قال : ما كنت أسلمت إلا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الإسلام ولم يستقر الإيمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر . وقال أبو جهل : إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق . وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولهذا يقرأها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهى .

(٨) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) .

(٩) أيمان البيعة .

(١٠) بعد توثيقها باسم الله . وأكد ووكد لغتان فصيحتان . والأصل الواو والهمزة بدل منها .

(١١) شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراعى لحال المكفول به مهبمن عليه .

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
 أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا
 يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢﴾ وَلَوْ
 شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٣﴾
 وَلِتَسَلَّنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ

(١) (يعلم ما تعملون) من البر والحنث فيجازيكم به .

(٢) (ولا تكونوا) في نقض الأيمان كالمراة التي انحطت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمتها
 بجعلته (أنكاثا) . جمع نكث وهو ما ينكث قتله . قيل هي ربطة وكانت حمقاء تغزل هي
 وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن .

(٣) (تتخذون أيمانكم) حال أنكاثا (دخلا بينكم) . أحد مفعولى تتخذ . أى ولا تنقضوا
 أيمانكم متخذها (دخلا بينكم) أى مفسدة وخيانة ، بسبب (أن تكون أمة) يعنى جماعة قريش
 (هى أربى) هى أزيد عددا وأوفر مالا (من أمة) من جماعة المؤمنين . (هى أربى) مبتدأ
 وخبر فى موضع الرفع صفة لأمة . و (أمة) فاعل (تكون) . وهى تامة . و (هى) ليست
 بفصل لوقوعها بين نكرتين .

(٤) الضمير للمصدر . أى إنما يخبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
 وما وكّدتهم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغفرون بكثرة قريش وثروتهم
 وقلة المؤمنين وفقيرهم .

(٥) (وليبين لكم يوم القيامة) إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ما كنتم
 فيه تختلفون) . وفيه تحذير عن مخالفة ملة الإسلام .

(٦) حنيفة مسامة .

(٧) من علم منه اختيار الضلالة .

(٨) من علم منه اختيار الهداية .

(٩) (ولتسألن) يوم القيامة (عما كنتم تعملون) فتجزون به .

(١٠) كرّر النهى عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظمه .

فَقَتَلَ قَدَمَ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ

(١) قتل أقدامكم عن محبة الإسلام بعد ثبوتها عليها . وإثما وحدت القدم ونكرت
لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة ؟

(٢) (وتذوقوا السوء) في الدنيا .

(٣) بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين . أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا
أيمان البيعة وارتدوا لآخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها .

(٤) (ولكم) في الآخرة (عذاب عظيم) .

(٥) ولا تستبدلوا (بعهد الله) . وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) .
عرضا من الدنيا يسيرا . كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان — لجزعهم مما
رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ، ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد —
أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنبههم الله .

(٦) (إثما عند الله) من ثواب الآخرة .

(٧) (ما عندكم) من أعراض الدنيا .

(٨) (وما عند الله) من خزائن رحمته .

(٩) لا ينفد .

(١٠) وبالنون مكى وعاصم .

الَّذِينَ صَبَرُوا بِأَجْرِهِمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مِنْ ذِكْرِ
 أَوْ آتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣﴾
 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤﴾

(١) (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الإسلام .

(٢) (من) مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فيبين بقوله (من ذكر أو آتى)

ليعم الموعد النوعين .

(٣) شرط الإيمان لأن أعمال الكفار غير معتد بها . وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان .

(٤) أى فى الدنيا لقوله (ولنجزيهم أجورهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح ، موسرا كان أو معسرا ، يعيش عيشا طيبا . إن كان موسرا فظاهر ، وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى . وأما الفاجر فأمره بالعكس . إن كان معسرا فظاهر . وإن كان موسرا فالحرص لا يدهه أن يتها بعيثه . وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والإعراض عما سوى الله .

(٥) فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله . فعبّر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب

له . والفاء للتعقيب إذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور .

(٦) يعنى إبليس .

(٧) المطرود أو الملعون . قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . فقال لى قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام .

(٨) لإبليس .

(٩) تسلط وولاية .

(١٠) فالؤمن المتوكل لا يقبل منه مساوسه .

إِنَّمَا سُلِّطْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ^(١) وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ^(٢) وَإِذَا
 بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ^(٣) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ^(٤) بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ^(٥) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا^(٦)
 وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ^(٧) وَلَقَدْ نَعَلِمُ^(٨) أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ^(٩)

(١) يتخذونه ولياً ويتبعون وسائسه .

(٢) الضمير يعود إلى ربهم أو إلى الشيطان أى بسببه .

(٣) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ . والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها
 وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو .

(٤) هو جواب (إذا) . وقوله (والله أعلم بما ينزل) اعتراض . كانوا يقولون إن محمداً يسخر
 بأصحابه . يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً فيأتيهم بما هو أهون . ولقد افتروا . فقد كان ينسخ
 الأشقى بالأهون ، والأهون بالأشقى .

(٥) (لا يعلمون) الحكمة فى ذلك .

(٦) أى جبريل عليه السلام . أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود . والمراد
 الروح المقدس وحاتم الجواد . والمقدس المطهر من المآثم .

(٧) من عنده وأمره .

(٨) حال . أى نزله ملتبساً بالحكمة .

(٩) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لأنه حكيم لا يفعل
 إلا ما هو حكمة وصواب ، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب .

(١٠) مفعول لها معطوفان على محل (ليثبت) . والتقدير تثبتنا لهم وإرشاداً وبشارة .

(١١) فيه تعريض بمحصول أضرار هذه الخصال لغيرهم .

(١٢) أرادوا به غلاماً كان لحويطب قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش .
 وكان صاحب كتب . أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى . أو عبدان جبر ويسار .
 كانوا يقرأون التوراة والإنجيل . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن . أو سلمان
 الفارسى .

لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٧﴾ مَنْ

(١) وبتفتح الياء والحاء حمزة وعلى .

(٢) أى لسان الرجل الذى يميلون قلوبهم عن الاستقامة إليه ، لسان أعجمى غير بين . (وهذا القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة . ردًا لقولهم وإبطالا لظعنهم . وهذه الجملة أعنى (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى) لا محل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم . واللسان اللغة . ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحد إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه . ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه . ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها .

(٣) أى القرآن .

(٤) (لا يهديهم الله) ماداموا مختارين الكفر .

(٥) (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) على كفرهم .

(٦) (إنما يفترى الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا عليه . وهو رد لقولهم (إنما أنت مفتر) .

(٧) إشارة إلى (الذين لا يؤمنون) . أى (وأولئك هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب . أو (وأولئك هم الكاذبون) فى قولهم (إنما أنت مفتر) .

(٨) جوزوا أن يكون (من) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب (من شرح) دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب . وأن يكون بدلا من (الذين لا يؤمنون بآيات الله) على أن يجعل (وأولئك هم الكاذبون) اعتراضا بين البدل والمبدل منه . والمعنى إنما يفترى الكذب (من كفر بالله من بعد إيمانه) . واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء . ثم قال (واكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله) . وأن يكون بدلا من المبتدأ الذى هو (أولئك) . أى ومن كفر بالله من بعد إيمانه (هم الكاذبون) . أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم (من كفر بالله من بعد إيمانه) . وأن ينتصب على الهم .

كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ^(١)
 وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ^(٢) فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ^(٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ^(٤) وَأَنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ^(٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ^(٦) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمْ الْخَاسِرُونَ ^(٧) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ^(٨)

(١) ساكن به . روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا . وكان فيهم من أكره فأجرى
 كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان . منهم عمار — وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا ، وهما
 أول قتيلين في الإسلام — فقبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن عمارا كفر . فقال « كَلَّا إِنَّ عَمَارًا
 مَلَى إِيْمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ وَاخْتَلَطَ الْإِيْمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ » . فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو يبكي . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه . وقال مالك ؟ « إن عادوا لك
 فعد لهم بما قلت » . وما فعل أبو عمار أفضل لأن في الصبر على القتل إعزازا للإسلام .

(٢) أى طاب به نفسا واعتقده .

(٣) إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم .

(٤) أى بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة .

(٥) (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ماداموا مختارين للكفر .

(٦) فلا يتدبرون ولا يصفون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد .

(٧) أى الكاملون في الغفلة لأن الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنهاها .

(٨) (ثُمَّ) يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك .

(٩) (لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة ، أى أنه لهم لا عليهم . يعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم

وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منقوعا غير مضرور .

(١٠) (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والإكراه على الكفر . (فتنوا) شامى . أى بعد ما عذبوا

المؤمنين ثم أسلموا .

ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبِرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾
 نَفْسٍ مُجَادِلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا

(١) (ثمّ جاهدوا) المشركين بعد الهجرة .

(٢) (وصبروا) على الجهاد .

(٣) من بعد هذه الأفعال وهى الهجرة والجهاد والصبر .

(٤) (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقيّة .

(٥) لا يعذبهم على ما قالوا فى حالة الإكراه .

(٦) منصوب برحيم أو باذكر .

(٧) وإنما أضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفى تقيضه غيره . والنفس الجملة كما هى . فالنفس الأولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتى كلّ إنسان يجادل عن ذاته لا يهيمه شأن غيره كلّ يقول : نفسى نفسى . ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم (هؤلاء أضلّونا) (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) الآية . (والله ربنا ما كنا مشركين) .

(٨) تعطى جزاء عملها وإفيا .

(٩) (وهم لا يظالمون) فى ذلك .

(١٠) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلاً لكلّ قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولّوا فأنزّل الله بهم نعمته . فيجوز أن يراد قرية مقدّرة على هذه الصفة، وأن تكون فى قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضرّ بها الله مثلاً لمكّة إنذاراً من مثل عاقبتها .

(١١) (كانت آمنة) من القتل والسبي .

(١٢) لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف .

(١٣) واسعا .

مَنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٦﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ
حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩﴾

(١) من كل بلد .

(٢) فكفر أهلها .

(٣) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالنساء كدروع وأدرع . أو جمع نعم كبؤس
وأبؤس .

(٤) الإذاقة واللباس استعارتان . والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار . ووجه
صحة ذلك أن الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس
الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب . شبه ما يدرك من أثر الضرر
والألم بما يدرك من طعم المتر والبشع . وأما اللباس فقد شبه به — لاشتماله على اللابس —
ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع
والخوف فلا تله لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس ؛ فكأنه قيل فأذاقهم ما غشاهم من
من الجوع والخوف .

(٥) أي محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) أي (فأخذهم العذاب) في حال التباسهم بالظلم . قالوا إنه القتل بالسيف يوم بدر .

(٧) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه إلى أهل مكة في سنى الفحط بطعام
ففرق فيهم . فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدي محمد صلى الله
عليه وسلم .

(٨) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الأموال المأخوذة بالغارات والغنوب
وخبائث الكسوب .

(٩) تطيعون . أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده .

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَن
 أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ^(١) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ
 أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ
 الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ^(٢) مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ^(٣) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ^(٤)

(١) إنما للحصر . عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم ، أى
 المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها . وبقاى الآية قد مر تفسيره .

(٢) (الكذب) منصوب بلا تقولوا . أى (ولا تقولوا) الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم
 بالحلل والحرمه فى قولكم (ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) من غير
 استناد ذلك الوصف إلى الوحي أو إلى القياس المستنبط منه . واللام مثلها فى قولك لا تقولوا
 لما أحل الله هو حرام . وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب . ولك أن تنصب
 (الكذب) بتصف وتجعل (ما) مصدرية وتعلق (هذا حلال وهذا حرام) بلا تقولوا . أى ولا تقولوا
 هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب . أى ولا تحرموا ولا تحلوا لأجل قول
 تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان .
 وقوله (تصف ألسنتكم الكذب) من فصيح الكلام جعل قولهم كأنه عين الكذب فإذا نظقت
 به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته . كقولك وجهها يصف الجمال وعينها
 تصف السحر .

(٣) اللام من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض .

(٤) (متاع) خبر مبتدأ محذوف . أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعه قليلة
 وعذابها عظيم .

(٥) فى سورة الأنعام . يعنى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) الآية .

(٦) (وما ظلمناهم) بالتحريم .

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ^(١) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٦) ^(٧) ^(٨) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ^(٩) ^(١٠)

(١) فخرنا عليهم عقوبة على معاصيهم .

(٢) في موضع الحال . أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى .

(٣) من بعد التوبة .

(٤) لغفور) بتكفير ما كثر وقل من الجرائم .

(٥) رحيم) بتوثيق ما وتقوا بعد العزائم .

(٦) إنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله :

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار. أو كان أمة بمعنى مأموم يؤتمه الناس ليأخذوا منه الخير .

(٧) هو القائم بما أمره الله . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن معاذًا كان أمة قانتًا لله . فقيل له إنما هو إبراهيم عليه السلام . فقال : الأمة الذى يعلم الخير ، والقانت المطيع لله ورسوله . وكان معاذ كذلك . وقال عمر رضى الله عنه : لو كان معاذ حيا لاستخلفته فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أبو عبيدة أمين هذه الأمة . ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون » .

(٨) ما تلا عن الأديان إلى ملة الإسلام .

(٩) نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم . وحذف النون للتشبيه بحروف اللين .

(١٠) روى أنه كان لا يتغذى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا . فأخرغدهاء فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيأوا له أن بهم جذاما فقال : الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاككم .

أَجْتَبِنَهُ وَهَدَيْنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٢) وَعَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا
 فِي الآخِرَةِ لَمَنَّ الصَّالِحِينَ ^(٤) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٥) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
 اأَخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ ^(٧) أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ^(٨)

(١) اختصه واصطفاه للنبوة .

(٢) إلى ملة الإسلام .

(٣) نبوة وأموالا وأولادا . أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه ، أو قول المصلي

منا كما صليت على إبراهيم .

(٤) لمن أهل الجنة .

(٥) في (ثم) تعظيم منزلة نبينا عليه السلام وإجلال محله والإيدان بأن أشرف ما أوتي خليل

الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته .

(٦) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه .

(٧) روى أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون

يوم الجمعة . فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو

السبت ، إلا شردمة منهم قد رضوا بالجمعة . فهذا اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاروه

وبعضهم اختاروا عليه الجمعة . فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد . فاطاع أمر الله

الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون . وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخطهم الله دون أولئك .

وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله .

(٨) إلى الإسلام .

(٩) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة .

(١٠) وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصده ما ينفعهم فيها . أو بالقرآن أي

ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة . أو الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال . والموعظة

الحسنة : أن يخالط الرغبة بالرهبة ، والإنذار بالبشارة .

وَجَدِّدْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
 أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
 لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
 وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
 هُمْ أَحْسَنُونَ ۝

(١) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة . أو بما يوقظ
 القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول . وهو رد على من يأبى المناظرة في الدين .

(٢) أي هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل .

(٣) سمي الفعل الأول عقوبة والعقوبة هي الثانية لآزدواج الكلام كقوله (وجزاء سيئة
 سيئة مثلها) . فالثانية ليست بسيئة . والمعنى إن صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه
 بمثله ولا تزيدوا عليه . روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد : بقروا بطونهم وقطعوا
 مذاكيرهم . فرأى النبي عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال « أما والذي أحلف به لأمتلئ
 بسبعين مكانك » فزلت . فكفر عن يمينه وكف عما أراده . ولا خلاف في تحريم المثلة لورود
 الأخبار بالهسي عنها حتى بالكلب العقور .

(٤) الضمير في (هو) يرجع إلى مصدر (صبرتم) . والمراد بالصابرين المخاطبون . أي
 ولئن صبرتم لصبركم خير لكم . فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون
 على الشدائد . ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر .
 (٥) أي بتوفيقه وتثيئته .

(٦) على الكفار أن لم يؤمنوا ، أو على المؤمنين وما فعل بهم الكفار فإنهم وصلوا إلى
 مطلوبهم .

(٧) (ضيق) مكى . والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق . ويجوز أن يكونا مصدرين
 كالقيل والقول . والمعنى ولا يضيقتك صدرك من مكركم فإنه لا ينفذ عليك .

(٨) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات . قيل من اتقى في أفعاله
 وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله . ومعينه نصرته في المأمور وعصمته في المحذور .

سورة الإسراء مكية

وهي مائة وعشر آيات بصرية وإحدى عشرة آية كوفية وشامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحٰنَ الَّذِيٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖٓ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) تنزيه الله عن السوء . وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل . وانتصابه بفعل مضمرة متروكة إظهاره تقديره أسبح الله (سبحان) . ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسدت مسدده ودل على التنزيه البليغ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم . وسرى وأسرى لغتان .

(٣) نصب على الظرف . وقيد بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد ، أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة .

(٤) قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب . والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الحرم كله مسجد . وقيل هو المسجد الحرام بعينه . وهو الظاهر . فقد قال عليه السلام « بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة » وكان العروج به من بيت المقدس . وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى . وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه . وعن معاوية مثله . وعلى الأول الجمهور ، إذ لا فضيلة للعالم ولا منزلة للنائم .

(٥) هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد .

الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥﴾
 وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا نَجَّحُوا مِنْ
 دُونِي وَكَلَّا ﴿٦﴾ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٧﴾
 وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ

(١) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحي . وهو محفوف بالأشجار الجارية والأشجار المثمرة .

(٢) أي محمدا عليه السلام .

(٣) (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات .

(٤) (السميع) للأقوال .

(٥) (البصير) بالأفعال . ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقبل (أسرى) ثم (باركنا) ثم (إنه هو) وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة .

(٦) أي الكتاب . وهو التوراة .

(٧) أي لا تتخذوا . وبالياء أبو عمرو . أي لتلا يتخذوا .

(٨) رباً تكونون إليه أموركم .

(٩) (ذرية) نصب على الاختصاص ، أو على النداء فيمن قرأ (لا تتخذوا) بالناء على النهي . أي قلنا لهم (لا تتخذوا من دوني وكلا) يا (ذرية من حملنا مع نوح إنه) إن نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السراء والضراء — والشكر مقابلة النعمة بالناء على المنعم . روى أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال : الحمد لله — وأتم ذرية من آمن به وحمل معه . فاجعلوه أسوتكم ، كما جعله آباؤكم أسوتهم . وآية رشد الأبناء ، صحة الاقتداء بسنة الآباء . وقد عرفتم حال الآباء هنالك ، فكونوا أيها الأبناء كذلك .

(١٠) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة . والكتاب التوراة . و(تفسدن) جواب قسم محذوف . أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون (تفسدن) جوابا له ، كأنه قال : وأقسمنا (تفسدن في الأرض) .

مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ عَلُوا كَبِيرًا ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا
 أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۗ ثُمَّ رَدَدْنَا
 لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۗ
 إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ۗ

(١) أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله، والآخرة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام .

(٢) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله (إن فرعون علا في الأرض) . والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين .

(٣) أى وعد عقاب أولاهما .

(٤) سلطنا عليكم .

(٥) أشداء في القتال . يعنى سنحاريب وجنوده أو يختنصر أو جالوت . قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة ونحروا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا .

(٦) ترددوا للغارة فيها . قال الزجاج: الجوس طلب الشيء بالاستقصاء .

(٧) وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل .

(٨) (ثم رددنا لكم) الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو . قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم . وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت .

(٩) (وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم . وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفّر مع الرجل من قومه .

(١٠) قيل اللام بمعنى على كقوله (وعليها ما اكتسبت) . والصحيح أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزء عمله حسنة كانت أو سيئة . يعنى أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم . وعن على رضى الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه .

(١١) وعد المزة الآخرة .

لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ ^(١) وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ^(٢) كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا
 مَا عَلُوا تَتَبِيرًا ^(٣) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ^(٤) وَإِنْ عُدْتُمْ ^(٥) عَدْنَا ^(٦) وَجَعَلْنَا
 جَهَنَّمَ ^(٧) لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ^(٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ ^(٩) أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ^(١٠) وَأَنَّ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ^(١١) أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ^(١٢)

(١) أى بعثنا هؤلاء ليسوءوا وجوهكم . وحذف لدلالة ذكره أولاً عليه . أى ليجعلوها
 بادية آثار المساءة والكتابة فيها كقولها (سيئت وجوه الذين كفروا) . (ليسوء) شامئ وحزمة
 وأبو بكر . والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث . (لنساء) — على .

(٢) بيت المقدس .

(٣) (ما علوا) مفعول ليتبروا . أى ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه . أو بمعنى مئة
 علوهم .

(٤) (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية لأن تبتم توبة أخرى وانزجتم عن المعاصي .

(٥) (وإن عدتم) مرة ثالثة .

(٦) (عدنا) إلى عقوبتكم . وقد عادوا فأعاد الله عليهم النعمة بتسليط الأَكاسرة وضرب
 الإناوة عليهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "سُلط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة" .

(٧) محبساً . يقال للسجين محصر وحصير .

(٨) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدّها وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته
 أو لليلة أو للطريقة .

(٩) (ويبشّر) حمزة وعلى (المؤمنين) ؛ (أن لهم أجراً كبيراً) أى الجنة، و؛ (أن الذين
 لا يؤمنون بالآخرة أعدنا) أى أعدنا — قلبت ناء — (لهم عذاباً أليماً) يعنى النار . والآية
 ترد القول بالمتلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر
 للفسقة .

وَيَدْعُ آلَ إِنْسَانٍ يَلْتَمِسُ دُعَاءَهُ^(١) بِالْخَيْرِ وَكَانَ آلِ إِنْسَانٍ عَجُولًا^(٢)
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
 مُبْصِرَةً لِّيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ^(٣)

(١) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده، كما يدعو لهم بالخير.
 أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل. وسقوط الواو من (يدع) في الخط
 على موافقة اللفظ.

(٢) يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأني المتبصر.
 أو أريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته
 الشدة (وكان الإنسان عجولاً) يعنى أن العذاب آتية لا محالة فما هذا الاستعجال؟. وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما: هو النضر بن الحرث قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية.
 فأجيب فضربت عنقه صبوا.

(٣) أى الليل والنهار آيتان في أنفسهما. فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار
 للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود. أى (فمحونا) الآية التى هى الليل (وجعلنا) الآية التى هى
 النهار (مبصرة). أو جعلنا نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل)
 التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بينة (وجعلنا)
 الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوءها كل شىء لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف
 فى معاشكم (ولتعلموا) باختلاف الحديد (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال
 ومواسم الأعمال. ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار، ولا استراح حراص المكتسبين
 والتجار.

وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ^(١) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لِمَن تَدْبَرُهُ ^(٢) فِي عُنُقِهِ ^(٣)
 وَنُخْرِجُ لَهُ ^(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ^(٥) أَقْرَأَ كِتَابِكَ ^(٦)
 كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ^(٧) الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ^(٨) مَن أَهْتَدَىٰ فَأَيَّمَا يَهْتَدَىٰ ^(٩)
 لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَأَيَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ^(١٠) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ^(١١)

(١) (وكل شيء) مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم بيناه بياناً غير ملتبس فإزحنا عما لكم وما تركنا لكم حجة علينا .

(٢) عمله .

(٣) يعني أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعتق لا يفك عنه .

(٤) (يلقاه) شامئ صفة لكتاباً (منشوراً) حال من (يلقاه) يعني غير مطوى يمكن قراءته .
 أو هما صفتان للكتاب .

(٥) وتقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك . وكل يبعث قارئاً .

(٦) الباء زائدة . أي كفى نفسك .

(٧) تمييز . وهو بمعنى حاسب . و(على) متعلق به ، من قولك حسب عليه كذا . أو بمعنى الكافي . وضع موضع الشهيد فعدي بعل لأن الشاهد يكفي المدعى ما أهمله . وإنما ذكر (حسبياً) لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير ، إذا الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل (كفى) نفسك رجلاً (حسبياً) . أو تؤول النفس بالشخص .

(٨) أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال .

(٩) أي كل نفس حاملة وزراً فإتماً تحمل وزرها ، لا وزر نفس أخرى .

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ^(١) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ^(٢) أَمَرْنَا
 مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ^(٣) ^(٤) وَكَرَّ
 أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ^(٥) وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ^(٦)
 بَصِيرًا ^(٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ^(٨) ^(٩)

(١) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم
 رسولا يلزمهم الحجّة .

(٢) أى أهل قرية .

(٣) (أمرنا) متنعميها وجابرتها بالطاعة ، عن أبي عمرو والزجاج .

(٤) أى خرجوا عن الأمر كقولك : أمرته فعصى .

أو (أمرنا) كثرتنا ، دليله قراءة يعقوب (أمرنا) ومنه الحديث « خير المال سكة
 مابورة ومهرة مأمورة » أى كثيرة النسل .

(٥) فوجب عليها الوعيد .

(٦) فأهلكها إهلاكاً .

(٧) مفعول .

(٨) بيان لكم .

(٩) يعنى عاداً وثمود وغيرهما .

(١٠) (وكفى ربك بذنوب عباده خبيراً) وإن أخفوها في الصدور (بصيراً) وإن أرخوا

عليها الستور .

(١١) لا ما يشاء .

(١٢) بدل من (له) بإعادة الجازر . وهو بدل البعض من الكل . إذ الضمير يرجع إلى (من) . أى

من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد .
 فقيّد المعجل بمشيتته والمعجل له بإرادته . وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
 ولا يعطون إلا بعضاً منه ، وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا
 وفقر الآخرة . وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة . فإن أوتى حظاً من الدنيا فيها . وإلا
 فرمى كان الفقر خيراً له .

ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ ^(١) جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا ^(٢) مَدْحُورًا ^(٣) وَمَنْ أَرَادَ ^(٤) الْآخِرَةَ وَسَعَى
 لَهَا ^(٥) سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ^(٦) فَأُولَئِكَ ^(٧) كَانَ ^(٨) سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ^(٩) كَلَّا نُمَدِّ ^(١٠) هُنُوًا
 وَهُنُوًا ^(١١) مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ^(١٢) وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ ^(١٣) مُحْظُورًا ^(١٤) أَنْظِرْ ^(١٥) كَيْفَ
 فَضَّلْنَا ^(١٦) بَعْضَهُمْ عَلَى ^(١٧) بَعْضٍ ^(١٨) وَاللَّآخِرَةُ ^(١٩) أَكْبَرُ ^(٢٠) دَرَجَاتٍ ^(٢١) وَأَكْبَرُ ^(٢٢) تَفْضِيلًا ^(٢٣)

(١) ثم جعلنا له (في الآخرة) جهنم .

(٢) يدخلها .

(٣) ممقوتا .

(٤) مطرودا من رحمة الله .

(٥) هو مفعول به أى حقها من السعى وكفاءها من الأعمال الصالحة .

(٦) مصدق لله في وعده ووعيده .

(٧) مقبولا عند الله مثابا عليه . عن بعض السلف : من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله :
 إيمان ثابت ، ونية صادقة ، وعمل مصيب . وتلا الآية . فإنه شرط فيها ثلاث شرائط
 في كون السعى مشكورا إرادة الآخرة والسعى فيما كلف والإيمان الثابت .

(٨) كل واحد من الفريقين . والتنوين عوض عن المضاف إليه . وهو منصوب بقوله (نمد) .

(٩) بدل من (كلا) . أى نمد (هؤلاء وهؤلاء) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة .

(١٠) رزقه . و (من) تتعلق بنمد . والعطاء اسم للعطى أى تزيدهم من عطائنا ونجعل

الأنف منه مددا للسالف لا نقطعه . فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل .

(١١) (وما كان عطاء ربك) ممنوعا عن عباده وإن عصوا .

(١٢) (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة

والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) . روى أن قوما من الأشراف فن دونهم

اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه . فخرج الإذن لبلال وصهيب . فشق على أبي سفيان .

فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا . إنهم دعوا ودعينا — يعنى إلى الإسلام — فأسرعوا

وأبطأنا . وهذا باب عمر . فكيف التفاوت في الآخرة ! ولئن حسدتموهم على باب عمر لما

أعد الله لهم في الجنة أكثر .

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿١﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴿٢﴾
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا ﴿٣﴾
 أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا ﴿٤﴾ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٥﴾

(١) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته .

(٢) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان . وقيل مشتوما بالإهانة محروما عن الإغاثة ،
 إذ الخذلان ضد النصر والعون . دليله قوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن
 يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر .

(٣) وأمر أمرا مقطوعا به .

(٤) (أن) مفسرة و (لا تعبدوا) نهى . أو بالأ تعبدوا .

(٥) وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا .

(٦) (إتما) هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدها لها . ولذا أدخلت النون المؤكدة
 في الفعل . ولو أفردت " إن " لم يصح دخولها . لا تقول إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن إتما تكرمته .

(٧) فاعل (يبلغن) . وهو في قراءة حمزة وعلى (يبلغان) ، بدل من ألف الضمير الراجع إلى

الوالدين .

(٨) عطف على (أحدهما) فاعلا وبدلا .

(٩) مدني وحفص . (أف) مكى وشامى (أف) غيرهم . وهو صوت يدل على تضجّر . فالكسر

على أصل التقاء الساكنين ، والفتح للتخفيف ، والتنوين لإرادة التنكير أى أتضجّر تضجّرا .
 وتركه لقصد التعريف أى أتضجّر التضجّر المعلوم .

(١٠) ولا تخرجها عما يتعاطيانه مما لا يعجبك . والنهى والنهر أخوان .

(١١) (وقل لها) بدل التأنيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن .

الأدب . أو هو أن يقول يا أبتاه يا أمهاتاه ولا يدعوها بأسمائهما فإنه من الجفاء . ولا بأس به
 في غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها نحلنى أبو بكر كذا . وفائدة (عندك) أنهما
 إذا صارا كلاً على ولدهما ولا كافل لها غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو
 مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لها إذا أضجّره ما يستقذر منهما أف فضلا

وَآخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا ﴿٢﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴿٣﴾ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
لِللَّائِئِينَ غَفُورًا ﴿٤﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴿٦﴾

عما يزيد عليه . ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوجيهه ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنقلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها .

(١) أى اخفض لهما جناحك كما قال (واخفض جناحك للمؤمنين) فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود . والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس . وقال الزجاج : وألن جانبك متذلاً لهما من مبالغتك في الرحمة لهما .

(٢) ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتها عليك في صغرك وتربيتهما لك . والمراد بالخطاب غيره عليه السلام . والدعاء مختص بالأبوين المسلمين . وقيل إذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما » . وروى « يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة » . وعنه عليه السلام « إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجدر ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جاز إزاره خيلاء . إن الكبرياء لله رب العالمين » .

(٣) بما في ضمائرهم من قصد البر إلى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما .

(٤) (إن تكونوا) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى إلى أذاها ثم أتم إلى الله واستغفرم منها (فإنه كان لللائقين غفورا) الاواب الذى إذا أذنب بادر إلى التوبة . فجاز أن يكون هذا عاقماً لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه الثابت من جنابته لوروده على أثره

(٥) (وآت ذى القربى) منك حقه أى النفقة إذا كانوا محارم فقراء .

(٦) أى (وآت) هؤلاء حقهم من الزكاة .

وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِيرًا ^(١) إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ^(٢)
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ^(٣) وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ^(٤) آبَتِغَاءَ رَحْمَةٍ
مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ^(٥) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ^(٦) ^(٧) ^(٨)

(١) ولا تسرف إسرافا . قيل : التبذير تفريق المال في غير الحلق والحل . فعن مجاهد : لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا . وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر . فقال له صاحبه لا خير في السرف . فقال لا سرف في الخير .

(٢) أمثالهم في الشرارة . وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان . أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف .

(٣) فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله .

(٤) وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد .

(٥) أى وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك — فسمى الرزق رحمة — فردهم ردا جميلا . فوضع الابتغاء موضع الفقد ، لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب . يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول . وقيل معناه (فقل لهم) رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر، أى دعاء فيه يسر . و(ابتغاء) مفعول له أو مصدر في موضع الحال . و(ترجوها) حال .

(٦) (كل) نصب على المصدر لإضافته إليه . وهذا تمثيل لمنع الشحج وإعطاء المسرف وأمر بالاعتصام الذى هو بين الإسراف والتقتير .

(٧) فتصير (ملوما) عند الله لأن المسرف غير مرضى عنه وعند الناس — يقول الفقير أعطى فلانا وحرمنى ، ويقول الغنى ما يحسن تدير أمر المعيشة . - وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت .

(٨) منقطعاً بك لا شيء عندك : من حسره السفر إذا أثر فيه أثرا بليغا . أو عاريا من حسر رأسه . وقد خاطرت مسلمة ضررتها اليهودية في أنه ، يعنى مجدا عليه السلام ، أجود من

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا^(٣)
 بَصِيرًا^(٤) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ^(٥) نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ^(٦) إِنَّ^(٧)
 قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا^(٨) وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ فَوَاحِشَةً^(٩) وَسَاءَ^(١٠)
 سَبِيلًا^(١١) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا^(١٢)
^(١٣)

موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قيضه الذى عليه فدفعه وقعد عريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة ، فتركت .

(١) سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يردقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى ، فقال (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط إليك .

(٢) أى هو يضيق فلا لوم عليك .

(٣) (خيرا) بمصالحهم فيمضيها .

(٤) (بصيرا) بمجوانجهم فيقضياها .

(٥) قتلهم أولادهم وأدم بناتهم .

(٦) فقر .

(٧) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم .

(٨) إنما عظيما . يقال خطيء خطأ كآثم إثما . (خطأ) شامى . وهو ضد الصواب اسم من أخطأ . وقيل هو والخطء كالحذر والحذر . (خطأ) بالمد والكسر مكى .

(٩) القصر فيه أكثر . والمسدة لغة . وقد قرئ به . وهو نهى عن دواعى الزنى كالأسس والقبلة ونحوهما . ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا .

(١٠) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل .

(١١) وبئس طريقا طريقه .

(١٢) أى بارتكاب ما يبيح الدم .

(١٣) غير مرتكب ما يبيح الدم .

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي آلِقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ
 مَنصُورًا ﴿٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٧﴾ وَأَوْفُوا بِالْكِلِّ
 إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١١﴾

(١) تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه .

(٢) الضمير للولى . أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية .
 أو الإسراف المثلة . أو الضمير للقاتل الأول . (فلا تسرف) حمزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل
 المظلوم .

(٣) الضمير للولى أى حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يسترد على
 ذلك ، أو للظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وبنصره فى الآخرة بالثواب ،
 أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فإنه كان منصوراً بإيجاب القصاص على
 المسرف . وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لأن
 أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محترمة .

(٤) بالخصلة والطريقة التى هى أحسن وهى حفظه وتثيمه .

(٥) أى ثمانى عشرة سنة .

(٦) بأوامر الله تعالى ونواهيهِ .

(٧) مطلوباً يطلب من المعاهد ألا يضيعه ويفى به . أو إت صاحب العهد كان
 مسئولاً .

(٨) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص . وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين
 الدراهم وغيرها . وقيل هو القرسطون أى القبان .

(٩) المعتدل .

(١٠) (ذلك خير) فى الدنيا .

(١١) عاقبة . وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه .

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
 كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ^(٢) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ الْأَرْضَ ^(٤)
 وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ^(٥) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ^(٦)

(١) ولا تتبع ما لم تعلم ، أى لا تقل رأيتُ وما رأيتُ وسمعتُ وما سمعتُ . وعن ابن
 الحنفية لا تشهد بالزور . وعن ابن عباس : لا ترم أحدا بما لا تعلم . ولا يصح التثبت به لمبطل
 الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم (فإن علمتموهن مؤمنات) وأقام الشارع غالب الظن مقام
 العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات . ولنا في العمل بنجر الواحد لما ذكرنا .

(٢) (أولئك) إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد ، لأن أولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء
 يكون إشارة إلى غيرهم كقول جرير .

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

(و) (عنه) في موضع الرفع بالفاعلية ، أى كل واحد منها كان مسئولا عنه . فمسئول مسند إلى الجاز
 والمجرور كالمغضوب في (غير المغضوب عليهم) . يقال للإنسان : لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم
 نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه ؟ كذا في الكشف .
 وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخر عن الفعل . فأما إذا
 تقدما فلا .

(٣) هو حال أى ذا مرح .

(٤) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك .

(٥) بتطاولك ، وهوتهم بالمختال . أولن تحاذيها قوة . وهو حال من الفاعل أو المفعول .

(٦) كوفي وشامي على إضافة سئى إلى ضمير (كل) . (سيئة) غيرهم . وذكر (مكروها) لأن
 السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيته . ألا تراك
 تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة . فإن قلت الحصول المذكورة بعضها سئى وبعضها حسن .
 ولذلك قرأ من قرأ (سيئة) بالإضافة — أى ما كان من المذكور سئيا كان عند الله مكروها —
 فما وجه قراءة من قرأ (سيئة) ؟ قلت (كل ذلك) إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجمع الحصول
 المعدودة .

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا
 الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ مَعَهُ
 ﴿٩﴾

(١) إشارة إلى ما تقدم من قوله (لا تجعل مع الله إلها آخر) إلى هذه الغاية .

(٢) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس بأسوته .

(٣) مطرودا من الرحمة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام
 أولها (لا تجعل مع الله إلها آخر) وآخرها (مدحورا) . ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى
 عن الشرك لأن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها . ومن عدمه لم تنفعه حكمة وإن بد فيها
 الحكماء وحك بيا فوخه السماء . وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم ، وهم عن دين الله
 أضل من النعم .

(٤) خاطب الذين قالوا للملائكة بنات الله . الهمزة للإنكار . يعنى أخصكم ربكم على وجه
 الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ، واتخذ أدونهم وهى البنات ؟ وهذا خلاف
 الحكمة وما عليه معقولكم . فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردوها
 وأدونها للسادات .

(٥) حيث أضفتم إليه الأولاد وهى من خواص الأجسام ، ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث
 يجعلون له ماتكروهن .

(٦) أى التنزيل . والمراد ولقد صرّفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل . فترك
 الضمير لأنه معلوم .

(٧) وبالتخفيف حمزة وعلى . أى كرّناه ليتعظوا .

(٨) (إلا نفورا) عن الحق . وكان الثورى إذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا ما زاد
 أعداءك نفورا .

(٩) مع الله .

۱) كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۖ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ
 ۲) عَمَّا يَقُولُونَ ۚ عَلُوا كَبِيرًا ۖ ۳) تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
 ۴) وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ
 ۵) إِنْهٗ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۖ ۶) وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
 ۷) الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۖ ۸) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

(١) وبالياء مكى وحفص .

(٢) يعنى لطلبوا إلى من له الملك والرؤية (سبيلا) بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، أولتقربوا إليه كقوله (أولئك الذين يدعون يتبعون إلى ربهم الوسيلة) . و(إذا) دالة على أن ما بعدها وهو (لا بتغوا) جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو .

(٣) وبالتاء حمزة وعلى .

(٤) أى تعاليا . والمراد البراءة من ذلك والنزاهة .

(٥) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به .

(٦) وبالتاء عراقى غير أبى بكر .

(٧) أى يقول سبحانه الله وبحمده . عن السدى . قال عليه السلام « ما أصطيد حوت فى البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى » . أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدال على الخير كفاعله . والوجه الأول .

(٨) لاختلاف اللغات أو لتعسر الإدراك .

(٩) (حليما) عن جهل العباد .

(١٠) (غفورا) لذنوب المؤمنين .

(١١) ذا ستر، أو حجابا لا يرى فهو مستور .

(١٢) جمع كان وهو الذى يستر الشيء .

أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ^(٣)
 وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نَفُورًا^(٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ^(٦)
 وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا^(٧)
 أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا^(٨) وَقَالُوا^(٩)
^(١٠)

(١) كراهة أن يفقهوه .

(٢) ثَقَلًا يمنع عن الاستماع .

(٣) يقال وحد يحده وحده وحدة نحو وعد بعد وعدا وعدة . فهو مصدر سد مسد الحال .
 أصله يحده وحده بمعنى واحدا .

(٤) رجعوا على أعقابهم .

(٥) مصدر بمعنى التولية . أو جمع نافر كقاعده وقعود . أى يحبون أن تذكر مع آلهم
 لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا .

(٦) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن بها . فالقرآن هو المستمع وهو
 محذوف . (وبه) حال وبيان لما ، أى يستمعون القرآن هازئين لا جادين ، والواجب عليهم
 أن يستمعوه جادين .

(٧) (إذ) نصب بأعلم . أى (أعلم) وقت استماعهم بما به يستمعون وبما يتناجون به
 (إذ هم) ذوو (نجوى) .

(٨) بدل من (إذ هم) .

(٩) شجر بجن .

(١٠) مملوك بالشاعر والساحر والمجنون .

(١١) أى (فضلوا) فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه
 فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع .

(١٢) أى منكرو البعث .

أءَذَا كَأَّ عِظْمَأ ورَفِنَأَأ ءَأِنَأ لَمَبَعُوْثُوْنَ خَلَقَأ جَدِيدَأ ^(١) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً
 أَوْ حَدِيدَأ ^(٢) أَوْ خَلَقَأ مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُوْرِكُمْ فَسَيَقُولُوْنَ مَنْ يُعِيدُنَا
 قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُوْنَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُوْنَ مَتَى
 هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُوْنَ قَرِيْبَأ ^(٣) ^(٤) يَوْمَ يَدْعُوْكُمْ فَتَسْتَجِيْبُوْنَ بِحَمْدِهِ ^(٥)
 وَتَظُنُوْنَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيْلَأ ^(٦) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠)

(١) أى مجددا . (وخلقا) حال ، أى مخلوقين .

(٢) أى السموات والأرض فأنها تكبر عندكم عن قبول الحياة . والمعنى أنكم تستبعدون أن يحدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى ، بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائرهُ فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى . ولكن لو كنتم أبعء شىء من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادرا على أن يردهم إلى حال الحياة .

(٣) (قل) يعيدكم (الذى فطركم أول مرة) .

(٤) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء .

(٥) (ويقولون متى هو) أى البعث ، استبعادا له ونفيا .

(٦) أى هو قريب . وعسى للوجوب .

(٧) (يوم يدعوكم) إلى المحاسبة وهو يوم القيامة .

(٨) أى تجيبون حامدين . والباء للحال . عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : سبحانك اللهم وبحمدك .

(٩) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر .

(١٠) (وقل) للؤمنين (يقولوا) للشركين الكلمة (التي هى أحسن) والين ولا يخاشنوهم وهى أن يقولوا يهديكم الله . أو فسر (التي هى أحسن) بقوله (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو إن يشأ يعذبكم) بالخذلان . أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغیظهم ويهيجهم على الشر . وقوله (إن الشيطان يترغ بينهم) اعتراض .

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ^(١) إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ^(٢)
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءً يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ^(٣) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
 بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ^(٤) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ
 زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ^(٥)

(١) يلقي بينهم الفساد ويفرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاققة . والتزعج إيقاع
اشترى وإفساد ذات البين . وقرأ طلحة (ينزع) بالكسر . وهما لغتان .

(٢) ظاهر العداوة .

(٣) (وما أرسلناك) حافظا لأعمالهم وموكلًا إليك أمرهم . وإنما أرسلناك بشيرا
ونذيرا . فدارهم وممر أصحابك بالمدارة .

(٤) (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل
واحد منهم .

(٥) (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم — وقوله (وآتينا داود زبوراً) دلالة على وجه
تفضيله — لأن ذلك مكتوب في زبور داود . قال الله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وهم مجد وأمته . ولم يعترف الزبور هنا وعرفه
في قوله (ولقد كتبنا في الزبور) لأنه كالعباس وعباس والفضل وفضل .

(٦) (ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهتكم (من دونه) من دون الله . وهم الملائكة أو عيسى
وعزير أو نفر من الجن عبدتهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا .

(٧) أى ادعواهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب
ولا أن يحوئوه من واحد إلى آخر .

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۖ وَإِنْ
 مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا
 شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ

(١) (أولئك) مبتدأ . (الذين يدعون) صفة . أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم . والخبر
 (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) . يعنى أت آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القرية إلى الله عز وجل .

(٢) بدل من واو (يبتغون) و (أى) موصولة . أى يبتغى من هو أقرب منهم الوسيلة إلى
 الله . فكيف بغير الأقرب ؟ أو ضمن يبتغون (الوسيلة) معنى يحرصون . فكأنه قيل يحرصون
 (أيهم) يكون (أقرب) إلى الله . وذلك بالطاعة وازدياد الخير .

(٣) (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله . فكيف يزعمون أنهم آلهة ؟

(٤) حقيقا بأن يحدزه كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم .

(٥) قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة .

(٦) فى اللوح المحفوظ .

(٧) مكتوبا . وعن مقاتل : وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها : أما مكة فيخربها
 الحبشة . وتملك المدينة بالجوع ، والبصرة بالفرق ، والكوفة بالترك ، والجبال بالصواعق والرواجف .
 وأما نراسان فعذابها ضروب . وأما بلخ فتصيبهم همة فيهلك أهلها . وأما بدخشان فيخربها
 أقوام ، وأما ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون . وأما صغانيان إلى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع . وأما
 سمرقند فيغلب عليها بنو قنطورا فيقتلون أهلها قتلا ذريعا . وكذا فرغانة والشاش واسيجاب
 وخوارزم . وأما بخارى فهى أرض الجبارة فيموتون حقا وجوعا . وأما مرو فيغلب عليها
 الرمل ويهلك بها العلماء والعباد . وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا . وأما نيسابور
 فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم . وأما الرى فيغلب عليها الطيرية والدليم
 فيقتلونهم . وأما أرمينية وأذربيجان فيهلكها سناك الخيول والحيوش والصواعق والرواجف .
 وأما همدان فالدليم يدخلها ويخربها . وأما حلوان فتمربها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ
النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوهَا ^(١) وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ^(٢) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ
إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّءْيَا آلِيَّ أَرَيْنَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ^(٣)

قردة وخنازير. ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لأهلها ولأهل دمشق، وويل
لأهل أفريقية وويل لأهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس. وأما سجستان فيصيبهم ريح
عاصف أيا ما تم هذة تأتيهم ويموت فيها العلماء. وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو.
وصاحوا صيحة تتخلع القلوب وتموت الأبدان.

(١) استعير المنع لترك إرسال الآيات و(أن) الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنها
مفعول ثان لمنعنا. و(أن) الثانية مع صلتها في موضع الرفع لأنها فاعل (منعنا). والتقدير وما منعنا
إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين. والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا
ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك. وسنة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها
ثم لم يؤمن، أن يعاجل بعذاب الاستئصال. والمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من
الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو
أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل. وقد حكينا أن تؤخر أمر من
بُعث إليهم إلى يوم القيامة. ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الأولون ثم كذبوا بها
لما أرسلت فأهلكوا، واحدة. وهي ناقة صالح عليه السلام لأن آثاره هلاكهم قريية من
حدودهم يبصرها صادرم وواردم. فقال (وآتيناهم الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بيّنة
(فظلموا بها) فكفروا بها.

(٢) إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إلا تخويفا) من نزول العذاب العاجل
كالطليعة والمقدمة له. فإن لم يخافوا وقع عليهم. وإن أراد غيرها فالمعنى (وما نرسل) ما نرسل
من الآيات كآيات القرآن وغيرها (إلا تخويفا) وإنذارا بعذاب الآخرة. وهو مفعول له.

(٣) واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علما وقدره فكلمهم في قبضته فلا
تبال بهم وامض لأمرك وبلغ ما أرسلت به. أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك
قوله (سيبزم الجمع ويولون الدبر). (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس
المهاد). بجملة كأن قد كان ووجد. فقال (أحاط بالناس) على سنته في أخباره. ولعل الله

وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (١)

تعالى أراه مصارعهم في منامه . فقد كان يقول حين ورد ماء بدر « والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم » وهو يومئ إلى الأرض ويقول « هذا مصرع فلان » . فتسامعت قريش بما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء .

(١) أى (و) ماجعلنا (الشجرة الملعونة في القرآن) إلابتنة للناس . فأنهم حين سمعوا بقوله (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الحجيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة . (وما قدروا الله حق قدره) إذ قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل - وهو دويبة ببلاد الترك - يتخذ منه مناديل إذا آسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار . وترى النعامة تبتلع الحجر فلا يضرها . وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها . بغاز أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها . والمعنى أن الآيات إنما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أترفهم . ثم قال (ونحوفهم) أى بخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (إلا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات ؟

وقيل الرؤيا هى الإسراء . والفتنة ارتداد من استعظم ذلك . وبه تعلق من يقول كان الإسراء فى المنام . ومن قال كان فى اليقظة فسّر الرؤيا بالرؤية . وإنما سمّاها رؤيا على قول المكذّبين حيث قالوا له : لعلها رؤيا رأيتها ، استبعادا منهم ، كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة كقوله (فراغ إلى آلهتهم) . (أين شركائى) . أو هى رؤيا أنه سيدخل مكة . والفتنة الصدّ بالحديبية . فإن قلت : ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم ؟ قلت : معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة ، لأنه قال (ثم إنكم أيها الضالّون المكذّبون لا تكون من شجر من زقوم فالنون منها البطون) . فوصفت بلعن أهلها على المجاز . ولأت العرب تقول لكل طعام مكروه ضارّ ملعون ولأت اللعن هو الإبعاد من الرحمة . وهى فى أصل الحجيم فى أبعاد مكان من الرحمة .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ
 طِينًا ^(١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ ^(٢) أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ^(٤) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
 جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ^(٥) وَأَسْتَفْزِرُ ^(٦) مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ^(٧)

(١) هو تمييز أو حال من الموصول . والعامل فيه (أسجد) على (أسجد) له وهو طين أى أصله طين .

(٢) الكاف لا موضع لها ، لأنها ذكرت للخطاب تأكيداً . (هذا) مفعول به . والمعنى أخبرني عن هذا الذي (كرمته على) أى فضله لم كرمته على . و (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ؟ حذف ذلك اختصاراً لدلالة ما تقدم عليه . ثم ابتداء فقال : (لئن أخرتني) وبلا ياء كوفي وشامي . واللام موطئة للقسم المحذوف .

(٣) لأستاصلنهم ياغوائهم .

(٤) وهم المخلصون . قيل من كل ألف واحد . وإتما علم المعون ذلك بالإعلام أو لأنه رأى أنه خلق شهواني .

(٥) ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء . وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية . ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) والتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك . ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل (جزاؤكم جزاء موفورا) أى موفرا . وانتصب بإضمار تجازون .

(٦) استرل أو استخف . استفزه أى استخفه . والفز الخفيف .

(٧) بالوسوسة أو بالفناء أو بالمزمار .

وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
 وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۗ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۗ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ
 لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۗ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْفُ فِي الْبَحْرِ
 لَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۗ

(١) (وأجلب عليهم) أجمع وصح بهم . من الجلبة وهو الصباح .

(٢) بكل راكب وماش من أهل العيث: فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره
 الركب والصحب. (ورجلك) حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتب وتاعب. ومعناه وجمعك
 الرجل . وهذا لأن أقصى ما يستطيع في طلب الأمور الخليل والرجل . وقيل يجوز أن يكون
 لإبليس خيل ورجال .

(٣) قال الزجاج كل معصية في مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالرايا والمكاسب
 المحترمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد
 بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس .

(٤) (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة
 وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك .

(٥) هو تزوين الخطأ بما يوهم أنه صواب .

(٦) (إن عبادي) الصالحين .

(٧) (ليس لك عليهم سلطان) يد بتبديل الإيمان ولكن بتسويل العصيان .

(٨) (وكفى بربك وكيلًا) لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك .

والكل أمر تهديد فيعاقب به . أو إهانة ، أى لا يتحل ذلك بملكى .

(٩) يجرى ويسير .

(١٠) يعنى الربح فى التجارة .

(١١) أى خوف الفرق .

ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 كَفُورًا ۖ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
 لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۖ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
 قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ

(١) ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون
 سواه. أو (ضل من تدعون) من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه، على الاستثناء
 المتقطع .

(٢) (أعرضتم) عن الإخلاص بعد الخلاص .

(٣) أى الكافر .

(٤) (كفورا) للنعم .

(٥) الهزمة للإنكار . والفاء للعطف على محذوف تقديره (أ) نجوتم (فأمنتم) فحملكم ذلك
 على الإعراض .

(٦) انتصب (جانب) يخسف مفعولا به كالأرض في قوله (نخسفنا به وبداره الأرض)
 و(بكم) حال . والمعنى أن يخسف جانب البرأى يقبله وأتم عليه . والحاصل أن الجوانب كلها
 في قدرته سواء . وله في كل جانب، برأ كان أو بحرا، سبب من أسباب الهلاك . ليس جانب
 البحر وحده مختصا به بل إن كان الفرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف . وهو
 تغيب تحت التراب . والفرق تغيب تحت الماء . فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله في جميع
 الجوانب وحيث كان .

(٧) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء . يعنى أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم
 بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء .

(٨) (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم .

(٩) أى (أم أمنتم) أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى
 نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفا من الريح) وهى الريح التى لها قصف
 وهو الصوت الشديد ، أو هو الكاسر للفلك .

فِيغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ^(٢) وَلَقَدْ
 كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ^(٣) وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ ^(٤) وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ^(٥)
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ^(٦) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ ^(٧)

(١) بكفرانكم النعمة وهو إعراضكم حين نجاتكم .

(٢) مطالبا من قوله (فاتباع بالمعروف) أى مطالبة . والمعنى إنا نفعل ما نفعل بهم ثم
 لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا ودركا للثار من جهتنا . وهذا نحو قوله (ولا يخاف
 عقباها) . (أن نخسف ، أو نرسل ، أن نعيدكم ، فنرسل ، فنغرقكم) بالتون مكى وأبو عمرو .

(٣) (ولقد كرّمنا بنى آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة
 وتدير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي . وعن الرشيد
 أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله تعالى . فقال له جاء في تفسير
 جدك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (ولقد كرّمنا بنى آدم) جعلنا لهم أصابع يأكلون بها .
 فأحضرت الملاعق . فردّها وأكل بأصابعه .

(٤) (وحملناهم فى البرّ) على الدواب (والبحر) على السفن .

(٥) باللذيات أو بما كسبت أيديهم .

(٦) أى على الكلّ كقوله (وأكثروهم كاذبون) . قال الحسن : أى كلهم . وقوله (وما يتبع
 أكثروهم إلا ظناً) ذكر فى الكشف أن المراد بالأكثر الجميع . وعنه عليه السلام " المؤمن أكرم
 على الله من الملائكة " . وهذا لأنهم محبوبون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة ، وفى البهائم شهوة
 بلا عقل ، وفى الآدمى كلاهما . فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته
 عقله فهو شرّ من البهائم . ولأنه خلق الكلّ لهم وخلقهم لنفسه .

(٧) (يوم) منصوب باذكر .

(٨) الباء للحال . والتقدير مختلطين بإمامهم أى بمن اتّموا به من نبيّ أو مقدّم فى الدين
 أو كتاب أو دين . فيقال يا أتباع فلان ياهل دين كذا أو كتاب كذا . وقيل بكتاب أعمالهم
 فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشرّ .

فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ
 فَتِيلًا ۝ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ
 سَبِيلًا ۝ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا
 غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّنَّاكَ لَقَدْ تَرَكْنَا لِيهِمْ
 شَيْئًا قَلِيلًا ۝

(١) (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين .

(٢) وإنما قيل (أولئك) لأن (من) في معنى الجمع .

(٣) (ولا يظلمون فتيلًا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء . ولم يذكر الكفار وإيتاء

كتيبهم بشمالهم اكتفاءً بقوله (ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك .
 والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة .
 أما في الدنيا فللفقد النظر وأما في الآخرة فلا أنه لا ينفعه الاهتداء إليه . وقد جوزوا أن يكون
 الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف (وأضل) . ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفتحا
 لأن أفعال التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الإمامة .
 وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمامة . وأما حمزة وعلي
 ونختمهما الباقيون .

(٤) (وأضل سبيلا) من الأعمى أى أضل طريقا .

(٥) نزل لما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن
 بك . (إن) محققه من الثقلية . واللام فارقة بينها وبين النافية . والمعنى إنك الشأن قاربوا أن
 يفتنوك أى يخذعوك فاتنين (عن الذي أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهيها ووعدها ووعيدنا .
 لتقول علينا ما لم نقل . يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيداً والوعد ووعدا .

(٦) أى ولو أتبعتم مرادهم (لأخذوك خليلا) ولكنك لهم ولياً وخرجت من ولايتي .

(٧) ولولا تثبيتنا وعصمتنا لقاربت أن تميل إلى مكركم (شيئا قليلا) ركونا قليلا . وهذا

تهييج من الله له وفضل تثبيت .

إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا
 نَصِيرًا ^(٢) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
 وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ^(٣) سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ^(٤)

(١) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك) عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) الآية . وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار . والعذاب يوصف بالضعف كقوله (فاتهم عذابا ضعفا من النار) أى مضاعفا . فكأن أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات . ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقول (ضعف الحياة وضعف الممات) . ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار . وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله . ولما نزلت كان عليه السلام يقول "اللهم لا تكني إلى نفسى طرفة عين" .

(٢) معينا لك يمنع عذابنا عنك .

(٣) أى أهل مكة .

(٤) ليزعجونك بعدوانهم ومكرهم .

(٥) من أرض مكة .

(٦) (وإذا) لا يبقون (خلفك) بعدك أى بعد إخراجك - (خلافك) كوفى غير أبى بكر وشامى بمعناه - (إلا) زمانا (قليل) فإن الله مهلكهم . وكان كما قال فقد أهلكوا بيبدر بعد إخراجهم بقليل . أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم . ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه . وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة .

(٧) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرائهم فسنة الله أن يهلكهم . ونصبت نصب المصدر المؤكد ، أى سن الله ذلك سنة .

وَلَا تَجِدُ لِسِنَّتِنَا تَحْوِيلًا ^(١) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ ^(٢)
 اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ^(٣) ^(٤) وَمِنَ اللَّيْلِ ^(٥)
 فَتَهَجَّدْ بِهِ ^(٦) نَافِلَةً ^(٧) لَكَ ^(٨) عَسَى ^(٩) أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ^(١٠) وَقُلْ رَبِّ

(١) تبديلا .

(٢) لزوالها . وعلى هذا ، الآية جامعة للصلوات الخمس . أو لغروبها . وعلى هذا يخرج
 الظهر والعصر .

(٣) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء .

(٤) صلاة الفجر . سميت قرآنا — وهو القراءة — لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا .
 وهو حجة على الأصم حيث زعم أن القراءة ليست بركن . أو سميت قرآنا لطول قراءتها . وهو
 عطف على الصلاة .

(٥) يشهده ملائكة الليل والنهار : ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء في آخر ديوان الليل وأول
 ديوان النهار . أو يشهده الكثير من المصلين في العادة .

(٦) وعليك بعض الليل .

(٧) التهجد ترك المجود للصلاة . ويقال في النوم أيضا تهجد .

(٨) بالقرآن .

(٩) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس . وضع (نافلة) موضع تهجد لأن التهجد عبادة
 زائدة . فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد . والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات
 المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم .

(١٠) نصب على الظرف . أى (عسى أن يبعثك) يوم القيامة فيقيمك (مقاما محمودا) .
 أو ضمن يبعثك معنى يقيمك . وهو مقام الشفاعة عند الجمهور . ويدل عليه الأخبار ،
 أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد .

أَدْخَانِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا
 نَصِيرًا (١) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٢)
 وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ
 إِلَّا خَسَارًا (٣) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ (٤)

(١) هو مصدر . أى (أدخلني) القبر إيدخالاً مرضياً على طهارة من الزلات .

(٢) أى (أخرجني) منه عند البعث إيدخالاً مرضياً ملقاً بالكرامة آمنة من الملامة . دليله ذكره على أثر ذكر البعث .

وقيل نزلت حين أمر بالهجرة . يريد إيدخال المدينة والإخراج من مكة . أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلاسه من أمر ومكان .

(٣) حجة تنصرنى على من خالفنى . أو ملكاً وعزاً قوياً ناصرًا للإسلام على الكفر مظهرها له عليه .

(٤) (وقل جاء الحق) الإسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك . أو جاء القرآن وهلك الشيطان .

(٥) كان مضمحلاً في كل أوان .

(٦) وبالتخفيف أبو عمرو .

(٧) (من) للتبيين .

(٨) (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة للمؤمنين) وتفريج للكروب ، وتطهير للعيوب ، وتكفير للذنوب . وفي حديث "من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله" .

(٩) الكافرين .

(١٠) ضلالاً لتكذيبهم به وكفرهم .

(١١) (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالصحة والسعة ، أو (أنعمنا) بالقرآن (أعرض) عن ذكر الله .

(١٢) تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يولى عرضه وجهه . والنأى بالجانب أن يولى عنه عطفه ويولى ظهره . أو أراد الاستبصار لأن ذلك من عادة المستكبرين (نأى) بالإمالة حمزة ، وبكسرها على .

وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُعُوسًا ^(٢) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ^(٤)
فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ^(٥) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٦)

(١) الفقر والمرض أو نازلة من التوازل .

(٢) شديد اليأس من روح الله .

(٣) أى كل أحد .

(٤) على مذهبه وطريقته التى تشا كل حاله فى الهدى والضلال .

(٥) أسد مذهبها وطريقة .

(٦) أى من أسر يعلمه ربى . الجمهور على أنه الروح الذى فى الحيوان . سألوه عن حقيقة فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه . وعن أبى هريرة "لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح" . وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه . والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز . ولذا رد ما قيل فى حده إنه جسم دقيق هوأتى فى كل جزء من الحيوان . وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام (نزل به الروح الأمين على قلبك) . وعن الحسن القرآن دليله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) ولأن به حياة القلوب و (من أمر ربى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر . وروى أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح . فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي . فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة . فندموا على سؤالهم . وقيل كان السؤال عن خلق الروح . يعنى أهو مخلوق أم لا . وقوله (من أمر ربى) دليل خلق الروح . فكان هذا جوابا .

(٧) الخطاب عام . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه ؟ فقال بل نحن وأتم لم تؤت من العلم إلا قليلا . وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا
 وَكِيلًا ﴿١﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٢﴾
 قُل لَّيِّنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
 لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
 لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٤﴾

الحكمة وقد تلوت (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) . فقبل لهم إن علم التوراة قليل
 في جنب علم الله . فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية . فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير
 في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة .

(١) نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدل في السؤال . (لنذهب) جواب
 قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط . واللام الداخلة على إن توطئة للقسم . والمعنى إن
 شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم تترك له أثرا (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب
 به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا (إلا) أن يرحمك ربك فيرده عليك
 كأن رحمته تتوكل عليه بالرد . أو يكون على الاستثناء المنقطع . أى ولكن رحمة من ربك
 تركته غير مذهب به . وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة
 في تنزيله وتحفيظه .

(٢) معينا . و(لا يأتون) جواب قسم محذوف . ولولا اللام الموطئة لحاز أن يكون جوابا
 للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لأن الشرط وقع ماضيا . أى لو تظاهروا
 على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله .
 نزل جوابا لقول النضر (لو نشاء لقلنا مثل هذا) .

(٣) ردنا وكرنا .

(٤) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه .

(٥) بجودا . وإتماجاز (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولم يجز ضربت إلا زيدا لأن
 (أبى) متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا (إلا كفورا) .

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ^(٣) أَوْ تَكُونَ لَكَ ^(٢)
 جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ ^(٤) الْأَنْهَارُ خَلَاءَهَا تَفْجِيرًا ^(٥) أَوْ تُسْقِطَ
 السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا ^(٦) أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا ^(٧) أَوْ يَكُونَ
 لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُنْحُرٍ ^(٨) أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ^(٩) حَتَّى تُنزَلَ عَلَيْنَا ^(١١)

(١) وبالتخفيف كوفي . لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر
 ولزمتهم الحجمة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير .

(٢) أى مكة .

(٣) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع . يفعل من نبع الماء .

(٤) التشديد هنا يجمع عليه .

(٥) وسطها .

(٦) بفتح السين مدنى وعاصم أى قطعا . يقال : أعطنى كسفة من هذا الثوب .
 ويسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدره وسدر . يعنون قوله (إن نشأ نخسف بهم الأرض
 أو نسقط عليهم كسفا من السماء) .

(٧) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته . والمعنى (أو تأتى بالله) قبيلا وبالملائكة قُبلا
 كقوله "كنت منه ووالدى برىا" . أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه (لولا أنزل علينا
 الملائكة أو نرى ربنا) . أو جماعة . حالا من الملائكة .

(٨) ذهب .

(٩) تصعد إليها .

(١٠) لأجل رقيك .

(١١) وبالتخفيف أبو عمرو .

كُتِبَا نَقَرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٥)
 وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
 رَسُولًا (٦) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
 مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٧) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (٨)

(١) (كتاباً) من السماء فيه تصديقك .

(٢) صفة كتاب .

(٣) (قال) مكّي وشامّي . أي قال الرسول .

(٤) تعجب من اقتراحاتهم عليه .

(٥) أي أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم . وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات . فليس أمر الآيات إلى إيمانهم هو إلى الله فما بالكم تتغيرونها على؟
 (٦) (وما منع) أهل مكة (أن يؤمنوا) محله نصب بأنه مفعول ثانٍ لمنع (إذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن (إلا أن قالوا) فاعل منع . والتقدير وما منهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا قولهم (أبعث الله بشراً رسولاً) أي إلا شبهة تمكنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر . والهمزة في (أبعث الله) للإنكار . وما أنكروه ففي قضية حكمته (*) منكر .

(٧) (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الإنسان — ولا يطاؤون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه — (مطمئنين) حال ، أي ساكنين في الأرض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً) يعلمهم الخير ويهديهم المرشد . فإما الإنسان فإعما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم . (وبشراً) و (ملكاً) حالان من (رسولاً) .

(٨) (شهاداً) على أنني بآغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعانتم . (شهاداً) تمييز أو حال .

(*) قوله منكر هكذا في النسخ الخط والطبع ولعل قبله سقطاً تقديره خلافه ويدل عليه عبارة الكشف ونصها (وما أنكروه بخلافه) هو المنكر عند الله لأن قضية حكمته ألا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء . اهـ

إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا^(٢) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ
 تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ^(٥) وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَ^(٦) وَبِكَمَا
 وَصَّوْنَا مَا وَلَّيْنَاهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا^(٨) ذَلِكَ جَزَاءُ^(٩) الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِمَا يَتَّبِعُونَ وَقَالُوا لَا إِذَا كُنَّا عِزًّا وَلَا إِذَا كُنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلَقْنَا^(١٠) جَدِيدًا

(١) المنذرين والمنذرين .

(٢) (خبيرا) عالما بأحوالهم (بصيرا) بأفعالهم فهو مجازيهم . وهذه تسليية لرسول الله عليه السلام ووعد للكفرة .

(٣) وبالياء يعقوب وسهل . وافقهما أبو عمرو ومدني في الوصل . أى من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله .

(٤) أى ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان .

(٥) أى أنصارا .

(٦) أى يسحبون عليها كقوله (يوم يسحبون في النار على وجوههم) . وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال "إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم" .

(٧) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامتون عن استماعه ، فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقتر أعينهم ولا يسمعون ما يلد مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم .

(٨) طفي لها .

(٩) توقدا .

(١٠) أى (ذلك) العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفاء . فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسرتهم على تكذيبهم البعث .

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
 مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٤﴾
 قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴿٧﴾
 وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿٩﴾

(١) (أولم) يعلموا .

(٢) من الإنس .

(٣) وهو الموت أو القيامة .

(٤) جحودا مع وضوح الدليل .

(٥) تقديره لو تملكون أتم ، لأن لو تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها
 فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو (أتم)
 لسقوط ما يتصل به من اللفظ . فآتم فاعل الفعل (المضمر) و(تملكون) تفسيره . وهذا هو الوجه
 الذي يقتضيه علم الإعراب . وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن (أتم تملكون) فيه دلالة على
 الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشع المتبالغ .

(٦) رزقه وسائر نعمه على خلقه .

(٧) أي لبخلتم خشية أن يفنيه الإنفاق .

(٨) بخيلا .

(٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما : هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
 والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل . وعن الحسن : الطوفان والسنون ونقص
 الثمرات مكان الحجر والبحر والطور .

فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى
 مَسْحُورًا ﴿٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ بِصَاطِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿٦﴾ فَأَرَادَ أَنْ
 يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٧﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 ﴿٨﴾

(١) (ف) قلنا له (أسأل بني إسرائيل). أي سلهم من فرعون وقل له (أرسل) أي بني إسرائيل).

(٢) (إذ) متعلق بالقول المحذوف أي قلنا له سلهم حين (جاءهم) .

(٣) سحرت فحواظ عقلك .

(٤) أي موسى .

(٥) (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) خالفهما (بصائر) — حال . أي بينات مكشوفات — إلا أنك معاند . ونحوه (ومجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعاوًا) . (علمت) على . أي أتى لست مسحورا كما وصفتني ، بل أنا عالم بصحة الأمر ، وأن هذه الآيات متزها (رب السموات والأرض) .

(٦) قارع ظنه بظنه كأنه قال إن ظننتني (مسحورا) فإنا أظنك (مَثْبُورًا) هالكا . وظنى أصح من ظنك لأن له أماره ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها . وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمرى إنى لأظنك مسحورا قول كذب . وقال الفراء (مَثْبُورًا) مصروفا عن الخير من قولهم ما تبرك عن هذا ، أي ما منعك وصرفك .

(٧) (فأراد أن) يخرجهم أي موسى وقومه (من) أرض مصر . أو ينفيم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال . فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبضه .

(٨) من بعد فرعون .

لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ^(٣)
 وَيَلْحَقُ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ^(٤)
 وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ^(٥) وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ^(٦)

(١) (اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها

(٢) أى القيامة .

(٣) جمعا مختلطين لياكم ولآبائهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم . واللفيف
 الجماعات من قبائل شتى .

(٤) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية
 إلى كل خير . أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على
 الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين . قال الراوى اشتكى محمد بن السمك فأخذنا ماءه
 وذهبنا به إلى طيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب . فقال لنا
 إلى أين؟ فقلنا له إلى فلان الطيب نريه ماء ابن السمك . فقال سبحان الله تستعينون على ولى
 الله بعدو الله . اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السمك وقولوا له ضع يدك على موضع
 الوجع وقل (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) . ثم غاب عنا فلم نره . فرجعنا إلى ابن السمك فأخبرناه
 بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي فى الوقت . وقال : كان ذلك
 انخضر عليه السلام .

(٥) (مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار .

(٦) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل .

(٧) على تؤدة وثبتت .

(٨) (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث .

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا ^(١) إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ^(٢) إِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ^(٣) يَخْرُونَ
لِلَّذِّقَانِ ^(٤) سُبْحًا وَيُقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا ^(٥) إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا
وَيَخْرُونَ لِلَّذِّقَانِ ^(٦) يَبْكُونَ ^(٧) وَيَزِيدُهُمْ ^(٨) خُشُوعًا ^(٩) قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ

(١) أى اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم .

(٢) أى التوراة من قبل القرآن .

(٣) القرآن .

(٤) حال .

(٥) علل بقوله (إن الذين أوتوا العلم من قبله) لقوله (آمنوا به أولا تؤمنوا). أى أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه . وهو المراد بالوعد المذكور. (إن) بمعنى إنه وهى تؤكد الفعل كما أتت تؤكد الاسم وكما أكدت (إن) باللام في (إنهم لمحضرون) أكدت (إن) باللام في (لمفعولا) .

(٦) معنى الخرور للذقن السقوط على الوجه . وإنما خص الذقن لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن . يقال خرّ على وجهه وعلى ذقنه وخرّ لوجهه ولذقنه . أما معنى على فظاهر . وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به إذ اللام للاختصاص . وكرر (يخرون للذقن) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين .

(٧) القرآن .

(٨) لين قلب ورطوبة عين .

(٩) لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يارحمن قال إنه نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر . فنزلت . وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقلّ ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم . فنزلت . والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء . و(أو) للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا .

أَيَّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا
 وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٣﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا
 وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ
 تَكْبِيرًا ﴿٧﴾

(١) التنوين عوض من المضاف إليه . و (ما) زيدت للتوكيد . و (آيا) نصب بتدعوا وهو مجزوم بأى ، أى أى هذين الاسمين ذكركم وسميتم .

(٢) الضمير في (فله) يرجع إلى ذات الله تعالى . والفاء لأنه جواب الشرط . أى أياماً تدعوا فهو حسن . فوضع موضعه قوله (فله الأسماء الحسنى) لأنه إذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها . ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد والتفديس والتعظيم .

(٣) (ولا تجهر) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس ، إذ الجهر والمخافتة صفتان تعقبان على الصوت لا غير . والصلاة أفعال وأذكار . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسوا فأمر بأن يخفض من صوته . والمعنى (ولا تجهر) حتى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلاً) وسطاً . أو معناه (ولا تجهر بصلاتك) كلها (ولا تخافت بها) كلها (وابتغ بين ذلك سبيلاً) بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار . أو (بصلاتك) بدعائك .

(٤) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح .

(٥) كما زعم المشركون .

(٦) أى لم يذل فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحداً من أجل مذلته به ليدفعها بموالاته .

(٧) وعظمه وصفه بأنه أكبر من يكون له ولد أو شريك . وسمى النبي عليه السلام

الآية آية العز . وكان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية .

سورة الكهف مكية

وهي مائة وإحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ^(٣) قِيمًا ^(٤)
لِيُنذِرَ ^(٥) بَأْسًا شَدِيدًا ^(٦) مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ^(٧) الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

(١) حمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) القرآن . لقن الله عباده وفقههم كيف يتنون عليه ويمجدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم .

(٣) أى شيئا من العوج . والعوج فى المعانى كالعوج فى الأعيان . يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج . والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة .

(٤) مستقيما . وانتصابه بمضمر وتقديره جعله (قيما) لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة . وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة — وفى أحدهما غنى عن الآخر — التأكيد . فرب مستقيم مشهور له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح . أو (قيما) على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها .

(٥) أنذر متعديا إلى مفعولين كقوله (إنا أنذركم عذابا قريبا) . فاقصر على أحدهما . وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) . وإنما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقصر عليه .

(٦) صادرا من عنده .

(٧) أى بأن لهم . (ويبشر) حمزة وعلى .

أَجْرًا حَسَنًا ^(١) مَكِينٍ فِيهِ ^(٢) أَبَدًا ^(٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ
 وَلَدًا ^(٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ ^(٥) كَلِمَةً تَخْرُجُ ^(٦) مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ^(٧)
 إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ^(٨) فَلَعَلَّكَ ^(٩) بَدِخٌ نَفْسِكَ ^(١٠) عَلَىٰ آثَرِهِمْ ^(١١) إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا

(١) أى الجنة .

(٢) حال من هم فى (لهم) .

(٣) فى الأجر وهو الجنة .

(٤) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره .

(٥) أى بالولد أو باتخاذه . يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط .
 فإن قلت اتخذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم ؟ قلت معناه ما لهم به
 من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته . وانتفاء العلم بالشئ إما للجهل بالطريق الموصل إليه
 أو لأنه فى نفسه محال .

(٦) المقلدين .

(٧) نصب على التمييز . وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة ! . والضمير
 فى (كبرت) يرجع إلى قولهم (اتخذ الله ولدا) . وسميت كلمة كما يسمون الفصيحة بها .

(٨) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم بأن
 كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتالكون أن يتفوهوا به بل
 يكظمون عليه فكيف يمثل هذا المنكر ؟

(٩) ما يقولون ذلك (إلا كذبا) هو صفة لمصدر محذوف أى قولاً كذبا .

(١٠) قاتل نفسك .

(١١) أى آثار الكفار . شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف
 على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبيخ نفسه وجدا عليهم وتلفها
 على فراقهم .

بِهَذَا الْحَدِيثِ ^(١) أَسْفًا ^(٢) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ^(٣) لِنَبْلُوهُمْ
 أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ^(٤) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ^(٥) أَمْ حَسِبْتَ
 أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ^(٦) كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا ^(٧) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ
 إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا ^(٨) رَشَدًا ^(٩)

(١) بالقرآن .

(٢) مفعول له أى لفرط الحزن . والأسف المبالغة فى الحزن والغضب .

(٣) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها .

(٤) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاعتقار بها .

(٥) ثم زهد فى الميل إليها بقوله (وإنا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسلا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة . والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك .

(٦) لما ذكر من الآيات الكليّة تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التى لاحصر لها وإزالة ذلك كلّها كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعنى أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة . والكهف الغار الواسع فى الجبل . والرقيم اسم كلهم أو قريتهم . أو اسم كتاب كتب فى شأنهم . أو اسم الجبل الذى فيه الكهف .

(٧) أى (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا . وصفا بالمصدر . أو على ذات عجب .

(٨) أى اذ كر (إذ) .

(٩) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والأمن من الأعداء .

(١٠) (وهىء لنا من أمرنا) أى الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى تكون بسببه راشدين مهتدين . أو اجعل أمرنا (رشدا) كلّه كقولك : رأيت منك أسدا . أو يسر لنا طريق رضاك .

فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ^(١) ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ ^(٢) لُجُجًا ^(٣) أَيْ الْحَزْبِينَ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ^(٤) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ^(٥) إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ^(٦) آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ^(٧) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ^(٨) ^(٩)

(١) أى ضربنا عليها حجابا من النوم . يعنى أمناهم إنامة ثقيلة لا تنبهم فيها الأصوات ، مخدّف المفعول الذى هو الحجاب .

(٢) ذوات عدد ، فهو صفة لسنين . قال الزجاج : أى تعدد عددا لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثرت . فأما دراهم معدودة فهى على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير .
(٣) أيقظناهم من النوم .

(٤) (أى الحزبين) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لأنهم لما اتبهاوا اختلفوا فى ذلك . وذلك قوله (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) . وكان الذين قالوا (ربكم أعلم بما لبثتم) هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول . أو (أى الحزبين) المختلفين من غيرهم .

(٥) غاية . و(أحصى) فعل ماض . و(أمدًا) ظرف لأحصى أو مفعول به . والفعل الماضى خبر المبتدأ ، وهو (أى) . والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولى (نعلم) . والمعنى أنهم ضبط (أمدًا) لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم . ومن قال أحصى أفعال من الإحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير الثلاثى المحرر ليس بقياس . ولأنما قال (لنعلم) مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم إزدادوا إيمانًا واعتبارًا وليكون لطفًا لمؤمنى زمانهم وآية بيّنة لكفاره . أو المراد (لنعلم) اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده .
(٦) بالصدق .

(٧) جمع فتى . والفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم . وقيل الفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يركى نفسه بعد الفعل .

(٨) يقينا . وكانوا من خواصّ دقيانوس قد قذف الله فى قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا . وقالوا ليلخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضمّر لصاحبه . ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان .

(٩) وقويها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرتناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام .

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهَا إِلَهًا لَقَدْ
 قَانَا إِذَا شَطَطًا ^(١) هَتُولَاءِ قَوْمَنَا ^(٢) ^(٣) ^(٤) نَدْعُوا مِنْ دُونِهَا إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ
 بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ^(٥) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ^(٦) وَإِذْ أَعْتَرَلْتُمُوهُمْ ^(٧)
 وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢)

(١) (إذ قاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك
 عبادة الأصنام (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) مفتخرين (لن ندعو من دونه إلها).
 ولئن سميتهم آلهة (لقد قلنا إذا شططا) قولا ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإماد فيه من
 شط يسط ويشط إذا بعد .

(٢) مبتدأ .

(٣) عطف بيان .

(٤) خبر . وهو إخبار في معنى الإنكار .

(٥) هلا (يأتون) على عبادتهم . حذف المضاف .

(٦) بحجة ظاهرة وهو تبيكيت ، لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال .

(٧) بنسبة الشريك إليه .

(٨) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم .

(٩) نصب عطف على الضمير . أى (وإذ اعتزلتموهم) واعتزلتم معبوديهم .

(١٠) استثناء متصل لأنهم كانوا يقفون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة . أو منقطع

أى وإذ عزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها من دون الله .

أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله .

(١١) صيروا إليه . أو اجعلوا الكهف مأواكم .

(١٢) من رزقه .

وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ^(١) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ ^(٢)
 عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ
 فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ^(٣) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ^(٤) وَمَنْ
 يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ^(٥) وَنَحْسِبُهُمْ ^(٦) أَيْقَاطًا ^(٧) وَهُمْ رُقُودٌ ^(٨)

(١) (مرفقا) مدنى وشامى. وهو ما يرتفق به أى ينتفع. وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم. أو أخبرهم به نبى فى عصرهم.

(٢) بتخفيف الزاى كوفى. (تروز) شامى (تراور) غيرهم. وأصله تراور نخفف بإدغام التاء فى الزاى أو حذفها. والكل من الزور وهو الميل. ومنه زاره إذا مال إليه. والزور الميل عن الصدق.

(٣) (تراور عن كهفهم) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين. وحقيقتها الجهة المسماة باليمين. (وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم أى تركهم وتعذل عنهم. (وهم) فى متنوع من الكهف. والمعنى أنهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم. وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار. (ذلك) أى ما صنعه الله بهم من ازوار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية (من آيات الله). يعنى أن ما كان فى ذلك سمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة. وقيل باب الكهف شامى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة أبدا. ومعنى (ذلك من آيات الله) أن شأنهم وحديثهم من آيات الله.

(٤) مثل ما ترفى (سبحان) وهو ثناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية.

(٥) أى من أضله فلا هادى له.

(٦) بفتح السين شامى وحزمة وطاصم غير الأعشى. وهو خطاب لكل أحد.

(٧) جمع يُقِطُّ.

(٨) نيام. قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك (أيقاظا).

وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبِهِم بَسِيطٌ ذَرَأَعِيَهِ بِالْوَصِيدِ (٣)
 لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَمْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا (٨) وَكَذَلِكَ
 بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ (١٣)

(١) قيل لهم تقلبتان في السنة . وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء .

(٢) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي .

(٣) بالفناء أو بالعبث .

(٤) لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم .

(٥) لأعرضت عنهم وهربت منهم .

(٦) منصوب على المصدر لأن معنى (وليت منهم) فررت منهم .

(٧) وبتشديد اللام مجازي للبالغة .

(٨) تمييز . وبضم العين شامئ وعلى . وهو الخوف الذي يربب الصدر أي يملأه .
 وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم . وعن معاوية
 أنه غزا الروم فمز بالكهف فقال أريد أن أدخل . فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل
 لمن هو خير منك (لوليت منهم فرارا) . فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح .

(٩) وكما أمتانهم تلك النومه كذلك أيقظناهم إظهارا للقدرة على الإنامة والبعث جميعا .

(١٠) ليسأل بعضهم بعضا ويتعزفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم
 قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم .

(١١) رئيسهم .

(١٢) كم مدة لبثكم .

(١٣) جواب مبني على غالب الظن . وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب .

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ^(١) فَأَبِعَثُوا^(٢) أَحَدَكُمْ^(٣) بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا^(٤) أَزْكَى^(٥) طَعَامًا^(٦) فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ^(٨)

(١) بئدة لبئتم . إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام أن المدة متطاوله
وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله . وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انبأهم بعد الزوال
فظنوا أنهم في يومهم . فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك . وقد استدل
ابن عباس رضى الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال في الآية (قال قائل
منهم كم لبئتم) وهذا واحد . وقالوا في جوابه لبئنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة . ثم
قال (ربكم أعلم بما لبئتم) وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة .

(٢) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم
(فابعثوا أحداكم) أى يليخا .

(٣) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة . وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة
وأبو بكر .

(٤) هى طرسوس . وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح
للسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكئين على الاتفاقات ، وعلى ما فى أوعية القوم من
النفقات . وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحزن إلى بيت الله ويقول ما لهذا السفر إلا
شيطان : شد الهميان ، والتوكل على الرحمن .

(٥) أى أهلها فخذف كما فى (واسأل القرية) . و (أى) مبتدأ وخبره (أزكى) .

(٦) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص .

(٧) تمييز .

(٨) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يفغن ، أو فى أمر التبخفى حتى
لا يعرف .

وَلَا يُسْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ^(١) إِنَّهُمْ ^(٢) إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ^(٣) يَرْجِعُوكُمْ ^(٤) أَوْ يُعِيدُوكُمْ ^(٥) فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا ^(٦) إِذَا أَبَدًا ^(٧) وَكَذَلِكَ ^(٨) أَعْرَضْنَا ^(٩) عَنْهُمْ ^(١٠) لِيَعْلَمُوا ^(١١) أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ^(١٢) وَأَنَّ السَّاعَةَ ^(١٣) لَا رَيْبَ ^(١٤) فِيهَا ^(١٥) إِذْ يَتَنَزَّعُونَ ^(١٦) بَيْنَهُمْ ^(١٧) أَمْرَهُمْ ^(١٨)

(١) ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد منه . فسمى ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه .

(٢) الضمير راجع إلى الأهل المقدر في (أيها) .

(٣) يطلعوا عليكم .

(٤) يقتلوكم أخبث القتلة .

(٥) (أو يعيدوكم في ملتهم) بالإكراه . والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم .

(٦) (إذا) يدل على الشرط أي (ولن تفلحوا) إن دخلتم في دينهم (أبدا) .

(٧) وكما أمتناهم وبعثناهم — لما في ذلك من الحكمة — أطلعنا عليهم .

(٨) أي الذين أطلعناهم على حالهم .

(٩) وهو البعث .

(١٠) كائن لأن حالهم في نومهم وانتباههم ؛ لها كحال من يموت ثم يبعث .

(١١) فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث .

(١٢) (إذ) متعلق بأعزناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم)

أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث — فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد،

وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح — ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث

حياة حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت .

فَقَالُوا أَبْنَاءُ عَلِيِّهِمْ بُنَيْنَا ^(٢) رَبَّهُمْ أَعْلَمُ ^(٣) بِرَبِّهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ^(٤)
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ ^(٥) مَسْجِدًا ^(٦)

(١) (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف .

(٢) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربهم ومحافضة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة .

(٣) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم . فلما لم يبتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا (ربهم أعلم بهم) . أو من كلام الله عز وجل رداً لقول الخائضين في حديثهم .

(٤) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم .

(٥) على باب الكهف .

(٦) (مسجداً) يصلّى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم .

روى أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروها على عبادتها . ومن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشرف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومرروا بكاب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال : ما تريدون مني ؟ إني أحب أحباء الله . فناموا وأنا أحرصكم . وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف . فضرب الله على آذانهم . وقيل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن . وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق . فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه . ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياح الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس ، أتهموه بأنه وجد كترًا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة . فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث . ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيدك به من شر الجن والإنس . ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم . فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر بجعل لكل واحد تابوت من ذهب فزأهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج . وبني على باب الكهف (مسجداً) .

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ^(١)

(١) الضمير في (سيقولون) لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب . سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأنحر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم . فتزلت إخباراً بما سيجرى بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم . ويروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم بخرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد- وكان يعقوبياً- كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم . وقال العاقب- وكان نسطورياً- كانوا خمسة سادسهم كلبهم . وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم . فحقق الله قول المسلمين . وإتباعاً عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل . وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يليخا ومكشيلينا ومشيلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك . وكان عن يساره منوش ودبرنوش وشاذنوش . وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره . والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس . واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير . وسين الاستقبال وإن دخل في الأؤل دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك : قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً . أو أريد بفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له . (ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة . وكذلك خمسة وسبعة . و (رابعهم كلبهم) جملة من مبتدأ وخبر واقعة لثلاثة . وكذلك (سادسهم كلبهم) و (ثامنهم كلبهم) . (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله (ويقدنون بالغيب) أي يأتون به . أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظناً بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين . والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة لصفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في قولك : جاءني رجل ومعه آخرومررت يزيد وفي يده سيف . وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر . وهذه الواو التي آذنت بآت الذين قالوا (سبعة وثامنهم كلبهم) قالوه عن ثبات علم ولم يرجحوا بالظن كما رجم غيرهم . دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله (رجما بالغيب) . وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعديهم) أي (قل ربي أعلم بعديهم) وقد أخبركم بها بقوله (سبعة وثامنهم كلبهم) .

مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ^(١) فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَمْتِ^(٢)
 فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا^(٣) وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ^(٤) إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿١٠﴾
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^(٥) وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ^(٥)

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما : أنا من ذلك القليل . وقيل (إلا قليل) من أهل الكتاب خاصة . أى يقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا فى قبيل منهم ، وأكثرهم على ظن وتخمين .

(٢) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم . أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك .

(٣) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وترى ما عنده ، ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم .

(٤) (ولا تقولن) لأجل شيء تعزم عليه (إنى فاعل ذلك) الشيء (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة . (إلا أن يشاء الله) أن تقوله بأن يأذن لك فيه . أو ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أى إلا بمشيئته . وهو فى موضع الحال أى إلا ملتبسا بمشيئة الله فائلا إن شاء الله . وقال الزجاج : معناه (ولا تقولن) إنى أفعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى لأن قول القائل أنا أفعل ذلك إن شاء الله معناه لا أفعله إلا بمشيئة الله . وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين . فسألوه فقال اثنتونى غدا أخبركم ولم يستثن . فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه .

(٥) (واذكر) مشيئة ربك وقل إن شاء الله إننا فرط منك نسيان لذلك . والمعنى (إذا نسيت) كلمة الاستثناء ثم تنهت عليها فتداركها بالذكر . عن الحسن : مادام فى مجلس الذكر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة . وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء ، فأما الاستثناء المغير حكما فلا يصح إلا متصلا . وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه . فقسم له

وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ^(١) وَلَيَسْئُرُنَّ
 فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ^(٢) وَازْدَادُوا تِسْعًا ^(٣) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيَسُرُّونَ ^(٤)
 لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ ^(٥) وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ^(٦)

أبو حنيفة هذا يرجع عليك. إنك تأخذ البيعة بالآيمان. أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا
 فيخرجوا عليك؟ . فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده . أو معاه (واذكر
 ربك) بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها .
 أو صل صلاة نسيها إذا ذكرتها . أو إذا نسيت فاذكره ليذكرك المنسى .

(١) يعني إذا نسيت شيئا فاذكر ربك . وذاكر ربك عند نسيانه أن تقول (عسى ربى أن
 يهدينى) لشيء آخر بدل هذا المنسى أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة . (أن يهدين . إن ترن .
 أن يؤتين . أن تعلمن) مكى في الحالين . ووافقه أبو عمرو ومدنى في الوصل .

(٢) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة . وهو بيان لما أجمل في قوله
 (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) . و(سنين) عطف بيان لثلاثمائة . (ثلاثمائة سنين)
 بالإضافة حمزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله (بالأخسرين أعمالا) .

(٣) أى تسع سنين للدلالة ما قبله عليه . و(تسعا) مفعول به لأن زاد تقتضى مفعولين
 فازداد يقتضى مفعولا واحدا .

(٤) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به .
 أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب و(قل الله أعلم) رد عليهم . والجمهور على أن هذا الإخبار
 من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم كذا مدة .

(٥) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والأرض وخبى فيها من أحوال أهلها .

(٦) أى وأسمع به . والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمع له لكل مسموع .

(٧) لأهل السموات والأرض .

(٨) من متول لأموالهم .

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ^(١) ^(٢) وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
 رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ^(٤) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
 مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
 عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ
 عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ^(١١) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ^(١٢)

(١) في قضائه . (ولا تشرك) على النهي شامئ .

(٢) (أحدا) منهم .

(٣) كانوا يقولون له أتت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) أى من القرآن ولا تسمع لما يهدون به من طلب التبديل فإنه لا مبدل لكلماته . أى لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده .

(٤) ملجأ تعدل إليه إن هممت بذلك .

(٥) احبسها معهم وثبتها . نزل لما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نخ هؤلاء الموالي — وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين — نجالسك .

(٦) دائبين على الدعاء في كل وقت . أو (بالغداة) لطلب التوفيق والتيسير ، (والعشي) لطاب غمو التقصير . أو هما صلاة الفجر والعصر . (بالغدوة) شامئ .

(٧) رضا الله .

(٨) ولا تجاوز. عداه إذا جاوزه. وعدى بعن لتضمن عدا معنى نبا في قولك نبت عنه عينه . وفائدة التضمن إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ .

(٩) في موضع الحال .

(١٠) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر . وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد .

(١١) مجاوزا عن الحق .

(١٢) أى الإسلام أو القرآن . و (الحق) خبر مبتدأ محذوف أى هو .

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ مِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ^(١) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ ^(٢) نَارًا أَحَاطَ ^(٣)
بِهِمْ ^(٤) سُرَادِقُهَا وَإِنْ ^(٥) يَسْتَغِيثُوا ^(٦) يُغَاثُوا بِمَاءٍ ^(٧) كَالْمُهْلِ ^(٨) يَشْوِي ^(٩) الْوُجُوهَ ^(١٠)
يَبْسُ ^(١١) الشَّرَابَ ^(١٢) وَسَاءَتْ ^(١٣) مَرْتَفَعًا ^(١٤) ۖ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نُضِيعُ ^(١٥) أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ ^(١٦) عَمَلًا ^(١٧) ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ^(١٨)

(١) أى جاء الحق وزاغت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ماشتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك . وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير ما مور بأن يتخير ما شاء من النجدين . ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (إننا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) . وبين جزاء من اختار الإيمان فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إننا لا نضيع أجر من أحسن عملا) .

(٢) هتانا .

(٣) للكافرين . فقيّد بالسياق — كما تركت حقيقة الأمر والتخيير بالسياق — وهو قوله (إننا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) .

(٤) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق . وهى الحجره التى تكون حول الفسطاط . أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار . أو هو حائط من نار يطيف بهم .

(٥) (وإن يستغيثوا) من العطش .

(٦) هو دُرْدِيّ الزيت . أو ما أذيب من جواهر الأرض . وفيه تمك بهم .

(٧) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته .

(٨) (بئس الشراب) ذلك .

(٩) (وساءت مرتفعا) النار .

(١٠) متكأ من الرفق . وهذه لمشاكلة قوله (وحسنت مرتفعا) . وإلا فلا ارتفاق لأهل

النار .

(١١) (أولئك) كلام مستأنف بيان للأجر المبهم . ولك أن تجعل (إننا لا نضيع) و(أولئك) خبرين معا . والمراد من أحسن منهم عملا كقولك : السمن منوان بدرهم . أولئك (من أحسن عملا) و(الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ينتظمهما معنى واحد فأقام (من أحسن) مقام الضمير .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ
 ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ
 نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ

(١) (من) للابتداء . وتكثير أساور - وهي جمع أسورة التي هي جمع سوار - لإيهام
 أمرها في الحسن .

(٢) (من) للتبيين .

(٣) ما رق من الديباج .

(٤) ما غظ منه . أى يجمعون بين الذريعين .

(٥) خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتههم .

(٦) الجنة .

(٧) (وحسنت) الجنة والأرائك .

(٨) متكأ .

(٩) ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين - وكانا أخوين في بني إسرائيل ، أحدهما
 كافر اسمه قطروس والآخر مسلم اسمه يهوذا - وقيل هما المذكوران في (والصافات) في قوله
 (قال قائل منهم لآنى كان لى قرين) - ورونا من أبيهما ثمانية آلاف دينار بفملاها شطرين .
 فاشترى الكافر أرضا بألف دينار . فقال المؤمن : اللهم إنا أشتري أرضا بألف دينار
 وأنا أشتري منك أرضا فى الجنة بألف . فتصدق به . ثم بنى أخوه دارا بألف . فقال : اللهم
 لآنى أشتري منك دارا فى الجنة بألف فتصدق به . ثم تزوج أخوه امرأة بألف . فقال : اللهم
 لآنى جعلت ألفا صداقا للحرور . ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف دينار . فقال : اللهم لآنى
 اشتريت منك الولدان المخلدين بألف . فتصدق به . ثم أصابته حاجة بغلس لأخيه على طريقه
 فزبه فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله .

جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ ^(١) وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ^(٢) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ^(٣)
 كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثَبًا ^(٤) وَلَمْ تَنْظِمِ مِنْهُ شَيْئًا ^(٥) وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ^(٦)
 وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ^(٧) ^(٨) ^(٩)

(١) بستانين من كروم .

(٢) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين . وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة . يقال : حقه إذا أطافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حاقين حوله . وهو متعد إلى مفعول واحد فتريده الباء مفعولا ثانيا .

(٣) جعلناهما أرضا جامعة للأقوات والفواكه . ووصف العارة بأنها متواصلة متشابهة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق .

(٤) أعطت . حمل على اللفظ لأن لفظ كلتا مفرد . ولو قيل آتتا على المعنى لجاز .

(٥) ثمرها .

(٦) ولم تنقص من أكلها شيئا .

(٧) نعمتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب بفعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها .

(٨) لصاحب الجنتين .

(٩) أنواع من المال . من ثمر ماله إذا كثره . أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما . (له ثمر) . (وأحيط بثمره) بفتح الميم والثاء عاصم ، وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو ، وبضمهما غيرهما .

(١٠) يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع . يعني فطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه .

(١١) أنصارا وحشما . أو أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث .

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ^(٢) قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ ^(٣) أَبَدًا ^(٤)
 وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ^(٥) وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ^(٦)
 قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
 نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ^(٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ^(٨)

(١) إحدى جنتيه. أو سماهما جنة لاتحاد الحائط، وجنتين للنهر الجاري بينهما.

(٢) ضار لها بالكفر.

(٣) أى أن تهلك هذه الجنة. شك في بیدودة جنته لطول أمله وتمادى غفاته واغتراره بالمهلة. وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك.

(٤) كائنة.

(٥) إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ايجدتن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا، آداء لكرامته عليه ومكانته عنده. (منقلبا) تمييز أى مرجعا وعاقبة.

(٦) (أ كفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه. وكان خلقه خلقا له. (ثم من نطفة) أى خلقك من نطفة. (ثم سواك رجلا) عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغاً مبلغ الرجال. جعله كافرا بالله لشكّه في البعث.

(٧) بالألف في الوصل شامى. الباقون بغير ألف. وبالألف في الوقف اتفاق. وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت.

(٨) (هو) ضمير الشأن. والشأن (الله ربى). والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله (أ كفرت). قال لأخيه: أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد، كما تقول: زيد غائب لكن عمرا حاضر. وفيه حذف. أى أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربى أحدا).

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ^(١) إِنْ تَرَنْ
 أَنَا أَقْلٌ ^(٢) مِنْكَ مَا لَّا وَوْلَادًا ^(٣) فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ^(٤)
 وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ^(٥) أَوْ يُصْبِحَ
 مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ ^(٦) طَلْبًا ^(٧) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ^(٨) فَأَصْبَحَ ^(٩)
^(١٠)

(١) وهلا (إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) . (ما) موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدا محذوف تقديره الأمر (ما شاء الله) . أو شرطية منصوبة الموضع والجزء محذوف ، يعنى أى شىء شاء الله كان . والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر (ما شاء الله) اعترافا بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء حترها ، (لا قوة إلا بالله) إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدير أمرها هو بمعونته وتأييده .

(٢) من قرأ بنصب (أقل) فقد جعل (أنا) فصلا . ومن رفع - وهو الكسائي - جعله مبتدأ و (أقل) خبره ، والجملة مفعولا ثانيا لترنى .

(٣) فيه نصرة لمن فسّر النفر بالأولاد فى قوله (وأعز نفرا) .

(٤) (فعسى ربى أن يؤتىنى خيرا من جنتك) فى الدنيا أو فى العقبى .

(٥) عذابا .

(٦) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها .

(٧) غائرا أى ذاهبا فى الأرض .

(٨) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود .

والمعنى إن ترن أفقر منك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لإيمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرتك نعمته ويحترب بسايتك .

(٩) هو عبارة عن إهلاكه . وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه

واستولى عليه . ثم استعمل فى كل إهلاك .

(١٠) أى الكافر .

يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي
 لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤) وَلَوْلَا تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
 مُتَّصِرًا (٧) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٨)

(١) (يقلب كفيه) يضرب إحداهما على الأخرى ندما وتحسرا . وإنما صار تقلب الكفين
 كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن ، كما كُنِيَ عن ذلك بعض الكف
 والسقوط في اليد . ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلی كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق .

(٢) أى في عمارتها .

(٣) يعنى أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم .
 (٤) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى
 لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمنى . ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان
 منه ودخولاً في الإيمان .

(٥) يقدرون على نصرته . (يكن) بالياء حمزة وعلى .

(٦) أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره . إلا أنه لم ينصره
 لحكمة .

(٧) وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله .

(٨) (الولاية) بكسر الواو ، حمزة وعلى . فهى بالفتح النصرة والتولى ، وبالكسر
 السلطان والملك . والمعنى هنالك أى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها
 غيره ولا يستطيعها أحد سواه . تفسيراً لقوله (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) .
 أو (هنالك) السلطان والملك (لله) لا يغلب . أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به
 كل مضطر . يعنى أن قوله (يا ليتني لم أشرك بربى أحداً) كلمة أُلجئ إليها فقلها جزأتما
 دهاه من شؤم كفره . ولولا ذلك لم يقلها . أو (هنالك الولاية لله) ينصر فيها أولياءه المؤمنين
 على الكفرة وينقم لهم . يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله (فعمى ربى

وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 مُّقْتَدِرًا ^(١) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(٢) وَالْبَاقِيَاتُ
 الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ^(٣) وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ ^(٤)

أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء) ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير
 عقبا) أى لأوليائه . أو (هنالك) إشارة إلى الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله (لمن
 الملك اليوم) . (الحق) بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية . أو خبر مبتدا محذوف ، أى هى الحق
 أو هو الحق . غيرهما بالجر صفة لله . (عقبا) بسكون القاف عاصم وحمزة . وبضمها غيرهما
 وفى الشواذ (عقبى) على وزن فعلى . وكلها بمعنى العاقبة .

(١) أى هى (كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاثف
 حتى خالط بعضه بعضا . أو أثر فى النبات الماء فاختلط به حتى روى (فأصبح هشيما) يابساً
 متكسراً . الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره . (الريح) حمزة وعلى . (وكان الله
 على كل شىء) من الإنشاء والإفناء (مقتدرا) قادرا . شبه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها
 وما يتعقبها من الهلاك والإفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن .
 (٢) لا زاد القبر وعدة العقبي .

(٣) أعمال الخير التى تبنى ثمرتها للإنسان ، أو الصلوات الخمس ، أو سبحان الله والحمد لله
 ولا إله إلا الله والله أكبر . (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لأنه وعد صادق وأكثر
 الآمال كاذبة . يعنى أن صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة .

(٤) (و) اذكر (يوم تسير الجبال) مكي وشامى وأبو عمرو . أى تسير فى الجؤ أو يذهب
 بها بأن تجعل هباء متثورا منبثا .

وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ ^(١) فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ ^(٢) أَحَدًا ^(٣) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ ^(٤)
صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا ^(٥) كَمَا خَلَقْنَاكُمْ ^(٦) أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ ^(٧) أَنَّنَا نَجْعَلُ لَكُمْ ^(٨)
مَوْعِدًا ^(٩) وَوَضَعَ الْكِتَابَ ^(١٠) فَتَرَى ^(١١) الْمُجْرِمِينَ ^(١٢) مُشْفِقِينَ ^(١٣) مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ^(١٤)
يُنَوِّلتْنَا مَالٍ هَذَا ^(١٥) الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ ^(١٦) صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ^(١٧) إِلَّا أَحْصَاهَا ^(١٨)

(١) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار .

(٢) أى الموتى . وإنما قال (وحشرناهم) ماضيا بعد (نسير) و(ترى) للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قيل (وحشرناهم) قبل ذلك .

(٣) أى فلم تترك . غادره أى تركه ومنه الغدر ترك الوفاء، والغدير ما غادره السيل .

(٤) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يجب أحد أحدًا . شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان .

(٥) أى قلنا لهم (لقد جئتمونا) . وهذا المضمير يجوز أن يكون عامل النصب فى (يوم نسير) .

(٦) أى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة . أو جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا .

(٧) وقتنا لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور . أو مكان وعد للحاسبة .

(٨) أى صحف الأعمال .

(٩) خائفين .

(١٠) من الذنوب .

(١١) أى لا يترك شيئًا من المعاصى .

(١٢) حصرها وضبطها .

وَوَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ^(٢) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ^(٥)
 اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ^(٣)
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ ^(٦)
 بَدَلًا ^(٨) مَا أَشْهَدْتُهُمْ ^(٩) خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ^(١١)

(١) (حاضرا) في الصحف عتيدا . أو جزاء (ما عملوا) .

(٢) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم .

(٣) (اسجدوا لآدم) سجدوا تحية أو سجدوا انقياد .

(٤) وهو مستأنف كأن قائلا قال ما له لم يسجد ؟ فقيل (كان من الجن) .

(٥) نخرج عما أمر ربه به من السجود . وهو دليل على أنه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة .

(٦) الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي ؟ ومن ذريته لا قيس موسوس الصلاة ، والأعور صاحب الزنا ، وبتر صاحب المصائب ، ومطوس صاحب الأراجيف ، وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى .

(٧) أعداء .

(٨) بئس البديل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله .

(٩) أي إبليس وذريته .

(١٠) يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية . فنفي مشاركتهم في الإلهية بقوله (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض) لأعترض بهم في خلقها ، أو أشاورهم فيه . أي تفردت بخلق الأشياء فأفردوني في العبادة .

(١١) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) .

وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا^(١) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ^(٢)
 فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا^(٣) وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ^(٤)
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا^(٥) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا^(٦)
 فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ^(٧) وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا^(٨)

(١) أى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا. فوضع المضامين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال. فإذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة ؟

(٢) (ويوم يقول) الله للكفار . وبالنون حمزة .

(٣) ادعوا بصوت عال .

(٤) (نادوا شركائى الذين زعمتم) أنهم فىكم شركائى يمنعوكم من عذابي . وأراد الحق وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبقى يبق وبوقا إذا هلك وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد أو مصدر كالموعد . أى (وجعلنا بينهم) وأديا من أودية جهنم مشتركا يهلكون فيه جميعا . أو الملائكة وعزيراً وعيسى . والموبق البرزخ البعيد . أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لأنهم فى عرجهنم وهم فى أعلى الجنان .

(٥) فأيقنوا .

(٦) مخالطوها واقعون فيها .

(٧) عن النار .

(٨) معدلا .

(٩) (من كل مثل) يحتاجون إليه .

(١٠) تمييز . أى أكثر الأشياء التى يتأتى منها الجدل — إن فصلتها واحدا بعد واحد — خصوصية وممارسة بالباطل . يعنى أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شىء .

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ
تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ^(١) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ^(٢) وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ
الْحَقَّ ^(٣) وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ^(٤) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ
رَبِّهِ فَاعْرَضَ عَنْهَا ^(٥) وَلَنَبِيٍّ مَّا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ^(٦)

(١) (إذ جاءهم الهدى) أى سببه وهو الكتاب والرسول. (أن) الأولى نصب، والثانية رفع. وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الإيمان والاستغفار إلا انتظار (أن تأتيم سنة الأولين) وهى الإهلاك أو انتظار (أن يأتيم العذاب) أى عذاب الآخرة (قبلا) كوفي. أى أنواعا جمع قبيل. الباقون (قبلا) أى عيانا.

(٢) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا).

(٣) هو قولهم للرسول (ما أتم إلا بشر مثنا) (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) ونحو ذلك.

(٤) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة.

(٥) القرآن.

(٦) (ما) موصولة. والراجع من الصلة محذوف أى وما أنذروه من العقاب. أو مصدرية أى وإنذارهم.

(٧) موضع استهزاء بسكون الزاى والهمزة حمزة. وبإبدال الهمزة واوا حفص. وبضم الزاى والهمزة غيرهما.

(٨) بالقرآن. ولذلك رجع الضمير إليها مذكرا فى قوله (أن يفقهوه).

(٩) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر.

(١٠) (ونسى) عاقبة (ما قدمت يداؤُهُ) من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى أن المسئء والمحسن لا بد لهما من جزاء. ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (إننا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية. جمع كان وهو الغطاء. وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ (من) ومعناه.

أَنْ يَفْقَهُهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا
 أَبَدًا ﴿٦﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهُمْ
 الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٧﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُمْ
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) تَقْلًا عَنْ اسْتِمَاعِ الْحَقِّ .

(٢) يَأْمُرُ .

(٣) إِلَى الْإِيمَانِ .

(٤) فَلَا يَكُونُ مِنْهُمْ اهْتِدَاءَ الْبَتَّةِ .

(٥) جَزَاءٌ وَجَوَابٌ . فَدَلَّ عَلَى انْتِفَاءِ اهْتِدَائِهِمْ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ — بِمَعْنَى أَنَّهُمْ جَعَلُوا مَا يَجِبُ
 أَنْ يَكُونَ سَبَبًا وَجُودَ الْإِهْتِدَاءِ سَبَبًا فِي انْتِفَائِهِ — وَعَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِلرَّسُولِ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِهِ
 مَا لِي لَا أَدْعُوهُمْ حِرْصًا عَلَى إِسْلَامِهِمْ ؟ فَقِيلَ (وَلِإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا) .

(٦) مَدَّةُ التَّكْلِيفِ كُلِّهَا .

(٧) الْبَلِيغُ الْمَغْفِرَةُ .

(٨) الْمَوْصُوفُ بِالرَّحْمَةِ .

(٩) أَيْ وَمِنْ رَحْمَتِهِ تَرَكَ مَوَآخِذَتَهُ أَهْلَ مَكَّةَ عَاجِلًا مَعَ فِرْعَوْنَ عَدَاوَتِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١٠) وَهُوَ يَوْمُ بَدْرٍ .

(١١) مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ . يُقَالُ وَآلٌ إِذَا نَجَى وَوَالٌ إِذَا جَلَا إِلَيْهِ .

(١٢) (وَتِلْكَ الْقُرَى) مُبْتَدَأٌ . (الْقُرَى) صِفَةٌ ، لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ تُوصَفُ بِأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ .
 وَانْخَبَرَ (أَهْلِكَأَهُمْ) . أَوْ (تِلْكَ الْقُرَى) نَصْبٌ بِأَضْمَارِ أَهْلِكَأَهُمْ عَلَى شَرِيحَةِ التَّفْسِيرِ . وَالْمَعْنَى
 (وَتِلْكَ) أَصْحَابُ (الْقُرَى أَهْلِكَأَهُمْ) . وَالْمُرَادُ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ .

لَمَّا ظَلَمُوا^(١) وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا^(٢) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ^(٣) لَا أَبْرَحُ^(٤)
حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا^(٥) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا^(٦)

(١) لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة .

(٢) وضربنا لإهلاكهم وقتنا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر .
والمهلك الإهلاك ووقته . وفتح الميم وكسر اللام حفص . وفتحهما أبو بكر ، أى لوقت
هلاكمهم أو هلاكمهم . والموعود وقت أو مصدر .

(٣) (و) اذكر (إذ) .

(٤) هو يوشع بن نون . وإنما قيل فناه لأنه كان يخدمه ويتبعه وياخذ منه العلم .

(٥) (لا أبرح) لا أزال . وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه . أما الأولى فلائها
كانت حال سفر . وأما الثانى فلائ قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى
ماهى غاية له . فلا بد أن يكون المعنى (لا أبرح) أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) . وهو المكان
الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام . وهو ملتقى بحر فارس والروم . وسمى خضرا لأنه
أينا يصل يخضر ما حوله .

(٦) أو أسير زمانا طويلا ، قيل ثمانون سنة . روى أنه لما ظهر موسى عليه السلام على
مصر مع بنى إسرائيل واستقرؤا بها بعد هلاك القبط سأل ربه : أى عبادك أحب إليك ؟ قال
الذى يذكرنى ولا ينسانى . قال : فأى عبادك أقضى ؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى .
قال : فأى عبادك أعلم ؟ قال الذى يتبغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى
أو تردّه عن ردى . فقال : إن كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلتنى عليه . قال أعلم منك
الخضر . قال : أين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة . قال : يا رب كيف لى به ؟ قال
تأخذ حوتا فى مِكَلٍّ ، فثيت فقدته فهو هناك . فقال لفتاه : إذا فقدت الحوت فأخبرنى .
فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر . فلما جاء وقت الغداء طلب موسى
الحوت فأخبره فناه بوقوعه فى البحر . فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه . فسلم عليه
موسى . فقال : وأتى بأرضنا السلام ؟ فعرفه نفسه . فقال : يا موسى أنا على علم علمنيه الله
لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا .

(٧) مجمع البحرين .

نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٣﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ ﴿٤﴾
 لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ
 إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَينِي إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴿٩﴾
 أَنَّهُ أَذْكَرٌ ﴿١٠﴾ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١١﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴿١٢﴾

(١) أى نسى أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد . دليله (فإني نسيت الحوت)
 وهو كقولهم نسوا زادهم وإتما ينساء متعهد الزاد . قيل كان الحوت سمكة مملوحة فتزلا ليلة
 على شاطئ عين الحياة ونام موسى . فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت
 في الماء .

(٢) أى اتخذ طريقا له من البر إلى البحر .

(٣) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا . يعنى دخل فيه واستتر به .

(٤) (فلما جاوزا) بجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله .

(٥) (قال) موسى .

(٦) تعبوا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك .

(٧) هى موضع الموعد .

(٨) وبضم الماء حفص .

(٩) (وما أنسانيه إلا الشيطان) بإلقاء الخواطر في القلب .

(١٠) بدل من الماء في (أنسانيه) أى وما أنساني ذكره (إلا الشيطان) .

(١١) وهو أت أثره بقى إلى حيث سار .

(١٢) نطلب . وبالياء مكى . وافقه أبو عمرو وعلى ومدنى في الوصل . وبغير ياء فيهما غيرهما
 أتباعا لخط المصحف . و(ذلك) إشارة إلى اتخاذه سبيلا، أى (ذلك) الذى كَمَا نطلب لأن
 ذهب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام .

فَارْتَدَّا عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا ^(١) ﴿٢﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ
 رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ^(٥) ﴿٣﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
 عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ^(٦) ﴿٤﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ^(٧) ﴿٥﴾
 وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ^(٩) ﴿٦﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ
 اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ^(١١) ﴿٧﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي ^(١٢)

(١) فرجعا في الطريق الذي جاء فيه .

(٢) يقصان (قصصا) أى يتبعان آثارهما أتباعا . قال الزجاج : القصاص أتباع الأثر .

(٣) أى الخضر راقدا تحت ثوب أو جالسا في البحر .

(٤) هى الوحي والنبوة أو العلم أو طول الحياة .

(٥) يعنى الإخبار بالغيوب . وقيل العلم اللدنى ما حصل للعبد بطريق الإلهام .

(٦) أى علما ذا رشد أرشد به في ديني (رشدًا) أبو عمر وهما لغتان كالبحل والبخل .

وفيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع
 لمن هو أعلم منه .

(٧) وفتح الياء حفص . وكذا ما بعده في هذه السورة .

(٨) أى عن الإنكار والسؤال .

(٩) تمييز . نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد . وعال ذلك بأنه يتولى أمورا هى

في ظاهرها مناكير . والرجل الصالح لا يتالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيًا ؟

(١٠) من الصابرين عن الإنكار والاعتراض .

(١١) في محل النصب عطف على (صابرا) أى (ستجدنى صابرا) وغير عاص .

أو هو عطف على (ستجدنى) ولا محل له .

(١٢) بفتح اللام وتشديد النون مدنى وشامى . وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما .

والياء ثابتة فيهما لإجماعا .

عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا^(١) فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ
 نَحَرَقَهَا قَالَ أَنْحَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا^(٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ^(٣)
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا^(٤) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي^(٥)
 مِنْ أَمْرِي عُسْرًا^(٦) فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا^(٧)

(١) أى فن شرط أتباعك لى أنك إذا رأيت منى شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه
 خفى عليك وجه صحته فأنكرت فى نفسك ألا تفتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى أكون أنا
 الفاتح عليك . وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع .

(٢) (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة . فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص .
 وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء . فحملوهما بغير نول . فلما تججوا أخذ الخضر الفأس
 فخرق السفينة بأن قاع لوحين من ألواحها مما لى الماء فجعل موسى يسد الخرق بئياه .

(٣) (ليغرق أهلها) حمزة وعلى من غرق .

(٤) أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم .

(٥) أى الخضر .

(٦) لما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يفز من السفينة (قال لا تؤاخذنى بما
 نسيت) بالذى نسيت أو بشيء نسيت أو بنسيانى . أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على
 الناسى . أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة .

(٧) رهقه إذا غشيه . وأرهقه إياه . أى ولا تُغشنى عسرا من أمرى . وهو أتباعه إياه . أى
 ولا تعسر على متابعتك ويسرها على بالإغضاء وترك المناقشة .

(٨) قيل ضرب برأسه الحائط . وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين . وإنما قال (فقتله) بالفاء
 وقال (نحرقها) بغير فاء لأن نحرقها جعل جزء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه
 والجزاء (قال أقتلت نفسا) وإنما خولف بينهما لأن نحرقت السفينة لم يتعقب الركوب وقد
 تعقب القتل لقاء الغلام .

زَكِيَّةٌ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٣﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ ﴿٤﴾
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَلِّحْ بَنِيَّ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٦﴾ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ
أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَن يُضَيَّفُوهُمَا ﴿٩﴾ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴿١٢﴾

(١) زاكية) حجازى وأبو عمرو . وهى الطاهرة من الذنوب ، إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنت أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث .

(٢) أى لم تقتل نفسا فيقتص منها . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نجدة الحرورى كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان ؟ فكتب إليه : إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل .

(٣) وبضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر . وهو المنكر . وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة . أو معناه (جئت شيئا) أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل .

(٤) زاد (لك) هنا لأن التكريفه أكثر .

(٥) بعد هذه الكزة أو المسألة .

(٦) أعذرت فيما بينى وبينك فى الفراق . و (لدى) بتخفيف النون مدنى وأبو بكر .

(٧) هى أنطاكية أو الأبله وهى أبعد أرض الله من السماء .

(٨) استضافا .

(٩) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام "كانوا أهل قرية لثاما" . وقيل "شر القرى التى تبخل بالقرى" .

(١٠) فى القرية .

(١١) (جدارا) طوله مائة ذراع .

(١٢) يكاد يسقط . استعيرت الإرادة للداناة والمشاركة كما استعير الهمم والعزم لذلك .

فَأَقَامَهُ^(١) قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا^(٢) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
 وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^(٣) أَمَا السَّفِينَةُ
 فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا^(٤) وَكَانَ وَرَاءَهُمْ
 مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا^(٥) وَأَمَّا الْغُلَامُ^(٦) فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ^(٧)

(١) فأقامه) بيده . أو مسحه بيده فقام واستوى . أو نقضه وبناه .

(٢) كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزمتهما الحاجة إلى آخر كسب
 المرء وهو المسألة فلم يجدوا مواسيا . فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان
 ومساس الحاجة أن قال (لو شئت لآتخذت عليه أجرا) . أى لطلبت على عملي جعلاً حتى
 تستدفع به الضرورة . (لتخذت) بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال بصرى . و بإظهارها
 مكى . و بتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال حفص . و بتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام
 الذال في التاء غيرهم . والتاء في تخذ أصل كما في تبع . واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع . وليس
 من الأخذ في شيء .

(٣) (هذا) إشارة إلى السؤال الثالث . أى هذا الاعتراض سبب الفراق . والأصل هذا
 فراق بيني وبينك . وقد قرئ به . فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به .

(٤) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زنى و خمسة يعملون في البحر .

(٥) أجعلها ذات عيب .

(٦) (وكان) أمامهم ، أو خلفهم (ملك) . وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم
 خبره . أعلم الله به الخضر . وهو جلندى .

(٧) أى (ياخذ كل سفينة) صالحة لا عيب فيها (غصبا) . وإن كانت معيبة تركها . وهو
 مصدر . أو مفعول له . فان قلت قوله (فأردت أن أعيبها) مسبب عن خوف الغصب عليها
 فكان حقه أن يتأخر عن السبب . قلت المراد به التأخير وإما قدم للعناية .

(٨) وكان اسمه الحسين .

نَفْسِينَا أَنْ يَرَهُمَا طَغِينَا وَكُفْرًا^(١) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا
 مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا^(٢) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ^(٣)
 فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ
 يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي^(٤)

(١) نخفينا أن يغشي الوالدين المؤمنين (طغيانا) عليهما (وكفرا) لنعمتهما بعقوبه وسوء صنيعه
 ويلحق بهما شرًا وبلاء ، أو يعديهما بدائه ويضلّهما بضلاله فيرتدا بسببه . وهو من كلام
 الخضر . وإتما خشي الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعته على سرّ أمره . وإن
 كان من قول الله تعالى فغنى (نخشنا) فعلنا إن عاش أن يصير سببا لكفر والديه .

(٢) (يبدلها ربهما) مدنيّ وأبو عمرو (خيرا منه زكاة) طهارة وبقاء من الذنوب
 (وأقرب رحما) رحمة وعظفا . و(زكاة) و(رحما) تمييز . روى أنه ولدت لها جارية تزوجها نبيّ
 فولدت نبيّا أو سبعين نبيّا . أو أبدلها ابنا مؤمنا مثلهما . (رحما) شامى . وهما لغتان .

(٣) أصرم وصريم .

(٤) هي القرية المذكورة .

(٥) أى لوح من ذهب مكتوب فيه : "عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن
 يؤمن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يؤمن
 بالحساب كيف يغفل ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها . لا إله
 إلا الله محمد رسول الله" . أو مال مدفون من ذهب وفضة ، أو صحف فيها علم . والأول أظهر .
 وعن قتادة أحلّ الكثر لمن قبلنا وحرّم علينا . وحرّمت الغنيمة عليهم وأحلّت لنا .

(٦) قيل جدهما السابع .

(٧) ممن يصحبنى . وعن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج
 فى كلام جرى بينهما : بم حفظ الله الغلامين ؟ قال بصلاح أبيهما . قال فأبى وجدى خير منه .

(٨) أى الحلم .

(٩) مفعول له . أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه فى معنى رحمهما .

(١٠) وما فعلت ما رأيت (عن امرى) عن اجتهادى . وإتما فعلته بأمر الله . والماء

تعود إلى الكلّ أو إلى الجدار .

ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ^(٢) وَيَسْأَلُونَكَ ^(٣) عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ^(٤)

(١) أى الأجوبة الثلاثة .

(٢) حذف التاء تخفيفاً .

وقد زلّ أقدام أقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي . وهو كفر جلي حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي . والجواب أنّ الخضر نبي . وإن لم يكن ، كما زعم البعض ، فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام . على أنّ أهل الكتاب يقولون إنّ موسى هذا ليس موسى بن عمران ، إنّما هو موسى بن مانان . ومن المحال أن يكون الولي ولياً إلا بإيمانه بالنبي . ثمّ يكون النبي دون الولي . ولا غضاضة في طلب موسى العلم لأنّ الزيادة في العلم مطلوبة . وإنّما ذكر أولاً (فأردت) لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله ، وثالثاً (فأراد ربك) لأنه إنعام محض وغير مقدور البشر ، وثانياً (فأردنا) لأنه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل . وقال الزجاج : معنى (فأردنا) فأراد الله عز وجل . ومثله في القرآن كثير .

(٣) (ويسألونك) أى اليهود على جهة الامتحان . أو أبو جهل وأشياعه .

(٤) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا . قيل ملكها مؤمنان : ذو القرنين وسليمان ، وكافران نمرود وبختنصر . وكان بعد نمرود . وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة . فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه . وقيل نبياً ، وقيل ملكاً من الملائكة . وعن علي رضي الله عنه أنه قال ليس بملك ولا نبي . ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات . ثمّ بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسّمى ذا القرنين . وفيكم مثله ، أراد نفسه . قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحيه الله تعالى . وقال عليه السلام سمى ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها . وقيل كان له قرنان أي ضفيران أو انقرض في وقته قرنان من الناس . أو لأنه ملك الروم وفارس . أو الترك والروم . أو كان لتاجه قرنان . أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا وأما . وكان من الروم .

قُلْ سَاءَ تَلَوْنَا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ^(١) إِنَّا مَكَّالُهُ فِي الْأَرْضِ وَعَاتَيْنَاهُ مِنْ ^(٢)
 كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ^(٣) فَاتَّبَعِ سَبَبًا ^(٤) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا ^(٥)
 تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ^(٦) وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقُرْنَيْنِ ^(٧) إِمَّا أَنْ تَغْدِبَ ^(٨)

(١) من ذى القرنين .

(٢) جعلنا له فيها مكانة واعتلاء .

(٣) (من كل شيء) أرادته من أغراضه ومقاصده في ملكه .

(٤) طريقا موصلا إليه . السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة .

(٥) فأراد بلوغ المغرب (فاتبع سببا) يوصله إليه حتى بلغ ، وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا ، وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا . (فاتبع سببا . ثم اتبع) كوفي وشامي . الباقر بن بصل الألف وتشديد التاء . عن الأصمعي : (اتبع) لحق . و (اتبع) اقتفى وإن لم يلحق .

(٦) أى منتهى العارة نحو المغرب وكذا المطلع . قال صلى الله عليه وسلم " بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد بفعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين " .

(٧) ذات حمأة ، من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة . (حامية) شامى وكوفي غير حفص بمعنى حارة . وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فإنها تغرب في عين حامية . وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية (حامية) . فقال ابن عباس (حمئة) فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرؤها ؟ فقال كما يقرأ أمير المؤمنين . ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجدد الشمس تغرب ؟ قال في ماء وطين كذلك نجد في التوراة . فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما . ولا تنافى . بخاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا .

(٨) عند تلك العين .

(٩) (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر . وكانوا كفارا .

وَإِمَّا أَنْ يَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ^(١) قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ، ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ^(٢) وَأَمَا مِنْ ءَامِنٍ وَعَمَلٍ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ ^(٣) وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ^(٤) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ^(٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْهَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ^(٦)

(١) إن كان نبياً فقد أوحى الله إليه بهذا. وإلا فقد أوحى إلى نبي فأمره النبي به. أو كان إلهاما. خيرين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسنا يكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا. أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر إلى القتل إحسان.

(٢) (قال) ذو القرنين (أما من ظلم فسوف نعذبه) بالقتل. (ثم يرد إلى ربه فيعذبه) في القيامة. يعني أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين.

(٣) أى عمل ما يقتضيه الإيمان.

(٤) (فله جزاء) الفعلة (الحسنى) التي هي كلمة الشهادة. (جزاء الحسنى) كوفي غير أبي بكر، أى فله الفعلة الحسنى جزاء.

(٥) أى ذا يسر. أى لا تأمره بالصعب الشاق ولكن بالمسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك.

(٦) هم الزنج.

(٧) من دون الشمس.

(٨) أى أبنية. عن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم. أو الستر اللباس. عن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ^(٢) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ^(٣) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
 بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا ^(٤) لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ^(٥) قَالُوا
 يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ تَرْجَا ^(٦)

(١) أى أمر ذى القرنين (كذلك) ، أى كما وصفناه تعظيماً لأمره . أو بلغ مطلع الشمس
 مثل ذلك أى كما بلغ مغربها . أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم . يعنى أنهم
 كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الحفر وإحسانه إلى من آمن
 منهم .

(٢) من الجنود والآلات وأسباب الملك .

(٣) نصب على المصدر لأن فى (أحطنا) معنى خبرنا .

(٤) بين الحبلين . وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما . (السدين) و(سدا) مكى وأبو عمرو
 وحفص . (السدين) و(سدا) حمزة وعلى . وبضمهما غيرهم . قيل ما كان مسدوداً خلقه فهو مضموم
 وما كان من عمل العباد فهو مفتوح . وانتصب (بين) على أنه مفعول به لبلغ كما انجزت بالإضافة
 فى (هذا فراق بينى وبينك) وكما ارتفع فى (لقد تقطع بينكم) لأنه من الظروف التى تستعمل
 أسماء وظروفاً . وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلي المشرق .

(٥) من ورائهما .

(٦) هم الترك .

(٧) أى لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها . (يفقهون) حمزة وعلى
 أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة .

(٨) هما اسمان أعجميان دليل منع الصرف . وهما عاصم فقط . وهما من ولد يافث .
 أو ياجوج من الترك وماجوج من الجليل والديلم .

(٩) قيل كانوا يأكلون الناس . وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر
 إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم
 قد حمل السلاح . وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر .

(١٠) (خارجاً) حمزة وعلى . أى جعلنا نخرجه من أموالنا . ونظيرهما النول والنوال .

عَلَى أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ۗ^(٢)
فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ وَأَتُونِي زَبْرًا حَدِيدًا ۗ^(٣)
إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ^(٤)
إِنَّهَا ۗ أَلْهَمَ لَكُمْ صِدْقَ عَهْدِكُمُ الْمَاءَ ۗ حَتَّىٰ تَمُوتَ فِيهِ ۗ لَكُمْ فِيهِ حَيَاةٌ وَإِنَّكُمْ لَخَرَابٌ مُّذْتَمَرٌ ۗ^(٥)
إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ^(٦)
إِنَّهَا ۗ أَلْهَمَ لَكُمْ صِدْقَ عَهْدِكُمُ الْمَاءَ ۗ حَتَّىٰ تَمُوتَ فِيهِ ۗ لَكُمْ فِيهِ حَيَاةٌ وَإِنَّكُمْ لَخَرَابٌ مُّذْتَمَرٌ ۗ^(٧)
إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ^(٨)
إِنَّهَا ۗ أَلْهَمَ لَكُمْ صِدْقَ عَهْدِكُمُ الْمَاءَ ۗ حَتَّىٰ تَمُوتَ فِيهِ ۗ لَكُمْ فِيهِ حَيَاةٌ وَإِنَّكُمْ لَخَرَابٌ مُّذْتَمَرٌ ۗ^(٩)
إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ^(١٠)
إِنَّهَا ۗ أَلْهَمَ لَكُمْ صِدْقَ عَهْدِكُمُ الْمَاءَ ۗ حَتَّىٰ تَمُوتَ فِيهِ ۗ لَكُمْ فِيهِ حَيَاةٌ وَإِنَّكُمْ لَخَرَابٌ مُّذْتَمَرٌ ۗ^(١١)

(١) بالإدغام . وبفكّه مكّي .

(٢) أى ما جعلنى (فيه) مكينا من كثرة المال واليسار (خير) مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى إليه .

(٣) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل ، وبالآلات .

(٤) جدار أو حاجز حصينا موقفا . والردم أكبر من السد .

(٥) قطع الحديد . والزبرة القطعة الكبيرة . قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب . والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما . ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صبب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعضه وصار جبلا صلبا . وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ .

(٦) بفتحتين جانبي الجبلين لأنهما يتصادقان أى يتقابلان . (الصدفين) مكّي وبصرى وشامى . (الصدفين) أبو بكر .

(٧) أى (قال) ذو القرنين للعملة (انفخوا) فى الحديد .

(٨) أى المنفوخ فيه وهو الحديد .

(٩) كالنار .

(١٠) أعطونى (قال اتونى) بوصل الألف حمزة . وإذا ابتداء كسر الألف . أى جيئونى .

(١١) أصب .

عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿١﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٤﴾
 قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴿٨﴾ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
 حَقًّا ﴿٩﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴿١٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿١١﴾

(١) نحاسا مذابا لأنه يقطر . وهو منصوب بأفرغ . وتقديره أتوني قطرا أفرغ عليه قطرا .
 فحذف الأول لدلالة الثاني عليه .

(٢) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء .

(٣) أن يعلوا السد .

(٤) أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته .

(٥) أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده . أو هذا الإقذار والتمكين من تسويته .

(٦) فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي .

(٧) أى السد .

(٨) (دكأ) أى مدكوكا مهسوطا مسوى بالأرض . وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك .

(دكأ) كوفي أى أرضا مستوية .

(٩) آخر قول ذى القرنين .

(١٠) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (في بعض) أى
 يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى . ويمجوز أن يكون الضمير لياجوج
 وماجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد . وروى أنهم يأتون
 البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه . ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس . ولا يقدر
 أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس . ثم يبعث الله نفاً في أفتابهم فيدخل في آذانهم
 فيموتون .

(١١) (ونفخ في الصور) لقيام الساعة .

جَمَعْتَهُمْ جَمْعًا ^(١) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ^(٢) الَّذِينَ
 كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي ^(٣) وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ^(٤)
 أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ^(٥) إِنَّا أَعْتَدْنَا
 جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ^(٦) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ^(٧)
 الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
 صُنْعًا ^(٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ^(٩) ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ ^(١٠)

(١) أى جمع الخلائق للثواب والعقاب .

(٢) تأكيد .

(٣) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها .

(٤) (عن آياتي) التي يُنظر إليها فأذكرُ بالنعظيم . أو عن القرآن وتامل معانيه .

(٥) أى كانوا صمًا عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صبح به . وهؤلاء

كانهم أُصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع .

(٦) أى أفضن الكفار اتخذهم عبادي ، يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام ، أولياء

نافعهم . بئس ما ظنوا . وقيل (أن) يصلتها سد مسد مفعولى (أحسب) . و(عبادى أولياء) مفعولاً

(أن يتخذوا) وهذا أوجه . يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء .

(٧) هو ما يقام للتزليل وهو الضيف . ونحوه (فبشرهم بعذاب أليم) .

(٨) (أعمالاً) . تمييز . وإتباع جمع - والقياس أن يكون مفرداً - لتنوع الأهواء . وهم أهل

الكتاب أو الرهبان .

(٩) ضاع وبطل . وهو فى محل الرفع أى هم (الذين) .

(١٠) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار .

(١١) هى عطف بيان لجزأؤهم .

بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ^(١) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ^(٢) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ
 عَنْهَا حَوْلًا ^(٣) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ
 أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ^(٤) قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
 يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ^(٥)

(١) أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسوله .

(٢) حال .

(٣) (لا يبتغون عنها حولا) تحولا إلى غيرها ، رضا بما أعطوا . يقال حال من مكانه
 حولا . أى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لإغراضهم وأمانيتهم . وهذه غاية
 الوصف . لأن الإنسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامع مائل الطرف إلى أرفع منه .
 أو المراد نفي التحول وتأكيد الخلود .

(٤) (قل لو كان البحر مدادا) أى ماء البحر (مدادا) قال أبو عبيدة : المداد ما يكتب به .
 أى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها — والمراد بالبحر الجنس — (لنفد
 البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله) بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير
 نافذة . و(مدادا) تمييز نحو لى مثله رجلا . والمدد مثل المداد وهو ما يمد به . (ينفد) حمزة
 وعلى . قيل قال حبي بن أخطب فى كتابكم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) ثم
 تفرعون (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فنزلت . يعنى أن ذلك خير كثير ولكنته قطرة من بحر
 كلمات الله .

(٥) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول . أو فمن كان يخاف
 سوء لقاء ربه . والمراد باللقاء القدوم عليه . وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ . والرجاء على
 هذا مجرى على حقيقة ته .

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا^(٢)

(١) خالصا لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره . وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحي منه .

(٢) هو نهى عن الشرك أو عن الرياء . قال صلى الله عليه وسلم "اتقوا الشرك الأصغر" . قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء .

قال صلى الله عليه وسلم "من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون . فإن يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال . ومن قرأ (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) إلى آخرها عند مضجعه كان له نورا يتلأأ من مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم عن مضجعه . وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نورا يتلأأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ" .

سورة مريم عليها السلام مكية

وهي ثمان أو تسع وتسعون آية مدني وشامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَتَبْنَا بِرَحْمَتِنَا (١) ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِيًّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ (٣) نِدَاءً خَفِيًّا (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي (٥) وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا (٦)

(١) قال السُّدِّي هو اسم الله الأعظم . وقيل هو اسم للسورة . قرأ على ويحيى بكسر الهمزة والياء . ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب . . وأبو عمرو بكسر الهمزة وفتح الياء . وحزمة بعكسه . وغيرهم بفتحهما .

(٢) خبر مبتدأ أي هذا (ذكر) .

(٣) مفعول الرحمة .

(٤) بالقصر حمزة وعلى وحفص . وهو بدل من (عبده) .

(٥) ظرف للرحمة .

(٦) دعاه دعاء سرًّا كما هو المأمور به . وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء . أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة .

(٧) هذا تفسير الدعاء . وأصله ياربي خذف حرف النداء والمضاد إليه اختصارا .

(٨) (وهن) ضعف . وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه . فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته . ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية . والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما ترتب منه الجسد قد أصابه الوهن .

(٩) تمييز . أي فشا في رأسه الشيب . واشتعلت النار إذا تفرقت في التهاها وصارت شعلا .

شبه الشيب بشواظ النار في بياضه ؛ وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل ما أخذ باشتعال النار .

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٢﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴿٤﴾

ولا ترى كلاماً أفصح من هذا . ألا ترى أن أصل الكلام يارب قد شغبت . إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لها . وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي . ففيه التقرير للتفصيل . وأقوى منه وهنت عظام بدني . ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه . وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني . وأقوى منه إني وهنت عظام بدني . وأقوى منه إني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريق الإجمال والتفصيل . وأقوى منه إني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن . وأقوى منه إني وهنت العظم مني لشمول الوهن العظام فرداً فرداً باعتبار ترك جمع العظم إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد . ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي . وأبلغ منه اشتعل رأسي شيئا لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس . إذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيئا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا . والفرق تير . ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز . وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيئا لما مر . وأبلغ منه واشتعل الرأس شيئا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم .

(١) مصدر مضاف إلى المفعول أي بدعائي إياك .

(٢) أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقيّ فيه . يقال سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها . وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا . فقال مرحبا بمن توصل بنا إلينا وقت حاجته . وقضى حاجته .

(٣) هم عصبته: إخوته وبنو عمه . وكانوا شرار بني إسرائيل يخافهم أن يغيروا الدين وألا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدي به في إحياء الدين .

(٤) بعد موتي . وبالقصر وفتح الياء كهداي مكّي . وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور . ولكن محذوف . أو بمعنى الولاية في (الموالي) أي خفت فعل (الموالي) وهو تبديلهم وسوء خلاقهم (من ورأى) . أو (خفت) الذين يلون الأمر (من ورأى) .

وَكَانَتْ أَمْرًا نِي عَاقِرًا فَهَبَّ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَابِيًا ﴿٣﴾ يَرِيثُنِي وَيَرِثُ
 مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًا ﴿٤﴾ يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
 اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ
 لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرًا نِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٦﴾

(١) عقيمًا لا تلد .

(٢) اختراعا منك بلا سبب لأن امرأتى لا تصلح للولادة .

(٣) ابنا يلى أمرك بعدى .

(٤) (يرثنى ويرث) برفعهما صفة لوليا (من آل يعقوب) بن إسحق . أى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة . ومعنى وراثته النبوة أنه يصلح لأن يوحى إليه . ولم يرد أن نفس النبوة تورث . ويجزمهما أبو عمرو وعلى أنه جواب للدعاء . يقال ورثته وورثت منه .

(٥) مرضيا ترضاه أو راضيا عنك ويحكك .

(٦) فأجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) . تولى الله تسميته تشريفا له . (نبشرك) بالتخفيف حمزة .

(٧) لم يسم أحد يحيى قبله . وهذا دليل على أن الاسم الغريب جدير بالأثرة . وقيل مثلا وشبهها ولم يكن له مثل فى أنه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ وعجوز وأنه كان حصورا .

(٨) فلما بشرته الملائكة به قال رب (أنى يكون لى غلام) . كيف يكون لى غلام ؟ وليس هذا باستبعاد ، بل هو استكشاف أنه باى طريق يكون ؟ أي هوب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان شأين ؟

(٩) أى بلغت عتيا - وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس - من أجل الكبر والطعن فى السن العالية . (عتيا) و (صليا) و (جتيا) و (بكيًا) بكسر الأوائل حمزة وعلى ، وحفص لآ فى (بكيًا) .

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ^(١١) وَقَدْ خَلَقْتكَ ^(١٢) مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
 شَيْئًا ^(١٣) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ^(١٤) آيَةً قَالَ آيَتُكَ ^(١٥) إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ
 لَيَالٍ سَوِيًّا ^(١٦) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ ^(١٧) إِلَيْهِمْ ^(١٨) أَنْ سَبِّحُوا
 بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^(١٩) يَلْبِغِي ^(٢٠) خِذِ ^(٢١) الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ^(٢٢) وَأَتَيْنَاهُ ^(٢٣) الْحِكْمَ ^(٢٤) صَبِيًّا ^(٢٥)

(١١) الكاف رفع. أى الأمر (كذلك). تصديق له. ثم ابتداء (قال ربك). أو نصب بقال. و(ذلك) إشارة إلى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيى من كبيرين سهل.

(٢) أوجدتك من قبل يحيى. (خلقناك) حمزة وعلى.

(٣) لأن المعدوم ليس بشيء.

(٤) علامة أعرف بها جبل امرأتى.

(٥) حال من ضمير (تكلم) أى حال كونك سوى الأعضاء واللسان. يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك نحس ولا بك. ودل ذكر الليالى هنا والأيام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن إذ ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالى. وكذا ذكر الليالى يتناول ما بإزائها من الأيام عرفا.

(٦) من موضع صلاته. وكانوا ينتظرونه.

(٧) ولم يقدر أن يتكلم (فاوحى إليهم) أشار بأصبعه

(٨) (أن) هى المفسرة.

(٩) صلوا صلاة الفجر والعصر.

(١٠) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب (يا يحيى).

(١١) التوراة.

(١٢) حال أى يجتد واستظهار بالتوفيق والتأييد.

(١٣) الحكمة. وهو فهم التوراة والفقهاء فى الدين.

(١٤) حال. قيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال: ما للعب خلقنا.

وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ^(٣) وَكَانَ تَقِيًّا ^(٤) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا ^(٦)
عَصِيًّا ^(٧) وَسَلِّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ^(٨)
وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمُ ^(١٠) إِذِ أَنْتَبَدَّتْ ^(١١) مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ^(٩)

(١) شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما . عطفًا على (الحكم) .

(٢) من عندنا .

(٣) أى طهارة وصلاحاً فلم يعمد بذنب .

(٤) مسامحاً مطيعاً .

(٥) وبأزواجهما لا يعصيهما .

(٦) متكبراً .

(٧) عاصياً لربه .

(٨) أمان من الله له (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتأني القبر (ويوم يبعث حياً) من الفزع الأكبر . قال ابن عيينة إنها أوحش المواطن .

(٩) (واذ كُرِيَ) أى مجد أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها .

(١٠) بدل من (مريم) بدل اشتغال إذ الأحيان مشتملة على ما فيها . وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه .

(١١) أى اعزلت (مكاناً) ظرف أى تحأت للعبادة فى مكان مما يلى شرق بيت المقدس ، أو من دارها معتزلة عن الناس . وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض .

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا^(٣)
 قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا^(٤) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا^(٥) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ^(٦)

(١) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتفتسل وراءه .

(٢) جبريل عليه السلام . والإضافة للتشريف . وإنما سُمي روحا لأن الدين يحيى به
 وبوحيه .

(٣) أى فتمثل لها جبريل في صورة آدمى شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر .

مستوى الخلق . وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تتفر عنه . ولو بدا لها
 في صورة الملائكة لفرت ولم تقدر على استماع كلامه .

(٤) أى إن كان يرجى منك أن تتقى الله فإني عائدة به منك .

(٥) (قال) جبريل عليه السلام .

(٦) أمتنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمى بل هو رسول من استعادت به .

(٧) (أهبط لك) بإذن الله تعالى . أولاً كون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع . (ليهب
 لك) أى الله أبو عمرو ونافع .

(٨) طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير والبركة .

(٩) كيف .

(١٠) ابن .

(١١) زوج بالنكاح .

وَلَرَأَىٰ أَكْبَغِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكَ هُوَ عَلَىٰ هِينٍ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ^(٥٠)
 وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۖ فَحَمَلْتَهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۖ^(١١)

(١) فاجرة تبغى الرجال ، أى تطلب الشهوة من أى رجل كان . ولا يكون الولد عادة إلا من أحد هذين . والبغى فعول عند المبرد . بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين إتباعا . ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق فى امرأة صبور وشكور . وعند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى مفعولة . وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبهه به مثل (إن رحمة الله قريب).

(٢) (قال) جبريل .

(٣) أى الأمر كما قلت لم يمسك رجل نكاحا أو سفاحا .

(٤) أى إعطاء الولد بلا أب على سهل .

(٥) تعليل معلله محذوف ، أى (ولنجعله آية للناس) فعلنا ذلك . أو هو معطوف على تعليل مضمرة أى لنبين به قدرتنا (ولنجعله آية للناس) أى عبرة وبرهاننا على قدرتنا .

(٦) (ورحمة منا) لمن آمن به .

(٧) (وكان) خلق عيسى .

(٨) مقذرا مسطورا فى اللوح .

(٩) فلما اطأنت إلى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها (حملته) . أى الموهوب وكانت سنّها ثلاث عشرة سنة أو عشرا أو عشرين .

(١٠) اعترلت وهو فى بطنها . والجاز والمجورور فى موضع الحال . عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته . وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعيش مولود وضع لثمانية إلا عيسى . وقيل حملته فى ساعة ووضعت فى ساعة .

(١١) بعيدا من أهلها وراء الجبل . وذلك لأنها لما أحست بالحمل هربت من قومها

مخافة اللأئمة .

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا (١) فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا (٢) أَلَا تَحْزَنِي (٣) قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٤)

(١) جاء بها وقيل ألبأها . وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلحاء . ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءني زيد .

(٢) وجع الولادة .

(٣) أصلها . وكانت يابسة . وكان الوقت شتاء . وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة . وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أُرشدنا إلى النخلة ليطلعها منها الرطب لأنه خرسة النساء أى طعامها .

(٤) (قالت) جزأ مما أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم . (ميت) مدنى وكوفى غير أبى بكر . وغيرهم بالضم . يقال مات يموت ومات يمات .

(٥) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر . بفتح النون حمزة وحفص . وبالكسر غيرهما . ومعناها واحد . وهو الشيء الذى حقه أن يطرح وينسى لحقارته

(٦) (من تحتها) أى الذى تحتها . فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنه كان بمكان منخفض عنها . أو عيسى عليه السلام لأنه خاطبها من تحت ذيلها . (من تحتها) مدنى وكوفى سوى أبى بكر . والفاعل مضمرة وهو عيسى عليه السلام أو جبريل . والهاء فى (تحتها) للنخلة .

(٧) (ألا تحزنى) لشدة ما لقيت . سلّيت بقوله (لا تحزنى) لا تهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس . و (أن) بمعنى أى .

(٨) (قد جعل ربك) بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يمجرى جرى وإن أمرته أن يقف وقف (سرىّا) نهرا صغيرا . عند الجمهور . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول . وعن الحسن سيّدا كريما يعنى عيسى عليه السلام . وروى أنّ خالد بن صفوان قال له إن العرب تسمى الجدول سرىّا . فقال الحسن صدقت . ورجع إلى قوله .

وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۗ فَكُلْ وَاشْرَبْ
 وَاقْرَأْ عَيْنًا فِيمَا تَرَىٰ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب بجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقبل لها (وهزى إليك) حرّ كى إلى نفسك (يجذع النخلة) قال أبو على الباء زائدة . أى هزى جذع النخلة .

(٢) بإدغام التاء الأولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر . والأصل تساقط بإظهار التاءين . و(تساقط) بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة . و(يساقط) بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير . و(تساقط) حفص من المفاعلة . وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط — التاء للنخلة والياء للجذع . فهذه تسع قراءات .

(٣) تمييز أو مفعول به على حسب القراءة .

(٤) طرياً . وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت . وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل .

(٥) (فكلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد الرضى . و(عينا) تمييز أى طيبى نفسا بعيسى ورفضى عنك ما أحرزك .

(٦) أصله إن ما فضمت إن الشرطية إلى ما وأدغمت فيها .

(٧) أى فإن رأيت آدمياً يسألك عن حالك (فقولى لآنى نذرت للرحمن) صمتاً وإمساكاً عن الكلام . وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب . وقيل صياماً حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزمه التزمه . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت . فصار ذلك منسوخاً فيما . وإنما أمرت أن تنذر السكوت لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يرى به ساحتها ، ولئلا تجادل السفهاء . وفيه دليل على أن السكوت عن السفه واجب . وما قدع سفهه بمثل الإعراض ، ولا أطلق عنانه بمثل الإعراض . وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة . وقد تسمى الإشارة كلاماً وقولاً . ألا ترى إلى قول الشاعر فى وصف القبور * وتكلمت عن أوجه تلى * وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام . أو سوغ لها هذا القدر بالنطق .

فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴿١﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ
 شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢﴾ يَأْتِيَنَّكَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبِيكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
 بَغِيًّا ﴿٣﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٤﴾

(١) آدمياً .

(٢) (فأتت) بعيسى (قومها) بعد ما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها . أى أقبلت
 نحوهم حاملة إياه . فلما رأوه معها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فرياً) بديعاً عجيباً . والفرى
 القطع . كأنه يقطع العادة .

(٣) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى إسرائيل . أو هو أخو موسى عليه السلام .
 وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة . وهذا كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم .
 أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شَبَّهوها به فى الصلاح أو شتموها به .

(٤) عمران .

(٥) زانبا .

(٦) حنة .

(٧) زانية .

(٨) (فأشارت) إلى عيسى أن يجيئهم . وذلك أت عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى وأحيل
 بالجواب على . وقيل أمرها جبريل بذلك . ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا (وقالوا كيف
 نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد) المعهود (صبياً) حال .

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ

(١) لما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم . روى أنه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع (إني عبد الله) . وفيه رد لقول النصارى .

(٢) الإنجيل .

(٣) روى عن الحسن أنه كان في المهد نبياً . وكلامه معجزته . وقيل معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد .

(٤) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير .

(٥) وأمرني (بالصلاة والزكاة) إن ملكت مالا . وقيل صدقة الفطر . أوتطهر البدن . ويحتمل بأن أمرهم (بالصلاة والزكاة) .

(٦) نصب على الظرف أى مدة حياتي .

(٧) عطفًا على (مباركا) أى بارًا بها أكرمها وأعظمها .

(٨) متكبرا .

(٩) عاقا .

(١٠) (يوم) ظرف . والعامل فيه الخبر وهو (على) أى ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى إن كان حرف التعريف للعهد . وإن كان للجنس فالمعنى وجنس السلام (على) . وفيه تعريض باللجنة على أعداء مريم وابنها لأنه إذا قال وجنس السلام على فقد عترض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض .

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣﴾ مَا كَانَ
 لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ ﴿٧﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٩﴾

(١) (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعته أو خبر ثان . أى (ذلك) الذى قال لى كذا وكذا (عيسى بن مريم) لا كما قالت النصارى إنه إله أو ابن الله .

(٢) (قول الحق) كلمة الله . فالقول الكلمة . والحق الله . وقيل له (كلمة الله) لأنه ولد بقوله كن بلا واسطة أب . وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من عيسى . ونصبه شامى وعاصم على المدح أو على المصدر . أى أقول (قول الحق) هو ابن مريم وليس إله كما يدعونه .

(٣) يشكون من المرية الشك . أو يختلفون من المرأ فقالت اليهود ساحر كذاب . وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة .

(٤) ما ينبغى له .

(٥) جىء بمن لتأكيد النفى .

(٦) نزه ذاته عن اتخاذ الولد .

(٧) بالنصب شامى . أى كما قال لعيسى كن فكان من غير أب . ومن كان متصفا بهذا كان منزها أن يشبه الحيوان الوالد .

(٨) (وإن) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء . وهو من كلام عيسى . يعنى كما أنا عبده فأتتم عبيده ، على . وعليكم أن تعبدوه . ومن فتح عطف على (بالصلاة) أى (وأوصانى بالصلاة وبالزكاة) وبأن (الله ربى وربكم) أو علقه بما بعده أى ولأن (الله ربى وربكم فاعبدوه) .

(٩) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا (هذا) الذى ذكرت .

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٤)
 أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦)

(١) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها . وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية .

(٢) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس . وذلك أن النصراني اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهو يعقوب ونسطور وملكان . فقال يعقوب : هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء . وقال نسطور : كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه . وقال الثالث : كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا . فتبع كل واحد منهم قوم .

(٣) من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق .

(٤) هو يوم القيامة . أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة ، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر . أو من مكان الشهادة أو وقتها . أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه . وجعله عظيما لفضاعة ما شهدوا به في عيسى .

(٥) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب . ولكن المراد أن إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صتما وعميا في الدنيا . قال قتادة إن عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم ! و(هم) مرفوع المحل على الفاعلية كأكرم يزيد فعناه كرم زيد جدا .

(٦) أقيم الظاهر مقام المضممر - أي لكنهم (اليوم) في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يمدى عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر ، وهو اعتقادهم عيسى إلهسا معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه - إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم .

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾
 إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَأَذْكُرُ
 فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
 ﴿٩﴾

(١) خوفهم .

(٢) يوم القيامة لأنه يقع فيه الندم على ما فات . وفي الحديث "إذا رأوا منازلهم في الجنة أن لو آمنوا" .

(٣) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر .

(٤) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار .

(٥) (وهم في غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون به .

و(هم) و(هم) حالان أى وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين .

(٦) أى تتفرد بالملك والبقاء ، عند تعميم الهلك والفناء . وذكر (من) لتغليب العقلاء .

(٧) بضم الياء وفتح الجيم . وفتح الياء يعقوب أى يرتدون . فيجازون جزاء وفاقا .

(٨) (واذ كر) لقومك (في الكتاب) القرآن (إبراهيم) قصته مع أبيه . والمراد بذكر الرسول

إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إليهم كقوله (واتل عليهم نبأ إبراهيم) .

وإلا فالله عزّ وعلا هو ذا كره ومورده في تنزيهه .

(٩) (نبياً) بغير همز . وهمزة نافع . قيل : الصادق المستقيم فى الأفعال ، والصدّيق المستقيم

فى الأحوال . فالصدّيق من أبنية المبالغة . ونظيره الضحّيك . والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدّق

به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله . أى كان مصدّقاً لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبياً فى

نفسه . وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين إبراهيم وبين ما هو بدل منه وهو (إذ قال) . وجاز أن

يتعلّق (إذ) بكان أو بصدّيقاً نبياً . أى كان جامعا لخصائص الصدّيقين والأنبياء حين خاطب

أباه بتلك المخاطبات .

(١٠) بكسر التاء . وفتحها ابن عامر . والتاء عوض من ياء الإضافة . ولا يقال يا أبتي

لثلاث يجمع بين العوض والمعوض منه .

لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١﴾ يَأْتِي
 قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٢﴾
 يَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٣﴾ يَأْتِي
 إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤﴾

(١) المفعول فيهما منسى غير منوى. ويجوز أن يقدر أى لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا .

(٢) يحتمل أن يكون (شيئا) في موضع المصدر أى (شيئا) من الإغناء، وأن يكون مفعولا به من قولك : أغن عني وجهك أى بعد .

(٣) الوحي أو معرفة الرب .

(٤) (ما) فى (ما لا يسمع) و(ما لم يأتك) يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة .

(٥) أرشدك .

(٦) مستقيا .

(٧) لا تطعه فيما سؤل من عبادة الصنم .

(٨) عاصيا .

(٩) قيل أعلم .

(١٠) قرينا فى النار تليه ويليك . فانظر فى نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر . فى الحديث "أوحى إلى إبراهيم : إنك خليلي . حسن خلقك ولو مع الكفار ، تدخل مداخل الأبرار" . فطلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منه على تماديه ، موقظ لإفراطه وتناهيه لأن من يعبد أشرف الخلق منزلة — وهم الأنبياء — كان محكوما عليه بالنعى المبين . فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ، ولا يرى هيئات عبادته ، ولا يدفع عنه بلاء ، ولا يقضى له حاجة ؟ ثم تنبى بدعوته إلى الحق مترقا به متلقفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ، ولا نفسه بالعلم الفائق . ولكنه قال : إن معى شيئا من العلم ليس معك . وذلك علم الدلالة على الطريق السوى . فهب أتى وإياك فى مسير ، وعسدى معرفة بالهداية دونك

(١) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِلْأَرْحَمَنِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا (٢)
 قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٣) وَأَعْتَرْتُكَ (٤)
 وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٥)

فاتبعني أنجك من أن تضل وتته. ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي عص
 الرحمن الذي جمع النعم منه ، أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك . فأنت عابده في الحقيقة .
 ثم رجع بتخويفه سوء العاقبة وما يجتره ما هو فيه من التبعة والوال بال ، مع مراعاة الأدب حيث
 لم يصرح بأن العقاب لاحق به ، وأن العذاب لاصق به . بل قال (أخاف أن يسك عذاب)
 بالتنكير المشعر بالتقليل . كأنه قال إني أخاف أن يصيبك نقيان ، من عذاب الرحمن .
 وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه ، أكبر من العذاب كما أن رضوان
 الله أكبر من الثواب في نفسه . وصدر كل نصيحة بقوله (يا أبت) توسلا إليه واستعطافا
 وإشعارا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا .

(١) (قال) آزر توييخا .

(٢) أى أترغب عن عبادتها . فناداه ولم يقابل (يا أبت) بيا بنى . وقدم الخبر على المبتدا
 لأنه كان أهم عنده .

(٣) (لئن لم تنته) عن شتم الأصنام .

(٤) لأقتلنك بالرجام أو لأضربنك بها حتى تتباعد . أو لأشتمنك .

(٥) عطف على محذوف يدل عليه (لأرحمنك) تقديره فاحذرنى (واهجرنى) .

(٦) ظرف أى زمانا طويلا . من الملاوة .

(٧) (سلام عليك) سلام توديع ومتاركة ، أو تقريب وملاطفة . ولذا وعده بالاستغفار
 بقوله (سأستغفر لك ربى) سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام .

(٨) ملطفا بعموم النعم . أو رحيا أو مكرما . والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة .

(٩) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام .

(١٠) أى ما تعبدون من أصنامكم .

(١١) (وأدعوا ربى) وأعبد ربى . ثم قال تواضعا وهضمنا للنفس ومعترضا بشقاوتهم

بدعاء آلهتهم (عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) أى كما شقتم أتم عبادة الأصنام .

فَلَمَّا اعْتَرَاهُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ
 لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴿٣﴾
 وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٤﴾ وَنُنذِرُنُهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ
 ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾

(١) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم .

(٢) (وهبنا له إسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (و) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) . أى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء .

(٣) هى المال والولد .

(٤) ثناء حسنا وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم فى الصلوات . وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية .

(٥) رفيعا مشهورا .

(٦) كوفى غير المفضل . أى أخلصه الله واصطفاه . و(مخلصا) بالكسر غيرهم أى أخلص هو العبادة لله تعالى . فهو مخلص بما له من السعادة بأصل الفطرة ، ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة

(٧) الرسول الذى معه كتاب من الأنبياء . والنبي الذى ينهى عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيشوع .

(٨) دعواناه وكلمناه ليلة الجمعة .

(٩) هو جبل بين مصر ومدين .

(١٠) من ايمين أى من ناحية ايمين . والجمهور على أن المراد ايمين موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين له . والمعنى أنه حين أقبل من مدین يريد مصر نودى من الشجرة وكانت فى جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام .

(١١) (وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان .

نَبِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۞ وَأَذْكُرُ
 فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۞
 وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۞
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞

(١) حال أى مناجيا كنديم بمعنى منادم .

(٢) من أجل رحمتنا وترؤفنا عليه .

(٣) مفعول .

(٤) بدل منه .

(٥) حال أى وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهرون كان أكبر سنًا منه .

(٦) هو ابن إبراهيم فى الأصح .

(٧) وافية . وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد .
 ونأهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى . وقيل لم يعد ربه موعدا إلا أنجزه . وإتما
 خصه بصدق الوعد وإن كان موجودا فى غيره من الأنبياء تشريفا له ولأنه المشهور من
 خصاله .

(٨) (وكان رسولا) إلى جرهم (نبيًا) مخبرا منذرا .

(٩) أمته لأن النبي - أبو أمته وأهل بيته . وفيه دليل على أنه لم يدهن غيره .

(١٠) يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان لأنهما أما العبادات البدنية والمالية .

(١١) قرئ (مرضوا) على الأصل .

(١٢) هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخط اللباس
 ونظر فى علم النجوم والحساب وأخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بنى قابيل . وقولهم
 سمى به لكثرة دراسته كتب الله ، لا يصح . لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب
 واحد وهو العالمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة .

(١٣) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة .

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ^(١) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ^(٢)
 مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ^(٣)
 وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا ^(٤)
 سَبِّحًا ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

(١) هو شرف النبوة والرفعة عند الله . وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة . وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها . وعن الحسن إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة . وذلك أنه حبب لكثرة عبادته إلى الملائكة . فقال ملك الموت أذقني الموت بين علي . ففعل ذلك بإذن الله في . وقال أدخلني النار أزدد رهبة ففعل . ثم قال أدخلني الجنة أزدد رغبة . ثم قال له انرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة . فقال الله عز وجل بأذني فعل ، وبأذني دخل . فدعه .

(٢) إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى إدريس

(٣) (من) للبيان لأن جميع الأنبياء منعم عليهم .

(٤) (من) للتبويض . وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح .

(٥) إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه ولد سام بن نوح .

(٦) إسماعيل وإسحق ويعقوب .

(٧) أي ومن ذرية إسرائيل . أي يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى

لأن مريم من ذريته .

(٨) يحتمل العطف على (من) الأولى والثانية .

(٩) (هدينا) لمحاسن الإسلام (واجتبتنا) من الأنام . أو لشرح الشريعة ، وكشف

التقيقة .

(١٠) أي إذا تليت عليهم كتب الله المتزلة . وهو كلام مستأنف إن جعلت (الذين) خبرا

لأولئك . وإن جعلته صفة له كان خبرا . (يتلى) بالياء فتبنيه لوجود الفاصل مع أن التانيث

غير حقيقي .

(١١) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة .

وَبُكِيًّا ۖ نَخَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
 الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 ذَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۖ جَنَّاتٍ عَدْنٍ

(١) باكين رهبة. جمع بالك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد. في الحديث "اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا". وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء؟ ويقول في سجود التلاوة سبحان ربّي الأعلى ثلاثا.

(٢) بقاء من بعد هؤلاء المفضلين.

(٣) اولاد سوء. وفتح اللام العقب الخير. عن ابن عباس هم اليهود. وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور. وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الأمة.

(٤) تركوا الصلاة المفروضة.

(٥) ملاذ النفوس.

(٦) جزاء غي. وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد. وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور.

(٧) رجع عن كفره.

(٨) (وآمن) بشرطه.

(٩) (وعمل صالحا) بعد إيمانه.

(١٠) بضم الياء وفتح الخاء مكى وبصرى وأبو بكر.

(١١) أى لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونهم بل يضاعف لهم. أو لا يظلمون شيئا من الظلم.

(١٢) بدل من (الجنة) لأن الجنة تشتمل على (جنات عدن) لأنها جنس. أو نصب على المدح.

(١٣) معرفة لأنها علم لمعنى عدن وهو الإقامة. أو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة.

الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٥﴾
 لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴿٨﴾ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
 وَعَشِيًا ﴿٩﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا ﴿١١﴾

(١) أى (عباده) التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم، ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص .

(٢) أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة . أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها .

(٣) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن .

(٤) أى موعوده وهو الجنة .

(٥) أى هم يأتونها .

(٦) فى الجنة .

(٧) غشياً أو كذباً . أو مالا طائل يحته من الكلام وهو المطروح منه . وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التى لا تكليف فيها .

(٨) أى لكن يسمعون سلاماً من الملائكة أو من بعضهم على بعض . أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلّمون فيه من العيب والنقيصة . فهو استثناء منقطع عند الجمهور . وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة . ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام .

(٩) أى يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفى النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثم ، لأنهم فى النور أبداً وإنما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها . والرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك . وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان بكرة وعشياً تريد الدوام .

(١٠) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتها . وقيل يرثون المساكن التى كانت لأهل النار لو آمنوا لأن الكفر موت حكماً .

(١١) (من كان تقياً) عن الشرك .

وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ
 رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ
 هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ نُحْرَجُ حَيًّا

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منك أن
 تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزل. التزل على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على
 الإطلاق والأول أليق هنا. يعنى أنك نزولنا في الأحياء وقتا غيب وقت ليس إلا بأمر الله.

(٢) أى له ما قدمنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نملك أن ننقل من
 مكان إلا بأمر الله ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال
 لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأتى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه؟

(٣) (رب) بدل من (ربك). أو خبر مبتدا محذوف أى هو (رب السموات والأرض)
 ثم قال لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات (فاعبده واصطبر لعبادته) أى فائت
 على عبادته واصبر على مكافأة الحسود، لعبادة المعبود، واصبر على المشاق لأجل عبادة الخلاق.
 أى لتتمكن من الإتيان بها.

(٤) شبيها ومثلا. أو هل يسمى أحد باسم الله غيره؟ لأنه مخصوص بالمعبود بالحق. أى
 إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العباد إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على
 مشاقها.

(٥) تهافت أبى بن خلف عظميا وقال أنبث بعد ما صرنا كذا؟ فنزل. والعامل فى (إذا)
 ما دل عليه الكلام وهو أبعث أى إذا ما مت أبعث. وانتصابه بأخرج ممتنع لأن ما بعد لام
 الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم. ولام الابتداء الداخلة على المضارع
 تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة. فلما جمعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد
 واضمحلت معنى الحال. و(ما) فى (إذا ما) للتوكيد أيضا، فكأنه قال أحقا أنا سنخرج من القبور
 أحياء حين يتمكن فينا الموت والملاك؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد. وتقديم الظرف
 وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكورة ومنه جاء إنكارهم.

أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ^(١) أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ^(٢) وَلَمْ يَكُ شَيْئًا^(٣) فَوَرَبِّكَ
لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ^(٤) ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا^(٥)
ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ^(٦) أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا

(١) (يذكر) خفيف شامخ ونافع وعاصم من الذكر. والسائر بتشديد الذال والكاف وأصله (يتذكر) كقراءة أبي فادغمت التاء في الذال. أى أولا يتدبر؟ والواو عطفت (لا يذكرك) على (يقول) ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف. يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى؟ فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود. وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردّها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق .

(٢) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقاءه .

(٣) هو دليل على ما بيننا وعلى أنّ المعدوم ليس بشيء خلافا للعتزلة .

(٤) (فوربك لنحشرنهم) أى الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف .
وبمعنى مع أوقع . أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغوهم : يقرون كل كافر مع شيطان فى سلسلة . وفى إقسام الله باسمه مضافا إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله .

(٥) حال . جمع جاث : أى بارك على الركب . ووزنه فعول لأن أصله جنوو كسجود وساجد. أى يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم .

(٦) (ثمّ لننزِعَنَّ من كلّ شيعة) طائفة شاعت - أى تبعت - غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو فجورا . أى لنخرجنّ من كلّ طائفة من طوائف الفئّة أعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب تقدّم أولاهم بالعذاب فأولاهم . وقيل المراد بأشدّهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلّالا ومضلين . قال سيبويه (أيهم) مبنى على الضمّ لسقوط صدر الجملة التي هى صلته وهو "هو" من هو (أشد) حتى لو جىء به لأعرب بالنصب

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ^(١) وَإِنْ مَنِكُمْ ^(٢) إِلَّا وَآرِدُهَا ^(٣)

وقيل أيهم هو أشد. وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصمه. فكما أن حذف المضاف إليه في (من قبل) يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء. وموضعها نصب بنزع. وقال الخليل هي معربة. وهي مبتدأ و(أشد) خبره. وهو رفع على الحكاية تقديره (لننزعن) الذين يقال فيهم (أيهم أشد على الرحمن عتياً). ويجوز أن يكون النزع واقعا على (من كل شيعة) كقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم؟ فقيل أيهم أشد عتياً. و(على) يتعلق بافعل أي عتوهم أشد على الرحمن.

(١) أحق بالنار والباء تتعلق بأولى.

(٢) تمييز. أي دخولا.

(٣) (وإن منكم) أحد (إلا وأردھا) داخلها. والمراد النار. والورود الدخول عند عليّ وابن عباس رضی الله عنهم. وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى (فأوردكم النار) ولقوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ولقوله (ثم نخبي الذين أتقوا). إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام "الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها. فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم". وتقول النار للمؤمن "جز يا مؤمن. فات نورك أطفأ لهي". وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس (وإن منهم) وتعمل القراءة المشهورة على الالتفات. وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى (ولما ورد ماء مدين) وقوله (أولئك عنها مبعدون). وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها. وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار. وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام "الحمى حظ كل مؤمن من النار". وقال رجل من الصحابة لآخر: أيقنت بالورود؟ قال نعم. قال: وأيقنت بالصدر؟ قال لا. قال: فقيم الضحك وفيه التناقل؟

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ^(١) ثُمَّ نُنَجِّي ^(٢) الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ ^(٣) الظَّالِمِينَ فِيهَا
 جِثْيًا ^(٤) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا
 أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ^(٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ

(١) أى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما . والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى
 به الموجب كقولهم ضرب الأمير .

(٢) وعلى بالتخفيف .

(٣) (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون .

(٤) فيه دليل على دخول الكل لأنه قال (ونذر) ولم يقل وندخل . والمذهب أن صاحب
 الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة . وقالت المرجئة الخبيثة : لا يعاقب لأن المعصية
 لا تضر مع الإسلام عندهم . وقالت المعتزلة : يتخذ .

(٥) (وإذا تلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بينات) ظاهرات الإعجاز وحججا وبراهين —
 حال مؤكدة كقوله (وهو الحق مصدقا) إذ آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججا —
 (قال الذين كفروا) أى مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكفؤوا في زيهم (للذين آمنوا)
 للفقراء ورءوسهم شعثة وثيابهم خشنه (أى الفريقين) نحن أم أتم (خير مقاما) بالفتح —
 وهو موضع القيام . والمراد المكان والمسكن . وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل —
 (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للشاورة . ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية
 فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل
 والحال . فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أئانا ورثيا) . (كم) مفعول
 أهلكنا و (من) تبيين لإبهاهما . أى كثيرا من القرون أهلكنا . وكل أهل عصر قرن
 لمن بعدهم .

هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا (١) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ
 مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ (٢) إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ
 شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٣) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى (٤)

(١) في محل نصب صفة لكم . ألا ترى أنك لو تركت (هم) كان (أحسن) نصبا على الوصفية .

(٢) هو متاع البيت أو ما جدّ من الفرش .

(٣) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول ، من رأيت . (ورياء) بغير همز مشددا نافع وابن عاصم
 على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام . أو من الرى الذى هو النعمة .

(٤) الكفر .

(٥) جواب (من) لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر . أى من كفر مد له الرحمن . يعنى
 أمهله وأولى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى (إثمنا نملى لهم ليزدادوا إثمنا)
 وإثمنا أخرج على لفظ الأمر إيدانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كلما مور به الممثل
 ليقطع معاذير الضلال .

(٦) هي متصلة بقوله (خير مقاما وأحسن نديا) . وما بينهما اعتراض . أى لا يزالون
 يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأى عين .

(٧) (إثم العذاب) في الدنيا وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر (وإثم الساعة)
 أى القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال . فهما بدلان مما يوعدون .

(٨) منزلا .

(٩) أعوانا وأنصارا . أى فيئذ يملون أن الأمر على عكس ما قدره وأنهم شر مكانا
 وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم .

وجاز أن تتصل بما يليها . والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن
 ضلالتهم إلى أن يعانوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة . (حتى) هى التى يحكى بعدها
 الجمل . ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله (إذا رأوا ما يوعدون... فسيعلمون) .

(١٠) (وزيد) معطوف على مريض (فليمدد) لوقوعه موضع الخبر تقديره من كان
 في الضلالة مد أو يمد له الرحمن (وزيد) ، أى يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهديين
 أى المؤمنين (هدى) بانا على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه .

وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ^(١) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ^(٢) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ^(٣) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ^(٤) وَنَحْنُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدَدًا ^(٥)

(١) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خير) مما يفتخر به الكفار (وخير) مرجعا وعاقبة . تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) .

(٢) (لأوتين) ثم . (ولدا) بضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع : ههنا ، وفي الزحرف ، ونوح ، حمزة وعلى جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب . ولما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا آيات في معنى أخبر . والفاء أفادت التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك . وقوله (لأوتين) جواب قسم مضموم .

(٣) من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه . الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أى انظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته ؟

(٤) موثقا أن يؤتیه ذلك . أو العهد كلمة الشهادة .

عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة . والمشهور أنها فى العاص بن وائل . فقد روى أن خباب بن الأرت صاع للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الأجر . فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة . فإنا أقضيك ثم فأتى أوتى مالا وولدا حينئذ .

(٥) ردع وتنبه على الخطأ أى هو مخطئ فيما تصوّره لنفسه فليردعه عنه .

(٦) أى قوله . والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله . لأنه كما قال كتب من غير تأخير . قال الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) . وهو كقوله * إذا ما انتسبنا لم تلدنى لثيمة * أى علم وتبين بالانتساب أنى لست بابن لثيمة .

(٧) زيده (من العذاب) كما يزيد فى الافتراء والاجترأ . من المدد يقال مدّه وأمدّه بمعنى .

(٨) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى .

وَنَزَّهَتْهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ^(٢) وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ^(٣) إِلَهًا لِّيَكُونُوا
لَهُمْ ^(٤) عِزًّا ^(٥) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ^(٦) ضِدًّا ^(٧) أَلَمْ تَرَ
أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ^(٨) تُوْزَعُهُمْ ^(٩) أَزًّا ^(١٠) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ^(١٠)

(١) أى تزوى عنه ما زعم أنه يناله فى الآخرة . والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد .

(٢) حال . أى بلا مال ولا ولد كقوله (ولقد جئتمونا فرادى) . فما يجدى عليه تمنيه وتأليه .

(٣) أى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها .

(٤) أى ليعتروا بأهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب .

(٥) ردع لهم عما ظنوا .

(٦) الضمير لالهة . أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأتم كاذبون . أو للمشركين أى ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله (والله ربنا ما كنا مشركين) .

(٧) (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما . لأن الله تعالى ينطقهم فتقول : يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك . والضد يقع على الواحد والجمع . وهو فى مقابلة (لهم عزاء) . والمراد ضد العز وهو الذل والهوان . أى (يكونون عليهم ضدا) لما قصدوه . أى يكونون عليهم ذلا لا لهم عزاء . وإن رجع الضمير فى (سيكفرون) و (يكونون) إلى المشركين فالمعنى (ويكونون عليهم) أى أعداءهم (ضدا) أى كفره بهم بعد أن كانوا يعبدونها .

(٨) عجب نبيه عليه السلام بقوله (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين) . أى خيبتهم وإياهم من أرسلت البعير أطلقته . أو سلطناهم عليهم بالإغواء .

(٩) تعريهم على المعاصى إغراء . والأز والهز أخوان . ومعناها التهييج وشدة الإزجاج .

(١٠) (فلا تعجل عليهم) بالعذاب .

إِنَّمَا نَعَدُّ لَهُمْ عَذَابًا ^(١) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ^(٢) وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ ^(٣)
إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ^(٤) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ^(٥)

(١) أى (إنما نعد لهم) أعمالهم للجزاء، وأنفاسهم للفناء. وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ!

(٢) نصب (يوم) بضمير أى (يوم نحشر... ونسوق) ففعل بالفريقين مالا يوصف. أو أذكر (يوم نحشر).

(٣) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت. جمع وافد كركب وراكب.

(٤) (ونسوق) الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام.

(٥) عطاشا لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش. وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون. فالورد جمع وارد.

ذكر المتقون بأنهم يُجمعون إلى ربهم الذى غمهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تجيلا لهم، والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استخفافا بهم.

(٦) حال. والواو إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة. ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل (من اتخذ) لأنه فى معنى الجمع. ومحل (من اتخذ) رفع على البدل من واو (يملكون) أو على الفاعلية. أو نصب على تقدير حذف المضاف أى (إلا) شفاعة (من اتخذ). والمراد (لا يملكون) أن يشفع لهم.

(٧) بأن آمن. فى الحديث "من قال لا إله إلا الله كان له عند الله عهد". وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم "أعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا؟ قالوا وكيف ذلك؟ قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك. وإنك إن تكلمنى إلى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير. وإنى لا أتق إلا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينىه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش. فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة". أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به. أى لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها.

وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ
 أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يُنْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ

(١) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله .

(٢) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة . وهو التفات . أو أمر نبيه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك . والإدّ العجب أو العظيم المنكر . والإدّة الشدة . وأذن الأمر أنقلنى وعظم على - إذا .

(٣) تقرب . وبالياء نافع وعلى .

(٤) وبالتون بصرى وشامى وحمزة وخلف وأبو بكر . الانفطار من فطره إذا شقه . والتفطر من فطره إذا شقه .

(٥) من عظم هذا القول .

(٦) تنخسف وتنفصل أجزاءها .

(٧) تسقط .

(٨) كسرا أو قطعاً أو هدماً . والهدة صوت الصاعقة من السماء . وهو مصدر أى تهدت هدأ من سماع قولهم . أو مفعول له أو حال أى مهدودة .

(٩) (أن دعوا) لأن سموا . ومحلّه جر بدل من الهاء فى (منه) . أو نصب مفعول له . علل الخرور بالهدت والهدت بدعاء الولد للرحمن . أو رفع فاعل هذا أى هدّها دعاءهم للرحمن ولدا .

(١٠) ابنى مطاوع بنى إذا طلب أى ما يتأتى له اتّخاذ الولد وما يتطلّب لو طلب مثلاً لأنّه محال غير داخل تحت الصّحة . وهذا لأن اتّخاذ الولد لحاجة وبجائسة وهو متره عنهما . وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرّات بيان أنّه الرحمن وحده لا يستحقّ هذا الاسم غيره لأنّ اصول النعم وفروعها منه . فلينكشف عن بصرك غطاؤه . فأنت وجميع ما عندك عطاؤه . فمن أضاف إليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن .

إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ^(١) لَقَدْ
 أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ^(٢) وَكُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ^(٣)
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ^(٤)
 فَإِنَّمَا يَسْرُنَهُ بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ^(٥) وَتُنذِرَ بِهِ ^(٦) قَوْمًا لُدًّا ^(٧)

(١) (من) نكرة موصوفة صفتها (في السموات والأرض). وخبر (كل) (إلا آتى الرحمن) ووحده (آتى) و(آتية) حملا على لفظ (كل) وهو اسم فاعل من آتى. وهو مستقبل أى يأتية (عبدا). حال أى خاضعا ذليلا متقادا. والمعنى ما (كل من فى السموات والأرض) من الملائكة والناس إلا هو يأتى الله يوم القيامة مقرا بالعبودية. والعبودية والبنوة تتنافیان حتى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه. ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى. فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا؟. وقرأ ابن مسعود (آت الرحمن) على أصله قبل الإضافة.

(٢) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم.

(٣) أى كل واحد منهم يأتية يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر.

(٤) مودة فى قلوب العباد. قال الربيع: يحبهم ويحبهم إلى الناس. وفى الحديث "يعطى المؤمن مئة فى قلوب الأبرار، ومهابة فى قلوب الفجار". وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء فى الأرض حتى يستقر له فى السماء.

(٥) سهلنا القرآن.

(٦) بلغتك. حال.

(٧) المؤمنين.

(٨) شدادا فى الخصومة بالباطل. أى الذين يأخذون فى كل لديد أى شتى من المراء والجدال. جمع ألد. يراد به أهل مكة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَل يُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْرًا^(٢)

(١) تخويف لهم وإنذار.

(٢) (هل تحس منهم من أحد) أى هل تجد أوترى أو تعلم — والإحساس الإدراك بالحاسة —
(أو تسمع لهم ركرًا) صوتًا خفيًا . ومنه الركا . أى لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى
ولا صوت يُسمع . يعنى هل كوا كلهم . فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك
فعاقتهم الهلاك . فليهن عليك أمرهم . والله أعلم .

سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية

وهي مائة وخمسة وثلاثون آية كوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا ﴿٤﴾

(١) فتحم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو . وأمالها حمزة وعلي وخلف وأبو بكر . ونخمهما على الأصل غيرهم . وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يارجل فإن صح فظاهر . وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة .

(٢) إن جعلت (طه) تعديدا لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام . وإن جعلتها اسما للسورة احتمات أن تكون خبرا عنها ، وهي في موضع المبتدأ — (القرآن) ظاهر أوقع موقع المضمرة لأنها قرآن — وأن يكون جوابا لها وهي قسم .

(٣) لتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا ، أو بقيام الليل . فإنه روى أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه . فقال له جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا . أي ما أنزلناه لنتهك نفسك بالعبادة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة .

(٤) استثناء منقطع ، أي لكن أنزلناه تذكرة . أو حال .

(٥) لمن يخاف الله أو لمن يؤول أمره إلى الخشية .

(٦) بدل من تذكرة إذا جعل حالا . ويجوز أن ينصب بتزل مضمرة ، أو على المدح ، أو يخشى مفعولا به . أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله .

مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (١) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ (٢)
 أَسْتَوَى (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا
 تَحْتَ الثَّرَى (٤) وَإِنْ يُجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٥)

(١) (من) يتعلّق بتزيلا صلة له .

(٢) جمع العلى تانيث الأعلى . ووصف السموات بالعلی دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها .

(٣) رفع على المدح خبر مبتدأ محذوف أي هو (الرحمن) .

(٤) استوى ، عن الزجاج . ونبه بذكر العرش — وهو أعظم المخلوقات — على غيره . وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير البتة . وهذا كقولك : يد فلان مبسوطة أي جواد وإن لم يكن له يد رأسا . والمذهب قول على رضي الله عنه : الاستواء غير مجهول ، والتكليف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، لأنه تعالى كان ولا مكان ، فهو على ما كان ، قبل خلق المكان ، لم يتغير عما كان .

(٥) خبر ومبتدأ ومعطوف أي ذلك كله ملكه .

(٦) ما تحت سبع الأرضين أو هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة .

(٧) ترفع صوتك .

(٨) ما أسررته إلى غيرك . أو ما أسررته في نفسك .

(٩) (وأخفى) منه . وهو ما أخطرت به بالك أو ما ستسره في نفسك .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (١) وَهَلْ أَتَتْكَ حَدِيثُ مُوسَى (٢)
 إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي (٣) آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ (٤)
 أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (٥) فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى (٦) إِنِّي (٧)
 (٨) (٩) (١٠) (١١)

(١) أى هو واحد بذاته وإن افتقرت عبارات صفاته . رد لقولهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى . (والحسنى) تأنيث الأحسن .

(٢) أى وقد .

(٣) خبره . فقاه بقصة موسى عليه السلام ليتأني به في تحمل أعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى .

(٤) (إذ) ظرف لمضممر . أى حين رأى نارا كان كيت . أو مفعول به لا ذكر . روى أن موسى عليه السلام استأذن شعبيا في الخروج إلى أمه . وخرج بأهله . فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده . وقدح فصلد زنده ، فرأى عند ذلك (نارا) في زعمه وكان نورا .

(٥) أقيموا في مكانكم .

(٦) أبصرت . والإيناس رؤية شيء يؤنس به .

(٧) بنى الأمر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به .

(٨) نار مقتبسة في رأس عود أو قتيبة .

(٩) ذوى هدى . أو قوما يهدوننى الطريق . ومعنى الاستعلاء فى (على النار) أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها .

(١٠) (أتاها) أى النار . وجد نارا بيضاء تتوقد فى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها . وكانت شجرة العناب أو العوسج . ولم يجد عندها أحدا . وروى أنه كلما طلبها بعدت عنه . فإذا تركها قربت منه . فتمّ (نودى) موسى .

(١١) بكسر الهمزة أى (نودى) فقيل (يا موسى أبنى) ، أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته . وبالفتح مكى وأبو عمر . أى نودى بأنى .

أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوى (٤) وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ (٥)
فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (٦) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي (٧)
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (٨) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا (٩)

(١) (أنا) مبتدأ أو تأكيد أو فصل . وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة . روى أنه لما نودي (ياموسى) قال من المتكلم ؟ فقال الله عز وجل (أنا ربك) فعرف أنه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه .

(٢) اتزعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس ، أو لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لأن الحفوة تواضع لله . ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين . والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها . نخلعهما وألقاهما من وراء الوادى .

(٣) المطهر أو المبارك .

(٤) (طوى) حيث كان متون شامى وكوفى لأنه اسم علم للوادى وهو بدل منه . وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة . وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين .

(٥) اصطفتيك للنبوة . (وأنا اخترتك) حمزة .

(٦) (لما يوحى) إليك ، للذى يوحى أو للوحى . واللام يتعلق باستمع أو باخترتك .

(٧) وحدنى وأطعنى .

(٨) لئذ كرنى فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار . أو لأنى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها . أو لأن أذكرك بالمدح والثناء . أو لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى . أو لتكون لى ذا كرا غير ناس . أو لأوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة لقوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) . وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها . وذا يصح بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى . وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها .

(٩) (آتية) لا محالة .

(١٠) أريد ، عن الأخفش . وقيل صلة .

(١١) قيل هو من الأضداد أى أظهرها . أو أسترها عن العباد فلا أقول هى آتية لإرادتى إخفاءها . ولولا ما فى الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة ، وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت ، لما أخبرت به .

لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿٢﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا ﴿٤﴾
 وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسِي ﴿٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ
 أَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَأَهْشَىٰ أَن يُعَذِّبَنِي اللَّهُ فَمَأْوَاهُ ﴿٨﴾ أَلَيْسَ لِي فِيهَا مَثَرَبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٢﴾

(١) متعلق بآية .

(٢) بسعيها من خير أو شر .

(٣) فلا يصدرك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة .
 فالخطاب لموسى والمراد به أمته .

(٤) لا يصدق بها .

(٥) (واتبع هواه) في مخالفة أمره .

(٦) فتهلك .

(٧) (ما) مبتدأ و (تلك) خبره . وهي بمعنى هذه . و (يمينك) حال عمل فيها معنى الإشارة أي
 قارة أو مأخوذة بيمينك . أو (تلك) موصول صلته (بيمينك) . والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد
 التثبيت ، وللتوطين لثلا يهوله انقلابها حية . أو للإيناس ورفع الهيبة للكلمة .

(٨) أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة .

(٩) أخبط ورق الشجر (على غنمي) لتأكل .

(١٠) (ولي) حفص .

(١١) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة .

(١٢) والقياس أنحر . وإنما قال (أخرى) ردا إلى الجماعة أو لنسق الآي . وكذا الكبرى .
 لما ذكر بعضها شكرا أجمل الباقي حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام ، فيزيد
 في الإكرام . والمآرب الأخر أنها كانت تماشيه ، وتحادثه ، وتحارب العدو ولا يباع ، وتصير
 رشاء فتطول بطول البئر ، وتصير شعبتها دلوا ، وتكونان شمعتين باللبل ، وتحمل زاده ،
 ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ، ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب ، وكانت تقيه الهوام .

والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا . أو لأنها جواب سؤال آخر لأنه لما قال (هي
 عصاي) قيل له ما تصنع بها ؟ فأخذ يعدد منافعها .

قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسِي ^(١) فَالْقَنَهَا ^(٢) فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ^(٣) قَالَ خُذْهَا وَلَا
تَخَفْ ^(٤) سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ^(٥) الْأُولَى ^(٦) وَأَضْمَمَ يَدَكَ ^(٧) إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ ^(٨)

(١) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن إلا بنا، وترى فيها كنه ما فيها من
المأرب، فتعتمد علينا في المطالب.

(٢) فطرحها.

(٣) (تسعى) تمشى سريعا. قيل انقلبت ثعبانا يتلعب الصخر والشجر. فلما رآها تبلع كل شيء
خاف وإتما وصفت بالحية هنا، وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها،
لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير. وجاز أن تنقلب حية صفراء
دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا. فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها. أرلأنها
كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. وقيل كان بين لحيةا أربعون ذراعا. ولما قال له ربه
(خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها.

(٤) سزدها.

(٥) تأنيث الأول. والسيرة الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة.
وهي في الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب. ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة.
وانصببت على الظرف أي سنعيدها في طريقها الأولى أي في حال ما كانت عصا. والمعنى
زدها عصا كما كانت. وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لثلاثا يفزع منها إذا انقلبت حية عند
فروع.

(٦) تبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك إلى جناحك) إلى جنبك تحت العضد. وجناحا
الإنسان جنباه. والأصل المستعار منه جناح الطائر. سمي جناحين لأنه يُنحَّجُهما أي يملهما
عند الطيران. والمعنى أدخلها تحت عضدك.

(٧) (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يُعشى البصر.

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿١﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢﴾
 أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٤﴾
 وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٥﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٧﴾

(١) برص .

(٢) (آية أخرى) لبؤتك . (بيضاء) (وآية) حالان معاً . و (من غير سوء) صلبة (بيضاء) كقولك : ابيضت من غير سوء . وجاز أن ينصب (آية) بفعل محذوف يتعلق به (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بهض (آياتنا الكبرى) العظمى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا . أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى .

(٣) جاوز حدّ العبودية إلى دعوى الربوبية .

(٤) لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى وعرف أنه كلف أمرا عظيما يحتاج إلى صدر فسيح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه ليحتمل الوحي والمشاق وردى الأخلاق من فرعون وجنده .

(٥) وسهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون . و (اشرح لي صدري) أكد من اشرح صدري لأنه تكرر للغي الواحد من طريق الإجمال والتفصيل لأنه بقول (اشرح لي) و (يسر لي) علم أن ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر .

(٦) افتح (عقدة من لسانى) وكان في لسانه رثة للجفرة التي وضعها على لسانه في صباه . وذلك أن موسى أخذ حية فرعون واطمه لطمه شديدة في صغره فأراد قتله . فقالت آسية أيها الملك إنه صغير لا يعقل . فبغمت في طشت ناراً وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصده اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمره فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكتنة منها . وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا . ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذى أبرا يدي وقد عجزت عنها . و (من لسانى) صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكاملها . وأكثروا على ذهاب جميعها .

(٧) (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة .

وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿١﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٢﴾ أَشَدُّ بِهِ أَرْزَى ﴿٣﴾
 وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٤﴾ كَىٰ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٥﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٦﴾
 إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٧﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨﴾
 وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿١٠﴾
 أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴿١١﴾

(١) (وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه. أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتمهم برأيه ويلتجئ إليه في أموره. أو معينا من الموازنة وهي المعاونة. وزيراً مفعول أول لاجعل والثاني (من أهلي) أو (لى وزيرا) مفعولاه. وقوله (هرون) عطف بيان لوزيرا. وقوله (أخى) بدل أو عطف بيان آخر. أو (وزيرا) و(هرون) مفعولاه. وقدم ثانيهما على أولها عناية بأمر الوزارة.

(٢) قوبه ظهري. وقيل الأزر القوة.

(٣) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة. (أشد) (وأشركه) على حكاية النفس شامخ على الجواب. والباقون على الدعاء والسؤال.

(٤) نصلى لك ونترهك تسبيحا (كثيرا).

(٥) (ونذكرك كثيرا) فى الصلوات وخارجها.

(٦) عالما بأحوالنا.

(٧) فأجابه الله تعالى حيث (قال قد أوتيت سؤالك) أعطيت مسؤلك. فالسؤال الطلبة فُعل بمعنى مفعول تخبز بمعنى نجوز. (سولك) بلا همز أبو عمرو.

(٨) (ولقد مننا) أنعمنا (عليك مرة) كرامة (أخرى) قبل هذه. ثم فسرها فقال (إذ أوحينا إلى أمك) إلهاما أو مناما حين ولدت. وكان فرعون يقتل أمثالك. و(إذ) ظرف لمننا. ثم فسّر (ما يوحى) بقوله (أن أقذفيه) ألقيه (فى التابوت). (وأن) مفسرة لأن الوحى بمعنى القول.

فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهٗ
 وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴿٤﴾ إِذْ تَمْشِي
 أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ

(١) النيل .

(٢) الجانب . وسمى ساحلا لأن الماء يسحله أى يقشره . والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الإخبار أى يلقى اليم بالساحل .

(٣) (ياخذ عذولى وعذوله) يعنى فرعون . والضائر كلها راجعة إلى موسى . ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت يفضى إلى تناثر النظم . والمقذوف فى البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت . روى أنها جعلت فى التابوت قطنًا محلوًا فوضعت فيه وقيرته ثم ألقت فى اليم . وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير . فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت . فأمر به فأخرج ففتح . فإذا بصبي أصبح الناس وجها . فأحبته فرعون حبًا شديدًا . فذلك قوله (وألقيت عليك محبة منى) . يتعلق (منى) بالقيت . يعنى لى أحببتك ومن أحبته الله أحبته القلوب فما رآه أحد إلا أحبته . قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحظة ما رآه أحد إلا أحبته .

(٤) (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره (وألقيت عليك محبة) لتحب (ولتصنع على عيني) أى لتربى بمواى منى . وأصله من صنع الفرس أى أحسن القيام عليه . يعنى أنا مراعىك ومراقبك كما يراعى الرجل الشىء بعينه إذا اعتنى به . (ولتصنع) يزيد ، على أنه أمر منه .
 (٥) بدل من (إذ أوحينا) لأن مشى أخته كان منة عليه .

(٦) روى أن أخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة . فقالت هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيربيه ؟ وأرادت بذلك المرضعة الأتم . وتذكير الفعل للفظ (من) . فقالوا نعم . فجاءت بالأتم فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (إلى أمك) كما وعدناها بقولنا (إننا رآوه إليك) .

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ^(١) وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ^(٢)
 وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤِسُونَ ^(٣)
 وَأَصْطَنَتُكَ لِنَفْسِي ^(٤) أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأُ ^(٥)

(١) (كى تقر عينها) بقاءك (ولا تحزن) على فراقك .

(٢) قبطيًا كافرا .

(٣) من القود . قيل الغم القتل بلغة قريش . وقيل اعتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره (قال رب ائني ظلمت نفسي فاغفر لي) . ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين .

(٤) ابتليتك ابتلاء بإيقاعك في المحن وتخليصك منها . والفتون مصدر كالقعود . أو جمع فتنة أى فتاك ضروبا من الفتن . والفتنة المحنة وكل ما يتلى الله به عباده فتنة (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

(٥) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمانى مراحل من مصر . قال وهب : لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة ، عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد .

(٦) أى موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة .

(٧) اخترتك واصطفيتك لوجي ورسالتى لتصرف على إرادتى ومحبتى . قال الزجاج : اخترتك لأمرى وجملتك القائم بحجتى ، والمخاطب بنى وبين خلقى كأنى أقمتم عليهم المحجة وخ طبتهم .

(٨) بمعجزاتى .

(٩) نفرتا . من الوئى وهو الفتور والتقصير .

فِي ذِكْرِي ^(١) أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ^(٢) فَتَقْوَلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ ^(٣)
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ^(٤) قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ^(٥) أَوْ أَنْ يَطْغَى ^(٦)

(١) أى اتخذ ذكري جناحا تطيران به . أو أريد بالدكر تبليغ الرسالة . فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها .

(٢) كثر لأن الأول مطاق والثاني مقيد .

(٣) جاوز الحد بادعائه الربوبية .

(٤) الطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة . أو عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت . أو هو قوله (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) فظاهره الاستفهام والمشورة .

(٥) أى يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (أو يخشى) أى يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجزه إنكاره إلى الملكة . وإنما قال (لعله يتذكر) مع علمه أنه لا يتذكر لأن الترجى لها أى اذهب على رجائك وطمعك وبامرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله . وجدوى إرسالها إليه مع العلم بأنه إن يؤمن إلزام الحجمة وقطع المعذرة . وقيل معناه (لعله يتذكر) متذكر (أو يخشى) خاش . وقد كان ذلك من كثير من الناس . وقيل (لعل) من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر . وقيل تذكر فرعون وخشى وأراد أتباع موسى فنعمه هامان . وكان لا يقطع أمرا دونه . وتليت عند يحيى بن م. اذ فبكى وقال هذا رفكك بن يقول أنا إله ، فكيف بمن قال أنت الإله ؟ وهذا رفكك بمن قال (أنا ربكم الأعلى) فكيف بمن قال سبحان ربى الأعلى ؟

(٦) يعجل علينا بالعقوبة . ومنه الفارط يقال فرط عليه أى عجل .

(٧) يجاوز الحد فى الإساءة إلينا .

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ^(١) أَسْمَعُ^(٢) وَأَرَى^(٣) فَأَيَّاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ^(٤)
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ^(٥) قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ^(٦) مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ
مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى^(٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ^(٨) وَتَوَلَّى^(٩) وَتَوَلَّى^(١٠)

(١) أى حافظكما وناصركما .

(٢) (أسمع) أقوالكما (وأرى) أفعالكما . قال ابن عباس رضى الله عنهما (أسمع) دعاء كما
فأجيبه (وأرى) ما يراد بكما فأمنع . لست بغافل عنكما فلا تهتما .

(٣) أى فرعون .

(٤) (إننا رسولا ربك) إليك .

(٥) أى أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق .

(٦) (ولا تعذبهم) بتكليف المشاق .

(٧) بحجة على صدق ما ادعيناها . وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهى (إننا رسولا
ربك) مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها وهى الحجىء
بالأى .

فقال فرعون وما هى ؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس .

(٨) أى سلم من العذاب من أسلم . وليس بتحية . وقيل : وسلام الملائكة الذين هم نخزنة
الجنة على المهتدين .

(٩) (أت العذاب) فى الدنيا والعقبى (على من كذب) بالرسول .

(١٠) أعرض عن الإيمان . وهى أرجى آى القرآن لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس
العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شىء .

فاتياه وأذيا الرسالة وقال له ما أمرا به .

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ^(١) ﴿١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ^(٢) ثُمَّ هَدَى ^(٣) ﴿٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ^(٤) ﴿٣﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ^(٥) ﴿٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩)

(١) خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوة وهرون تابعه .

(٢) (خلقه) أول مفعولى أعطى ، أى أعطى خالiquته كل شىء يحتاجون إليه ويرتفقون به . أو ثانيهما ، أى أعطى كل شىء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به . كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذى يوافق الاستماع ، وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للنفعة المنوطة بها . وقرأ نصير (خلقه) صفة للضاف أو للضاف إليه أى (أعطى كل شىء) مخلوق عطاء .

(٣) عزف كيف يرتفق بما أعطى للعيشة فى الدنيا والسعادة فى العقبى .

(٤) فما حال الأمم الخالية والرمم البالية ؟ سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد .

(٥) (قال) موسى مجيباً (علمها عند ربى) - مبتدأ وخبر - (فى كتاب) أى اللوح . خبر ثان . أى هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو . وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرنى به علام الغيوب . وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ .

(٦) أى لا يخطئ شئنا . يقال ضللت الشىء إذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له . أى لا يخطئ فى سعادة الناس وشقاوتهم .

(٧) (ولا ينسى) نوابهم وعقابهم . وقيل (لا ينسى) ما علم فيذكره الكتاب . ولكن يعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه .

(٨) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدأ محذوف . أو منصوب على المدح .

(٩) كوفى . وغيرهم (مهادا) . وهما لغتان لما يسط ويفرش .

(١) وَسَلِّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا (٢) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ (٤)
 أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥) كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي (٦) (٧)
 الْبَالِغِ (٨) (٩) (١٠) (١١) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ (١٢) وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ (١٣) وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (١٤) (١٥)

(١) أى جعل .

(٢) طرقا .

(٣) أى مطرا .

(٤) بالماء . نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان . وقيل تمّ كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله (فأخرجنا به) وقيل هذا كلام موسى أى فأخرجنا نحن بالحرث والغرس .

(٥) أصنافا .

(٦) هو مصدر شتى به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع .

(٧) صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كمرريض ومرضى . أى أنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم . ومن نعمة الله تعالى أن أزراقنا تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا تقدر على أكله .

(٨) قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) . حال من الضمير في (فأخرجنا) . والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلقوا بعضها .

(٩) فى الذى ذكرت .

(١٠) لدلالات .

(١١) لذوى العقول . واحدا نهيها لأنها تنهى عن المحذور . أو يُتَمَسَّ إليها فى الأمور .

(١٢) من الأرض .

(١٣) أى أباكم آدم عليه السلام . وقيل يعجن كل نطفه بشيء من تراب ما فنه فيخلق من التراب والنطفة معا . أولآت النطفة من الأغذية وهى من الأرض .

(١٤) (وفىها نعيدكم) إذا تمّ فدفنتم .

(١٥) (نخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرة أخرى . والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المنفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر .

وَلَقَدْ آرَيْنَهُ^(١) آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ^(٢) وَأَبَى^(٣) ۖ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا^(٤)
 مِنْ أَرْضِنَا^(٥) بِسِحْرِكَ^(٦) يَمْوَسِي^(٧) ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ^(٨) بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ^(٩)
 فَاجْعَلْ^(١٠) بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا^(١١) لَا نُخْلِفُهُ^(١٢) نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا^(١٣)

عدّد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقبّلون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم . وهي أصلهم الذي منه تفزعوا وأمهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم إذا ماتوا .

(١) أى فرعون .

(٢) وهي تسع آيات العصا واليد وقلب البحر والنجر والجراد والقمل والضفادع والدم وتنق الجبل .

(٣) فكذب (الآيات) .

(٤) (وأبى) قبول الحق .

(٥) (قال) فرعون .

(٦) مصر .

(٧) فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا . وقولا (بسحرك) تعال . وإلا فأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه ؟

(٨) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك .

(٩) هو مصدر بمعنى الوعد . ويقدر مضاف أى مكان موعد .

(١٠) الضمير للوعد . قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر . وغيّره بالرفع على الوصف للوعد .

(١١) هو بدل من المكان المحذوف . ويميز الـ بـ مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا

وبينك وعدا لا نخلفه . واتصّب مكانا بالمصدر أو بفعل يدلّ عليه المصدر .

سَوَى^(١) ﴿١٠﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ^(٢) ﴿١١﴾
 فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ بِجَمْعٍ كَيْدِهِ^(٣) ثُمَّ أَنَّىٰ^(٤) ﴿١٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا
 عَلَيَّ آلَ اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَىٰ^(٥) ﴿١٣﴾ فَتَنَزَّعُوا

(١) بالكسر مجازي وأبو عمرو وعلى . وغيرهم بالضم . وهونعت لمكانا . أى منصفنا
 وبينك . وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية .

(٢) مبتدأ وخبر . وهو يوم عيد كان لهم . أو يوم النيروز . أو يوم عاشوراء . ولأنما استقام
 الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة
 يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان . وعلى الثانى تقديره وعدمكم وعد يوم الزينة .

(٣) أى تجمع . فى موضع رفع أو جر عطفًا على (يوم) أو (الزينة) .

(٤) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الرية وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع
 أهل الوبروالمدر .

(٥) أدبر عن موسى معرضا .

(٦) مكروه وسحرته . وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا .

(٧) (ثم أنى) للوعد .

(٨) أى للسحرة .

(٩) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا .

(١٠) كوفى غير أبى بكر . يهلككم . وفتح الياء والحاء غيرهم . والسحت والإسحات بمعنى

الإعدام . وانتصب على جواب النهى .

(١١) (بعذاب) عظيم .

(١٢) من كذب على الله .

(١٣) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا . وقال بعضهم ليس هذا بكلام

السحرة . أى (لا تفتروا على الله كذبا) الآية .

أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ
يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِبَطْرِ يَقْتِكُمُ الْمَثَلَى ﴿٢﴾ فَأَجْمَعُوا ﴿٣﴾

(١) أى تشاوروا فى السر وقالوا إن كان ساحرا فسنقلبه، وإن كان من السماء فله أمر .
والنجوى يكون مصدرا واسما . ثم لفقوا هذا الكلام يعنى (إن هذان ساحران)
يعنى موسى وهرون . قرأ أبو عمرو (إن هذين لساحران) وهو ظاهر ولكنه مخالف
للإمام . وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة (إن هذان لساحران) بتخفيف
(إن) مثل قولك إن زيد لمنطق . واللام هى الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة . وقيل
هى بمعنى ما واللام بمعنى إلا، أى ما هذان إلا ساحران . دليله قراءة أبى (إن ذان إلا ساحران)
وغيرهم (إن هذان لساحران) قيل هى لغة بلحارث بن كعب وخنعم ومراد وكأنه فالتثنية فى لغتهم
بالأنف أبدا فلم يقلبوها ياء فى البحر والنصب كعصا وسعدى قال :

إن أباه وأبا أباه * قد بلغا فى المجد غايتها

وقال الزجاج (إن) بمعنى نعم قال الشاعر :

ويقلن شيب قد علا * لك وقد كبرت فقلت إنه

أى نعم . والهاء للوقف . و (هذان) مبتدأ و (ساحران) خبر مبتدأ محذوف . واللام داخله على
المبتدأ المحذوف تقديره هذان هما ساحران . فىكون دخوله فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء
وقد يدخل اللام فى الخبر كما يدخل فى المبتدأ قال :

* خالى لأنت ومن جرير خاله * قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو على .

(٢) مصر .

(٣) بدينكم وشريعتكم .

(٤) الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل .

(٥) فأحكموا . أى اجعلوه مجما عليه حتى لا تختلفوا . (فأجمعوا) . أبو عمرو . ويعضده

(بجمع كيده) .

كَيْدُكُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ^(٣) قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِمَامًا ^(٤)
 أَن تَلْقَىٰ وَإِمَامًا أَن نَّكُونَ أَوْلَىٰ مِنَ الْقَىٰ ^(٥) قَالَ بَلَّ الْقَوَا فِإِذَا حَبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ ^(٦)
 يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ^(٧) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

(١) هو ما يكاد به .

(٢) مصطفين حال . أمرؤا بأن يأتوا صفًا لأنه أهيب في صدور الرائين .

(٣) وقد فاز من غلب . وهو اعتراض .

(٤) أى السحرة .

(٥) (إمّا أن تلقى) عصاك أولاً .

(٦) (القي) ما معنا . وموضع أن مع ما بعده فيما نصب بفعل مضمر ، أو رفع أنه خبر مبتدأ محذوف . معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر القاوؤك أو القاؤنا . وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه . وكأنه تعالى أهمهم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلم موسى اختيار القائمهم أولاً حتى (قال بل ألقوا) أتم أولاً ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بيئة للعترين . فآلقوا .

(٧) يقال في (إذا) هذه إذا المفاجأة . والتحقيق أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها ، خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير . والتقدير ففاجأ موسى وقت تحييل سعى حباهم وعصيتهم . والمعنى على مفاجاته حباهم وعصيتهم محيلة إليه السعى .

(٨) بالناء ابن ذكوان .

(٩) إلى موسى .

(١٠) رفع بدل اشتغال من الضمير في (يحييل) أى يحييل الملقى . روى أنهم لطمخوها بالزئبق .

فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهترت نغيت ذلك .

(١١) أضمر في نفسه خوفا ظنا منه أنها تقصده ، للجملة البشرية . أو خاف أن يخالف الناس

شك فلا يتبعوه .

قُلْنَا لَا تَحْفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ^(١) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ^(٢)
 إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ^(٣) فَالْقَى ^(٤)
 السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ^(٥) قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ^(٦)

(١) الغالب القاهر . وفي ذكر إن وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو — وهو الغلبة
 الظاهرة — مبالغة بيّنة .

(٢) (تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص . و(تلقف) ابن ذكوان .
 الباقون (تلقف ما صنعوا) زورا وافتعلوا . أى اطرح عصاك تبذل عصيتهم وحبالهم . ولم يقل عصاك
 تعظيما لها . أى لا تحتفل بما صنعوا فإن ما فى يمينك أعظم منها . أو تحقيرا . أى لا تبال بكثرة
 حبالهم وعصيتهم وألق العويد الفرد الذى فى يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها .

(٣) (ساحر) كوفى غير عاصم . (سحر) بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر . أو هم لتوحيدهم فى السحر
 كأنهم السحر . و(كيد) بالرفع على القراءتين . و(ما) موصولة أو مصدرية . وإنما وحده (ساحر) ولم
 يجمع لأن القصد فى هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد . فلو جمع لحيل أن المقصود
 هو العدد . ألا ترى إلى قوله (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس .

(٤) أينما كان .

(٥) ألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا . فلعظم ما رأوا من الآية وقعوا إلى السجود
 فذلك قوله (فالقى السحرة سجدا) . قال الأخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا . فما أعجب أمرهم
 قد ألقوا حبالهم وعصيتهم للكفر والجحود ، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود .
 فما أعظم الفرق بين الإلقاءين ! روى أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤوسهم
 ثم (قالوا آمنا) .

(٦) إنما قدم هرون هنا وأخر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولأن الواو لا توجب ترتيبا .

(٧) (آمنتم) — بغير مد حفص . وبهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى . وبهمزتين
 غيرهم — (له) أى لموسى . يقال آمن له وآمن به . واللام مع الإيمان فى كتاب الله لغير الله كقوله
 (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) .

قَبَلْ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كَمَا الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعْنَ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمَنَّ
 أَيُّكُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
 وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ

(١) لعظيمكم أو لمعلمكم . تقول أهل مكة للعلم : أمرني كبيرى .

(٢) القلع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذابين وذاك شمال . و (من) لابتداء الغاية لأن القلع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو . ومحل الجار والمجرور النصب على الحال . يعنى لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضها فقد اتصفت بالاختلاف .

(٣) شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف . فهذا قال (في جذوع) وخص (النخل) لطول جذوعها .

(٤) أنا على ترك إيمانكم بي أو رب موسى على ترك الإيمان به . وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله (آمنتم له) .

(٥) أدوم .

(٦) لن نختارك .

(٧) (من البيّنات) الفاطمة الدالة على صدق موسى .

(٨) عطف على (ما جاءنا) . أى لن نختارك على الذى جاءنا ولاعلى الذى خلقنا . أو قسم . وجوابه (لن نُؤْتِرَكَ) مقدّم على القسم .

(٩) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب . قال * وعليهما مسرودتان قضاهما * أى صنعهما . أو احكم ما أنت حاكم .

(١٠) أى فى هذه الحياة الدنيا . فانتصب على الظرف . أى إنما تحكم فىنا مدّة حياتنا .

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ
 خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ إِنَّهُم مِّن يَّاتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا
 وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُّؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ
 الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ جَنَّاتٌ عِدْنٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١١) (ما) موصولة منصوبة بالعطف على (خطاياها) .

(٢) حال من (ما) . روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائماً . ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر . الساحر إذا نام بطل سحره . فكروا معارضته خوف الفضيحة . فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر . وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر . فكيف بعلم الشرع ؟

(٣) (وإنه خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه . وهو رد لقول فرعون (ولتعلمن آيتنا أشد عذابا وأبقى) .

(٤) هو ضمير الشأن .

(٥) كافرا .

(٦) للجرم .

(٧) (لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها .

(٨) مات على الإيمان .

(٩) (قد عمل الصالحات) بعد الإيمان .

(١٠) جمع العليا .

(١١) بدل من الدرجات .

(١٢) دائمين .

وَذَلِكَ جَزَاءٌ مِّن تَزَكَّى ^(١) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي ^(٢)
فَأَضْرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخَشَى ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ^(٨) فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ^(٩) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ ^(١٠)
وَمَا هَدَىٰ ^(١٠)

(١) تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله .

قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم . وقيل خبر من الله تعالى لاعل وجه الحكاية وهو أظهر .

(٢) لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا
ويأخذ بهم طريق البحر .

(٣) اجعل لهم ، من قولهم ضرب له في ماله سهما .

(٤) أى يابس . وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا .

(٥) حال من الضمير في (فاضرب) . أى اضرب لهم طريقا غير خائف . (لا تخف) حمزة
على الجواب .

(٦) هو اسم من الإدراك . أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يحقونك .

(٧) (ولا تخشى) الغرق . وعلى قراءة حمزة (ولا تخشى) استئناف . أى وأنت لا تخشى .
أو يكون الألف للإطلاق كما في (ونظنون بالله الظنونا) .

نخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حلقتهم فركب فرعون
في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم .

(٨) هو حال . أى خرج خلفهم ومعه جنوده .

(٩) أصابهم من البحر (ما غشيهم) . هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني
الكثيرة . أى غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل .

(١٠) (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم إلى الحق
والسداد . وهذا رد لقوله (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) .

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ
 الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴿٣﴾ كُلُوا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ
 يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٤﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴿٥﴾

(١) ذكر الله على بني إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه ،
 أى (أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى) وقلنا (يا بني إسرائيل) .
 (٢) أى فرعون .

(٣) (وواعدناكم) بإيتاء الحتاب (جانب الطور الأيمن). وذلك أن الله عز وجل وعد موسى
 أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لتزول التوراة. وإنما نسب إليهم المواعدة
 لأنها كانت لنبينهم ونقبائهم ، وإليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم . (والأيمن)
 نصب لأنه صفة جانب . وقرئ بالجر على الجوار .

(٤) (وأزلقنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم (كلوا من طيبات) حلالات
 (ما رزقناكم) . (أنجيتكم) . وواعدتكم . ورزقناكم) كوفى غير طاصم .

(٥) ولا تتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتتفقهوها فى المعاصى . أو لا يظلم
 بعضكم بعضا .

(٦) عقوبتى .

(٧) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض بعده . وأصله أن يسقط من جبل فيهلك .
 وتحقيقه سقط من شرف الإيمان ، إلى حفرة من حفر النيران . قرأ على (فيحل ويحلل) .
 والباقون بكسرهما . فالمكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه .
 والمضموم فى معنى التزول .

(٨) لمن تاب عن الشرك .

(٩) وحده الله تعالى وصدقه فيما أنزل .

وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿١﴾ وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسِي ﴿٢﴾
 قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَجَعَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٣﴾ قَالَ فَإِنَّا
 قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٤﴾ فَرَجَعَ مُوسَى ﴿٥﴾
 إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ يَنْقُومَ إِلَهُكُمُ الَّذِي كَفَرْتُمْ وَعَدَا حَسَنًا ﴿٦﴾

(١) أذى الفرائض .

(٢) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور . وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح .

(٣) أى وأتى شىء عجلى بك (عن قومك) أى عن السبعين الذين اختارهم . وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه . قال الله تعالى (وما أعجلك) أى أى شىء أوجب عجلك . استفهام إنكار . و(ما) مبتدأ و(أعجلك) الخبر .

(٤) أى هم خلفى يلحقون بنى ولبس بينى وبينهم إلا مسافة يسيرة . ثم ذكر موجب العجلة فقال (وجعلت إليك رب) أى إلى الموعد الذى وعدت (لترضى) لترداد عني رضا . وهذا دليل على جواز الاجتهاد .

(٥) ألقيناهم فى فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم . والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون .

(٦) (وأضلهم السامري) بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له . وهو منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة . وقيل كان علجا من كرمان (فاتخذ عجلا) واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا .

(٧) (فرجع موسى) من مناجاة ربه .

(٨) شديد الغضب أو حزينا .

(٩) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور وكانت ألف سورة وكل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا . ولا وعد أحسن من ذلك .

أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجَلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ^(٢)
فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِي^(٣) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا^(٤)
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ^(٥) فَأَنجَحَ لَهُمْ^(٦)

(١) أى مدة مفارقتى لآبائكم . والعهد الزمان . يقال طال عهدي بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك .

(٢) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم .

(٣) وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده باتخاذ العجل .

(٤) بفتح الميم مدنى وعاصم . وبضمها حمزة وعلى . وبكسرها غيرهم . أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا . أى لو ملكنا أمرنا وخلصنا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكننا غلبنا من جهة السامرى وكيد .

(٥) بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص . وبتفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم .

(٦) أنقلا من حلى القبط . أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعله أن لنا ضدا عيدا . فقال السامرى : إنما حبس موسى لشؤم حرمتها — لأنهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى . على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ — فأحرقوها . نخبأ فى حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوفاً فخار بدخول الريح فى مجار منه أشباه العروق . وقيل نفخ فيه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الفرق وهو فرس حياة لحي فخار . ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه .

(٧) (فقدفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى .

(٨) (ألقى السامرى) ما معه من الحلى فى النار أو ما معه من التراب الذى أخذ من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام .

(٩) (فأنجح لهم) السامرى من الحفرة .

عَجَلًا جَسَدًا لَهُ، خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ^(٤)
 أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ^(٥)
 وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ^(٦)
 الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ^(٧) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ^(٨)

(١) (عجلاً) خلقه الله تعالى من الخلق التي سبكتها النار ابتلاء .

(٢) مجسداً .

(٣) صوت . وكان يخور كما تخور العجايل .

(٤) (فقالوا) أي السامريّ وأتباعه (هذا إلهكم وإله موسى) فأجاب عاقبتهم إلا
 اثني عشر ألفاً .

(٥) أي (فنسى) موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور . أو هو ابتداء كلام من الله
 تعالى . أي نسي السامريّ ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر . أو نسي السامريّ
 الاستدلال على أنّ العجل لا يكون لها دليل قوله (أفلا يرون أنّ لا يرجع إليهم قولاً) .
 أي أنّه (لا يرجع) فإنّ مخففة من الثقيلة أي لا يجيبهم (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) أي هو
 عاجز عن الخطاب والضرّ والنفع . فكيف تتخذونه لها ؟ وقيل إنّه ما خار إلا مرة .

(٦) لمن عبدوا العجل .

(٧) من قبل رجوع موسى إليهم .

(٨) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه .

(٩) (وإنّ ربكم الرحمن) لا العجل .

(١٠) كونوا على ديني الذي هو الحق .

(١١) (وأطيعوا أمرى) في ترك عبادة العجل .

(١٢) أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته .

حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١﴾ قَالَ يَهْرُونَٰ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ ۖ يَاسَمْرِي ﴿٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ

(١) (حتى يرجع إلينا موسى) فننظره هل يعيده كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا ؟ فلما رجع موسى (قال ياهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الآتبعن) . بالياء في الوصل والوقف مكى . وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل . وغيرهم بلا ياء . أى ما دعاك إلى آلا تتبعنى لوجود التعاقب بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعى إلى تركه . وقيل (لا) مزيدة . والمعنى أى شىء منعك أن تتبعنى حين لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتخبرنى ؟ أو ما منعك أن تتبعنى فى الغضب لله ؟ وهلا قاتلت من كفر بمن آمن . ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا ؟

(٢) أى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم .

ثم أخذ بشعر رأسه يمينه وحيته بشماله غضبا وإنكارا عليه لأن الغيرة فى الله ملكته .

(٣) (يا بن أتم) بخفض الميم شامى وكوفى غير خفض . وكان لأبيه وأمه عند الجمهور . ولكنه ذكر الأتم استعظافا وترقيفا . ثم ذكر صدره فقال (إنى خشيت أن تقول) إن قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) : (اخلفنى فى قومى وأصلح) . وفيه دليل على جواز الاجتهاد . ثم أقبل موسى على السامري منكرًا عليه حيث (قال فما خطبك) ما أمرك الذى تخاطب عليه (يا سامري) ؟

(٤) (بما لم تبصروا) بالناء حمزة وعلى . قال الزجاج : بصر علم وأبصر نظر . أى علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل . قال موسى وما ذلك ؟ قال رأيت جبريل على فرس الحياة فألقى فى نفسى أن أقبض من أثره . فما ألقىته على شىء إلا صار له رُوح ولحم ودم .

فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ^(٤)
 قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ^(٥)
 لَنْ يُخْلَفَهُ، ^(٦) وَانظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ، ^(٧)

(١) القبضة المرة من القبض. وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير. وقرئ (قبضت قبضة). فالضاد يجمع الكف والصاد بأطراف الأصابع.

(٢) أى من أثر فرس الرسول. وقرئ بها.

(٣) فطرحتها فى جوف العجل.

(٤) زينت (لى نفسى) أن أفعله ففعله اتباعاً لهواى. وهو اعتراف بالخطأ واعتذار.

(٥) (قال) له موسى: (فأذهب) من بيننا طريداً.

(٦) (فإن لك) ما عشت (أن تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك (لا مساس). أى لا يمسنى أحد ولا أمسه. فمنع من مخالطة الناس منعا كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته. وإذا اتفق أن يماس أحداً حم الماس والمسوس. وكان يهيم فى البرية يصبح: لا مساس. ويقال إن ذلك موجود فى أولاده إلى الآن. وقيل أراد موسى عليه السلام أن يقتله فمعه الله تعالى منه لسخائه.

(٧) أى لن يخلفك الله مواعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الأرض ينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذاك فى الدنيا. (لن يخلفه) مكى وأبو عمرو. وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً.

(٨) وأصله ظلمت فحذف اللام الأولى تخفيفاً.

(٩) مقياً.

(١٠) (لنحرقنه) بالنار.

ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ^(١) ﴿١﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ^(٢) ﴿٢﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ^(٣)
 وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ^(٤) ﴿٣﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وِزْرًا ^(٦) ﴿٤﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ^(٩) ﴿٥﴾

(١) لَنَنْسِفَنَّهُ (في اليم نسفًا) . فخرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباله
 فظهرت على شفاههم صفرة الذهب .

(٢) تمييز . أى وسع علمه كل شيء .

(٣) محل الكاف في (كذلك) نصب . أى مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون
 نقص عليك من أنباء ما قد سبق من أخبار الأمم الماضية كثيرا لبياناتك وزيادة
 في معجزاتك .

(٤) أى أعطيناك من عندنا قرآنا . فهو ذكر عظيم ، وقرآن كريم ، فيه النجاة لمن أقبل
 عليه وهو مشتمل على الأفاصيص والأخبار ، الحقيقة بالتفكير والاعتبار .

(٥) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به .

(٦) عقوبة ثقيلة . سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها ، بالحمل
 الثقيل الذى يتقضى ظهره ، ويلقى عليه بهره . أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم .

(٧) حال من الضمير في (يحمل) . ولما جمع على المعنى . ووحده في (فإنه) حملا على لفظ (من)

(٨) في الوزر . أى في جزاء الوزر وهو العذاب .

(٩) (ساء) في حكم بس . وفيه ضمير مبهم يفسره (حملا) . وهو تمييز . واللام في (لهم) للبيان
 كما في (هيت لك) . والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل
 حملا وزرهم .

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَخْفَتُونَ
 بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِيتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِيتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ ۖ

(١) (يوم) بدل من يوم القيامة . (ننفخ) أبو عمرو .

(٢) القرن . أو هو جمع صورة . أى ننفخ الأرواح فيها . دليله قراءة فتادة (الصُّور) بفتح
 الواو جمع صورة .

(٣) حال . أى عميا كما قال (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا) . وهذا لأن
 حدقة من يذهب نور بصره ترقرق .

(٤) يتسازون (بينهم) أى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (إن لبستم) ما لبستم في الدنيا
 (إلا عشرا) أى عشر ليال . يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد
 التي تذكروهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالفقر لأن أيام السرور قصار .
 أولاتها ذهبت عنهم والذاهب ، وإن طال مدته ، قصير بالانتهاء . أو لاستطالتهم الآخرة لأنها
 أبد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة . وقد رجم الله
 قول من يكون أشد تقالا منهم بقوله (إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولاً (إن لبستم
 إلا يوما) . هو كقوله (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين) .

(٥) سألو النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟ وقيل لم يسأل . وتقديره
 إن سألوك (فقل) . ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله (ويستلونك عن المحيض
 قل هو أذى) . وقوله (ويستلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) . (يستلونك عن الخمر
 والميسر قل فيهما إثم كبير) . (يستلونك عن الساعة آيات من آياتها علمها عند ربى) .
 (ويستلونك عن الروح قل الروح) . (ويستلونك عن ذى القرنين قل سأتلو) . لأنها
 سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء .

يَنْسُفُهَا رَبِّي نَسْفًا ^(١) ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ^(٢) ۖ لَا تَرَى فِيهَا
عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ^(٣) ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ^(٤) لَا عِوَجَ لَهُ ^(٥) وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ^(٦) فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ^(٧) ۖ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ

(١) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام . وقال الخليل
يقلمها .

(٢) فيذر مقارها . أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله (ماترك على ظهرها) .

(٣) مستوية ملساء .

(٤) انخفاضا . والعوج بالكسر إن كان فى المعانى ، كما أن المفتوح فى الأعيان . والأرض
عين . ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وإن دقت
الحيلة ولطفت ، جرت مجرى المعانى .

(٥) ارتفاعا .

(٦) أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال . أى يوم إذ نسفت . وجاز أن يكون بدلا بعد
بدل من (يوم القيامة) .

(٧) (الداعى) إلى المحشر . أى صوت الداعى . وهو إسرافيل . وهو ينادى على صخرة بيت
المقدس : أيتها العظام البالية ، والجلاود المتمزقة ، واللحوم المنفترقة ، هلمى إلى عرض الرحمن .
فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون عنه .

(٨) أى لا يعوج له مدعو ، بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته .

(٩) وسكنت هيبة وإجلالا (الأصوات للرحمن) .

(١٠) صوتا خفيفا لتحريك الشفاه . وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفانها إذا
مشت . أى لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر .

أَشْفَعُهُ إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ^(١) ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ^(٢) عَلِيمًا ^(٣) ﴿٢﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ^(٤) ﴿٣﴾
 وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ^(٥) ﴿٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ^(٦) ^(٧)

(١) محل (من) رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أى (لا تنفع الشفاعة إلا) شفاعة (من أذن له الرحمن) أى أذن للشافع فى الشفاعة (ورضى له قولاً) أى رضى قولاً لأجله بأن يكون المشفوع له مسلماً . أو نصب على أنه مفعول (تنفع) .

(٢) أى يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه .

(٣) أى بما أحاط به علم الله . فيرجع الضمير إلى (ما) . أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاط به .

(٤) خضعت وذلت . ومنه قيل للأسير عان .

(٥) أى أصحابها .

(٦) الذى لا يموت . وكل حياة يتعقبها الموت فهى كأن لم تكن .

(٧) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت . أو الدائم بتدبير الخلق .

(٨) يئس من رحمة الله .

(٩) من حمل إلى موقف القيامة شركاً لأن الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريكاً من خلقه .

(١٠) الصالحات الطاعات .

(١١) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام . وفيه دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة ، وأن الإيمان شرط قبولها .

فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ^(٣) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا ^(٥)
 فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ^(٦) أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ^(٧) ذِكْرًا ^(٨) فَتَعَلَّى اللَّهُ ^(٩)
 الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ^(١٢) مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ^(١٠) ^(١١)

(١) أى فهو لا يخاف . (فلا يخف) على النهى مكي .

(٢) أن يزداد فى سيئاته .

(٣) ولا ينقص من حسناته . وأصل الهضم النقص والكسر .

(٤) (وكذلك) عطف على (كذلك نقص) أى ومثل ذلك الإنزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب .

(٥) وكثرنا .

(٦) يمتنبون الشرك .

(٧) (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن .

(٨) عظة أو شرفا بإيمانهم به . وقيل (أو) بمعنى الواو .

(٩) ارتفع عن فنون الظنون ، وأوهام الأفهام ، وتنزه عن مضاهاة الأنام ، ومشابهة الأجسام .

(١٠) الذى يحتاج إليه المملوك .

(١١) المحق فى الألوهية .

(١٢) بقراءته . لما ذكر القرآن وإنزاله قال استطرادا وإذا لقنتك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأت عليك ربما يسمعك ويفهمك .

(١٣) من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ .

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ^(١) وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى ^(٢) ^(٣) ^(٤)
 وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ^(٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ^(٦)
 إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِي ^(٧) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ^(٨) ^(٩) ^(١٠)

(١) علما) بالقرآن ومعانيه . وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم .

(٢) أى أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة . يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه . عطف قصة آدم على (وصرفنا فيه من الوعيد) . والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناها ألا يقرب الشجرة .

(٣) من قبل وجودهم . خالف إلى ما نهى عنه ، كما أنهم يخالفون . يعنى أن أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرفهم راسخ فيه .

(٤) (فنى) العهد أى النهى . والأنبيا عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذى لو تكلفوا لحفظوه .

(٥) قصدا إلى الخلاف لأمره ، أولم يكن آدم من أولى العزم . والوجود بمعنى العلم ومفعولاه (له عزم) . أو بمعنى تقيض العدم أى وعدمنا له عزمه و (له) متعلق بيجد .

(٦) منصوب باذكر .

(٧) قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل . أو كان آدم كالتبلة لضرب تعظيم له فيه .

(٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم . وقال الحسن : الملائكة لباب الخليفة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم . وإنما صح استثنائه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم .

(٩) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد ؟ والوجه ألا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله (فسجدوا) وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف .

(١٠) (إن هذا عدوك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم يرضك .

فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ^(١) ﴿٢﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا
تَعْرَى ^(٤) ﴿٣﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ^(٦) ﴿٧﴾ فَوْسَوْسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَفَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ^(٩) ﴿١٠﴾
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ بُرْءِهِمَا ^(١١) وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ^(١٢) ﴿١٣﴾

(١) فلا يكونن سببا لإخراجكما .

(٢) فتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقى مراعاة لرؤوس الآي . أو دخلت تبعا .
أو لأن الرجل هو الكافل لنفقة المرأة . وروى أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه
ويمسح العرق من جبينه .

(٣) في الجنة .

(٤) (ولا تعرى) عن الملابس لأنها معدة أبدا فيها .

(٥) بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على (إن) الأولى . وغيرهما بالفتح عطفا على (ألا تجوع)
ومحله نصب بأن . وجاز للفصل كما تقول إن في علمي أنك جالس .

(٦) لا تعطش لوجود الأشربة فيها .

(٧) لا يصيبك حرّ الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها في ظل ممدود .

(٨) أي أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه .

(٩) أضاف الشجرة إلى الخلد — وهو الخلود — لأن من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت .

(١٠) لا يفنى .

(١١) أي آدم وحواء .

(١٢) عوراتهما .

(١٣) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل . وهو ككاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا إلا أنه
للشروع في أول الأمر وكاد للدنو منه .

(١٤) أي يلزقان الورق بسوءاتهما للتستر . وهو ورق التين .

وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ (١)
 قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى (٢)
 فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي (٤)

(١) ضلَّ عن الرأى . وعن ابن عيسى : خاب . والحاصل أن العصيان وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهى . وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلَّة . ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكانت عرَّاءة الفى - خلاف الرشد وفى التصريح بقوله (وعصى آدم ربه فغوى) والعدول عن قوله وزلَّ آدم ، مزججة بليغة ومرعظة كافة للكافرين كأنه قيل لهم : انظروا واعتبروا كيف نُعييت على النبي المعصوم حبيب الله زلَّته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر .

(٢) قرَّبه إليه واصطفاه . وقرئ به . وأصل الكلمة الجمع يقال جبي إلى كذا فاجتبيته .

(٣) قبل توبته .

(٤) وهده إلى الاعتذار والاستغفار .

(٥) يعنى آدم وحواء .

(٦) (بعضكم) ياذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين .

(٧) كتاب وشريعة .

(٨) (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى العقبى . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . يعنى أن الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين . فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه .

(٩) عن القرآن .

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ
 حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
 وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
 رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿٤﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَرَّ أهلكنا قبلهم
 مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥﴾

(١) ضيقا . وهو مصدر يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث . عن ابن جبير يسلبه
 القناعة حتى لا يشبع . فع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ، ومع الإعراض
 الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة : لا يعرض أحدكم عن ذكر
 ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه .

(٢) (أعمى) عن الحجمة . عن ابن عباس (أعمى) البصر . وهو كقوله (ونحشرهم يوم القيامة
 على وجوههم عميا) وهو الوجه .

(٣) (وقد كنت بصيرا) في الدنيا .

(٤) (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت . ثم فسر فقال (أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
 تنسى) أى أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعترف وتركتم وعميت عنها . فكذلك اليوم
 تركك على عمالك ولا تزيل غطاءه عن عينيك .

(٥) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى
 في العقبي ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى للحشر على العمى الذى لا يزول
 أبدا أشد من ضيق العيش المنتضى .

(٦) أى الله . بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون .

(٧) حال من الضمير المحرور فى (لهم) .

(٨) يريد أن قريشا يمشون فى مساكن عاد وممود وقوم لوط و يعاينون آثار هلاكهم .

(٩) نذوى العقول إذا تفكروا علموا أن استنصاهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا .

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿٣﴾
 فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَتَوَلَّوْنَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
 غُرُوبِهَا وَمِنْ آيَاتِنَا اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٠﴾

(١) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) لازما . فاللزام مصدر لزم فوصف به .

(٣) القيامة . وهو معطوف على (كلمة) . والمعنى (ولولا) حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (وأجل مسمى) وهو القيامة (لكان) العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة .

(٤) (على ما يقولون) فيك .

(٥) وصل .

(٦) فى موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه .

(٧) يعنى صلاة الفجر .

(٨) يعنى الظهر والعصر لأنهما واقعتان فى النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها .

(٩) أى وتعهد آناء الليل أى ساعاته (وأطراف النهار) مختصا لها بصلاتك . وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة ، وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار لإرادة الاختصاص كما اختصت فى قوله (والصلاة الوسطى) عند البعض وإنما جمع (وأطراف النهار) وهما طرفان لأمن الإلباس . وهو عطف على (قبل) .

(١٠) لعل للمخاطب ، أى اذكر الله فى هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك . و(ترضى) على وأبو بكر ، أى يرضيك ربك .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(١)
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ^(٢) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ^(٣)
وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ^(٤)

(١) أى نظر عينيك. ومدّ النظر تطويله وألا يكاد يردّه استحسانا للنظور إليه وإعجابا به. وفيه أنّ النظر غير الممدود معفو عنه. وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف. ولقد شدد المتقون في وجوب غضّ البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن: لا تنظروا إلى دققة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذلّ المعصية من تلك الرقاب؟ وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة. فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغرّم على اتّخاذها.

(٢) أصنافا من الكفرة. ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على (منهم) كأنه قال إلى الذى متعنا به - وهو أصناف - بعضهم وناسا منهم.
(٣) زيتها وبهجتها. وانتصب على الّتم أو على إبداله من محلّ (به). أو على إبداله من (أزواجا) على تقدير ذوى زهرة.

(٤) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم. أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه.
(٥) ثوابه. وهو الجنة أو الحلال الكافى.
(٦) (وأبقى) ممّا رزقوا.
(٧) أمتك أو أهل بيتك.
(٨) (واصطبر عليها) أنت. داوم عليها.

(٩) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) وإياهم. فلا تهتمّ لأمر الرزق وفتغ بالك لأمر الآخرة. لأنّ من دان فى عمل الله كان الله فى عمله. وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ (ولا تمدن عينيك) الآية ثم ينادى: الصلاة الصلاة رحمك الله. وكان بكر بن عبد الله المزنى إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا. بهذا أمر الله ورسوله. وعن مالك بن دينار مثله. وفى بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضرّ أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية.

(١٠) أى وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضامين.

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ^(٤)
 وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ^(٦)
 فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَىٰ ^(٨) قُلْ كُلٌّ مَّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ^(١٢)
 فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الْأَصْرَاطِ الْأَسْوَىٰ ^(١٤) وَمَنِ أَهْتَدَىٰ ^(١٦)

(١) أى الكافرون .

(٢) هَلَا (يَأْتِينَا) محذوف (آية من ربه) تدل على صحة نبوته .

(٣) (أولم تأتتهم) مدنى وحفص وبصرى .

(٤) أى الكتب المتقدمة . يعنى أنهم اقترحوا على عاداتهم فى التعنت آية على النبوة . فقول لهم أولم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الإعجاز؟ - يعنى القرآن - من قبل أن القرآن برهان مافى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها .

(٥) من قبل الرسول أو القرآن .

(٦) هَلَا .

(٧) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء .

(٨) نَذِلَّ (بنزول العذاب) .

(٩) وَنُحْزَى (فى العقبى) .

(١٠) أى كل واحد منا ومنكم .

(١١) منتظر للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم .

(١٢) (فترَبَّصُوا) أتم .

(١٣) (فسَتَعْلَمُونَ) إذا جاءت القيامة

(١٤) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب .

(١٥) المستقيم .

(١٦) (ومن اهتدى) إلى النعيم المقيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يقرأ أهل الجنة إلا سورة طه ويس " والله أعلم بالصواب .

سورة الأنبياء مكية

وهي مائة واثنان عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية مدني وبصري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ^(١) لِلنَّاسِ^(٢) حِسَابُهُمْ^(٣) وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ^(٤) مُعْرِضُونَ^(٥) مَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ ذِكْرٍ^(٦) مِنْ رَبِّهِمْ^(٧) مُحَدِّثٍ^(٨) إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ^(٩) وَهُمْ يَلْعَبُونَ^(٩)

(١) دنا .

(٢) اللام صلة لاقترب . عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين .

(٣) وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم . يعنى يوم القيامة . وإنما وصفه بالاقتراب لقلّة ما بقي بالإضافة إلى ما مضى ، ولأن كل آت قريب .

(٤) (في غفلة) عن حسابهم وعمّا يفعل بهم ثم .

(٥) (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم . فلاقتراب عام والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين . فرب غافل عن حساب له لاستغراقه في دنياه ، وإعراضه عن مولاه . ورب غافل عن حساب له لاستهلاكه في مولاه ، وإعراضه عن دنياه ، فهو لا يفيق إلا برؤية المولى . والأول إنما يفيق في عسكر الموتى . فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل أن تنبه وتعرض عن الغافلين ، وتستغل بذكر خالق الخلق أجمعين ، لتفوز ببقاء رب العالمين .

(٦) شيء من القرآن .

(٧) (محدث) في التنزيل إتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم . والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها .

(٨) (استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه .

(٩) يستهزئون به .

لَا هِيَّةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ افْتَاتُونَ
السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) حال من ضمير (يلعبون) . أو (وهم يلعبون) و (لاهية) حالان من الضمير في (استمعوه) . ومن قرأ (لاهية) بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله (وهم) .

(٢) ارتفعت بلاهية . وهي من لها عنه إذا ذهل وغفل . والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها . قال أبو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها .

(٣) وبالغوا في إخفاء النجوى . وهي اسم من التناجى .

(٤) أبدل من واو (وأسروا) إيذانا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به . أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث . أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من (الناس) . أو هو منصوب المحل على الذم . أو هو مبتدأ خبره (أسروا النجوى) . فقدم عليه أى والذين ظلموا أسروا النجوى .

(٥) هذا الكلام كله في محل النصب بدل من (النجوى) . أى وأسروا هذا الحديث . ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا . والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر . فلذلك قالوا على سبيل الإنكار افتحضرون السحر وأنتم تشهدون وتعاينون أنه سحر .

(٦) (قال) حمزة وعلى وحفص . أى (قال) مجده . وغيرهم (قل) أى (قل) يا محمد للذين أسروا النجوى .

(٧) أى يعلم قول كل قائل هو في السماء أو الأرض سرا كان أو جهرا .

(٨) (السميع) لأقوالهم .

الْعَلِيمِ ^(١) بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا
 بَيِّنَاتٍ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ ^(٢) مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ
 يُؤْمِنُونَ ^(٥) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ^(٨)

(١) (العليم) بما في ضمائرهم .

(٢) أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحيا من الله إليه . ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده . ثم إلى أنه قول شاعر . وهكذا الباطل للجنج والمبطل رجوع غير ثابت على قول واحد . ثم قالوا إن كان صادقا في دعواه وليس الأمر كما يظن ، (فليأتنا بآية) بمعجزة كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى . وصحة التشبيه في قوله (كما أرسل الأولون) من حيث إنه في المعنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات . ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة .

(٣) رد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمننا قبلكم من قرية) عند مجيء الآيات المقترحة لأنهم طلبوها تعتيا .

(٤) صفة لقرية .

(٥) أى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم . أفئذ من هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم ؟ والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها . فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله . فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا .

(٦) هذا جواب قولهم (هل هذا إلا بشر مثلكم) .

(٧) (نوحى) حفص .

(٨) العلماء بالكافرين فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة . وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم .

(١) إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
 وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٣﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
 وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٥﴾

(١) (إن كنتم لاتعلمون) ذلك . ثم بين أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون) وحد الجسد لإرادة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا . يعني وما جعلنا الأنبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين .

(٢) كأنهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد ، إنا معتقدون أن الملائكة لا يموتون أو مسميين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاوله خلودا .

(٣) (الوعد) بإنجائهم . والأصل فى الوعد مثل (واختار موسى قومه) أى من قومه .

(٤) (فأنجيناهم) مما حل بقومهم .

(٥) هم المؤمنون .

(٦) المجاوزين الحد بالكفر . ودل الإخبار بإهلاك المسرفين على أن (من نشاء) غيرهم .

(٧) يا معشر قريش .

(٨) شرفكم إن علمتم به أولآئته بلسانكم . أو فيه موعظتكم . أو فيه ذكر دينكم ودنياكم .

والجملة أى (فيه ذكركم) صفة لكتابا .

(٩) (أفلا تعقلون) ما فضلتمكم به على غيركم فتؤمنوا .

(١٠) نصب بقوله (قصمنا) .

(١١) أى أهلكنا .

(١٢) أى أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) .

(١٣) كافرة .

وهى واردة عن غضب شديد ويخط عظيم لأن القصم أفضع الكسر . وهو الكسر الذى

يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم فإنه كسر بلا إبانة .

(١٤) خلقنا .

(١٥) فسكنوا مساكنهم .

فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١١﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ
 مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا يَا بُولَاقْنَا إِنَّا كُنَّا
 ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿١٤﴾

(١١) فلما أحسوا أي المهلكون (بأسنا) عذابنا . أي علموا علم حس ومشاهدة .

(١٢) من القرية و (إذا) للفاجة . و (هم) مبتدأ والخبر (يركضون) .

(١٣) (يركضون) يهربون مسرعين . والركض ضرب الدابة بالرجل . فيجوز أن يركبوا دوابهم
 يركضونها هارين من قرابتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب . أو شبهوا في سرعة عدوهم على
 أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم . فقيل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة .

(١٤) (ما أترفتم فيه) نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش . قال الخليل : المترف الموسع عليه عيشه ،
 القليل فيه همه . أي يقال لهم ، استهزاء بهم (ارجعوا) إلى نعيمكم (ومساكنكم لعلكم تسألون) غدا
 مما جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة . أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم
 في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف
 تأتي ونذر كعادة المتعمين المخدمين ، أو يسألكم الناس في أنديةكم المعاون في نوازل الخطوب ،
 أو يسألكم الوافدون عليكم والطاع ويستمطرون بحساب أكفكم . أو قال بعضهم لبعض
 (لا تركضوا وارجعوا) إلى منازلكم وأموالكم (لعلكم تسألون) مالا ونخراجا فلا تقتلون .
 فنودي من السماء : يا لثارات الأنبياء ! وأخذتهم السيوف . فتم (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين)
 اعترفوا بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف .

(٥) هي إشارة إلى (يا ويلنا) .

(٦) دعاهم . و (تلك) مرفوع على أنه اسم زالت و (دعواهم) الخبر . ويجوز العكس .

(٧) مثل الحصيد أي الزرع المحصود . ولم يجمع كما لم يجمع المقدر .

(٨) ميتين نحمود النار و (حصيدا خامدين) مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين

لمائة الحصد والنحمود كقولك : جعلته حلوا حامضا أي جعلته جامعا للطعمين .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَلْعَبِينِ ﴿١﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
 لَهُمْ لَأَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
 الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿٤﴾ وَلَكُمْ آلْوَيْلٌ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٦﴾

(١) اللعب فعل يروق أوله ولا نبات له . و(لاعبين) حال من فاعل (خلقنا) . والمعنى
 وما سويتنا هذا السقف المرفوع ، وهذا المهاد الموضوع ، (وما بينهما) من أصناف الخلق ،
 للهو واللعب . وإنما سويتناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على
 ما تقتضيه حكمتنا .

(٢) نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) — أى ولدا أو
 امرأة . كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبه — (لأخذناه من لدنا) من الولدان
 أو الحور (إن كنا فاعلين) أى (إن كنا) ممن يفعل ذلك . ولسنا ممن يفعله لاستحاله في حقنا .
 وقيل هو نفى كقوله (وإن أدري) . أى ما كنا فاعلين .

(٣) (بل) إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيهه منه لذاته كأنه قال سبحانه أن نتخذ اللهو ،
 بل من سنتنا أن (نقذف) أى نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان .
 أو بالإسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل . وهذه
 استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام . ثم استعير القذف لإيراد الحق
 على الباطل ، والدمغ لإذهاب الباطل . فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي . فكأنه قيل
 بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله بإبطال الجسم
 القوي الضعيف .

(٤) أى الباطل .

(٥) هالك ذاهب .

(٦) (مما تصفون) الله به من الولد ونحوه .

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ^(١) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ^(٢) أَمْ اتَّخَذُوا
ءَالِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ^(٣) لَوْ كَانَتْ فِيهِمَ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ^(٤)

(١) (وله) خلقا وملكا فأتى بكون شيء منه ولدا له وبينهما تناف؟ ويوقف على (الأرض) لأن (ومن عنده) — منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا ، يعني الملائكة — مبتدأ خبره . (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون .

(٢) حال من فاعل (يسبحون) أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرار أو بشغل آخر . فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا .

(٣) أضرب عن المشركين منكرًا عليهم وموتجًا بقاء بأم التي بمعنى بل والهمزة فقال (أم) اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . يحيون الموتى . و (من الأرض) صفة لآلهة لأن آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والمجر . أو تعبد فى الأرض فنسبت إليها كقولك : فلان من المدينة أى مدنى . أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ . وفى قوله (هم ينشرون) زيادة توبيخ — وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموت — لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار لأن العاجز عنه لا يصح أن يكون إلهًا ، إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات . وقرأ الحسن (ينشرون) بفتح الياء وهما لغتان . أنشر الله الموتى ونشرها أى أحيها .

(٤) أى غير (الله) وصفت (آلهة) بالآ كما وصفت بغير لوقيل آلهة غير الله . ولا يجوز رفعه على البدل لأن لو بمنزلة إن فى أن الكلام معه موجب . والبديل لا يسوغ إلا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى (ولا يلتفت منكم أحد إلا أمر أتك) . ولا يجوز نصبه استثناء لأن الجمع إذا كان منكرًا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء . والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما (لفسدتا) .

لَفَسَدَتَا فَسُبْحٰنَ ٱللّٰهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ^(١) لَآ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ^(٢)
 وَهُمْ يُسْئَلُونَ ^(٣) أَمْ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَآلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهٰنَكُمْ هَٰذَا ^(٤)
 ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ^(٥)
^(٦) ^(٧) ^(٨)

(١) (لفسدتا) نخربتا لوجود التمانع . وقد قررناه في أصول الكلام . ثم نزه ذاته فقال
 (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك .

(٢) (لا يسأل) لأنه المالك على الحقيقة . ولو اعترض على الساطان بعض عبده مع وجود
 التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعدّ سفها . فمن هو مالك
 الملوك وربّ الأرباب وفعله صواب كله أولى بالألا يعترض عليه .

(٣) (يسألون) لأنهم مملوكون خطّاءون فما أخلقهم بأن يقال لهم « لم فعلتم ؟ » في كل شيء
 فعلوه . وقيل (وهم يسألون) يرجع إلى المسيح والملائكة . أي هم مسئولون . فكيف يكونون
 آلهة والألوهية تنافي الجنسية والمسئولية ؟

(٤) الإعادة لزيادة الإفادة . فالأول للإنكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل .
 أي وصفتم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك . وذا
 عقلي . وهو يأباه كما مرّ . أو نقلي وهو الوحي . وهو أيضا يأباه فإنكم لا تجدون كتابا من
 الكتب السماوية إلا وفيه توحيده وتزويه عن الأنداد .

(٥) أي القرآن .

(٦) يعني أتمته . (معي) حفص .

(٧) (من قبلي) يعني أمم الأنبياء من قبلي . وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه .
 فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي القرآن . وهو
 نصب بيعلمون . وقرئ (الحق) أي هو الحق .

(٨) (فهم) لأجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ
 عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ
 مُشْفِقُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْوَاهُ جَهَنَّمَ ﴿٩﴾

(١) (إلا نوحى) كوفي غير أبي بكر وحماد .

(٢) وحدوني . فهذه الآية مقترنة لما سبقها من آى التوحيد .

(٣) نزلت فى خزاعة حيث قالوا للملائكة بنات الله . فتره ذاته عن ذلك . ثم أخبر عنهم
 بأنهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد
 إذ العبودية تنافى الولادة .

(٤) أى بقولهم فأنبئت اللام مناب الإضافة . والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم
 قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم .

(٥) أى كما أت قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنى على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به .

(٦) أى ما قدموا وأتروا من أعمالهم .

(٧) أى لمن رضى الله عنه وقال لا إله إلا الله .

(٨) خائفون .

(٩) (ومن يقل منهم) من الملائكة (أتى إله من دونه) من دون الله — (أتى) مدنى
 وأبو عمرو — (فذلك) مبتدأ — (أى) (فذلك) القائل — خبره (نجويه جهنم) . وهو جواب الشرط .
 وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتتحقق عصمتهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة
 والضحاك : قد تحقق الوعيد فى إبليس فإنه ادعى الإلهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته .

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (١) أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (٢) وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ
 حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًَّ أَنْ تَمِيدَ بِرِيسَمِ (٤)
 (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

(١) الكافرين الذين وضعوا الإلهية في غير موضعها .

(٢) (الم ير) مكى .

(٣) أى جماعة السموات وجماعة الأرض . فلذا لم يقل كن .

(٤) بمعنى المفعول أى (كانتا) مرتوقيتين . وهو مصدر . فلذا صلح أن يقع موقع
 مرتوقيتين .

(٥) فشققناهما . والفتق الفصل بين الشئين . والرتق ضد الفتق . فإن قيل متى رأوهما
 رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك ؟ قلنا إنه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فقام مقام المرئى
 المشاهد . لأن الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان فى العقل .
 فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله . ثم قيل
 إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات .
 وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين . وقيل كانت السماء
 رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات .

(٦) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله (والله خلق كل دابة من ماء) أو كأتمنا خلقناه
 من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله (خلق الإنسان من عجل) .

(٧) يصادقون بما يشاهدون .

(٨) جبالا ثوابت . من رسا إذا ثبت .

(٩) لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام . وإتما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزداد
 لذلك فى (لئلا يعلم أهل الكتاب) .

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴿١٢﴾
 وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَنْ خُلِدَ ﴿١٥﴾

(١١) (فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج. وهو الطريق الواسع. ونصب على الحال من (سبلا) متقدمة. فإن قلت أى فرق بين قوله تعالى (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) وبين هذه؟ قلت الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثانى لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أتهم ثم.

(١٢) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة.

(١٣) (محفوظا) فى موضعه عن السقوط كما قال (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه). أو (محفوظا) بالشهب عن الشياطين كما قال (وحفظناها من كل شيطان رجيم).
 (١٤) أى الكفار.

(١٥) عن الأدلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم.

(١٦) غير متفكرين فيها فيؤمنون.

(١٧) (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل.

(١٨) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أى كلهم. والضمير للشمس والقمر. والمراد بهما جنس الطوالع. وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

(١٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء. والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم. و(كل) مبتدأ خبره (يسبحون) يسرون أى يدورون. والجملة فى محل نصب على الحال من الشمس والقمر.

(١٠) البقاء الدائم.

أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ أَنْخَلِدُونَ^(٢) كُلُّ نَفْسٍ ذَا بَقَّةٍ الْمَوْتِ وَنَبَلُكُمْ بِالشَّرِّ^(٣)
وَأَخْيِرَ فِتْنَةً^(٤) وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ^(٥) وَإِذَا رَأَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُؤًا^(٦) وَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ^(٧) الْهَتَكُمْ^(٨) وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنِينَ^(٩) هُمْ كَافِرُونَ^(١٠)

(١) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر .

(٢) الفاء الأولى لعطف جملة على جملة ، والثاني لجزاء الشرط . كانوا يقدرون أنه سميت فتنى الله عنه الشماتة بهذا . أى قضى الله ألا يتخذ في الدنيا بشر (أفان مت) أنت أيقى هؤلاء ؟

(٣) ونختبركم . سمي ابتلاء وإن كان عالما بما سيكون من أعمال العالمين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار .

(٤) بالفقر والضر .

(٥) الغنى والنفع .

(٦) مصدر مؤكّد لنبلوكم من غير لفظه .

(٧) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر . وعن ابن ذكوان (ترجعون) .

(٨) ما يتخذونك (إلا هزوا) مفعول ثانٍ ليتخذونك . نزلت في أبي جهل . مرة به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبيّ بنى عبد مناف .

(٩) يعيب . والذكر يكون بخير وبخلافه . فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء ، وإن كان عدوا فذم .

(١٠) أى (وهم) بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هم كفرون) لا يصدقون به أصلا . فهم أحقّ أن يتخذوا هزوا منك فإنك محقّ وهم مبطلون . وقيل (بذكر الرحمن) أى بما أنزل عليك من القرآن (هم كفرون) جاحدون . والجملة في وضع الحال أى يتخذونك هزوا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله تعالى . وكرر (هم) للتأكيد أو لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ .

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ^(١) سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ^(٢) فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ^(٣) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ^(٤) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٥) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^(٦) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ^(٧)

(١) فسر (الإنسان) بالجنس. وقيل نزلت حين كان النضر بن حرث يستعجل بالعذاب. والعجل والعجلة مصدران. وهو تقديم الشيء على وقته. والظاهر أن المراد بالجنس وأنه ركب فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولأنه يكثر منه. والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم. فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره. كأنه قال ليس يسدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وبجيبته فقد ركب فيه. وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل * وإما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة. (من عجل) حال أي عجلا.

(٢) نقاتي .

(٣) (فلا تستعجلون) بالإتيان بها. وهو بالياء عند يعقوب. وافقه سهل وعياشر في الوصل.

(٤) إتيان العذاب أو القيامة. قيل هو أحد وجهي استعجالهم .

(٥) جواب لو محذوف. و(حين) مفعول به ليعلم. أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم (متى هذا الوعد) وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرّون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستمراء والاستعجال. ولكن جهلهم به هو الذي هوته عندهم .

(٦) الساعة .

(٧) بغاة .

فَتَبْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ
 مِن قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤﴾ قُلْ مَنْ
 يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥﴾
 أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا
 يُصْحَبُونَ ﴿٦﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَهُنَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴿٧﴾

(١) فتبتهم . أى لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم .

(٢) فلا يقدرُونَ على دفعها .

(٣) يمهلون .

(٤) فخل وزل بالذين (سخرُوا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزئون) . سلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له فى الأنبياء أسوة وأن ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق
 بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا .

(٥) يحفظكم .

(٦) أى من عذابه إن أناكم ليلا أو نهارا .

(٧) أى بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرונה بآلهم ، فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا
 رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالى وصلحوا للسؤال عنه . والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم
 عن الكالى ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكفؤهم . ثم أضرب عن
 ذلك بقوله . (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما فى (أم) من معنى بل فقال لهم آلهة تمنعهم
 من العذاب تتجاوز متعنا وحفظنا ؟ ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا
 يصحبون) فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحب من الله بالنصر
 والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ؟ ثم قال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) .
 أى ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلاتناهم
 وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلتناهم
 حتى طال عليهم الأمد فنقتس قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك . ودو أمل كاذب .

أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢﴾ قُلْ
 إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤﴾ وَلَئِن مَسَّتْهُمْ
 نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
 ﴿٦﴾

(١) أى تنقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام . وذكر (نأتى) يشير بأن الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها .

(٢) أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم . أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا .

(٣) أخوفكم من العذاب بالقرآن .

(٤) (لا يسمع) بفتح الباء والميم ورفع (الصم) . (ولا تسمع الصم) شامى على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم . اللام فى (الصم) للعهد . وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين . والأصل ولا يسمعون (إذا ما ينذرون) يخوفون . فوضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على تصاتهم وسدّهم أسماعهم إذا ما أنذروا .

(٥) (ولئن مسّتهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولنّ يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أى ولئن مسّتهم من هذا الذى ينذرون به أدنى شيء لذلّوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقربوا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا . وقد بولغ حيث ذكر المسّ والنفحة لأنّ النفح يدلّ على القلّة ، يقال نفحه بعطيّة : رضخه بها ، مع أنّ بناءها للثرة . وفى المسّ والنفحة ثلاث مبالغات لأنّ النفح فى معنى القلّة والثرارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ، ونفحه بعطيّة رضخه ، والبناء للثرة .

(٦) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته . وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان . وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله (يأتيا الرسل) . والوزن لصحائف الأعمال فى قول .

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
 نَجْدٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ
 وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٨﴾ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ
 (١٣)

(١١) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط . أو على حذف
 المضاف أى ذوات القسط .

(٢) لأهل يوم القيامة أى لأجلهم .

(٣) (شئنا) من الظلم .

(٤) وإن كان الشئ مثقال حبة . (مثقال) بالرفع مدنى . وكذا فى إيمان على (كان) التامة .

(٥) صفة حبة .

(٦) أحضرناها . وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه .

(٧) عالمين حافظين ، عن ابن عباس رضى الله عنهما . لأن من حفظ شيئاً حسبه وعلمه .

(٨) قيل هذه الثلاثة هى التوراة . فهى فرقان بين الحق والباطل ، وضياء يستضاء به
 ويتوصل به إلى سبيل النجاة ، وذكر أى شرف أو وعظ وتنبه أو ذكر ما يحتاج إليه فى مصالح
 دينهم . ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله (وسيدا وحصورا ونبياً) . وتقول مررت بزيد
 الكريم والعالم والصالح . ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) .

(٩) جزاً على الوصفية . أو نصب على المدح ، أو رفع عليه .

(١٠) يخافونه .

(١١) حال أى يخافونه فى الخلاء .

(١٢) القيامة وأهوالها .

مُشْفِقُونَ ﴿١﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
 وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 لَهَا عَابِدِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٤﴾

(١) خائفون .

(٢) القرآن .

(٣) كثير الخير غزير النفع .

(٤) (أنزلناه) على محمد .

(٥) استفهام توبيخ أى جاحدون أنه منزل من عند الله .

(٦) هداه .

(٧) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام .

(٨) بإبراهيم أو برشده .

(٩) أى علمنا أنه أهل لما آتيناه .

(١٠) إما أن تتعلق بآتيناه أو برشده .

(١١) أى الأصنام المصوّرة على صورة السباع والطيور والإنسان . وفيه تجاهر لهم ليحقر

آلتهم مع علمه بتعظيمهم لها .

(١٢) (لها عاكفون) أى لأجل عبادتها مقيمون . فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على

ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم .

(١٣) (قال) إبراهيم .

(١٤) أراد أن المقلدين والمقلّدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل .

وأكد باتم ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع .

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿١﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ
 الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٣﴾
 فَبَعَلَهُمْ جُدُذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٤﴾ قَالُوا
 قَالُوا ﴿٥﴾ قَالُوا ﴿٦﴾

(١) بالجد .

(٢) أى أجاد أنت فيما تقول أم لاعب؟ استعظاما منهم إنكاره عليهم واستبعادا لأن يكون
 ما هم عليه ضلالا . فتمّ ضرب عنهم مخبرا بأنه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك
 العلام وحدوث الأصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن) أى
 التماثيل . فأتى يعبد المخلوق ويترك الخالق ؟ .

(٣) (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين) .

(٤) (وتالله) — أصله والله . وفى التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته
 وتعدّره لقوة سلطة نمرود — (لأكيدن أصنامكم) لا كسرتها (بعد أن تولوا مدبرين) بعد ذهابكم
 عنها إلى عيديكم . قال ذلك سرا من قومه . فسمعه رجل واحد . فعرض بقوله (أتى سقيم)
 أى ساسقم ، ليتخلف فرجع إلى بيت الأصنام .

(٥) (فجعلهم جذاذا) قطعاً — من الجذّ وهو القطع . جمع جذاذة كرجاجة وزجاج .
 (جذاذا) بالكسر ، على ، جمع جذيد أى مجذوذ تكهيف وخفاف — (إلا كبيرا لهم) للأصنام
 أو للكفار . أى فكسرها كلها بفأس فى يده إلا كبيرا فعلق الفأس فى عنقه (لعلهم إليه)
 إلى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم معجزه . أو إلى ابراهيم ليحتج عليهم .
 أو إلى الله لما رأوا معجز آلهتهم .

(٦) أى الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا

مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ^(١) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ ^(٢)
يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمَ ^(٣) قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ^(٤)
قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا اِبْرَاهِيمَ ^(٥) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ^(٦)

(١) أى إن من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقيع والتعظيم .

(٢) الجملتان صفتان لفتى إلا أن الأزل - وهو (يدكرهم) أى يعيهم - لا بد منه للسمع لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع ، بخلاف الثانى . وارتفاع (إبراهيم) بأنه فاعل (يقال) . فالمراد الاسم لا المسمى ، أى الذى يقال له هذا الاسم .

(٣) أى نمرود وأشرف قومه .

(٤) احضروا إبراهيم .

(٥) فى محل الحال بمعنى معاينة مشاهدا أى بمرأى منهم ومنظر .

(٦) (لعلهم يشهدون) عليه بما سُمع منه أو بما فعله . كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة . أو يحضرون عموماً له . فلما أحضروه (قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا إبراهيم) ؟

(٧) (قال) إبراهيم .

(٨) عن الكسائى أنه يقف عليه ، أى فعله من فعله . وفيه حذف الفاعل . وإنه لا يجوز . وجاز أن يكون الفاعل مسنداً إلى الفتى المذكور فى قوله (سمعنا فتى يدكرهم) . أو إلى إبراهيم فى قوله (يا إبراهيم) . ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر . والأكثر أنه لا وقف والفاعل (كبيرهم) . و(هذا) وصف أو بدل . ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى تبكيته لهم وإلزاماً للحجة عليهم لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا معجز كبيرهم وأنه لا يصلح لها . وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيقي أنيق : أنت كتبت هذا ؟ وصاحبك أحمى فقلت له بل كتبت أنت ، كان قصده بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأحمى . لأن إثباته للعاجز منك والأمر كائن بينكما استهزاء به

فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ^(١) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ
الظَّالِمُونَ ^(٢) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ^(٣)
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ^(٤)

وإثبات للقادر . ويمكن أن يقال غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها
أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له ، فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يسند إلى مباشرة
يسند إلى الحامل عليه . ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم
ما تتكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا . ويحكى أنه
قال : غضب أن تعبد . هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرتهم . أو هو متعلق بشرط لا يكون
وهو نطق الأصنام فيكون نفيا للخبر عنه ، أى بل فعله كبيرهم (إن كانوا ينطقون) وقوله (فاسألوهم)
اعتراض . وقيل عرض بالكبير لنفسه وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور .

(١) (فاسألوهم) عن حالهم (إن كانوا ينطقون) وأتم تعلمون عجزهم عنه .

(٢) (فرجعوا) إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بخناقهم فقالوا (إنكم أنتم
الظالمون) على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قاتم (من فعل هذا بالهتنا
إنه لمن الظالمين) . فإن من لا يدفع عن رأسه الفأس ، كيف يدفع عن عابديه البأس ؟ .

(٣) قال أهل التفسير : أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم
الشقاوة . أى ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم . يقال نكسته قلبته فجعلت أسفله
أعلاه . أى استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة
فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها ؟ .
والجملة سدت مسد مفعولى علمت . والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم ؟

(٤) (قال) محتجا عليهم .

(٥) هو في موضع المصدر أى نفعا .

(٦) (ولا يضركم) إن لم تعبدوه .

أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ
وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٢﴾ قُلْنَا يَنْبَأُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا
عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٦﴾

(١) (أف) صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر . فحجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم . واللام لبيان المتأفف به ، أى (لكم) ولآلهتكم هذا التأفف . (أف) مدنى وحفص . (أف) مكى وشامى . (أف) غيرهم .
(٢) (أفلا تعقلون) أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون لها . فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرّقوه) بالنار لأنّها أهول ما يعاقب به وأفزع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (إن كنتم فاعلين) أى إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرًا مؤزرًا ، فاخاروا له أهول المعاقبات وهو الإحراق بالنار وإلا فترطم في نصرتها . والذي أشار بإحراقه نمرود أو رجل من أكراد فارس . وقيل إنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتًا بكوثى وجمعوا شهرًا أصناف الخشب ثم أشعلوا نارًا عظيمة كادت الطير تحترق في الجوّ من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدًا مغلولًا فرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل . وقال له جبريل هل لك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا . قال فسل ربك قال حسبي من سؤالى ، علمه بحالى . وما أحرقت النار إلا وثاقه . وعن ابن عباس إنما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل .

(٣) أى ذات برد وسلام . فيبلغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام .

(٤) أراد ابردى فيسلم منك إبراهيم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها . والمعنى أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحرّ والإحراق ، وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير .

(٥) إحراقا .

(٦) فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم . ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فأهلكته .

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ
 إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً
 يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴿٤﴾

(١) أى إبراهيم .

(٢) (ونجينا لوطا) ابن أخيه هاران من العراق (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) أى أرض الشام . وبركنا أن أكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهي أرض خصب يطيب فيها عيش الغنى والفقير . وقيل ما من ماء عذب في الأرض إلا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس . روى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة . وقال عليه السلام إنها ستكون هجرة بعد هجرة . نخبأ الناس إلى مهاجر إبراهيم .

(٣) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق . أى (وهبنا له) هبة . وقيل هى ولد الولد . وقد سأل ولدا فأعطيه . وأعطى يعقوب (نافلة) أى زيادة فضلا من غير سؤال . وهى حال من يعقوب .

(٤) (وكلاً) أى إبراهيم وإسحق ويعقوب . وهو المفعول الأول لقوله (جعلنا) والثانى (صالحين) .

(٥) (صالحين) فى الدين والنبوة .

(٦) يقتدى بهم فى الدين .

(٧) يهدون) الناس .

(٨) بوحينا .

(٩) (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) وهى جميع الأعمال الصالحة . وأصله أن تُفعل الخيرات ثم فُعلا الخيرات ثم فعل الخيرات . وكذلك قوله (وإقام الصلاة) والأصل وإقامة الصلاة إلا أن المضاف إليه جعل بدلا من الهاء .

وَكَانُوا لَنَا عٰبِدِينَ ﴿١﴾ وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ ﴿٥﴾
 الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧﴾
 وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ ﴿١١﴾
 قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾

(١) (وكانوا لنا عابدين) لا للاصنام . فأتى يامعشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه في ذلك .

(٢) (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه) .

(٣) حكمة . وهى ما يجب فعله من العمل ، أو فصلا بين الخصوم ، أو نبوة .

(٤) فقها .

(٥) من أهلها وهى سدوم .

(٦) اللواطه والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها .

(٧) خارجين عن طاعة الله .

(٨) فى أهل رحمتنا أو فى الجنة .

(٩) أى جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم .

(١٠) أى (و) اذكر (نوحا) .

(١١) أى دعا على قومه بالهلاك .

(١٢) من قبل هؤلاء المذكورين .

(١٣) (فاستجبنا له) دعاه .

(١٤) أى المؤمنين من ولده وقومه .

(١٥) من الطوفان ، وتكذيب أهل الطغيان

وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ
 فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٩﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ
 ﴿١٠﴾

- (١) منعناه منهم أى من أذاهم .
 (٢) صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم .
 (٣) أى واذا كرها .
 (٤) بدل منهما .
 (٥) فى الزرع أو الكرم .
 (٦) ظرف ليحكمان .
 (٧) دخلت ليلا فأكلته وأفسدته . والنفس انتشار الغنم ليلا بلا راع .
 (٨) أرادهما والمتحاكين إليهما .
 (٩) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا .

(١٠) (ففهمنها) أى الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه .

وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتعاكأ إلى داود فحكم بالغنم لأهل
 الحرث وقد استوت قيمتاها أى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث . فقال سليمان
 وهو ابن إحدى عشرة سنة : غير هذا أرفق بالفريقين . فعزم عليه ليحكم ، فقال : أرى أن تدفع
 الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها ، والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح
 الحرث ويعرد كهينته يوم أفسدتم يترادان . فقال : القضاء ما قضيت . وأمضى الحكم بذلك .
 وكان ذلك باجتهاد منهما . وهذا كان فى شريعتهم . فأما فى شريعتنا فلا ضمان عند أبى حنيفة
 وأصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد . وعند الشافعى
 رحمه الله يجب الضمان بالليل . وقال الجصاص : إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها . ونسخ الضمان
 بقوله عليه السلام "العجاء جبار" . وقال مجاهد : كان هذا صلحا . وما فعله داود كان حكما
 والصلح خير .

وَكَلَّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَخْرَنَاهُ مَعَ دَاوُدَ الْجَبَّالِ يُسَبِّحُ
 وَالطَّيْرُ وَكَمَا فَاعِلِينَ ﴿٧﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ
 بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 بِأَمْرِهِ

(١) من داود وسليمان .

(٢) نبوة .

(٣) معرفة بموجب الحكم .

(٤) وذلنا .

(٥) وهو حال بمعنى مسببات . أو استئناف كأن قائلاً قال : كيف نخترهن ؟ فقال
 (يسبحن) .

(٦) معطوف على (الجبال) أو مفعول معه . وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها
 أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لأنها جماد . روى أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهي نجاوبه .
 وقيل كانت تسير معه حيث سار .

(٧) (وكما فاعلين) بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجبا عندكم .

(٨) أى عمل اللبوس والدروع . واللبوس اللباس . والمراد الدرع .

(٩) شامى وحفص . أى الصنعة . وبالنون أبو بكر وحماد ، أى الله عز وجل . وبالياء
 غيرهم ، أى اللبوس ، أو الله عز وجل .

(١٠) من حرب عدوكم .

(١١) استفهام بمعنى الأمر . أى فاشكروا الله على ذلك .

(١٢) أى ونخترنا له الريح .

(١٣) حال أى شديدة الهبوب . ووصفت فى موضع آخر بالرشاء لأنها تجرى باختياره .
 فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته .

(١٤) بأمر سليمان .

إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ^(٢) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ
 مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ^(٣) وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ^(٥)
 وَيُؤْتِيهِمْ رِزْقَهُمْ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ^(٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ^(١٠)

(١) بكثرة الأنهار والأشجار والثمار . والمراد الشام وكان منزله بها وتعلمه الريح من نواحي الأرض إليها .

(٢) وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجرى الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا .

(٣) أى وسخرنا منهم (من يغوصون له) فى البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها .

(٤) أى دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقصور والحفان .

(٥) (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه .

(٦) أى (و) اذكر (أيوب) .

(٧) أى دعا بآتى .

(٨) الضرب بالفتح الضرر فى كل شيء ، وبالضم الضرر فى النفس من مرض أو هزال .

(٩) ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، وذكر ربه بغاية الرحمة ، ولم يصرح بالمطلوب . فكأنه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم ، فأرحمه واكشف عنه الضر الذى مسه . عن أنس رضى الله عنه أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك . وكيف يشكو من قيل له (إنا وجدناه صابرا نعم العبد) ؟ وقيل إنما شكنا إليه تلهذا بالتجوى لامنه نضرا بالشكوى . والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد .

(١٠) أجبتنا دعاه .

فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَعَاثَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
 وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (١) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ
 الصَّابِرِينَ (٢) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣) وَذَا النُّونِ
 (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

(١) (فكشفنا) ضره إنعاما عليه .

(٢) روى أن أيوب عليه السلام كان رومياً من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل . فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين . وقالت له امرأته يوماً لودعوت الله عز وجل . فقال كم كانت مدة الرخاء ؟ فقالت ثمانين سنة . فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخاى . فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم .

(٣) هو مفعول له .

(٤) يعنى (رحمة) لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه .

(٥) (إسماعيل) بن إبراهيم (وإدريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) وهو إلياس أو زكرياً أو يوشع بن نون . وسمى به لأنه ذو الحظ من الله . والكفل الحظ . أى اذكركم .

(٦) أى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر .

(٧) نبوتنا أو النعمة فى الآخرة .

(٨) أى ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد .

(٩) أى اذكر صاحب الحوت . والنون الحوت . فأضيف إليه .

إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾

(١) حال، أى مر اغما لقومه. ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقة خوفهم حلول العقاب عليهم عندها. روى أنه برم بقومه لطول ما ذكروهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله. وكان عليه أن يصابرو وينتظر الإذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم. فابتلى ببطن الحوت.

(٢) نصيب (عليه) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دخل يوما على معاوية. فقال لقد ضربت أمواج القرآن البارحة ففرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا إلا بك. قال وما هى يا معاوية؟ فقرأ الآية فقال: أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ قال هذا من القدر لا من القدرة.

(٣) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله: (ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات)، أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت.

(٤) (أن) أى بأنه (لا إله إلا أنت). أو بمعنى أى.

(٥) (من الظالمين) لنفسى فى خروجى من قومى قبل أن تأذن لى. فى الحديث "ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له"، وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم.

(٦) غم الزلة والوحشة والوحدة.

(٧) إذا دعونا واستغاثوا بنا. (نُجِيَ) شامى وأبو بكر بإدغام النون فى الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم فى الجيم، وقيل تقديره نُجِيَ النجاء المؤمنين. فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء. لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز. وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات. وقيل أصله نُجِيَ من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين فى (تنزل الملائكة).

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿١١﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٧﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْتَ
 فَرَجَهَا، فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩﴾

(١١) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدمه وحيدا بلا وارث . ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) . أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث أي باق .

(٢) (ووهبنا له يحيى) ولدا .

(٣) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها . أو حسنة وكانت سيئة الخلق .

(٤) أي الأنبياء المذكورين .

(٥) أي أنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها

(٦) أي طمعا وخوفا كقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) . وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرغبة منا .

(٧) متواضعين خائفين .

(٨) أي (و) اذكر (التي) .

(٩) حفظته من الحلال والحرام .

(١٠) أخرجنا فيها روح المسيح . أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها . وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام .

(١١) مفعول ثان . وإنما لم يقل آيتين كما قال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) لأن حالهما يجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل . أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه . ويدل عليه قراءة من قرأ (آيتين) .

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (١) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
 كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٢) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
 لِسَعِيهِ، وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٣) وَحَرَّمَ عَلَيَّ قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٤)

(١) الأمة الملة. و (هذه) إشارة إلى ملة الإسلام. وهي ملة جميع الأنبياء، و (أمة واحدة) حال أي متوحدة غير متفرقة. والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تتحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة.

(٢) أي رببتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا. والخطاب للناس كافة.

(٣) أصل الكلام وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات. والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا. ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة (كل إلينا راجعون) فنجازيهم على أعمالهم.

(٤) (فمن يعمل من الصالحات) شيئا (وهو مؤمن) بما يجب الإيمان به (فلا كفران لسعيه) أي فإن سعيه مشكور مقبول. والكفران مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه. وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ.

(٥) (وإننا) أي الحفظة بأمرنا (له) للسعي (كاتبون) في صحيفة عمله فنتيبه به.

(٦) (وحرّم) كوفي غير حفص وخلف. وهما لغتان يكال وحلال وزنا وضده معنى. والمراد بالحرام الممتنع وجوده.

(٧) والمعنى وممنع على مهلك غير ممكن ألا يرجع إلى الله بالبعث. أو (وحرام على قرية أهلها) — أي قدرنا إهلاكم أو حكمتنا بإهلاكم — ذلك — وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور، (أنهم لا يرجعون) من الكفر إلى الإسلام.

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحَتْ بِأَعْيُنِنَا دُونَهُمَا بِسَوَاعِدٍ مِّن مَّاءٍ لَّيْسَ فِيهَا مِن يَّأْسِرُونَ ۚ وَأَقْرَبَ
 الْوَعْدُ الْحَقُّ إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يُنَادُوا بِرُسُلِهِمْ قَدْ كُنَّا
 فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١١﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

(١١) (حتى) هي التي يحكى بعدها الكلام. والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعني (إذا) وما في حيزها .

(٢) أى فتح سدّهما . فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى (قرية) . (فتحت) شامحة . وهما قبيلتان من جنس الإنس . يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج .

(٣) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر . وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد .

(٤) تشز من الأرض أى ارتفاع .

(٥) يسرعون .

(٦) أى القيامة .

(٧) جواب (إذا) . وهى إذا المفاجأة . وهى تقع فى المجازاة سادة مسدة الفاء كقوله (إذا هم يقنطون) . فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد . ولو قيل فهى شاخصة أو إذا (هى شاخصة) كان سديدا . (وهى) ضمير مبهم يوضحه الأبحار ويفسره .

(٨) أى مرتفعة الأجنان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه .

(٩) متعلق بمحذوف تقديره يقولون (يا ويلنا) . ويقولون حال من (الذين كفروا) .

(١٠) (من هذا) اليوم .

(١١) (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة فى غير موضعها .

(١٢) يعنى الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم

عبادتهم .

حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٢﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا ﴿٤﴾
 وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩﴾
 إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٢﴾

(١) حطب . وقرئ (حطب) .

(٢) فيها داخلون .

(٣) (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم .

(٤) ما دخلوا النار .

(٥) أى العابد والمعبود .

(٦) فى النار .

(٧) للكفار .

(٨) أنين وبكاء وعويل .

(٩) (لا يسمعون) شيئاً ما لأنهم صاروا صماً . وفى السماع نوع أنس فلم يعطوه .

(١٠) الخصلة المفضلة فى الحسن . تأنيث الأحسن . وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة . يعنى عزيراً والمسيح والملائكة . نزلت جواباً لقول ابن الزبيرى عند تلاوته عليه السلام على صنابير قريش (إنكم وما تعبدون من دون الله) إلى قوله (خالدون) : أليس اليهود عبدوا عزيراً والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة ؟ على أن قوله (وما تعبدون) لا يتناولهم لأن (ما) لمن لا يعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد فى البيان .

(١١) عن جهنم .

(١٢) (مبعدون) لأنهم لم يرضوا بعبادتهم .

وقيل المراد بقوله (إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى) جميع المؤمنين لما روى أن علياً رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف . وقال الجنيدي رحمه الله : سبقت لهم منّا العناية فى البداية ، فظهرت لهم الولاية فى النهاية .

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ^(٢) لَا يَحْزَنُهُمْ
 الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ^(٤)
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨)

(١) صوتها الذي يحسّ وحركة تلهبها . وهذه اللفظة في الإبعاد عنها أى لا يقرّبونها حتى لا يسموا صوتها وصوت من فيها .

(٢) (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون . والشهوة طلب النفس اللذة .

(٣) النفخة الأخيرة .

(٤) أى تستقبلهم (الملائكة) مهتئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا .

(٥) (يوم) العامل فيه (لا يحزنهم) أو (تتلقاهم) . (نطوى السماء) يزيد . وطياً تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضدّ النشر . نجعها ونطويها .

(٦) أى الصحيفة .

(٧) حمزة وعلى وحفص . أى للكتابات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة . وغيرهم (للكتاب) أى كما يطوى الطومار للكتابة أو لما يكتب فيه . لأن الكتاب أصله المصدر كالباء ثم يوقع على المكتوب . وقيل (السجل) ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه . وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم . (والكتاب) على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها . والطفى مضاف إلى الفاعل ، وعلى الأقر إلى المفعول .

(٨) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره (نعيده) . (وما) موصولة . أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده و(أول خلق) ظرف لبدأنا أى أول ما خلق . أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى . وأول الخلق إيجاد . أى فكما أوجده أولاً يعيده ثانياً تشبيهاً للإعادة بالإبداء فى تناول القدرة لهما على السواء . والتشكيك فى (خلق) مثله فى قولك هو أول رجل جاءنى ، تريد أول الرجال ولحكك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً . فكذلك معنى (أول خلق) أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع .

وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴿٤﴾
 أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
 عَابِدِينَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

(١) مصدر مؤكد لأن قوله (نعيدته) عدة للإعادة .

(٢) أى (وعدا) كأننا لا محالة .

(٣) (فاعلين) ذلك أى محققين هذا الوعد فاستعدتوا له وقدموا صالح الأعمال ، للتخلص من هذه الأحوال .

(٤) كتاب داود عليه السلام .

(٥) التوراة .

(٦) أى الشام .

(٧) ساكنة الياء حمزة . غيره بفتح الياء .

(٨) أى أمة محمد عليه السلام .

أو (الزبور) بمعنى المزبور أى المكتوب ، يعنى ما أنزل على الأنبياء من الكتب . و(الذكر) أم الكتاب يعنى اللوح لأن الكل أخذوا منه . دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاى على جمع الزبر بمعنى المزبور . و(الأرض) أرض الجنة .

(٩) أى القرآن أوفى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ .

(١٠) لكفاية . وأصله ما تبلغ به البغية .

(١١) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام .

(١٢) مفعول له أو حال أى ذا رحمة . قال عليه السلام "إنما أنا رحمة مهداة" .

(١٣) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه . ومن لم يتبع فأتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها . وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين ، وللكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسح والخسف .

(١٤) (إنما) لقصر الحكم على شىء أو لقصر الشىء على حكم نحو إنما زيد قائم وإنما

يقوم زيد . ويجوز أن يكون المعنى إن الذى يوحى إلى . فتكون (ما) موصولة .

أَتَمَّ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿٢﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ
الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ
حِينٍ ﴿٤﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٥﴾

(١) (أتمَّ إلهكم إله واحد) فاعل (يوحى) . والتقدير (يوحى إلى) وحدانية إلهي .

(٢) استفهام بمعنى الأمر . أي أسلموا .

(٣) (فإن تولوا) عن الإسلام .

(٤) أعلمتكم ما أمرت به .

(٥) حال . أي مستوين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم . وفيه دليل بطلان مذهب

الباطنية .

(٦) أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يطلعني عليه ولكنني أعلم بأنه

كائن لا محالة ، أو لا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا .

(٧) أي إنه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام وما تكتُمونه

في صدوركم من الأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه .

(٨) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون .

(٩) وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم .

(١٠) (قل) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل ، أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تجاهبهم

وشدد عليهم كما قال " واشدد وطأتك على مضر " . (قال رب) حفص ، على حكاية قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم . (رب احكم) يزيد ، (رب احكم) زيد ، عن يعقوب .

(١١) العاطف على خلقه .

(١٢) المطلوب منه المعونة .

(١٣) وعن ابن ذكوان بالياء . كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عابه وكانوا

يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة . فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله

صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو (المستعان على ما) يصفون .

سورة الحج مكية

وهي ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ^(١)
 يَوْمَ تَرُوءُنَّهَا تَهْلِكُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ ^(٢)
 حَمْلَهَا وَتَرَى الْمَاجِدَ الْمُجْتَبِئِينَ وَتَرَى الْعِجْلَ بِالْهَلِيمِ ^(٣)
 وَتَرَى الْوَحْشَ يَنْصَلِبُ وَتَرَى الْأَنْعَامَ بِالْغُلَامِ ^(٤)
 وَتَرَى الْبَنَانَ أَذِي الْقَبْأِ ذَاتِ الْأُنُوفِ ^(٥)
 فَالْمُجْتَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ ^(٦)
 وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ ^(٧)
 وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ ^(٨)
 وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ ^(٩)
 وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ وَالْمُجَلَبِئِينَ ^(١٠)

(١) أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى يؤمنهم من تلك الأفزاع . والزلزلة شدة التحريك والإزعاج . وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هى التى تزلزل الأرض على المجاز الحكيم . أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله (بل مكر الليل والنهار) . ووقتها يكون يوم القيامة . أو عند طلوع الشمس من مغربها . ولا حجة فيها للمعتزلة فى تسمية المعدوم شيئاً فإن هذا اسم لها حال وجودها .

(٢) أى الزلزلة أو الساعة . انتصب (يوم) بقوله (تذهل) .

(٣) تغفل . والذهول الغفلة .

(٤) عن إرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل . وقيل (مرضعة) ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة . إذ المرضعة هى التى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي . والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به .

(٥) أى جبلى .

حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۖ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۖ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّعَىٰ وَيُضِلَّهُ ۖ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ

(١) ولدها قبل تمامه. عن الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام.

(٢) (وترى) أيها الناظر.

(٣) (سكاري) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي: نفسي نفسي. (وما هم بسكاري) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) نخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتميزه. وعن الحسن (وترى الناس سكارى) من الخوف (وما هم بسكاري) من الشراب. (سكاري) فيهما بالإمالة حمزة وعلى وهو كعطشى في عطشان. روى أنه نزلت الآياتان ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكما من تلك الليلة.

(٤) (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال. نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلى. أو هي عاقبة في كل من يخاصم في الدين بالهوى.

(٥) (ويتبع) في ذلك.

(٦) عات مستمر في الشر ولا وقف على (مريد) لأن ما بعده صفته.

(٧) قضى على الشيطان أن الأمر والشأن — وهو فاعل (كتب) — (من تولاه) تبعه أي تبع الشيطان، فإن الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه إلى عذاب السعير)

يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن
 نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَرَافِعَةٍ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ^(١)
^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦)

النار . قول الزجاج : الفاء في (فإنه) للعطف و (أن) مكررة للتأكيد . ورد عليه أبو علي
 ونال إن (من) إن كان للشرط فالفاء دخل لجزء الشرط . وإن كان بمعنى الذي فالفاء دخل
 على خبر المبتدأ . والتقدير فالأمر أنه يضله . قال : والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول .
 والمعنى (كتب) على الشيطان إضلال من (تولاه) وهدايته إلى النار .

(١) ألزم المحجة على منكري البعث . يعني إن ارتبتم في البعث فزويل ربكم أن تنظروا
 في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا وهو صيرورة
 الخلق ترابا وماء (فإننا خلقناكم) أي أبأكم (من تراب) ثم خلقتم (من نطفة) .

(٢) أي قطعة دم جامدة .

(٣) أي لحمية صغيرة قدر ما يمضغ .

(٤) المخلقة المسواة للمساء من النقصان والعيب . كأن الله عز وجل يخلق المضع متفاوتة .
 منها ما هو كامل الخلقة أمس من العيوب ، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
 تفرقت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتماهم وقصانهم .

(٥) إنما تقانناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبيين لكم) بهذا التدرج كال
 قدرتنا وحكمتنا وأت من قدر على خلق البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً ولا مناسبة بين
 التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة عاققة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على إعادة
 ما بدأه .

(٦) (ونقر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف . أي نحن نشبه في الأرحام
 ما نشأ بثوته . وما لم نشأ بثوته أسقطته الأرحام .

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ^(١) ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ ^(٢) طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ ^(٣) وَمِنْكُمْ مَّنْ
يَتَوَقَّى ^(٤) وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ ^(٥) إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْعًا ^(٦)
وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً ^(٧) فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ^(٨) اهْتَزَّتْ ^(٩) وَرَبَّتْ ^(١٠) وَأَنْبَتَتْ
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَیْجٍ ^(١١) ذَٰلِكَ ^(١٢) بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ^(١٣)

(١) أى وقت الولادة .

(٢) (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال . وأريد به الجنس فلذا لم يجمع . أو أريد به
ثم نخرج كل واحد منكم (طفلا) .

(٣) ثم نربيكم (لتبلغوا أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم . وهو من ألهاظ الجموع التى
لا يستعمل لها واحد .

(٤) (ومنكم من يتوقى) عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده .

(٥) أخسه يعنى الهرم والخرف .

(٦) أى (لكيلا يعلم) شيئا (من بعد) ما كان يعلمه . أو لكيلا يستفيد علما وينسى
ما كان علما به .

(٧) ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الأرض هامدة) مية يابسة .

(٨) تحركت بالنبات .

(٩) وانتفخت . (وربات) حيث كان يزيد ، ارتفعت .

(١٠) صنف .

(١١) حسن سائر الناظرين إليه .

(١٢) (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم
واحياء الأرض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو (أن الله هو
الحق) أى الثابت الوجود (وأنه يحيى الموتى) كما أحيا الأرض .

وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ
 اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ^(٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ ^(٣)
 بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ^(٤) ثَانِي عِطْفُهُ لِيُضِلَّ ^(٥)
 عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ^(٦) وَنَذِيقُهُ ^(٧) يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ
 الْحَرِيقِ ^(٨) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ^(٩) وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ^(١٠)

(١) قادر .

(٢) أى أنه حكيم لا يخالف الميعاد . وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفى بما وعد .

(٣) فى صفاته فيصفه بغير ما هو له . نزلت فى أبى جهل .

(٤) (بغير علم) ضرورى (ولا هدى) أى استدلال لأنه يهدى إلى المعرفة (ولا كتاب

منير) أى وحى . والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة .

(٥) حال . أى لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء . وعن الحسن (ثانى عطفه)

بفتح العين أى مانع تعطفه إلى غيره .

(٦) تعليل للجادلة . (ليضل) مكى وأبو عمرو .

(٧) دينه .

(٨) أى القتل يوم بدر .

(٩) أى جمع له عذاب الدارين .

(١٠) أى السبب فى عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب . وكنى

عنها باليد لأن اليد آلة الكسب .

(١١) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره . وهو عطف على (بما) أى وبأن الله .

وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ، ولأن قليل الظلم منه مع علمه

بقبحه واستغنائاه كالكثير منا .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ
 وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۗ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۗ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ۗ

(١) (ومن الناس من يعبد الله) على طرف من الدين لافى وسطه وقلبه . وهذا مثل
 لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة . و (على حرف) حال ، أى
 مضطربا (فإن أصابه) صححة في جسمه وسعة في معيشته سكن واستقر بالخير الذى أصابه
 أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شرّ وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على)
 جهته ، أى ارتدّ ورجع إلى الكفر . كالذى يكون على طرف من العسكر . فإن أحسّ
 بظفر وغنمة قر واطمأن وإلا قر وطار على وجهه . قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة
 مهاجرين . وكان أحدهم إذا صحّ بدنه وثمجت فرسه مهرأ سوياً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر
 ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن . وإن كان الأمر
 بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب عن دينه .

(٢) حال . وقد مقدرة . دليله قراءة روح وزيد (خاسر الدنيا والآخرة) . والخسران
 في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار .

(٣) أى خسران الدارين .

(٤) الظاهر الذى لا يخفى على أحد .

(٥) (ما لا يضره) إن لم يعبد (وما لا ينفعه) يعنى الصنم فإنه بعد الردة يفعل كذلك

إن عبده .

ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ^(١) يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْسِ
 الْمَوْلَى وَلِبَيْسِ الْعَشِيرِ ^(٢) إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ^(٣) مَنْ كَانَ
 يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ
 ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ^(٤)

(١) (البعيد) عن الصواب .

(٢) والإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا .
 والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم . وذلك أن الله تعالى سقاه الكافر بأنه يعبد جمادا
 لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه أنه ينفعه . ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر - بدعاء
 وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة : (لمن ضره أقرب من نفعه
 لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب . أو كثر يدعو كأنه قال
 (يدعو) يدعو (من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه) . ثم قال (لمن ضره) بكونه معبودا
 (أقرب من نفعه) بكونه شفيعا (لبئس المولى) .

(٣) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف .

(٤) المعنى أن الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة . فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد
 بسبب) بجبل (إلى السماء) إلى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به . وسمى الاختنق قطعا
 لأن المختنق يقطع نفسه بجبس مجاريه . وبكسر اللام بصرى وشامى .

(٥) أى الذى يغيظه أو (ما) مصدرية أى غيظه . والمعنى فليصور فى نفسه أنه إن فعل
 ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه . وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء . لأنه لم يكده
 محسوده . إنما كاد به نفسه . والمراد ليس فى يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يُرِيدُ ^(١) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ^(٢) إِنَّ اللَّهَ
يَفْصِلُ ^(٣) بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^(٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُ ^(٥) مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ ^(٦) وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ^(٧)

(١) ومثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدي من يريد). أي ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون — أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى — أنزله كذلك مبينا .

(٢) قيل الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمن. والصابئون نوع من النصاري فلا تكون ستة .

(٣) (يفصل بينهم) في الأحوال والأماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد . وخبر (إن الذين آمنوا) ، (إن الله يفصل بينهم) كما تقول إن زيدا إن أباه قائم .

(٤) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله . وهو أبلغ وعيد .

(٥) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان .

(٦) قيل إن الكل يسجد له ولكن لا تقف عليه كما لا تقف على تسبيحها . قال الله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) . وقيل سمى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له بسجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه .

(٧) أي ويسجد له كثير من الناس بسجود طاعة وعبادة . أو هو مرفوع على الابتداء (ومن الناس) صفة له والخبر محذوف وهو مثاب . ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود .

وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ^(١) هَذَانِ ^(٢)
 خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ^(٣) فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ^(٤)
 يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ^(٥) يُصْهِرُ بِهِ ^(٦) مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ^(٧)

(١) (ومن ين الله) بالشقاوة (فما له من مكرم) بالسعادة (إن الله يفعل ما يشاء)
 من الإكرام والإهانة وغير ذلك. وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة
 قولهم. لأنهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول (يفعل ما يشاء).

(٢) أى فريقان مختصمان. فالخصم صفة وصف بها الفريق. وقوله (اختصموا) للمعنى
 و(هذان) للفظ. والمراد المؤمنون والكافرون. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: رجع
 إلى أهل الأديان المذكورة. فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم.

(٣) (في ربهم) فى دينه وصفاته. ثم بين جزاء كل خصم بقوله (فالذين كفروا).
 وهو فصل الخصومة المعنى بقوله (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة).

(٤) كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جنتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة.
 واختير لفظ الماضى لأنه كائن لا محالة فهو كالناتج المتحقق.

(٥) بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلف، وبكسر الهاء وضم الميم
 غيرهم.

(٦) الماء الحار. عن ابن عباس رضى الله عنهما: لو سقطت منه نقطة على جبال
 الدنيا لأذابتها.

(٧) يذاب.

(٨) بالحميم.

(٩) أى يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر فى الظاهر والباطن.

وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ^(١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا ^(٢)
 فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ^(٣) إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ^(٤) وَلِبَاسَهُمْ ^(٥)
 فِيهَا حَرِيرٌ ^(٦) وَهَدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوءًا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ^(٧) ^(٨)

(١) سياط مخصصة بهم (من حديد) يضربون بها .

(٢) من النار .

(٣) (من غم) بدل الاشتغال من (منها) باعادة الجاز. أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى
 من أجل . يعنى (كلما أرادوا) الخروج من النار (من) أجل (غم) يلحقهم فخرجوا (أعيدوا
 فيها) بالمقامع . ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقبهم حتى إذا كانوا
 في أعلاها ضربوا بالمقامع فهوا فيها سبعين خريفا . والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا أنهم
 ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها .

(٤) أى (و) قيل لهم (ذوقوا) . (الحريق) الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك .
 ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
 من تحتها الأنهار) .

(٥) جمع أسورة جمع سوار .

(٦) بالنصب مدنى وعاصم على ويؤتون (لؤلؤا) . وبالجر غيرهم عطفا على (من ذهب) .
 وبترك الهمة الأولى في كل القرآن أبو بكر وحماد .

(٧) لبريسم .

(٨) أى أرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد وإلى (صراط الحميد) أى الإسلام .
 أو هداهم الله في الآخرة وألمهم أن يقولوا (الحمد لله الذى صدقنا وهدانا) وهداهم إلى طريق
 الجنة . و (الحميد) الله المحمود بكل لسان .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي
 جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمِ
 نَذِقُهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴿٨﴾

(١) أى يمنعون عن الدخول فى الإسلام . (ويصدون) حال من فاعل (كفروا) أى
 (وهم) (يصدون) أى الصدود منهم دائم مستمر كما يقال فلان يحسن الى الفقراء . فإنه يراد به
 استمرار وجود الإحسان منه فى الحال والاستقبال .

(٢) أى ويصدون عن (المسجد الحرام) والدخول فيه .

(٣) (للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد . فإن أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه
 دليل على أنه لا يتباع دور مكة . وإن أريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس .

(٤) (سواء) بالنصب حفص . مفعول ثان جعلناه — أى (جعلناه) مستويا (العاكف فيه
 والباد) وغير المقيم . بالياء مكى واقفه أبو عمرو فى الوصل . وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ
 مؤخر . أى العاكف فيه والباد سواء . وبالجملة مفعول ثان . و (للناس) حال .

(٥) فى المسجد الحرام .

(٦) حالان مترادفان . ومفعول (يرد) متروك ليتناول كل متناول كأه قال (ومن يرد فيه)
 مرادا ما عادلا عن القصد ظالم . فالإلحاد العدول عن القصد .

(٧) (نذقه) فى الآخرة (من عذاب أليم) .

وخبر (إن) محذوف لدلالة جواب الشرط عليه . وتقديره (إن الذين كفروا ويصدون)
 عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم . وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك .

(٨) واذكرا يا محمد حين جعلنا (لإبراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا يرجع إليه للعبادة
 والعبادة . وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوته حمراء . فأعلم الله إبراهيم
 مكانه بريح أرسلها فكنت مكان البيت فبناه على أسه القديم .

أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٤)
 وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٨)

(١) (أن) هي المفسرة للقول المقتدر أى قائلين له (لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى) من الأصنام والأقدار . وافتح الباء مدنى وحفص .

(٢) لمن يطوف به .

(٣) والمقيمون بمكة .

(٤) المصلين . جمع راكم وساجد .

(٥) (وأذن في الناس) ناد فيهم . والحج هو القصد البالغ إلى مقصد منيع . روى أنه صعد أبا قبيس فقال يأتينا الناس حجوا بيت ربكم . فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام بلييك اللهم لييك . وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والأقول أظهر . وجواب الأمر (يأتوك رجلا) مشاة جمع راجل كقيام وقيام .

(٦) حال معطوفة على (رجالا) كأنه قال رجلا وركبانا . والضامر البعير المهزول . وقدم الرجال على الركبان، إظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث .

(٧) صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع . وقرأ عبد الله (يأتون) صفة للرجال والركبان .

(٨) طريق بعيد . قال محمد بن ياسين قال لى شيخ فى الطواف : من أين أنت ؟ فقلت من خراسان . قال كم بينكم وبين البيت ؟ قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة . قال : فأتى جيران البيت . فقلت أنت من أين جئت ؟ قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت . قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة . فقال :

زُذ من هويت وإن شطت بك الدار * وحال من دونه حُج وأستار

لا يمنعك بعد عن زيارته * إن المحب لمن يهواه زوار

لَيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ^(٤)

(١) ليحضروا . واللام متعلق بأذن أو بياتوك .

(٢) نكرها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية وديوية لا توجد في غيرها من العبادة . وهذا لأن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم ، أو بالمال كالزكاة . وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال ، وركوب الأهوال ، وخلع الأسباب ، وقطيعه الأصحاب ، وهجر البلاد والأوطان ، وفرقة الأولاد والخلائق ، والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء . فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده ، ولا يأكل إلا من زاده . فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة ، وركب بحر الوفاة . لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده ، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده . وغسل من يحرم وتأهبه ، ولبسه غير المخطط وتطيبه ، امرأة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره ، لغسله وتجهيزه ، مطيبا بالحنوط ، ملففا في كفن غير مخطط . ثم المحترم يكون أشعث حيران ، فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان . ووقوف الحجج بعرفات آملين رغبا ورهبا ، سائلين خوفا وطمعا ، وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات (لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) . والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء ، هو السوق لفصل القضاء . ومنى هو موقف المنى للذنين ، إلى شفاة الشافعين . وحلق الرأس والتنظيف ، كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف . والبيت الحرام (الذي من دخله كان آمنا) من الإيذاء والقتال ، أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال . غير أن الجنة حقت بمكاره النفس العادية ، كما أن الكعبة حقت بتالف البادية . فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي ، شوقا إلى اللقاء يوم التنادى .

(٣) (ويذكروا اسم الله) عند الذبح .

(٤) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر . وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله . وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما .

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٤﴾
 ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴿٥﴾ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ ﴿٦﴾ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٨﴾

(١) أى على ذبحه . وهو يؤيد قولها . والبهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر
 فبينت بالأنعام وهى الإبل والبقر والضأن والمعز .

(٢) من لحومها . والأمر للإباحة . ويجوز الأكل من هدى التطوع والمنعة والقران
 لأنه دم نسك فأشبهه الأضحية . ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا .

(٣) الذى أصابه بؤس أى شدة .

(٤) الذى أضعفه الإعسار .

(٥) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم . كذا قاله تفتويه . قيل قضاء التفت قص الشارب
 والأظفار وبتف الإبطين والاستحداد . والتفت الوسخ . والمراد قضاء إزالة التفت . وقال
 ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما : قضاء التفت مناسك الحج كلها .

(٦) مواجب حجهم . والعرب تقول لكل من خرج عمّا وجب عليه وقى بنذره وإن لم
 ينذر . أو ما ينذرونه من أعمال البرّ فى حجهم . (وليوفوا) بسكون اللام والتشديد ، أبو بكر .

(٧) (وليطوفوا) طواف الزيارة الذى هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل .

اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبى عمرو .

(٨) القديم لأنه (أول بيت وضع للناس) بناه آدم ثم جدّه إبراهيم . أو الكريم . ومنه
 عتاق الخليل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذلّ العبودية إلى كرم الحرية . أو لأنه أعتق من
 الفرق لأنه رفع زمن الطوفان . أو من أيدى الجبابرة . كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله .
 أو من أيدى الملاك فلم يملك قط . وهو مطاف أهل الغبراء ، كما أنّ العرش مطاف أهل
 السماء . فإن الطالب إذا حاجته معية الطرب ، وجذبته جواذب الطلب ، جعل يقطع
 منابك الأرض مراحل ، ويتخذ مسالك المهالك منازل . فإذا عين البيت لم يزد التسلى
 به إلا اشتياقا ، ولم يفده التشفى باستلام الحجر إلا احتراقا . فيرده الأسف لهفان ، ويرده
 اللهف حوله فى الدوران . وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث . وأولها الإحرام . وهو

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ^(٢) عِنْدَ رَبِّهِ ^(٣) وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ ^(٤)
إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ^(٥) فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ^(٥)

عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام ، حتى لا يترفض بارتكاب ما هو محذور فيه ، ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه . كما أن عقد الإسلام ، لا ينحل بازدحام الآثام . وترفع ألف حوبة بتوبة . وثانها الرقوف بعرفات بسمة الابتهاال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الانتكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال .

(١) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر (ذلك) . أو تقديره ليفعلوا (ذلك) .

(٢) الحرمة ما لا يتحل ذنبه . وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاقما في جميع تكاليفه . ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل (حرمت الله) البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام .

(٣) أى التعظيم . ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها .

(٤) (وأحلت لكم الأنعام) كلها (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه . وذلك قوله (حرمت عليكم الميتة) الآية . والمعنى أن الله تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما بين في كتابه . فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتحریم البعض البهيرة ونحوها . ولا تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرها .

(٥) لما حث على تعظيم حرمانه ، أتبعه الأمر باجتنااب الأوثان وقول الزور . لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها خطوا . و (من الأوثان) بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل (فاجتنبوا الرجس) الذى هو الأوثان . وسمى الأوثان رجسا على طريقة التشبيه . يعنى أنكم تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها . وجمع بين الشرك وقول الزور — أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور، وهو من الزور وهو الانحراف — لأن الشرك من باب الزور إذ المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة .

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرٍ مُّشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا نَزَّ مِنَ السَّمَاءِ
فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٤﴾ وَمَنْ يُعَظِّمْ
شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٦﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٨﴾

(١) مسلمين .

(٢) حال كنفاء .

(٣) (فكأنما نحر) سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة .
(فتخطفه) أى تخطفه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه — والهُوى السقوط — (من مكان
سحيق) بعيد . يجوز أن يكون هذا تشبيها مرجا . ويجوز أن يكون مفترقا . فإن كان تشبيها مرجا
فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من
(نحر من السماء) فاخطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به
في بعض المهالك البعيدة . وإن كان مفترقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء ، والذي أشرك بالله
بالساقط من السماء ، والأهواء المردية بالطير المتخطفة ، والشيطان الذى هو يوقعه في الضلال
بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة .

(٤) أى الأمر (ذلك) .

(٥) تعظيم الشعائر — وهى الهدايا لأنها من معالم الحج — أن يختارها عظام الأجرام
حسانا سمانا غالية الأثمان .

(٦) أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب . فحذفت هذه المضافات . وإنما
ذكرت القلوب لأنها مراكر التقوى .

(٧) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة .

(٨) إلى أن تحر .

ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا
 اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَلَهُ
 أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخَضَّبِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

(١) أى وقت وجوب نحرها منبهة (إلى البيت العتيق) . والمراد نحرها فى الحرم الذى
 هو فى حكم البيت . إذ الحرم حريم البيت . ومثله فى الاتساع قولك : بلغت البلد وإتمام
 اتصل مسيرك بمحدوده .

وقيل الشعائر المناسك كلها . وتعظيمها إتمامها . و (محلها إلى البيت العتيق) ياباه .

(٢) (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) - حيث كان بكسر السين بمعنى
 الموضع على وجه أى موضع قربان . وغيرهما بالفتح على المصدر أى لإراقة الدماء وذبح
 القرابين - (وليدكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أى عند نحرها
 وذبحها (فإلهكم إله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد . وفيه
 دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح . يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى
 يذبحوا له على وجه التقرب ، وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه - تقدست أسمائه - على
 الذنائب .

٣) أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سائلا أى خالصا لا تشوبوه بإشراك .

(٤) (المحبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين . من الخبت وهو المظلم من
 الأرض . وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا . وقيل تفسيره
 ما بعده أى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبته (والصابرين على ما أصابهم)
 من المحن والمصائب .

(٥) (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون .

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا
 اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
 الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

(١) جمع بدنة. سميت لعظم بدنها. وفي الشريعة يتناول الإبل والبقر. وقرئ برفعها وهو كقوله (والقمر قدرناه).

(٢) أى من أعلام الشريعة التي شرعها الله. وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها. و(من شعائر الله) تاني مفعولى (جعلنا).

(٣) النفع في الدنيا والأجر في العقبى.

(٤) عند نحرها.

(٥) حال من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن.

(٦) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط. أى إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) إن شتمت.

(٧) (وأطعموا القانع) السائل من قنعت إليه — إذا خضعت له وسألته — قنوعا (والمعتر) الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل. وقيل القانع الراضى بما عنده وبما ينطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة. والمعتر المتعرض للسؤال.

(٨) أى كما أمرناكم بنحرها (سخرناها لكم). أو هو كقوله (ذلك ومن يعظم). ثم استأنف فقال (سخرناها لكم). أى ذللناها لكم مع قوتها وعظم أجرامها لتمكنوا من نحرها.

(٩) لكى تشكروا إنعام الله عليكم.

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاءُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا
 لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ
 عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٦﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
 بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ﴿٨﴾

(١) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى. أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المرافقة بالنحر. والمراد أصحاب اللحوم والدماء. والمعنى لن يرضى المضحون والمقرَّبون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى. وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحرُوا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطَّخُوهُ بالدم. فمأجج المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت.

(٢) أى البدن.

(٣) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله.

(٤) على ما أرشدكم إليه.

(٥) (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامرهم بالثواب.

(٦) (يدفع) مكى وبصرى. وغيرهما (يدافع) أى يبالغ فى الدفع عنهم.

(٧) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين. ونحوه (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا). ثم علل ذلك بقوله (إن الله لا يحب كلَّ خَوَّانٍ) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله، أى لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون بعم الله ويغيطونها.

(٨) (أذن) مدنى وبصرى وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص. والمعنى (أذن) لهم فى القتال - فخذف المأذون فيه لدلالة (يقاتلون) عليه - (بأنهم ظلموا)

وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ^(١) ^(٢) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ^(٤)
بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ^(٦)
لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ^(٧) وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ^(٨) ^(٩)

بسبب كونهم مظلومين . وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان مشركو
مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر . فانزلت هذه الآية
وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية .

(١) على نصر المؤمنين .

(٢) قادر . وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة . وهو مثل قوله (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) .

(٣) في محل جر بدل من (الذين) . أو نصب بأعنى . أو رفع بإضمار هم .

(٤) (من ديارهم) بمكة .

(٥) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب
الإخراج . ومثله (هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) . ومحل (أن يقولوا) جر بدلا من (حق)
والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم .

(٦) (دفاع) مدنى ويعقوب .

(٧) وبالتخفيف مجازى .

(٨) أى لولا إظهاره وتسايطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على
أهل الملل المختلفة فى أزمته وعلى معتبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعة ولا لربانهم
صوامع ولا لليهود صلوات — أى كنائس . وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها —
ولا للمسلمين مساجد . أولغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى
أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا معتبدات الفريقين . وقدم غير المساجد عليها لتقدمها
وجودا أو لقربها من التهديم .

(٩) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم .

وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ (١) (٢) (٣) إِنَّ مَكَّنَّهُمْ
 فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
 الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ (٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
 قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝ (٥) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ (٦) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ

(١) أى ينصر دينه وأوليائه .

(٢) (إن الله لقويّ) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقام أعدائه .

(٣) محله نصب بدل من (من ينصره) . أو جرّ تابع للذين أخرجوا .

(٤) هو إخبار من الله عمّا ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكّنتهم في الأرض وبسط
 لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين . وفيه دليل صحّة أمر الخلفاء الراشدين لأنّ الله عزّ
 وجلّ أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة . وعن الحسن : هم أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم .

(٥) أى مرجعها إلى حكمه وتقديره . وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء

كلمته .

(٦) هذه تسليّة لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة إياه . أى لست بأوحدى

في التكذيب . (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وتمود)

صالحا (وقوم إبراهيم) إبراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا .

وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٩﴾
 فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْظَلَةٍ

(١) كذبه فرعون والقيبط . ولم يقل وقوم موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه . أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم (وكذب موسى) أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته . فما ظنك بغيره . ؟

(٢) أمهاتهم وأخرت عقوبتهم .

(٣) عاقبتهم على كفرهم .

(٤) إنكارى وتغييرى حيث أبدلتهم بالنعم نقما ، وبالحياة هلاكا ، وبالعمارة خرابا .
 (نكيرى) بالياء فى الوصل والوقف يعقوب .

(٥) (أهلكتها) بصرى .

(٦) حال . أى وأهلها مشركون .

(٧) ساقطة . من خوى النجم إذا سقط . ولا محل لـ (فهى خاوية) من الإعراب لأنها معطوفة على (أهلكناها) وهذا الفعل ليس له محل . وهذا إذا جعلنا (كأين) منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها .

(٨) يتعاقب بخاوية . والمعنى أنها ساقطة على سقوفها . أى نحرّت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف .

(٩) أى متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدّها . أو هى طامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أى تركت لا يستقى منها هلاك أهلها .

وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ^(١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ^(٢)
 بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى ^(٣)
 الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ^(٤) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ ^(٥)
 اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ^(٦)

(١) مَجْصَصٌ مِنَ الشَّيْءِ الْحَصِّ . أَوْ مَرْفُوعُ الْبِنَانِ مِنْ شَادِ الْبِنَاءِ رَفَعَهُ . وَالْمَعْنَى كَمْ قَرْيَةٍ
 أَهْلَكَاهَا وَكَمْ بئرٍ عَطَّلْنَاهَا عَنْ سِقَاتِهَا وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَخْلَيْنَاهَا عَنْ سَاكِنِيهِ ، أَيْ أَهْلَكْنَا الْبَادِيَةَ
 وَالْحَاضِرَةَ جَمِيعًا نَخَلْتِ الْقُصُورَ عَنْ أَرْبَابِهَا وَالْآبَارَ عَنْ وَارِدِهَا . وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْبئرَ وَالْقَصْرَ
 عَلَى الْعَمُومِ .

(٢) هَذَا حَتَّى عَلَى السَّفَرِ لِيرِوَا مِصَارِعَ مَنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ وَيَشَاهِدُوا آثَارَهُمْ
 فَيَعْتَبِرُوا .

(٣) أَيْ يَعْقِلُونَ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْقِلَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَنَحْوِهِ وَيَسْمَعُونَ مَا يَجِبُ سَمَاعِهِ مِنَ
 الْوَحْيِ .

(٤) الضَّمِيرُ فِي (فَائِنَهَا) ضَمِيرُ الْقِصَّةِ أَوْ ضَمِيرُ مَبْهَمٍ يَفْسِّرُهُ (الْأَبْصَارُ) . أَيْ فَمَا عَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ
 عَنِ الْإِبْصَارِ ، بَلْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْإِعْتِبَارِ . وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَرْبَعُ أَعْيُنَ : عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ وَعَيْنَانِ
 فِي قَلْبِهِ . فَإِذَا أَبْصَرَ مَا فِي الْقَلْبِ وَعَمِيَ مَا فِي الرَّأْسِ لَمْ يَضُرَّهُ . وَإِنْ أَبْصَرَ مَا فِي الرَّأْسِ وَعَمِيَ
 مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَنْفَعَهُ . وَذَكَرَ الصَّدُورَ لِيَبَيِّنَ أَنَّ مَحَلَّ الْعِلْمِ الْقَلْبُ وَلِئَلَّا يُقَالَ إِنَّ الْقَلْبَ يَعْنِي
 بِهِ غَيْرَ هَذَا الْعَضْوِ كَمَا يُقَالُ : الْقَلْبُ لَبَّ كُلِّ شَيْءٍ .

(٥) (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) الْآجِلِ اسْتِهْزَاءً . (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) . كَأَنَّهُ قَالَ
 وَلَمْ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِهِ؟ كَأَنَّهُمْ يَجُوزُونَ الْفُوتَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَى مِيعَادٍ مِنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخُلْفُ
 (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) وَمَا وَعْدُهُ لِيَصِيبَنَّهُمْ وَأَوْ بَعْدَ حِينٍ .

(٦) (يَعُدُّونَ) مَكِّيٌّ وَكَوْفِيٌّ غَيْرُ عَاصِمٍ . أَيْ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُونَ بِعَذَابٍ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ
 أَيَّامِ عَذَابِهِ فِي طَوْلِ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ سِنِيكُمْ لِأَنَّ أَيَّامَ الشَّدَائِدِ طَوَالٌ .

وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ^(٣)
 قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ^(٢) فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ^(٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا
 مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ^(٥) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

(١) أى وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً . وإتما كانت الأولى
 أى (فكأتين معطوفة) بالفاء وهذه أى (وكأتين) بالواو لأن الأولى وقعت بدلا عن (فكيف
 كان نكير) . وأما هذه فخكها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما (ولن يخلف
 الله وعده) (وإت يوما عند ربك) .

(٢) ثم أخذتها) بالمذاب .

(٣) أى المرجع إلى فلا يفوتنى شيء .

(٤) وإتما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين
 و (يا أيها الناس) نداء لهم وهم الذين قيل فيهم (افلم يسروا) ووصفوا بالاستعجال . وإتما أقم
 المؤمنون وثوابهم ليغاطوا . أو تقديره (نذير مبين) وبشير . فبشر أولا فقال (فالذين آمنوا وعملوا
 الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن . ثم أنذر فقال (والذين سعوا) .

(٥) سعى فى أمر فلان إذا أفسده بسعيه .

(٦) أى القرآن .

(٧) حال . (معجزين) حيث كان مكى وأبو عمرو . وطأه سابقه كأن كل واحد منهما
 فى طلب إعجاز الآخر عن الخاق به . فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه . والمعنى سعوا فى معناها
 بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير ، مسابقين فى زعمهم وتقديرهم
 طامعين أن يكدهم للإلام يتم لهم .

(٨) أى النار الموقدة .

(٩) (من) لا بتداء الغاية .

(١٠) (من) زائدة لتأكيد النفى .

وَلَا نَبِيَّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ^(٢) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ ^(٣) فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يَأْتِي الشَّيْطَانَ ^(٤)

(١) هذا دليل بين على ثبوت التغيرات بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، فقيل فكم الرسل منهم ؟ فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر . والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه . والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله . وقيل الرسول واضح شرع والنبي حافظ شرع غيره .

(٢) قرأ . قال :

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

(٣) تلاوته . قالوا إنه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ (والنجم) فلما بلغ قوله (ومناة الثالثة الأخرى) جرى على لسانه تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتم لترتجى . ولم يفتن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه . وقيل نبهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان . وهذا القول غير مرضى . لأنه لا يجوز إماماً أن يتكلم النبي عليه السلام بها عمداً . وإنه لا يجوز . لأنه كفر ولأنه بعث طاعنا للأصنام لا مادحا لها . أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه . وهو ممتنع ، لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) ففي حقه أولى . أو جرى ذلك على لسانه سهواً وغفلة . وهو مردود أيضاً لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحى . ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله . ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ، وقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله (ومناة الثالثة الأخرى) فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلاً بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم . فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذى تكلم بها . فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام . وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه . فقد روى أنه نادى يوم أحد : ألا إن محمداً قد قتل . وقال يوم بدر (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم) .

(٤) أى يذهب به ويبطله ويخبر أنه من الشيطان .

ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ^(١) وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٠﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
 فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ ^(٢) وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
 شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٠١﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ^(٣) فَيُؤْمِنُوا بِهِ
 فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ^(٤) وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٢﴾ ^(٥)

(١) أى يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان .

(٢) (والله عليم) بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه
 ويزيله . ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقروله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) محنة
 وابتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون
 فيزدادوا به شكاً وظلمة .

(٣) أى المنافقين والمشركين . وأصله وإنهم . فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم
 بالظلم .

(٤) خلاف (بعيد) عن الحق .

(٥) (أوتوا العلم) بالله وبيده رب الآيات .

(٦) أى القرآن .

(٧) بالقرآن .

(٨) فتطمئن .

(٩) فيتأولون ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل
 الذى تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثرهم شبهة .

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ^(١) حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ^(٢) أَوْ يَأْتِيَهُمْ
 عَذَابٌ ^(٤) يَوْمٍ عَقِيمٍ ^(٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ^(٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ^(٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا
 أَوْ مَاتُوا لِيُرْزُقْنَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو خَيْرُ الرَّازِقِينَ ^(٨)

(١) شك .

(٢) من القرآن أو من الصراط المستقيم .

(٣) بغاة .

(٤) يعني يوم بدر . فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم
 لا تأتي بخير . أو شديد لا رحمة فيه . أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه . وعن
 الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته .

(٥) (الملك يومئذ) أي يوم القيامة — والتونين عوض عن الجملة . أي يوم يؤمنون أو يوم
 تزول مسرتهم — (لله) فلا منازع له فيه .

(٦) (يحكم بينهم) أي يقضى . ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
 في جنات النعيم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) . ثم خص قوما من الفريق
 الأول بفضيلة فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا)
 في الجهاد — (قتلوا) شامئ — (أو ماتوا) حتف أنفسهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق
 الحسن الذي لا ينقطع أبدا .

(٧) لأنه المخترع للخلق بلا مثال ، المتكفل للرزق بلا ملال .

لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلًا يُرْضَوْنَهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ
بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصِرَنَّهُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٧﴾ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٨﴾

(١) بفتح الميم مدنى . والمراد الجنة .

(٢) لأن فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين .

(٣) (وإن الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهداً، وآمال من مات وهو ينتظر معاهداً،
(حليم) بإمهال من قاتلهم معانداً . روى أن طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير . ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا إن متنا معك ؟ فأزل الله هاتين الآيتين .

(٤) أى الأمر (ذلك) . وما بعده مستأنف .

(٥) سمى الابتداء بالجزاء عقوبة للملابسته له من حيث إنه سبب وذلك مسبب عنه .

(٦) أى من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله أن ينصره .

(٧) (إن الله لعفو) يحو آثار الذنوب (غفور) يستتر أنواع العيوب . وتقريب الوصفين
بسياق الآية أن المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله (فمن عفا وأصلح
فأجره على الله) (وأن تعفوا أقرب للتقوى) . فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل
وهو ضامن لنصره في الكربة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغى . وعرض مع ذلك
بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين . أو دلل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر
على العقوبة ، إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة .

(٨) أى ذلك النصر للظالم بسبب أنه قادر على ما يشاء . ومن آيات قدرته أنه (يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل) — أى يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا ،
أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدي عباده
من الخير والشر والبنى والإنصاف — وأنه (سميع) لما يقولون ولا يشغله سماع عن سماع
وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات (بصير) بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء
في الليالي وإن توالى الظلمات .

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
 مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٦)
 وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ تَخَرَّكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ (٩)

(١) عراقى غير أبى بكر .

(٢) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجرى فيهما وإدراكه قولهم
 وفعلهم بسبب أن الله الحق الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء
 أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا .

(٣) مطرا .

(٤) (مخضرة) بالنبات بعد ما كانت مسودة يابسة . وإتاما صرف إلى لفظ المضارع
 ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدو
 شاكرًا له . ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع . وإتاما رفع (فتصبح) ولم ينصب جوابا
 للاستفهام لأنه لو نصب لبطل الغرض . وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب
 إلى نفي الاخضرار . كما تقول لصاحبك ألم ترأتى أنعمت عليك فتشكر . إن نصبته نفيت شكره
 وشكوت من تفريطه فيه وإن رفعته أثبت شكره .

(٥) واصل عمله أو فضله إلى كل شيء . .

(٦) (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم . أو اللطيف المختص بدقيق التدبير ، والخبير المحيط
 بكل قليل وكثير .

(٧) (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وملكًا .

(٨) المستغنى بكل قدرته بعد فناء ما فى السموات وما فى الأرض .

(٩) الحمدود بنعمته قبل ثناء من فى السموات ومن فى الأرض .

(١٠) (ألم تر أن الله تخركم ما فى الأرض) من البهائم مذلة للركوب فى البر .

وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ (٤) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۝ (٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ (٩)

(١) أى ومن المراكب جارية في البحر . ونصب الفلك عطفا على (ما) و (تجرى) حال لها أى وسخر لكم الفلك في حال جريها .

(٢) أى يحفظها من (أن تقع) .

(٣) بأمره أو بمشيئته .

(٤) (لرءوف) بتسخير ما في الأرض (رحيم) يمسك السماء لئلا تقع على الأرض .

عدد آلاءه مقرونة بأسمائه ، ليشكروه على آلائه ، ويذكروه بأسمائه . وعن أبي حنيفة رحمه الله أن اسم الله الأعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها ألبتة .

(٥) (وهو الذى أحياكم) فى أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لإيصال جزائكم .

(٦) بخود لما أفاض عليه من ضروب النعم ، ودفع عنه من صنوف النقم . أولا يعرف نعمة الإنشاء المبدئى للوجود ، ولا الإفناء المقرب إلى الموعود ، ولا الإحياء الموصل إلى المقصود .

(٧) أهل دين . ولم يذكر الواو فى (لكل أمة) بخلاف ما تقدم لأن تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النساءك فعطف على أخواتها . وهذه وقعت مع أبعاد عن معناها فلم تجد معطفا .

(٨) مر بيانه . وهو رد لقول من يقول إن الذبح ايس بشرية الله إذ هو شريعة كل أمة .

(٩) عاملون به .

فَلَا يَنْزِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ ^(١) وَأَدْعُ ^(٢) إِلَىٰ رَبِّكَ ^(٣) إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ^(٤)
وَأِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ ^(٥) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ^(٦) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ^(٧) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ^(٨) إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ^(٩) إِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ^(١٠)

(١) (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك . والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك
(في الأمر) أمر الذبائح أو الدين . نزلت حين قال المشركون للمسلمين : ما لكم تأكلون ما قتلتم
ولا تأكلون ما قتل الله ؟ يعني الميتة .

(٢) (وادع) الناس .

(٣) إلى عبادة ربك .

(٤) طريق قويم .

(٥) (وإن جادلوك) مرأى وتعتنا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك ألا يكون بينك وبينهم
تنازع وجدال .

(٦) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول . والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون
عليها من الجزاء فهو مجازيكم به . وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين ، وتأديب يحاسب به
كل متعنت .

(٧) هذا خطاب من الله للؤمنين والكافرين ، أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ،
ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقي منهم .

(٨) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث
في السموات والأرض .

(٩) الموجود فيهما .

(١٠) في اللوح المحفوظ .

(١١) أى علمه بجميع ذلك عليه يسير .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ
 وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (١) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ
 فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا
 قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَنِ ذَلِكُمْ (٢) النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسَسُ
 الْمَصِيرُ (٣) يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مِثْلِ فَاسْتَمِعُوا لَهُ (٤) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ

(١) أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) حجة وبرهانا. (ينزل) مكى وبصرى.

(٢) أى لم يتمسكوا فى عبادتهم لها ببرهان سماوى من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلى.

(٣) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم.

(٤) يعنى القرآن.

(٥) الإنكار بالعبوس والكراهة. والمنكر مصدر.

(٦) يبطشون. والسطو الوثب والبطش.

(٧) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(٨) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم، أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب

ما تلى عليكم.

(٩) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال: ما هو؟ ف قيل (النار) أى هو النار.

(١٠) استئناف كلام.

(١١) النار.

(١٢) لما كانت دعواهم بأن الله تعالى شريكا جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الأمثال

المسيرة قال الله تعالى (يأتياها الناس ضرب مثل) يين.

(١٣) لضرب هذا المثل.

(١٤) يدعون) سهل ويعقوب.

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ^(١) وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا ^(٢)
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ^(٣) ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ^(٤) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ ^(٥) إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ^(٦) اللَّهُ يَصْطَفِي ^(٧) مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ^(٨)

(١) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) . (لن) لتأكيد نفى المستقبل . وتأكيده هنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال أن يخلقوا . وتخصيص الذباب لمهانتهم وضعفه واستقذاره . وسمى ذبابا لأنه كلما ذُبَّ لاستقذاره ، أب لاستجاره .

(٢) خلق الذباب . ومحلّه النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقهم وتعاونهم عليه . وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلهية — التي تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها — صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله (ولو اجتمعوا) لذلك .

(٣) (شيئا) ثانى مفعولى (يسلبهم) .

(٤) أى هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعرقان ورءوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه .

(٥) (ضعف الطالب) أى الصنم يطلب ما سلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب . وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف . ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب .

(٦) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له .

(٧) أى إن الله قادر وغالب . فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به . أو (لقوى) بنصر أوليائه ، (عزيز) ينتقم من أعدائه .

(٨) يختار .

(٩) كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم .

وَمِنَ النَّاسِ ^(١) إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ^(٢) بَصِيرٌ ^(٣) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ^(٤)
وَأَلَى اللَّهِ تَرْجِعُ ^(٥) الْأُمُورُ ^(٦) يَتَأَيَّأُ ^(٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا ^(٨) وَاسْجُدُوا ^(٩)
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ^(١٠) وَأَفْعَلُوا ^(١١) الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ ^(١٢) تَفْلِحُونَ ^(١٣) وَجَاهِدُوا ^(١٤)

(١) (ومن الناس) رسلا كل براهم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام . هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين : ملك وبشر . وقيل نزلت حين قالوا (أنزل عليه الذكر من بيننا) .

(٢) (إن الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته . أو (سميع) لأقوال الرسل فيما تقبله العقول (بصير) بأحوال الأمم في الرد والقبول .

(٣) (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) ما لم يأت . أو ما عملوه وما سيعملونه . أو أمر الدنيا وأمر الآخرة .

(٤) أى إليه مرجع الأمور كلها . (ترجع) شامى وحزمة وعلى . والذى هو بهذه الصفات (لا يسأل عما يفعل) . وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله .

(٥) (اركعوا واسجدوا) في صلاتكم . وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود . وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة .

(٦) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم .

(٧) قيل لما كان للذكر منزلة على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات . وقيل أريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق .

(٨) أى كى تفوزوا . أو افعلوا هذا كله وأتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم .

(٩) أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر . أو هو كلمة حق عند أمير جائر .

فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
 حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا
 لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

(١) أى فى ذات الله ومن أجله .

(٢) وهو ألا يخاف فى الله لومة لائم . يقال هو حق عالم وجدد عالم أى عالم حقا وجددا ،
 ومنه (حق جهاده) وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون
 بأدنى ملائمة واختصاص . فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله
 صحت إضافته إليه . ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا *

(٣) اختاركم لدينه ونصرته .

(٤) (وما جعل عليكم فى الدين من) ضيق . بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة
 والصلاة والصوم والحج بالتميم وبالإيماء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد
 والراحلة .

(٥) أى اتبعوا (ملة أبيكم) . أو نصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم . وسماء
 أبا وإن لم يكن أبا للأمة كلها لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأئمة ، لأن
 أمة الرسول فى حكم أولاده . قال عليه السلام " إتما أنا لكم مثل الوالد " .

(٦) (هو) أى الله بدليل قراءة أبى (الله سماكم المسلمين من قبل) فى الكتب المتقدمة
 (وفى هذا) أى فى القرآن . أى فضلكم على سائر الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم .

(٧) (شهيذا عليكم) أنه قد بلغكم رسالة ربكم .

(٨) بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم .

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَى
وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤﴾

(١) وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة (فأقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها .

(٢) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة .

(٣) أى مالكم وناصركم ومتولى أموركم .

(٤) (فنعمة المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بمصيانكم (ونعم النصير) أى الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مرلاه وناصره . والله الموفق للصواب .

سورة المؤمنون مكية

وهي مائة وثمان عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ^(١) ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ^(٢) ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ^(٣) ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ^(٤) ﴿٤﴾

(١) (قد) نقيضة لما، هي تثبت المتوقع ولما تنفيه. وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة. وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم. نحو طربوا بما دل على ثبات ما توقعوه. والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب. أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا. والإيمان في اللغة التصديق. والمؤمن المصدق لغة. وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين موطنًا قلبه لسانه فهو مؤمن. قال عليه السلام "خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مرء" لأنه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية.

(٢) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح. وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والإعراض عما سواها، وألا يجاوز بصره مصلاها ولا يلتفت ولا يعبت ولا يسدل ولا يفرق أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك. وعن أبي الدرداء: هو إخلاص المقال، وإعظام المقام، واليقين التام، وجمع الاهتمام. وأضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلي له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عذته وذخيرته. وأما المصلي له فغنى عنها.

(٣) (الغفو) كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل. يعني أن لهم من الجهد ما شغلهم عن الهزل. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو يجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف.

(٤) مؤدون. ولفظ (فاعلون) يدل على المداومة بخلاف مؤدون. وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج منه المزكي من النصاب إلى الفقير، وعلى المعنى وهو فعل

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ^(١) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ^(٢) أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ^(٣)
فِيئَتِهِمْ غَيْرِ مَلُومِينَ^(٤) فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^(٥)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ^(٦) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ^(٧)

المزكى الذى هو الترية وهو المراد هنا . بفعل المزيك فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما . تقول للضارب والقاتل والمزكى فعل الضرب والقتل والترية . ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء . ودخل اللام لتقدم المفعول ، وضعف اسم الفاعل في العمل فإتق قول : هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد .
(١) الفرج يشمل سوء الرجل والمرأة .

(٢) في موضع الحال . أى الآولين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك : كان زياد على البصرة أى واليا عليها . والمعنى أنهم (لفروجهم حافظون) في جميع الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريمهم . أو تعلق (على) بمحذوف يدل عليه (غير ملومين) كأنه قيل يلامون (إلا على أزواجهم) أى يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم (فإنهم غير ملومين) عليه . وقال الفراء (إلا) من (أزواجهم) أى زوجاتهم .

(٣) أى إمامهم ولم يقل من لأن المملوك جرى مجرى غير العقلاء . ولهذا يباع كما تباع البهائم .

(٤) أى لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمامهم .

(٥) (فمن) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون في العدوان . وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة .

(٦) (لأمتنهم) مكي وسهل . سمي الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا . ومنه قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) . وإمتا تؤدى العيون لا المعانى . والمراد به العموم فى كل ما أؤتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق .

(٧) حافظون . والراعى القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعى الغنم .

(٨) (والذين هم على صلواتهم) - كوفى غير أبى بكر - (يحافظون) يداومون فى أوقاتها .

أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً
 (٣) (٢) (١) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها . أو لأنها وحدثت أولاً
 ليفاد الخشوع في جنس الصلاة آية صلاة كانت . وجمعت آخرها ليفاد المحافظة على أنواعها
 من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل .

(١) (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحققاء بأن يسموا ورثانا دون
 من عداهم . ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفارة (الفردوس) . في الحديث
 ” ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار . فإن مات ودخل الجنة
 ورث أهل النار منزله . وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله“ .

(٢) هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر . وقال قطرب : هو أعلى الجنان .

(٣) أنت الفردوس بتأويل الجنة .

(٤) أي آدم .

(٥) (من) للابتداء . والسلالة الخلاصة لأنها تسلب من بين الكدر . وقيل إنما سمى
 التراب الذي خلق آدم منه سلالة لأنه سلب من كل تربة .

(٦) (من) للبيان كقوله (من الأوثان) .

(٧) أي نسله . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . لأن آدم عليه السلام لم يصر
 نظفة . وهو كقوله (وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) .
 وقيل (الإنسان) بنو آدم والسلالة النطفة . والعرب تسمى النطفة سلالة . أي (ولقد خلقنا
 الإنسان من سلالة) يعني من نطفة مسلوولة (من طين) ، أي من مخلوق من طين وهو آدم
 عليه السلام .

(٨) ماء قليلا .

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ^(٢) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ^(٣) نَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مَضْغَةً ^(٤)
 نَخَلَقْنَا أَلْمَضْغَةَ عِظْمًا ^(٥) فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ^(٦) ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ^(٧)
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ^(١٢)

(١) مستقر . يعنى الرحم .

(٢) حصين .

(٣) أى صيرناها — بدلالة تعديه إلى مفعولين والخلق يتعدى إلى مفعول واحد —
 قطعة دم . والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء .

(٤) لحما قدر ما يمضغ .

(٥) فصيرناها عظاما .

(٦) فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس . (عظما، العظم) شامى وأبو بكر . (عظما، العظام) زيد
 عن يعقوب . (عظاما، العظم) عن أبى زيد . وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان
 ذو عظام كثيرة .

(٧) الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور .

(٨) أى (خلقا) مابيننا للخلق الأول حيث جعله حيوانا وكان جمادا ، وناطقا وسميعا وبصيرا
 وكان بضد هذه الصفات . ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد
 الفرج لأنه خلق آخر سوى البيضة .

(٩) فتعالى أمره في قدرته وعلمه .

(١٠) بدل أو خبر مبتدأ محذوف . وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه

عوض من من .

(١١) المقدرين . أى أحسن المقدرين تقديرا . فترك ذكر المميز لدلالة (الخالقين) عليه .
 وقيل إن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل إملائه
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت . فقال يهد الله إن كان مجد نبيا
 يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلى . فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح . وقيل هذه الحكاية غير
 صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية . وقيل القائل عمر أو معاذرضى الله عنهما .

(١٢) بعد ما ذكرنا من أمركم .

لَمَيِّتُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ
 سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿٤﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ
 بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ تَحْيِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

(١) لميتون) عند انقضاء آجالكم .

(٢) تحيون للجزاء .

(٣) جمع طريقة. وهي السموات لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم .

(٤) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها .
 أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلاً عنهم
 وعمّا يصاحبهم .

(٥) مطرا .

(٦) بتقدير يسامون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم .

(٧) (فأسكناه في الأرض) كقوله (فسلكه ينابيع في الأرض) . وقيل جعلناه ثابتا
 في الأرض . فساء الأرض كله من السماء . ثم استأدى شكرهم بقوله (وإننا على ذهاب به
 لقادرون) أي كما قدرنا على إزاله تقدر على إذهابه . فقيّدوا هذه النعمة بالشكر .

(٨) بالماء .

(٩) في الجنات .

(١٠) سوى التخييل والأعناناب .

(١١) (ومنها) أي من الجنات أي من ثمارها . ويجوز أن هذا من قولهم : فلان يأكل من حرفة
 يحترفها ومن صنعة يغتلبها أي أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات
 وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتتعيشون .

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٤﴾
 وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٦﴾

(١) عطف على (جنات) وهي شجرة الزيتون .

(٢) طور سيناء وطور سينين لا يخلو إقما أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإقما أن يكون اسما للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس . وهو جبل فلسطين . و(سيناء) غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الجحازي وأبي عمرو ، للتعريف والعجمة ، أو مفتوحها كقراءة غيرهم ، لأن الألف للتأنيث كصحراء .

(٣) قال الزجاج : الباء للخال أي (تنبت) ومعها الدهن . (تنبت) مكى وأبو عمرو إقما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله حتى إذا أنبت البقل . أو لأن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن .

(٤) أي إدام لهم . قال مقاتل : جعل الله تعالى في هذه إداما ودهنا . فالإدام الزيتون والدهن الزيت . وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان .
 وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للنافع .

(٥) جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم .

(٦) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر . وسقى وأسقى لغتان .

(٧) أي نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا .

(٨) (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الألبان وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار .

(٩) أي لحومها .

(١٠) (وعليها) وعلى الأنعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم . وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر . قال ذو الرمة * سفينة برتحت خدى زمامها * يريد ناقته .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهٍ غَيْرِهِ ^(٢)
 أَفَلَا تَتَّقُونَ ^(٣) فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ^(٤)
 فِيءِ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ^(٥) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ ^(٦) حَتَّىٰ حِينٍ ^(٦)

(١) وحدوه .

(٢) (مالككم من إله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ . والجملتان استئناف
 تجرى مجرى التعليل للأمر بالعبادة .

(٣) أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالفكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق
 العبادة في شيء .

(٤) (فقال) أشرا نهم لعواقبهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) يأكل ويشرب يطلب الفضل
 عليكم ويتأس (ولو شاء الله) لإرسال رسول لأرسل (ملائكة ما سمعنا بهذا) أى بإرسال
 بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا . والعجب منهم أنهم رضوا بالأنوذية
 للهجر ، ولم رضوا بالنبوة للبشر .

(٥) جنون .

(٦) فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره . فإن أفاق من جنونه وإلا
 قتلوه .

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ (١) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا (٢)
وَوَحَيْنَا (٣) فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (٤)

(١) لما أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم . والمعنى أهلكتهم بسبب تكذيبهم
إياي ، إذ في نصرته إهلاكم . أو (انصرنى) بدل (ما كذبون) كقولك هذا بذاك أى بدل
ذاك . والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصره عليهم .

(٢) أى أجبنا دناءه (فأوحينا إليه) .

(٣) أى تصنعه وأنت وائق بحفظ الله لك ورؤيته إياك ، أو بحفظنا وكلاءتنا كأن معك
من الله حفاظا يكلثونك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عمالك . ومنه قولهم :
عليه من الله عين كالئة .

(٤) أمرنا وتعليمنا إياك صنعها . روى أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جرجؤ
الطائر .

(٥) أى عذابنا بأمرنا .

(٦) أى فار الماء من تنور الخبز . أى أخرج سبب الغرق ، من موضع الحرق ، ليكون
أبلغ في الإنذار والاعتبار . روى أنه قيل لنوح : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت
ومن معك فى السفينة . فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار
إلى نوح . وكان من حجارة . واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة . وقيل بالشام .
وقيل بالهند .

(٧) فادخل فى السفينة (من كل زوجين) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى
كالجمال والنوق والحصن والرمالك (اثنين) واحد من زوجين كالجمال والفاة والحصان والرمكة .
روى أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض . (من كل) حفص والمفضل . أى من كل أمة (زوجين
اثنين) . و (اثنين) تأكيد وزيادة بيان .

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُحَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
 مُغْرَقُونَ ﴿٣﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿١١﴾

(١) ونسألك وأولادك .

(٢) (إلا من سبق عليه القول) من الله بإهلاكه . وهو ابنه وإحدى زوجته . بغيره
 بعلى مع سبق الضار كما جرى باللام مع سبق النافع في قوله (وقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)
 ونحوها (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

(٣) ولا تسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم .

(٤) فإذا تمكنتم عليها راكبين .

(٥) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم . ولم يقل فقولوا وإن كان (فإذا استويت أنت
 ومن معك) في معنى إذا استويت لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم ، مع ما فيه من الإشعار
 بفضل النبوّة .

(٦) (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها .

(٧) أى أنزلا أو موضع أنزال (منزلا) أبو بكر أى مكانا .

(٨) البركة في السفينة النجاة فيها ، وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات .

(٩) فيما فعل بنوح وقومه .

(١٠) لعبرا ومواعظ .

(١١) (إن) هي المخففة من المثقلة . واللام هي الفارقة بين النافية وبينها . والمعنى وإن
 الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه
 الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى (ولقد تركناها آية فهل من مدكر) .

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ ءَاتَرَفْنَا لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢)

(١) خلقنا .

(٢) من بعد قوم نوح .

(٣) هم عاد قوم هود . ويشهد له قول هود (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) ، ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء .

(٤) الإرسال يعنى بلى . ولم يعد بى هنا وفى قوله (كذلك أرسلناك فى أمة) (وما أرسلنا فى قرية) . ولكن الأمة والقرية جعلت موضعاً للإرسال كقول رؤية * أرسلت فيها مصعباً ذا إقام * .

(٥) هو هود .

(٦) من قومهم .

(٧) (أن) مفسرة لأرسلنا ، أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) .

(٨) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الأعراف وهود بغيره وأولاً لأنه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه؟ فقيل له قالوا كيت وكيت . وههنا مع الواو لأنه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل . وليس يجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه . ولم يكن بالفاء وجىء بالفاء فى قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع عقبيه .

(٩) صفة للآء أو لقومه .

(١٠) أى بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك .

(١١) ونعمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد .

(١٢) أى النبي .

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ^(١)
 وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا نَحَسِرُونَ^(٢) أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمُ^(٣)
 وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ^(٤) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ^(٥)
 إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ^(٦)

(١) أى منه . فحذف لدلالة ما قبله عليه . أى من أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ؟

(٢) (وائن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم به وينهاكم عنه .

(٣) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم .

(٤) (نحسرون) بالانقياد لمثلكم . ومن حققهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم .

(٥) بالكسر نافع وحمة وعلى وحفص . وغيرهم بالضم .

(٦) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب ، وثنى (أنكم) لنا كيد . وحسن ذلك

للفصل بين الأول والثاني بالظرف . و (مخرجون) خبر عن الأول . والتقدير (أيعدكم) أنكم مخرجون (إذا ممتم وكنتم ترابا وعظاما) .

(٧) (هيات) بكسر التاء يزيد . وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما . والكسائي يقف بالهاء

وغيره بالتاء . وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضممر أى بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب . أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أى بعد ما توعدون من البعث .

(٨) (هى) ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه . وأصله إن الحياة (إلا حياتنا

الدنيا) . ثم وضع (هى) موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها وبينها . والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة التى نحن فيها وندنت منا . وهذا لأن (إن) النافية دخلت على (هى) التى فى معنى الحياة الدالة

على الجنس فنفتها فوازنت لا التى لنفى الجنس .

(٩) أى يموت بعض ويولد بعض ، ينقرض قرن فىأتى قرن آخر . أو فيه تقديم وتأخير

أى نحيا ونموت . وهو قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما .

(١٠) (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت .

إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٤﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٥﴾ فَأَخَذْتَهُمُ
 الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ﴿٦﴾ فَعَلَعَلْنَهُمْ عِثَاءً ﴿٧﴾ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ
 بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٩﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَشْخِرُونَ ﴿١٠﴾

(١) أى ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنائه له وفيما يعدنا من البعث .

(٢) بمصدقين .

(٣) أجاز الله دعاء الرسول بقوله (قال عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) . قليل صفة
 للزمان كقديم وحديث فى قولك : ما رأيتَه قديماً ولا حديثاً . وفى معناه عن قريب .
 و (ما) زائدة . أو بمعنى شىء أو زمن . و (قليل) بدل منها . وجواب القسم المحذوف (ليصبحنَّ
 نادمين) إذا عاينوا ما يحل بهم .

(٤) أى صيحة جبريل . صاح عليهم فدمرهم .

(٥) بالعدل من الله . يقال : فلان يقضى بالحق أى بالعدل .

(٦) شبههم فى دمارهم بالغيث وهو حميل السيل مما يلى واسودت من الورق والعيان .

(٧) فهلاكها . يقال بعد بَعْدًا أو بَعْدًا أى هلك . وهو من المصادر المنصوبة بأفعال

لا يستعمل إظهارها .

(٨) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو (هيت لك) .

(٩) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم .

(١٠) (من) صلة أى ما تسبق أمة .

(١١) (أجلها) المكتوب لها والوقت الذى حدّ لهلاكها وكتب .

(١٢) لا يتأخرون عنه .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى
وَإِخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١٣﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ ﴿١٤﴾

(١١) فعلى . والألف للتأنيث كسكرى لأن الرسل جماعة . ولذا لا ينون لأنه غير منصرف .
(تترى) بالتنوين مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى . وهو نصب على الحال
في القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد . وتأؤها فيهما بدل من الواو . والأصل وترى
من التوروهو الفرد . فقلبت الواو تاء كتراث .

(١٢) الرسول يلبس المرسل والمرسل إليه . والإضافة تكون بالملابسة فتصح إضافته
إليهما .

(١٣) (فاتبعنا) الأمم والقرون (بعضهم بعضا) في الهلاك .

(١٤) أخبارا يسمع بها ويتعجب منها . والأحاديث تكون اسم جمع للحديث . ومنه
أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام . وتكون جمعا للأحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا
وتعجبا . وهو المواد هنا .

(٥) بدل من (إخاه) .

(٦) (آياتنا) التسع .

(٧) وحجة ظاهرة .

(٨) امتنعوا عن قبول الإيمان ترفعا وتكبيرا .

(٩) متكبرين مترفعين .

(١٠) البشريكون واحدا وجمعا . ومثل وغير يوصف هما الاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث .

(١١) أى بنو إسرائيل .

(١٢) خاضعون مطيعون ، وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب .

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ^(١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ^(٢)
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ^(٣) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ^(٤) وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ^(٥)
ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(٦) يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ^(٧) وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ^(٨)

(١) (من المهلكين) بالفرق .

(٢) أى قوم موسى .

(٣) التوراة .

(٤) يعملون بشرائعها ومواعظها .

(٥) آية (تدل على قدرتنا على ما نشاء لأنه خالق من غير نطفة . وحده لأن الأعجوبة في ما

واحدة . أو المراد (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمة) آية خذفت الأولى لدلالة الثانية عليها .

(٦) جعلنا مأواهما أى منزلها . (إلى ربوة) — شامى وعاصم (ربوة) غيرهما — أى أرض

مرتفعة . وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر .

(٧) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء . يعنى أنه لأجل الثمار يستقر

فيها ساكنوها .

(٨) وماء ظاهر جار على وجه الأرض . وهو مفعول أى مدرك بالعين بظهوره ، من عانه

إذا أدركه بعينه . أو فعيل لأنه نفاع بظهوره وبحريه من الماعون وهو المنفعة .

(٩) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة . وإنما

المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودى بذلك ووصى به ، ليعتقد السامع أن أمرا

نودى له بجميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه . أو هو خطاب لمحمد عليه

الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم . أو لعيسى عليه

السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات . والمراد

بالطيبات ما حل . والأمر للتكليف . أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفيه والإباحة .

(١٠) موافقا للشريعة .

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ^(١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ^(٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^(٣) فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ^(٤) أَيُّهُمْ أَتَمَّا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينٍ ^(٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ^(٦)

(١) (إني بما تعملون عليم) فأجازيكم على أعمالكم .

(٢) كوفي على الاستئناف . (وإن) حجازي وبصري بمعنى ولأن . أي (فاتقون) لأن هذه . أو معطوف على ما قبله أي (بما تعملون عليم) وبأن هذه . أو تقديره (و) اعلموا (أن هذه) .
(٣) أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ملة واحدة وهي شريعة الإسلام . وانتصاب (أمة) على الحال . والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الإسلام . ومثله (إن الدين عند الله الإسلام) .

(٤) (وأنا ربكم) وحدي نخافوا عقابي في مخالفتكم أمرى .

(٥) تقطع بمعنى قطع . أي قطعوا أمر دينهم (زبورا) جمع زبور أي كتباً مختلفة . يعني جعلوا دينهم أديانا . وقيل تفرقوا في دينهم فرقا كل فرقة تتحلل كتابا . وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرّفوه وقرئ (زبرا) جمع زبرة أي قطعا .

(٦) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب والدين ، أو من الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون أنهم على الحق .
(٧) جهالتهم وغفاتهم .

(٨) أي إلى أن يقتلوا أو يموتوا .

(٩) (ما) بمعنى الذي . وخبر أن (نسارع لهم في الخيرات) . والعائد من خبر أن إلى اسمها محذوف أي نسارع لهم به . والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي وهم يحسبونه مسارة لهم في الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صديقتهم . وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له في الدين . وقد أحرر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح .

بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ
 هُمْ بِعَايَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ
 يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ لَهُمْ ﴿٥﴾ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ
 يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٧﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٨﴾
 وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا

(١) (بل) استدراك لقوله (أي يحسبون) أي أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراج أو مسارعة في الخير. ثم بين ذكر أوليائه فقال (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون .

(٢) أي بكتب الله كلها لا يفترقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكجاب .

(٣) (لا يشركون) كمشركي العرب .

(٤) أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات. وقرئ (يأتون ما أتوا) بالتصغر، أي يفعلون ما فعلوا .

(٥) خائفة ألا تقبل منهم لتقصيرهم .

(٦) الجمهور على أن التقدير لأنهم .

(٧) يرغبون في الطاعات فيبادرونها . خبر (إن الذين) .

(٨) أي لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس .

(٩) أي طاقتها. يعني أن الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة . وكذلك كل ما كلفه عباده . وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق .

(١٠) أي اللوح أو صحيفة الأعمال .

(١١) لا يقرءون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا

يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به .

(١٢) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين .

وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا
 مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ﴿٤﴾ لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا
 لَا تُنصَرُونَ ﴿٦﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاذْكُرُوا عَاقِبَتَكُمْ
 تَتَكَبَّرُونَ ﴿٨﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ
^(١١)

- (١) أى ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك ، أى لما وصف به المؤمنون .
 (٢) (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب .
 (٣) متنعمهم . و (حتى) هى التى يتبدأ بعدها الكلام . والكلام الجملة الشرطية .
 (٤) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام ، أو قتلهم يوم بدر .

- (٥) (يجارون) يصرخون استغاثة . والجوار الصراخ باستغاثة . فيقال لهم : (لا تجاروا اليوم) .
 فان الجوار غير نافع لكم .
 (٦) (إنكم منا) أى من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة .
 (٧) أى القرآن .

- (٨) ترجمون الفهقرى . والنكوص أن يرجع الفهقرى وهو أقيح مشبه لأنه لا يرى
 ما وراءه .

- (٩) متكبرين على المسلمين . حال من (تتكصون) .

- (١٠) (به) بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون : لا يظهر علينا أحد لأننا أهل الحرم . والذى
 سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت . أو بآياتي لأنها فى معنى كتابي . ومعنى استكبارهم
 بالقرآن تكذيبهم به استكبارا . ضمن (مستكبرين) معنى مكذبين فعدى تعديته . أو يتعلق الباء
 بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه . وكانوا يجتمعون حول آييت يسمرون .
 وكانت عاقبة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا . والسامر نحو الحاضر فى الإطلاق على
 الجمع . وقرئ (سمارا) . أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان . (تهجرون) نافع من أهرج
 فى منطقته إذا أخش .

- (١١) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المدين فيصدقوا به وبمن جاء به .

أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ^(١) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ ^(٢)
 مُنْكَرُونَ ^(٣) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ ^(٤) وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ
 كَاذِبُونَ ^(٥) وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ^(٦)
 وَمَنْ فِيهِنَّ ^(٧) بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ ^(٨) فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ^(٩)

(١) بل أجاؤهم ما لم يأت آباؤهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه .

(٢) (أم لم يعرفوا) مجدا بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الأخلاق ؟
 أى عرفوه بهذه الصفات .

(٣) (فهم له منكرون) بغيا وحسدا .

(٤) (أم يقولون به جنة) جنون ؟ وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلا
 وأنقهم ذهنا .

(٥) (بل جاءهم بالحق) الأبلج ، والصراط المستقيم ، وبما خالف شهواتهم وأهواءهم
 وهو التوحيد والإسلام ولم يجحدوا له مرقا ولا مدفعا فلذلك نسبوه إلى الجنون .

(٦) فيه دليل على أن أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للإيمان به أنفة واستنكافا
 من توبيخ قومه وأن يقولوا صبا وترك دين آبائهم كأبي طالب .

(٧) (ولو اتبع الحق) أى الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (لفسدت السموات
 والأرض) كما قال (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) .

(٨) خص العقلاء بالذكر لأن غيرهم تبع .

(٩) بالكتاب الذى هو ذكركم ، أى وعظهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن
 بلغتهم . أو بالذكر الذى كانوا يمتنون به ويقولون (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) الآية .

(١٠) (فهم عن ذكركم معرضون) بسوء اختيارهم .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ نَحْرًا نَخْرَاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ^(١) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٢) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ
 لَنَسَكِبُونَ ^(٣) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ^(٤) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ^(٥)
 حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُوتٌ ^(٥)

(١) (نحرجا نخراج) حجازى وبصرى وعاصم . (نحرجا نخرج) شامى (نحراجا نخراج) على
 وحمة . وهو ما تخرجه إلى الأمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجمله . والخرج
 أخص من الخراج . تقول خراج القرية ونخرج الكردة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى . ولذا حسنت
 القراءة الأولى يعنى (أم تسألهم) على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق ، فالكثير من الخالق خير .

(٢) أفضل المعطين .

(٣) (وإنك تدعوهم إلى صراط مستقيم) وهو دين الإسلام تحقيق أن يستجيبوا لك .

(٤) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم .

(٥) لما أخذهم الله بالسيف حتى أكلوا العاهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال له : أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال بلى . فقال قتل
 الآباء بالسيف والأبناء بالجوع . فترلت (ولو رحمتهم) . والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر
 وهو القحط الذى أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (لجؤا) أى تمادوا (فى طغيانهم
 يعمهُون) يترددون . يعنى لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه . واستشهد على ذلك بأننا (أخذناهم)
 أولا بالسيف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك
 منهم استكانة ، أى خضوع ولا تضرع — وقوله (وما يتضرعون) عبارة عن دوام حالهم أى
 هم على ذلك بعد . ولذا لم يقل وما تضرعوا . ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾
 وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
 الْأَوَّلُونَ ﴿٩﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٩﴾

من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال — (حتى إذا فتحنا عليهم
 بابا ذا عذاب شديد) أى باب الجوع الذى هو أشد من الأسر والقتل (إذا هم فيه مبلسون)
 متحيرين آيسون من كل خير ، وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد ليستعطفك .
 أو محنائهم كل محنة من القتل والجوع فما روى فيهم لين مقادة . وهم كذلك حتى إذا عذبوا
 بنار جهنم حينئذ يأسون كقوله (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) . (فتحنا) يزيد .

(١) خصها بالذكر لأنها يتعلق بها من المنافع الدينية والدينيوية ما لا يتعلق بغيرها .

(٢) أى تشكرون شكرا قليلا . و(ما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقا . والمعنى إنكم لم تعرفوا
 عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله
 ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئا .

(٣) خلقكم وبشكم بالتناسل .

(٤) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم .

(٥) أى يحيى النسم بالإنشاء ، ويميتها بالإفناء .

(٦) أى يحيى أحدهما عقيب الآخر ، واختلافهما فى الظلمة والنور أو فى الزيادة
 والنقصان . وهو مختص به ولا يقدر على تصریفهما غيره .

(٧) (أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصانع على الصانع فتؤمنوا .

(٨) أى أهل مكة .

(٩) (مثل ما قال الأولون) أى الكفار قباهم . ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أنذا متنا وكنا
 ترابا وعظما أئنا لمبعوثون) . (متنا) نافع وحزمة وعلى وحفص .

لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ^(١) إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾
 قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
 يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٧﴾

(١) أى البعث .

(٢) من قبل مجيء محمد .

(٣) (أساطير) جمع أسطار جمع سطر وهى ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له . وجمع أسطور
 أوفق . ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجّة على المشركين بقوله (قل لمن الأرض
 ومن فيها إن كنتم تعلمون) ؟ فإنهم (سيقولون لله) لأنهم مقرّون بأنه الخالق . فإذا قالوا (قل
 أفلا تذكرون) فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا
 بالألا يُشرك به بعض خلقه فى الربوبية . (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص .
 وبالتشديد غيرهم .

(٤) أفلا تخافونه فلا تشركوا به ؟ أو (أفلا تتقون) فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم
 بقدرته على خلق هذه الأشياء .

(٥) الملكوت الملك . والواو والتاء للبالغة فتنبئ عن عظم الملك .

(٦) أجزت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته . يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء
 ولا يغيث أحد منه أحدا .

(٧) تخدعون عن الحق أو عن توحيد وطاعته . والخادع هو الشيطان والهوى .

الأول (لله) بالإجماع إذ السؤال (لمن) وكذا الثانى والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى
 لأنك إذا قلت من رب هذا فعنائه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر :

إذا قيل من ربّ المزالف والقرى وربّ الجياد الجرد ، قيل لخالد

أى لمن المزالف . ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لأنك إذا قلت من ربّ هذا بجوابه فلان .

بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ
 مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ
 اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾
 قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٤﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

(١) بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل .

(٢) (وإنهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا ودعائهم الشرك . ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لأنه منزّه عن النوع والجنس . وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من إله) وليس معه شريك في الألوهية . (إذا لذهب كل إله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذي خلقه فاستبد به ، وتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر ، (ولعل بعضهم على بعض) وغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون . وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء . ولا يقال (إذا) لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع (لذهب) جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل ، لأن الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة (وما كان معه من إله) عليه . وهو جواب لمن حاجه من المشركين .

(٣) (سبحان الله عما يصفون) من الأنداد والأولاد .

(٤) بالجر صفة لله . وبالرفع مدنى وكوفى غير حفص خبر مبتدأ محذوف .

(٥) السر والعلانية .

(٦) (فتعالى عما يشركون) من الأصنام غيرها .

(٧) (إمما) والنون مؤكدة . أى إن كان لا بد من أن تريى ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلى قرينا لهم ولا تعدبى بعذابهم . عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله أن له في أمته تقمة ولم يخبره متى وقتها . فأمر أن يدعو هذا الدعاء . ويجوز أن يسأل النبي

وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ^(١) أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ^(٢)
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ^(٣) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ^(٤)
 وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ^(٥) حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ^(٦)

المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعذ به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه. واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك. والفاء في (فلا) لجواب الشرط . و (رب) اعتراض بينهما للتأكيد .

(١) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتُم فما وجه هذا الإنكار ؟

(٢) (ادفع) الخصلة (التي هي أحسن السيئة) . وهو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة . والمعنى اصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هي شهادة أن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك . أو الفحش بالسلام ، أو المنكر بالموعظة . وقيل هي منسوخة بأية السيف . وقيل محكمة إذا المداراة مَحْثُوثٌ عليها ما لم تؤد إلى نلم دين .

(٣) (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك — أو بوصفهم لك وسوء ذكركم — فنجازيهم عليه .

(٤) من وسأسهم ونحساتهم . والهمزة النخس . والهمزات جمع الهمزة . ومنه مهماز الرائض ، والمعنى أن الشياطين يَحْثُونَ الناس على المعاصي كما تهمز الراضة الدواب حثاً لها على المشي .

(٥) أمر بالتعوذ من نحساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لسدائه ، وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً ، أو عند تلاوة القرآن ، أو عند النزوع .

(٦) (حتى) يتعلق بـ يصفون . أى لا يزالون يشركون إلى وقت مجيء الموت . أو لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت . وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستهيناً بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويفريه على الانتصار منهم .

قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ^(١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ^(٢)
هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^(٣) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ^(٤)
فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ^(٥) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ^(٦)

(١) أى ردوني إلى الدنيا . خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم نخطاب الملوك .

(٢) فى الموضوع الذى تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبى . قال قتادة ما تممى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط . (لعلى) ساكنة الياء كوفى ومهمل ويعقوب .

(٣) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد .

(٤) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض . وهو قوله (رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) .

(٥) (هو قائلها) لا محالة لا يحلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه .

(٦) أى أمامهم . والضمير للجماعة .

(٧) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا .

(٨) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلى لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة .

(٩) قيل إنها النفخة الثانية .

(١٠) وبالإدغام أبو عمر ولا اجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين . يعنى يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثنين ومعاقبين . ولا يكون التواصل بينهم بالإنسَاب إِذ (يفتر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) . وإنما يكون بالأعمال .

(١١) (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لأن كلاً مشغول عن سؤال صاحبه بحاله . ولا تناقض بين هذا وبين قوله (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) . فللقيامة مواطن فى مواطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى مواطن يفتقون فيتساءلون .

(١٢) جمع موزون وهى الموزونات من الأعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿٣﴾
 أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ
 عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٥﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِدْنَا

(١) (ومن خفت موازينه) بالسيئات . والمراد الكفار .

(٢) غبنوها .

(٣) بدل من (خسروا أنفسهم) ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها . أو خبر
 بعد خبر لأولئك . أو خبر مبتدأ محذوف .

(٤) أى تحرق .

(٥) (كالحون) عابسون . فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أى القرآن (تلى عليكم) فى الدنيا
 (فكنتم بها تكذبون) وترعمون أنها ليست من الله تعالى .

(٦) ملكتنا (شقوتنا) . (شقاوتنا) حمزة وعلى . وكلاهما مصدر . أى شقينا بأعمالنا السيئة
 التى عملناها . وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لأنه إنما يكتب
 ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذى علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبا
 ومضطرا فى الفعل . وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط
 فى أمره فلا يجمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم .

(٧) (ضالين) عن الحق والصواب .

(٨) أى من النار .

(٩) (فإن عدنا) إلى الكفر والتكذيب .

فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١﴾ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٣﴾
 فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٤﴾ إِنِّي
 جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 بِحَبْلٍ مُّوَدَّقٍ ﴿٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنِيَّانَ فَاصْبِرُوا لَهُمْ هُنَّ حَبْلٌ مِّنْ نَّجْوَىٰ لِّأُمَّةٍ
 لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْكُمْ فَجَنِّدُوا نَبِيَّكُمْ وَقُوقُوا السُّيُوفَ وَاصْبِرُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ
 إِنَّكُمْ لَعِنَآئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنِيَّانَ ﴿٧﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ
 فَاصْبِرُوا لَهَا إِنَّهَا لَمِطَةٌ مِّنْ سَمَانٍ مَّحْبُورَةٍ ﴿٨﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ
 السَّمَانِ جَاءًا مُّجْتَمِعًا فَاصْبِرُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ الْآخِرَةُ خَيْرًا لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ
 فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَاظِمَةُ بِالْأُولَىٰ ﴿٩﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ
 السَّمَانِ جَاءًا مُّجْتَمِعًا فَاصْبِرُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ الْآخِرَةُ خَيْرًا لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ
 فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَاظِمَةُ بِالْأُولَىٰ ﴿١٠﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ
 السَّمَانِ جَاءًا مُّجْتَمِعًا فَاصْبِرُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ الْآخِرَةُ خَيْرًا لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ
 فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَاظِمَةُ بِالْأُولَىٰ ﴿١١﴾

(١) فَإِنَّا ظَالِمُونَ) لأنفسنا .

(٢) اسكتوا سكوت ذلة وهوان .

(٣) (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف . قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير .

(أن يحضروني . ارجعوني . ولا تكلموني) بالياء في الوصل والوقف — يعقوب . وغيره

بلا ياء .

(٤) إن الأمر والشأن .

(٥) مفعول ثان . وبالضم مدني وحمة وعلى . وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسبة مبالغة . قيل هم الصحابة رضی الله عنهم . وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم سائرين .

(٦) (حتى أنسواكم) بتشاكلهم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أي كان الشاغل

بهم سببا لنسيانكم ذكرى .

(٧) (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم .

(٨) بصبرهم .

(٩) أي لأنهم هم الفائزون . ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا أي جزيتهم اليوم فوزهم .

لأن جزى يتعدى إلى اثنين (وجزاهم بما صبروا جنة) . (لأنهم) حمزة وعلى على الاستئناف أي (لأنهم هم الفائزون) لا أتم .

(١٠) أي الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة . (قل) مكى وحمزة وعلى أمر لملك أن يسألهم .

(١١) في الدنيا .

عَدَدَ سِنِينَ ﴿١﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنْ
 لَبِئْتُمْ إِلَّا قَابِلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أَخْسِبْتُمْ أَمَّا خَلْقَنَاكُمْ
 عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿٦﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٩﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ

(١) أى كم عدد سنين لبئتم؟ فكلم نصب بلبئتم . و (عدد) تمييز .

(٢) استقصروا مدة لبئهم فى الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ، ولما هم فيه من عذابها لأن
 المُنْحَنَ يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرت عليه من أيام الدعة .

(٣) الحساب ، أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم . (فصل) بلا همز مكى ودلى .

(٤) أى ما (لبئتم إلا) زمنا (قليلًا) أو لبئنا قليلًا (لو أنكم كنتم تعلمون) . صدقهم الله تعالى
 فى تقاليم لسنى لبئهم فى الدنيا ، وويجتهم على غفلتهم التى كانوا عليها . (قُلْ إِنْ) حمزة وعلى .

(٥) حال أى عابثين . أو مفعول له أى للعبث .

(٦) وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلى ويعقوب . وهو معطوف على (أما خلقناكم) .
 أو على (عبثًا) أى (أخسبتم أما خلقناكم) للعبث ولترككم غير مرجوعين ؟ بل خلقناكم
 للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء .

(٧) (فتعالى الله) عن أن يخلق عبثًا .

(٨) الذى يحق له الملك لأن كل شىء منه وإليه . أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه .

(٩) وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه . أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين . وقروى
 شاذًا برفع الكرم صفة للرب تعالى .

(١٠) أى لا حجة له به ، اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد —
 لا أحق بالإحسان منه — فإن الله مثيبه . أو صفة لازمة جىء بها للتوكيد كقولك (يطير
 بيناحيه) لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان .

فِيَايَمَّا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ^(١) إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٠﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ
وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠١﴾

(١) أى جزاؤه (عند ربه) أى فهو يجازيه لا محالة . وهذا جزاء الشرط .

(٢) جعل فاتحة السورة (قد أفلح المؤمنون) وخاتمتها (إنه لا يفلح الكافرون) . فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة . ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) . ثم قال : (وأنت خير الراحمين) لأن رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته .

سورة النور مدنية

وهي ستون وأربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴿٢﴾

(١) خبر مبتدأ محذوف أى هذه (سورة) . وقرأ طلحة (سورة) على زيदा ضربته .
أو على اتل (سورة) . والسورة الجامعة لجمال آيات بقاتحة لها وخاتمة . واشتقاقها من
سور المدينة .

(٢) صفة لها .

(٣) أى فرضنا أحكامها التي فيها . وأصل الفرض القطع أى جعلناها مقطوعاً بها .
وبالتشديد مكى وأبو عمرو للبالغة فى الإيجاب وتوكيده . أو لأن فيها فرائض شتى أو لكثرة
المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم .

(٤) أى دلائل واضحات .

(٥) (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا . وبتخفيف الذال حمزة وعلى وخلف وحفص .
ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء . والخبر محذوف أى فيما فرض
عليكم (الزانية والزاني) ، أى جلدهما . أو الخبر (فاجلدا) . ودخلت الفاء لكون الألف
واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنا فاجلدهما كما تقول
من زنى فاجلده وكقوله (والذين يرمون المحصنات) ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدهم) . وقرأ
عيسى بن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر . وهو أحسن من (سورة أنزلناها) لأجل
الأمر . والجلد ضرب الجلد . وفيه إشارة إلى أنه لا يبلغ الألف إلى اللحم . والخطاب للأئمة
لأن إقامة الحد من الدين . وهى على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منهم .

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ
 إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ

وهذا حكم حرّ ليس بمحصن ، إذ حكم المحصن الرجم . وشرائط إحصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والترقح بنكاح صحيح والدخول . وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لأن الفاء إنما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي . والتغريب المروى مذبوح بالآية كما نسخ الحبس والأذى في قوله (فأمسكوهنّ في البيوت) وقوله (فأذوهما) بهذه الآية .

(١) أى رحمة . والفتح لغة وهى قراءة مكى . وقيل الرأفة فى دفع المكروه والرحمة فى إيصال المحبوب . والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب .

(٢) أى فى طاعة الله أو حكمه .

(٣) من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه . وجواب الشرط مضمر ، أى فاجلدوا ولا تعطلوا الحد .

(٤) وليحضر موضع حدّهما . وتسميته عذابا دليل على أنه عقوبة .

(٥) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا ويتزجر هو . وأقلها ثلاثة أو أربعة . وهى صفة غالبية كأنها الجماعة الحاققة حول شيء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أربعة إلى أربعين رجلا .

(٦) من المصدقين بالله .

(٧) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب فى خبيثة من شكله أو فى مشركة . والخبيثة المساخفة كذلك . لا يرغب فى نكاحها الصالحاء من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين . فالآية تهديد فى نكاح البغايا ، إذ الزنا عدل الشرك فى القبح ، والإيمان قرين العفاف والتحصن . وهو نظير قوله (الخبيثات للخبيثين) . وقيل كان نكاح الزانية محرّما فى أول الإسلام ثمّ نسخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم) . وقيل المراد بالنكاح الوطء لأن غير الزانى يستقذر الزانية ولا يشتهيها . وهو صحيح

وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴿١٢﴾

لكنه يؤدي إلى قولك الزانى لا يزنى إلا بزانية، والزانية لا يزنى بها إلا زان. وسئل صلى الله عليه وسلم عن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال أوله سفاح وآخره نكاح. ومعنى الجملة الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب في العفاف ولكن في الفواجر. ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان. وقدمت الزانية على الزانى أولاً ثم قدم عليها ثانياً لأن تلك الآية سبقت لعقوبتهما على ما جنى. والمرأة هي المأداة التي منها نشأت تلك الجنائية، لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تتمكنه لم يطمع ولم يتمكن. فلما كانت أصلاً في ذلك بدئاً بذكرها. وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه بدء الطلب. وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي. وفي المرفوع أيضاً معنى النهي ولكن أبلغ وأكد. ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتهما جارية على ذلك، وعلى المؤمن ألا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها.

(١١) (وحرّم ذلك) أى الزنا. أو نكاح البغايا لقصد التكبّب بالزنا، أو لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة. ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرّض لاقتراء الآثام؟ فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب؟

(١٢) (المحصنات) بكسر الصاد على. أى يقذفون بالزنا الحرائر والعفاف المسلمات المكلفات. والقذف يكون بالزنا وبغيره. والمراد هنا قذفهنّ بالزنا بأن يقول يازانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشترط أربعة شهداء بقوله (ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء) أى ثمّ لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لأن القذف بغير الزنا بأن يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفى فيه شاهدان وعليه التعزير. وشروط إحصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والعفة عن الزنا. والمحصن كالمحصنة في وجوب حدّ القذف.

(١٣) (فاجلدوهم ثمانين جلدة) إن كان القاذف حرّاً. ونصب (ثمانين) نصب المصادر كما نصب (مائة جلدة). و(جلدة) نصب على التمييز.

(١٤) نكّر (شهادة) في موضع النفي فتمّ كلّ شهادة. وردّ الشهادة من الحدّ عندنا ويتعلق باستيفاء الحدّ أو بعضه على ما عرف. وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلّق ردّ شهادته بنفس القذف. فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي بالحدّ وردّ الشهادة على التأبيد وهو مئة حياتهم.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
 شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴿١٣﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾

(١١) (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية . وقوله (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أى القذف (وأصلحوا) أحوالهم ، استثناء من (الفاسقون) . ويدل عليه (فإن الله غفور رحيم) أى يغفر ذنوبهم ويرحمهم . وحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لأنه عن موجب ، وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم في (لهم) .

(١٢) لما ذكر حكم قذف الأجنبية بين حكم قذف الزوجات . أى يقذفون زوجاتهم بالزنا .

(١٣) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به .

(١٤) يرتفع على البديل من (شهداء) .

(١٥) بالرفع كوفي غير أبى بكر على أنه خبر . والمبتدأ (فشهادة أحدهم) . وغيرهم بالنصب لأنه فى حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو (فشهادة أحدهم) . وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب (شهادة أحدهم أربع شهادات بالله) .

(١٦) (إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا .

(١٧) لاختلاف فى رفع الخامسة هنا فى المشهور . والتقدير (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه) فهى مبتدأ وخبر . (أن لعنة) نافع .

(١٨) (إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا .

وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِأَللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
 الْكَذِبِينَ (٣) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٤)
 وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (٥)

(١) ويدفع عنها الحبس . وفاعل يدرأ (أن تشهد أربع شهادات بالله) .

(٢) إن الزوج .

(٣) (إنه لمن الكاذبين) فيما رماني به من الزنا .

(٤) (إن كان) أي الزوج (من الصادقين) فيما رماني به من الزنا . ونصب حفص
 (والخامسة) عطفًا على (أربع) شهادات . وغيره رفعها بالابتداء . و(أن غضب الله) خبره .
 (أن غضب الله) نافع . و(أن غضب الله) سهل ويعقوب وحفص . وجعل الغضب
 في جانبها لأن النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يكثرن على الإقدام لكثرة
 جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه على قلوبهن . فذكر الغضب في جانبهن ليكون
 رادعا لهن .

والأصل أن اللعان عندنا شهادات مؤكدة بالإيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد النذف
 في حقه ومقام حد الزنا في حتمها ، لأن الله تعالى سمّاه شهادة . فإذا قذف الزوج زوجته بالزنا
 وهما من أهل الشهادة صحّ اللعان بينهما . وإذا التعنا كما بين في النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق
 القاضى بينهما . وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعهما . والفرقة تطليقة بائنة . وعند أبي يوسف
 وزفر والشافعي تحريم مؤبد . ونزلت آية اللعان في هلال بن أمية أو عويمر حيث قال
 وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبتة . فلأعن النبي صلى الله عليه
 وسلم بينهما .

(٥) تفضله .

(٦) نعمته .

(٧) جواب لولا محذوف أي لفضحك أو لعاجلكم بالعقوبة .

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ
 لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ
 لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

(١) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول ما فوقه عن وجهه. والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها. قالت عائشة: فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلوة اليهودج لختي. فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيه وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك في من هلك فاعتلت شهرا. وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت؟ ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبي، أم مسطح. فقالت: تعس مسطح. فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك. فلما سمعت ازدددت مرضا وبت عند أبي لا يرقأ لي دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنّان أن الدمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام «أبشري يا حميراء فقد أنزل الله براءتك» فقلت بحمد الله لا بجمدك.

(٢) جماعة من العشرة إلى الأربعين. واعصو صوبوا اجتمعوا. وهم عبد الله بن أبي راس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم.

(٣) من جماعة المسلمين. وهم ظنّوا أن الإفك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين.

(٤) (لا تحسبوه) أي الإفك (شرا لكم) عند الله (بل هو خير لكم) لأن الله أنابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية. والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين.

(٥) أي على كل امرئ من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه. وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت.

(٦) (والذي تولى كبره) أي عظمه، عبد الله بن أبي — يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال: من هذه؟ فقالوا عائشة فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها — (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم.

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا
وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ^(٢) لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ^(٣)

(١) وتبج الخائضين فقال (لولا) هلا (إذ سمعتموه) أى الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم — فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله (ولا تلمزوا أنفسكم) — (خيرا) عفافا وصلاحا . وذلك نحو ما يروى أن عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها. فلما عصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة؟ وقال عثمان: إن الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل، فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك؟ وكذا قال على رضى الله عنه إن جبريل أخبرك أن على نعليك قدرا وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القدر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش؟ وروى أن أبا أيوب الأنصارى قال لامرأته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوء؟ فقال لا. قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله. فعائشة خير منى وصفوان خير منك. وإتسا عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظنتم بأنفسكم خيرا وقلتم، ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات، وليدل التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضى ألا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن. وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له. وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه ياخوانه.

(٢) كذب ظاهر لا يليق بهما.

(٣) هلا (جاءوا) على القذف لو كانوا صادقين (بأربعة شهداء).

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوَّلَيْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١﴾
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ
 فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ ﴿٥﴾ وَتَقُولُونَ
 بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

(١) (فإذ لم يأتوا بالشهادة) الأربعة (فأولئك) الكاذبون (عند الله) أى فى حكمه وشريعته (هم الكاذبون) لأن الله تعالى جعل التفصيلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها. والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بيّنة على قولهم فكانوا كاذبين .

(٢) (ولولا) هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى (ولولا) أتى قضيت أن أفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جعلتها الإمهال للتوبة، وأن أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك. يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع .

(٣) ظرف (لمسكم) أو لأفضتم .

(٤) يأخذ بعضكم من بعض. يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه .

(٥) أى أت بعضكم كان يقول لبعض : هل بلغك حديث عائشة ؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه .

(٦) إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان . وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) .

(٧) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها .

(٨) صغيرة .

(٩) كبيرة . جزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال : أخاف ذنبا لم يكن منى على بال (وهو عند الله عظيم) .

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا
 بِهَتِّنٌ عَظِيمٌ (١) يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢) (٣)

(١) وهلا .

(٢) فصل بين (لولا) و (قلتم) بالظرف لأن للظروف شأنا وهو تنزلها من الأشياء منزلة
 أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها مالا يتسع في غيرها . وفائدة تقديم
 الظرف أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به . فلما كان ذكر
 الوقت أهم قدم . والمعنى هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا .

(٣) للتعجب من عظم الأمر . ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل أن يسبح الله
 عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه . أو لتزيه الله
 من أن تكون حرمة نبيه فاجرة . وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط
 ولم يجوز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه
 ما ينفهم عنه . والكفر غير منفر عندهم . وأما الكسححة فمن أعظم المنفقات .

(٤) زور يهت من يسمع .

(٥) وذكرفيا تقدم (هذا إفك مبين) . ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبرى .

(٦) في (أن تعودوا) .

(٧) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه .

(٨) مادتم أحياء مكلفين .

(٩) فيه تهيج لهم ليتعضوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصادق عن

كل قبيح .

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ^(١) ^(٢) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ
 الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ^(٣)
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ^(٤) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ
 رَحِيمٌ ^(٥) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ ^(٦)
 خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ ^(٧)
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢)

(١) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة .

(٢) (والله عليم) بكم وبأعمالكم (حكيم) يحزى على وفق أعمالكم . أو علم صدق نزاهتها
وحكم ببراءتها .

(٣) أى ما فبح جدا . والمعنى بشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبة لها .

(٤) (لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحد - ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبى
وحسانا ومسطحا الحد - (والآخرة) بالنار . وعددها إن لم يتوبوا .

(٥) (والله يعلم) بواطن الأمور وسرائر الصدور . أى أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة
وهو معاقبه عليها .

(٦) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم) حيث أظهر براءة المقذوف
وأثاب بغفرانه جنابة القاذف إذا تاب ، لعجل لكم العذاب . وكرر المنة بترك المعالجة
بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ لهم .

(٧) أى آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه .

(٨) فإن الشيطان .

(٩) ما أفرط قبحه .

(١٠) ما تنكره النفوس فتتفر عنه ولا ترتضيه .

(١١) ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة المحخصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من إثم الإفك .

(١٢) يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها .

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(١) وَلَا يَأْتِلُ ^(٢) أُولُوا الْفَضْلِ ^(٣) مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ^(٤) أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٥) وَلِيَعْفُوا ^(٦) وَلِيَصْفَحُوا ^(٦) إِلَّا نَجِحُونَ أَنْ يُغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ^(٧) وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٨) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ^(٩) الْمُؤْمِنَاتِ

(١) (والله سميع) لقولهم (عليم) بضائرهم وإخلاصهم .

(٢) ولا يحلف . من ائتلى إذا حلف ، افتعال من الأتية . أو لا يقصر من الألو .

(٣) (أولو الفضل) في الدين .

(٤) (والسعة) في الدنيا .

(٥) (أن يؤتوا) أى لا يؤتوا إن كان من الأتية . أى لا يحلفوا على ألا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان . أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شغناء بلحناية أقرفوها .






(٦) العفو الستر . والصفح الإعراض . أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة .

(٧) فليضعوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم .

(٨) فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا .

نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدرياً مهاجراً . ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى ، أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته .

(٩) (إن الذين يرمون) العفاف السليبات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يعربن الأمور ، (المؤمنات) هما يجب الإيمان به . عن ابن عباس

لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١)  يَوْمَ تَشْهَدُ ^(٢)  عَلَيْهِمُ السِّنَنُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٣)  يَوْمَئِذٍ ^(٤)  يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ^(٥) 

رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام . وقيل هن جميع المؤمنات . إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وقيل أريدت عائشة رضي الله عنها وحدها . وإنما جمع لأن من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن .

(١) جعل القذفة ماعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا .

(٢) العامل يعذبون .

(٣) وبالياء حمزة وعلى .

(٤) أى بما أفكوا أو بهتوا .

(٥) العامل (يوفيه) .

(٦) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء . ومعنى الحق الثابت الذى هم أهله . وقرأ مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة أبى (يوفيه الله الحق دينهم) . وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفاً لله بأن ينتصب على المدح .

(٧) (ويعلمون) عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم

الضرورى .

ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصى تغليظه في إفك عائشة رضي الله عنها فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذاك إلا لأمر . وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة . وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الإفك . ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها ، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالبحر الذى ذهب يشوبه ، ومريم رضي الله عنها بإنطاق ولدها ، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآى العظام في كتابه المعجز المنقول على وجه الدهر بهذه المبالغات . فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك ؟ وما ذلك إلا لإظهار صلوات منزلة رسوله والتنبية على إنافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ
لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ^(١) لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ^(٢) وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ^(٣)

(١) الخبيثات) من القول يقال للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعزضون
للخبيثات) من القول (أولئك مبرءون مما يقولون) أى فيهم . و (أولئك) إشارة إلى الطيبين
وأثم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم . وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة
رضى الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب . ويجوز أن يكون
إشارة إلى أهل البيت وأثم مبرءون مما يقول أهل الإفك ، وأن يراد بالخبيثات والطيبات
النساء الخبائث يتزوجن الخبائث ، والخبائث تتزوج الخبائث . وكذا أهل الطيب .

(٢) مستأنف أو خبر بعد خبر .

(٣) (ورزق كريم) في الجنة. ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها
في مرضها وهى خائفة من القوم على الله تعالى. فقال لا تخافى لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة
ورزق كريم وتلا الآية. فغشى عليها فرحاً بما تلا. وقالت عائشة رضى الله عنها لقد أعطيت تسعاً
ما أعطيتن امرأة: نزل جبريل بصورتى في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجنى.
وتزوجنى بكراً وما تزوج بكراً غيرى . وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرى وقبر
في بيتى * . وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه. وأنا ابنة خليفته وصديقه. ونزل عذرى من السماء.
وخلفت طيبة عند طيب . ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً . وقال حسان معتذراً في حقها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا بُرِّفَ بَرِيَّةٌ * وَتَصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لَحُومِ الْفَوَافِلِ
حَلِيلَةٌ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصَبًا * نَبِيٌّ الْهُدَى وَالْمَكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ
عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لُؤْيَى بَرَى غَالِبٌ * كَرَامِ الْمَسَاعِي، مَجْدَهَا غَيْرِ زَائِلِ
مَهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا * وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ شَيْنٍ وَبَاطِلِ

* وبعض النسخ زيادة « ولقد حفنه الملائكة في بيتى » وهى زائدة من التسع .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا
عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا
أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا (٢)

(١) أى بيوتنا لستم تملكونها ولا تسكنونها .

(٢) أى تستأذنوا، عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقد قرأ به . والاستئناس فى الأصل الاستعلام والاستكشاف ، استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفاً . أى حتى تستعلموا أ يطلق لكم الدخول أم لا . وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتحنج .

(٣) التسليم أن يقول : السلام عليكم ، أدخل ؟ ثلاث مرات . فإن أذن له وإلا رجع . وقيل إن تلاقيا يقدم التسليم وإلا فلا استئذان .

(٤) أى الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن . فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حيتم صباحا وحيتم مساء . ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد .

(٥) أى قيل لكم هذا لى تذكروا وتتعضوا وتعملوا ما أمرتم به فى باب الاستئذان .

(٦) (فإن لم تجدوا) فى البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم . أو (فإن لم تجدوا فيها أحدا) من أهلها ولكم فيها حاجة (فلا تدخلوها) إلا بإذن أهلها لأن التصرف فى ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه .

(٧) أى إذا كان فيها قوم فقالوا (ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا فى إطلاق الإذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب لأن هذا مما يجلب الكراهة . فإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى إليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك . وعن أبى عبيد : ما قرعت بابا على عالم قط .

هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ^(٢) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
 أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
 وَمَا تَكْتُمُونَ ^(٤) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
 فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ^(٩)

(١) أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة . أو أنفع
 وأنى خيرا .

(٢) وعيد للاخطابين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خاطبوا به فوف جزاءه عليه .

(٣) (ليس عليكم جناح) فى (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) . استثنى من البيوت التى
 يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالحانات والربط وحوانيت التجار .
 (فيها متاع لكم) أى منفعة كالأستكان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع .
 وقيل الخربات يتبرز فيها . والمتاع التبرز .

(٤) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة .

(٥) (من) للتبعض . والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل . ويجوز
 النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها فى رواية ؛ وإلى رأس المحارم والصدر والساقين
 والعضدين .

(٦) (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا . ولم يدخل "من" هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه .

(٧) أى غض البصر وحفظ الفرج .

(٨) أى أطهر من دنس الإثم .

(٩) فيه ترغيب وترهيب . يعنى أنه (خبير) بأحوالهم وأفعالهم وكيف يعيلون أبصارهم
 (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) . فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى
 وحذر فى كل حركة وسكون .

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (٢)
إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ (٨)

(١) أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرتة إلى ركبته . وإن اشتهت غصت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك . وغص بصرها من الأجانب أصلا أولى بها . وإتما قدم غص الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر يريد الزنا ورائد الفجور ، فبذر الهوى طموح العين .

(٢) الزينة: ما تزينت به المرأة من حلئ أو خضاب . والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهى الحلئ ونحوها مباح . فالمراد بها مواضعها . أو إظهارها وهى فى مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها . ومواقعها الرأس والأذن والعتق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والدمليج والسوار والخلخال .

(٣) إلا ما جرت العادة والحبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان فى سترها حرج بين . فان المرأة لا تجد بدأ من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحكمة والنكاح . وتضطر إلى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن .

(٤) وليضعن من قولك ضربت يدي على الحائط إذا وضعتها عليه .

(٥) جمع نمار .

(٦) بضم الجيم مدنى وبصرى وعاصم . كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حوالها وكفى يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيتها .

(٧) أى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها .

(٨) لأزواجهن . جمع بعل .

أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ أَبْنَاءِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ
 أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
 أَوْ التَّحْبِيعِينَ غَيْرِ أَوْلَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا
 عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعَلَّمَ مَا يُحْفِيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ

(١) ويدخل فيهم الأجداد .

(٢) فقد صاروا محارم .

(٣) ويدخل فيهم النوافل .

(٤) فقد صاروا محارم أيضا .

(٥) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة .

(٦) أى الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر .

(٧) أى إمامته . ولا يحل لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها ، خصيا كان أو عينيا
 أو فخلا . وقال سعيد بن المسيب : لا تغرنكم سورة النور فإنها في الإماء دون الذكور . وعن
 عائشة رضی الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها .

(٨) بالنصب شامخا ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال . وفيهم بالجزء على البدل
 أو على الوصفية .

(٩) (غير أولى الإربة) الحاجة إلى النساء . قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل
 طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم به لا يعرفون شيئا من أمرهن ، أو شيوخ صلحاء ،
 أو العنين ، أو الخصى أو المخنث . وفي الأثر أنه المخبوب . والأقول الوجه .

(١٠) حال .

(١١) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع .

(١٢) أى لم يطلعوا لعدم الشهوة . من ظهر على الشيء إذا أطلع عليه . أو لم يبلغوا أو ان
 القدرة على الوطء . من ظهر على فلان إذا قوى عليه .

(١٣) كانت المرأة تضرب الأرض برجلها إذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم أنها
 ذات خلخال . فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا .

وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَأَنْكِحُوا
 الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عَلِيمٌ ﴿٤﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا
 ﴿٨﴾

(١) (آية) شامى إتباعا للضمّة قبلها بعد حذف الألف لالتقاء الساكنين. وغيره على فتح الهاء لأن بعدها ألفا فى التقدير .

(٢) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى أوامره ونواهيه وإن اجتهد . فلذا وصّى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا . وقيل أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة . وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافى الإيمان .

(٣) (وأنكحوا الأيماى منكم) — جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة ، بكرا كان أو ثيبا . وأصله أيام فقلبت — (والصالحين) أى الخيّرين أو المؤمنين . والمعنى زوّجوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وإمائكم) أى من غلمانكم وجواريتكم . والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه . قيل فى الآية دليل على أن تزويج النساء والأيماى إلى الأولياء كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالى . قلنا الرجل لا يلى على الرجل الأيم إلا بإذنه . فكذا لا يلى على المرأة إلا بإذنها لأن الأيم ينتظمها .

(٤) (إن يكونوا فقراء) من المسال (يغنىهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين . وفى الحديث "اتمسوا الرزق بالنكاح" . وعن عمر رضى الله عنه روى مثله .

(٥) غنىّ ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق .

(٦) (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) .

(٧) وليجتهدوا فى العفة كأن المستعف طالب من نفسه العفاف .

(٨) استطاعة تزوج من المهر والنفقة .

حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ^(١) وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ^(٢) إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ^(٣) وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ ^(٤)

(١) حتى يقدرهم على المهر والتفقة . قال عليه الصلاة والسلام " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " فانظر كيف رتب هذه الأوامر فأمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية ، وهو غض البصر ، ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ، ثم بعزة النفس الأمانة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه .

(٢) أى المالك الذين يطلبون الكتابة . فالذين مرفوع بالابتداء ، أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) . وهو للندب . ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط . والكتاب والمكتبة كالعقاب والمعاتبة . وهو أن يقول لملوكه : كاتبك على ألف درهم . فإن أذاها عتق . ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق . ويجوز حالاً ومؤجلاً ومنجياً وغير منجم لإطلاق الأمر . سأل صبيح مولاة حو يطبا أن يكتبه فأبى فنزلت .

(٣) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة . والتدبية معلقة بهذا الشرط .

(٤) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى (وفي الرقاب) . وعند الشافعى رحمه الله معناه حظوا من بدل الكتابة ربعا . وهذا عندنا على وجه الندب . والأول الوجه . لأن الإيتاء هو التملك فلا يقع على الحظ .

واعلم أن العبيد أربعة: قن مقننى للخدمة، ومأذون فى التجارة، ومكاتب، وآبق . فمثال الأول ولى العزلة الذى حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة . والثانى ولى العشرة فهو نوحى الحضرة يخاطب الناس للخبرة وينظر إليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ الله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله . فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى

وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ مُحَصَّنًا ^(١)

عنوانه ، والعلم مفزعه ومنحاه والقرآن كتاب الإذن من مولاه ، هو كائن في الناس بظواهره
بائن منهم بسرائره ، فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه الله ظاهرا .

وما هو منهمو بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ياكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون وما يدرهم أنه ضيف الله يرى السموات والأرض
قائمات بأمره وكأنه قيل فيه :

فإن تفق الأنام وأنت منهم * فإن المسك بعض دم الغزال

فإن ولي العزلة أصفى وأحلى ، وحال ولي العشرة أوفى وأعلى . ونزل الأول من الثاني
في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان . أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو
كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلايين ، فباطن أحواله مهتدى ولي
العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولي العشرة . والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب
كنتجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة خمس وفي المسائي درهم خمسة وفي السنة شهر وفي العمر
زورة ؛ فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكك رقبته خوفا من البقاء
في ربة العبودية وطمعا في فتح باب الحرية يسرح في رياض الجنة فيتمتع بمبياه ويفعل
ما يشاؤه ويهواه . والرابع الأباقي فما أكثرهم ، فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل
المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول ، وعلى كل ما لا ينفعه
يصول ، فضلا عن السارق والزانى والغاصب . فعنهم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام "إن الله
لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة" .

(١) كان لابن أبي ست جوار: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرهن على
البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت .
ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة . والبغاء الزنا للنساء خاصة . وهو مصدر لبغت .

(٢) تعقفا عن الزنا . وإنما قيده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن .
فأمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكراها ولا أمره إكراها . ولأنها نزلت على سبب فوقع النهى
على تلك الصفة . وفيه توبيخ للوالى . أى إذا رغب في التحصن فأتهم أحق بذلك .

لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(١) وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٢) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ^(٣) آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا ^(٤) مِنَ الَّذِينَ
 خَلَوْا ^(٥) مِنْ قَبْلِكُمْ ^(٦) وَمَوْعِظَةً ^(٧) لِلْمُتَّقِينَ ^(٨) اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٩)

(١) أى (لتبتغوا) يا كراههن على الزنا أجورهن وأولادهن .

(٢) أى لهن . وفى مصحف ابن مسعود كذلك . وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله .
 ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آثمة . أو لهم
 إذا تابوا .

(٣) بفتح الياء مجازى وبصرى وأبو بكر وحامد . والمراد الآيات التى بيئت فى هذه السورة
 وأوضحت فى معانى الأحكام والحدود . وجاز أن يكون الأصل مبيناً فيها فاتسع فى الظرف أى
 أجرى مجرى المفعول به كقوله « ويوم شهدناه » . وبكسرهما غيرهم أى بيئت هى الأحكام
 والحدود . جعل الفعل لها مجازاً . أو من بين بمعنى تبيين ومنه المثل * قد بين الصبح لذي عينين .
 (٤) (ومثلاً) من أمثال من قبلكم . أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم . يعنى
 قصة عائشة رضى الله عنها .

(٥) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) .
 (لولا إذ سمعتموه) . (ولولا إذ سمعتموه) . (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً) .

(٦) أى هم المنفعون بها وإن كانت موعظة للكلى .

(٧) نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله (مثل نوره) و(يهدى الله لنوره) ،
 قولك : زيد كرم وجود . ثم تقول : ينعمش الناس بكرمه وجوده . والمعنى ذو نور السموات .
 ونور السموات والأرض الحق . شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله (الله ولى الذين آمنوا
 يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من الباطل إلى الحق . وأضاف النور إليهما للدلالة على
 سعة إشراقه وفشوق إضاءته حتى تضىء له السموات والأرض . وجاز أن المراد أهل السموات
 والأرض وأنهم يستضيئون به .

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
 كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ
 وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ

(١) أى صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة . وقال ابن عباس رضى الله عنه :
 (مثل نوره) أى نور الله الذى هدى به المؤمن . وقرأ ابن مسعود رحمه الله (مثل نوره
 في قلب المؤمن كمشكاة) . وقرأ أبى (مثل نور المؤمن) .

(٢) كصفة مشكاة . وهى الكوة في الجدار غير النافذة .

(٣) أى سراج ضخم ثاقب .

(٤) في قنديل من زجاج . شامى بكسر الزاى .

(٥) مضىء بضم الدال وتشديد الياء منسوب إلى الدر لفرط ضيائه وصفائه . وبالكسر
 والهمزة عمرو وعلى . كأنه يدرأ الظلام بضوئه . وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة . شبه
 في زهرته بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما .

(٦) (تُوقَدُ) بالتخفيف حمزة وعلى وأبو بكر ، الزجاجه . و(يُوقَدُ) بالتخفيف شامى ونافع
 وحفص و(تُوقَدُ) بالتشديد مكى وبصرى ، أى هذا المصباح .

(٧) أى ابتداء ثقبه من شجرة الزيتون ، يعنى رويت زبالته بزيتها .

(٨) كثيرة المنافع . أولاً لأنها نبتت في الأرض التى بورك فيها للعالمين . وقيل بارك فيها
 سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام .

(٩) (زيتونة) بدل من شجرة نعتها (لا شرقية ولا غربية) ، أى منبتها الشام . يعنى ليست
 من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام . وأجود الزيتون زيتون الشام .
 وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط ، بل تصيبها بالغداة
 والعشى جميعاً فهى شرقية وغربية .

(١٠) دهنها .

(١١) وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتلألؤه يكاد يضىء من غير نار .

(١٢) أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجه
 والمصباح والزيت حتى لم تبقى بقية مما يقوى النور وهذا لأن المصباح إذا كان في مكان

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ^(١) وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ^(٢) وَاللَّهُ
يُكَلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ^(٣) فِي بُيُوتِ ^(٤) أَذْنِ اللَّهِ ^(٥) أَنْ تَرْفَعَ ^(٦) وَيَذْكَرَ فِيهَا ^(٧) أَسْمَهُ

متضابق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه . والقديليل
أعون شيء على زيادة الإنارة . وكذلك الزيت وصفأؤه . وضرب المثل يكون بدنيء محسوس
معهود لا بعلى غير معين ولا مشهود . فأبو تمام لما قال في المأمون :

إقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء إياس

قيل له إن الخليفة فوق من مثله بهم فقال مرتجلا :

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والبراس

(١) يهدي الله لنوره) أى لهذا النور الناقب (من يشاء) من عباده ، أى يوفق لإصابة
الحق من يشاء من عباده يالهام من الله أو بنظره في الدليل .

(٢) (و يضرب الله الأمثال للناس) تقريبا إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا .

(٣) فيبين كل شيء بما يمكن أن يعلم به .

(٤) يتعلق بمشكاة ، أى كمشكاة في بعض بيوت الله وهى المساجد . كأنه قيل (مثل نوره)
كما يرى في المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت . أو بتوقد أى توقد في بيوت
أو يسبح أى يسبح له رجال في بيوت . و (فيها) تكريره توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها .
أو بمحذوف أى سبجوا في بيوت .

(٥) أى أمر .

(٦) تبنى ، كقوله : (بناها رفع سمكها فسواها) . (وإذ يرفع إبراهيم القواعد) . أو تعظا
من الرفعة . وعن الحسن : ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم .

(٧) يتلى فيها كتابه . أو هو عام في كل ذكر .

يَسْبِغُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ۖ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ

(١) أى يصلى له فيها بالغداة صلاة الفجر ، وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين - وإنما وحّد الغدو لأن صلاته واحدة وفى الآصال صلوات . والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشى - (رجال) فاعل (يسبغ) . (يسبغ) شامى وأبو بكر ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة ، أعنى (له فيها بالغدو) . و (رجال) مرفوع بما دلّ عليه (يسبغ) أى يسبغ له (رجال) لا تشغلهم (تجارة) فى السفر (ولا بيع) فى الحضر (عن ذكر الله) باللسان والقلب . وقيل التجارة : الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع . أو خصّ البيع بعد ما عمّ لأنه أوغل فى الإلهاء من الشراء لأن الربح فى البيعة الراجعة متيقن وفى الشراء مظنون .

(٢) أى وعن إقامة الصلاة . التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال . والأصل إقوام . فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف . فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت .

(٣) أى وعن إيتاء الزكاة .

والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة . أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك . وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متناقلين كأولياء العشرة .

(٤) أى يوم القيامة . و (يخافون) حال من الضمير فى (تلهيهم) . أو صفة أخرى لرجال .

(٥) (تتقلب فيه القلوب) يبلوغها إلى الحناجر (والأبصار) بالشخص والزرقة . أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران ، والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان . كقوله (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

(٦) أى يسبغون ويخافون (ليجزيه الله أحسن) جزاء أعمالهم ، أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً (ويزيدهم) على الثواب الموعد على العمل تفضيلاً .

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ ^(٢)
 بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ ^(٣) لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ ^(٤)
 عِنْدَهُ ^(٥) فَوْفُهُ حِسَابَهُ ^(٦) وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ^(٧) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ^(٨)
^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢)

(١) أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق .

هذه صفات المهتدين بنور الله . فأما الذين ضلوا عنه فالمدكورون فى قوله (والذين كفروا).

(٢) هو ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه

ماء يجرى .

(٣) بقاع . أو جمع قاع . وهو المنبسط المستوى من الأرض بكيرة فى جار .

(٤) يظنه العطشان .

(٥) أى جاء إلى ما توهم أنه ماء .

(٦) لم يجده شيئا كما ظنه .

(٧) أى جزاء الله كقوله (يجد الله غفورا رحيا) أى يجد مغفرته ورحمته .

(٨) عند الكافر .

(٩) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا . وحد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من

الكفار .

(١٠) لأنه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب . أو قريب حسابه

لأن ما هو آت قريب .

شبه ما يعمل من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها

تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أملة ويلقى خلاف ما قدر ، بسراب

يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد وما رجاه يجد

زبانية (الله عنده) يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والنساق . وهم الذين قال الله

فيهم (عاملة ناصبة) . (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) . قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة

ابن أمية كان يترهب ملتصقا للدين فى الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر .

(١١) (أو) هنا كأوفى (أو كصيب) .

(١٢) عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر .

يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ
 إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ
 نُّورٍ ^(٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَلَفَاتٍ ^(١٢)

(١) يغشى البحر أو من فيه أى يعلوه ويغطيه .

(٢) هو ما ارتفع من الماء .

(٣) أى من فوق الموج موج آخر .

(٤) من فوق الموج الأعلى سحاب .

(٥) أى هذه ظلمات : ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر .

(٦) ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج على الموج، وظلمة السحاب على الموج .

(٧) أى الواقع فيه .

(٨) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها .

شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا . ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار . وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب .

(٩) من لم يهده الله لم يهتد . عن الزجاج فى الحديث : "خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلَّ" .

(١٠) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان فى الإيقان (أن الله يسبغ له من فى السموات والأرض) .

(١١) عطف على (من) .

(١٢) حال من (الطير) أى يصفقن أجنحتهن فى الهواء .

كُلُّ قَدِّ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، ^(١) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ^(٢) وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ^(٣) ^(٤) الْمَرْتَأَى اللَّهُ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ
بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ ^(٥) وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ^(٦)
مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ^(٧) فَيُصِيبُ بِهِ ^(٨) مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ ^(٩) عَنِ ^(١٠) مَنْ يَشَاءُ ^(١١)
^(١٢)

(١) الضمير في (علم) لكل أو لله . وكذا في (صلاته وتسبيحه) . والصلوة الدعاء . ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها .

(٢) لا يعزب عن علمه شيء .

(٣) لأنه خالقهما . ومن ملك شيئاً فبتملكه إياه .

(٤) مرجع الكل .

(٥) يسوق إلى حيث يريد (سحاباً) . جمع سحابة . دليله (ثم يؤلف بينه) - وتذكيره

للفظ - أي يضم بعضه إلى بعض .

(٦) متراكماً بعضه فوق بعض .

(٧) المطر .

(٨) من فوقه ومخارجه ، جمع خلل بجبال في جبل .

(٩) (ويتزل) مكى ومدنى وبصرى .

(١٠) (من) لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء .

(١١) (من) للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء .

(١٢) (من) للبيان .

أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض . ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وعلى الأول مفعول ينزل (من جبال) أي بعض (جبال فيها) . ومعنى (من جبال فيها من برد) أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر . أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال : فلان يملك جبلاً من ذهب .

(١٣) (فَيُصِيبُ بِهِ) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الإنسان وزرعه (ويصرفه عمن يشاء)

فلا يصيبه . أو يعذب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذب به .

يَكَادُ سَنَا بَرْقِئِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ (١) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٢) إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَرِ (٣) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ (٤) فَمِنْهُمْ
 مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ (٥) وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ (٦)

(١) ضوئه .

(٢) يخطفها . (يذهب) يزيد على زيادة الباء .

(٣) يصر فهما في الاختلاف طولاً وقصراً ، والتعاقب .

(٤) في إزجاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقلب الليل والنهار .

(٥) لذوى العقول .

وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آحر ما ذكر . فهى براهين لأئحة على وجوده ، ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر . ثم بين دليلاً آخر فقال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) .

(٦) (والله خالق) — حمزة وعلى — (كل دابة) كل حيوان يدب على وجه الأرض (من ماء) أى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة ، أو من ماء مخصوص وهو النطفة . ثم خالف بين المخلوقات من النطفة ، فمنها هوائى ومنها بهائم ومنها أناسى . وهو كقوله (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) . وهذا دليل على أن لها خالقا ومدبراً وإلا لم تختلف لاتفاق الأصل . وإتما عترف الماء فى قوله (وجعلنا من الماء كل شىء حى) لأن ثم المقصود أن أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وأنه هو الأصل وإن تخلت بينه وبينها وسائط . قالوا إن أول ما خلق الله الماء نخلق منه النار والريح والطين ، نخلق من النار الحلق ، ومن الريح الملائكة ، ومن الطين آدم ودواب الأرض .

(٧) لما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأنه الدواب كلهم مميرون . فمن ثم قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت — سمي الزحف على البطن مشياً استعارة كما يقال فى الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر . أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع المشين — (ومنهم من يمشى على رجلين) كالإنسان والطيور . (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم . وقدام ما هو أعرق فى القدرة وهو المشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ، ثم المشى على رجلين ، ثم المشى على أربع .

يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ^(١) إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٢) لَقَدْ أَنْزَلْنَا
 ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٣)
 وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ^(٤) ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
 مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ^(٥) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ^(٦) إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مَّعْرُضُونَ ^(٧)

(١) (يخلق الله ما يشاء) كيف يشاء .

(٢) لا يتعذر عليه شيء .

(٣) (والله يهدي من يشاء) بلطفه ومشيبته (إلى صراط مستقيم) إلى دين الإسلام
 الذي يوصل إلى جنته . والآيات لإلزام حجته .

لما ذكر إنزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق : فرقة صدقت ظاهرا
 وكذبت باطنا وهم المنافقون ، وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون ، وفرقة كذبت ظاهرا
 وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب . وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنا) .

(٤) (ويقولون) بألسنتهم .

(٥) (وأطعنا) الله والرسول .

(٦) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله .

(٧) أى من بعد قولهم (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) .

(٨) أى المخلصين . وهو إشارة إلى الفائزين آمنا وأطعنا ، لا إلى الفريق المتولى وحده .

وفيه إعلام من الله بأن جميعهم متف عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء . والإعراض
 وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلهم .

(٩) (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) — أى إلى رسول الله كقولك : أعجبني زيد وكرمه تريد

كرم زيد — (ليحكم) الرسول (بينهم ، إذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم
 الإعراض . نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما في أرض بفعل اليهودى
 يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا
 يحيف علينا .

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرَضٌ
 أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ إِنْ مَّا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا ﴿٤﴾

(١) أى إذا كان الحق لهم على غيرهم .

(٢) (يأتوا إليه) إلى الرسول (مذعنين) حال . أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم
 لا رضا بحكم رسولهم . قال الزجاج : الإذعان الإسراع مع الطاعة .

والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المتزوال العدل البحت يمتنعون عن المحاكاة
 إليك إذا ركبهم الحق لئلا تترعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم ، وإن ثبت لهم حق
 على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم فى ذمة الخصم .

(٣) قسم الأمر فى صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب
 منافقين ، أو مرتابين فى أمر نبوته ، أو خائفين الحيف فى قضائه . ثم أبطل خوفهم حيفه
 بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفةهم بحاله . وإتباعهم ظالمون
 يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم . وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه
 الصلاة والسلام . فن ثم يابون المحاكاة إليه .

(٤) وعن الحسن (قول) بالرفع . والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان
 أوغلهما فى التعريف . و (أن يقولوا) أوغل بخلاف (قول المؤمنين) .

(٥) (ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه . (ليحكم) ،
 أى ليفعل الحكم .

(٦) (سمعنا) قوله .

وَأَطَعْنَا وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٢) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِشْ إِلَيْهِ
 وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ^(٣) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيُنْزِلَ
 عَلَيْهِمْ قُرْآنًا وَلَا تَقْسَمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ^(٤) إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ^(٥)

(١) (وأطعنا) أمره .

(٢) الفائزون .

(٣) (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه (ويحش الله) على ما مضى من
 ذنوبه (ويتقّه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) . وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية
 كافية فنلت له هذه الآية وهي جامعة لأسباب الفوز . (ويتقّه) بسكون الهاء أبو عمرو
 وأبو بكر بنية الوقف . وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلصة حفص ، وبكسر القاف والهاء
 غيرهم .

(٤) أى حلف المنافقون بالله جهد أيمن لأنهم بذلوا فيها مجهودهم . وجهد يمينه مستعار
 من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها . وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها .
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه . وأصل أقسم جهد أيمن أقسم
 يجهد أيمن جهدا محذوف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله
 (فضرب الرقاب) . وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمنهم .

(٥) أى لئن أمرنا محمد بالخروج إلى الغزو لغزونا ، أو بالخروج من ديارنا لخرجنا .

(٦) لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية .

(٧) (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة . مبتدأ محذوف
 الخبر ، أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم (طاعة معروفة) معلومة لا يشك فيها
 ولا يرتاب كطاعة الخالص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها .

(٨) يعلم ما فى ضمائرهم ولا يخفى عليه شيء من سرايرهم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
 على نفاقكم .

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ
 مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ^(٤) وَعَدَّ
 اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ ^(٦)
^(٥)

(١) صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات . وهو أبلغ في تبييتهم .

(٢) يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإتما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا
 ما حمّله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة . فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكلفيه . وأتما أتم
 فعلكم ما كنتم من التآقي بالقبول والإذعان . فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط
 الله وعذابه .

(٣) أى وإن أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى . فالضرر
 والنفع عائدان إليكم .

(٤) (وما على الرسول إلا) أن يبلغ ، ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم . و(البلاغ)
 بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى النادية . و(المبين) الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات .
 ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا) .

(٥) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه . و(منكم) للبيان . وقيل المراد به
 المهاجرون . ومن للتبعيض .

(٦) أى أرض الكفار . وقيل أرض المدينة . والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة
 والسلام "ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل" .

والقسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنهم) محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم
 (ليستخلفنهم) . أو نزل وعدهم الله في تحققه منزلة القسم فنلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم
 الله (ليستخلفنهم) .

(٧) (استخلف) أبو بكر .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمْكِنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ
 مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿٥١﴾

(١١) (وليبدلنهم) بالتخفيف مكي وأبو بكر (من بعد خوفهم أمتا) .

وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويؤثرهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بنى إسرائيل حين أورشهم مصر والشام بعد إهلاك الجبارة ، وأن يمكّن الدين المرتضى وهو دين الإسلام — وتمكينه تثبيتته وتوطيده — وأن يؤتمن سرهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين . ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسكون فيه حتى قال رجل ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح . فنزلت . فقال عليه الصلاة والسلام " لا تغربون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليس معه حديدة " . فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعاد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا .

(٢) إن جعلته استثناء فلا محل له . كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال (يعبدونني) . وإن جعلته حالا عن (وعد) — أى وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم — فحله النصب .

(٣) حال من فاعل يعبدون أى (يعبدونني) موحدين . ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى .

(٤) أى بعد الوعد . والمراد كفران النعمة كقوله تعالى (فكفرت بأنعم الله) .

(٥) هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها . قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعد ما كانوا إخوانا وزال عنهم الخوف . والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم .

(٦) معطوف على (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ولا يضّر الفصل وإن طال .

(٧) (أطيعوا الرسول) فيما يدعوكم إليه . وكثرت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها .

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ
النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَشْنِكُ الَّذِينَ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ
الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ
عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ﴿٣﴾

(١) أى لئى ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة .

ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) .

(٢) أى فائتين الله بالآ يقدر عليهم فيها . فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام
وهو الفاعل والمفعولان (الذين كفروا) و (معجزين) . و بالياء شامى وحمة . والفاعل النبي
صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان (الذين كفروا) و (معجزين) .

(٣) معطوف على (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) ، كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون
الله (وما اؤهم النار) .

(٤) (ولبيس المصير) أى المرجع ، النار .

(٥) أمر بأن يستأذن العبيد والإماء .

(٦) أى الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار . وقرئ بسكون اللام تخفيفا .

(٧) (ثلاث مرات) فى اليوم والليله ، وهى (من قبل صلاة الفجر) لأنه وقت القيام من
المضاجع وطرح ماينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة ، (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة)
وهى نصف النهار فى القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيولة ، (ومن بعد صلاة العشاء) لأنه
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم .

(٨) أى هى أوقات ثلاث عورات . فحذف المبتدأ والمضاف . وبالنصب كوفى غير

حفص بدلا من (ثلاث مرات) أى أوقات ثلاث عورات . وسمى كل واحد من هذه الأحوال
عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها . والعورة الخلل . ومنها الأور المختل العين . دخل غلام

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١)
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (١٢)

من الأنصار يقال له مدج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو قائم وقد انكشف عنه ثوبه . فقال عمر رضى الله عنه : وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالإذن . فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية .

ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أى لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن . ثم بين العلة في ترك الاستئذان وراء هذه الأوقات بقوله (طوافون عليكم) أى هم طوافون بجوانح البيت .

(١١) (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) . تقديره (بعضكم) طائف (على بعض) . فحذف طائف لدلالة (طوافون) عليه . ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها . وأن تكون مبينة مؤكدة . يعنى أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمدخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام . فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص .

(١٢) أى كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها .

(١٣) (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان مراده .

(١٤) أى الأحرار دون المماليك .

(١٥) أى الاحتلام .

(١٦) أى إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله (بأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا) الآية . والمعنى أن الأطفال . أذن لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث . فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسنّ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال البجار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن . والناس عن هذا غافلون .

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ^(١) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ
النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(٢)
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ^(٣)

وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات مجدهنّ الناس : الإذن كلّ ، وقوله (إن أكرمكم
عند الله أتقاكم) ، (وإذا حضر القسمة) . وعن سعيد بن جبير : يقولون هي منسوخة .
والله ما هي بمنسوخة .

(١) (والله عليم) بمصالح الأنام (حكيم) فيما بين من الأحكام .

(٢) (والقواعد) جمع قاعد لأنّها من الصفات المختصّة بالنساء كالطالق والحائض . أى اللاتي
قعدن عن الحيض والولد لكبرهنّ (من النساء) حال (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن
فيه . وهى فى محلّ الرفع صفة للمبتدأ وهى (القواعد) . والخبر (فليس عليهنّ جناح) إمام —
ودخلت الفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام — فى (أن يضعن ثيابهنّ)
أى الظاهرة كالملاحفة والجلباب الذى فوق الخمار (غير) — حال — (متبرجات بزينة)
أى غير مظهرات زينة . يريد الزينة الحقيقية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك . أى
لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف . وحقيقة التبرج تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه .
(٣) (وأن يستعفن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن . وهو مبتدأ خبره
(خير لهنّ) .

(٤) (والله سميع) لما يعلنّ (عليم) بما يقصدن .

(٥) قال سعيد بن المسيب : كان المسامون إذا خرجوا إلى الغزومع النبي صلى الله عليه وسلم
وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من
بيوتهم . وكانوا يتخزجون من ذلك ويقولون نخشى ألا تكون أنفسهم بذلك طيبة . فزلت
الآية رخصة لهم .

وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ
 أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 مَفَاتِحَهُ ۖ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا

(١) أى (ولا على أنفسكم) حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه . ولذا لم يذكر الأولاد فى الآية . وقد قال عليه الصلاة والسلام "أنت ومالك لأبيك" . أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صاروا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج .

(٢) لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة .

(٣) (أو ما ملكتم مفاتيحه) جمع مفتاح وهو ما يفتح به الغلق . قال ابن عباس رضى الله عنه هو ويكل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته . وأريد بملك المفاتيح كونها فى يده وحفظه . وقيل أريد به بيت عبده لأن العبد وما فى يده لمولاه .

(٤) يعنى أو بيوت أصدقاكم . والصدىق يكون واحدا وجمعا . وهو من يصدقك فى مودته وتصدقته فى مودتك . وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء . فإذا حضر مولاه فأخبرته أعتقها سرورا بذلك . فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بإذن .

(٥) (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت . نزلت فى بنى ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده . فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل . فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . أو فى قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم . أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الأكل وزيادة بعضهم على بعض .

فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لِمَن لَّمْ يَأْذِنِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾

(١) (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسالموا على أنفسكم) . أى فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة. أو (بيوتا) فارغة أو مسجداً، فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

(٢) نصب بسلاموا لأنها في معنى تسليماً نحو قعدت جلوساً .

(٣) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، ولأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للسلام عليه والمحبي من عند الله .

(٤) وصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق .

(٥) لكي تعقلوا وتفهموا .

(٦) (وإذا كانوا معه على أمر جامع) — أى الذى يُجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أى وياذن لهم. ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجنائية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع، جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا^(٢)

الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره ، وذلك مع تصدير الجملة
بأتما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ، ثم عقبه
بما يزيد توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله) . وضمته شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة
الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا . (فإذا استأذنونك) في الانصراف (لبعض
شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام . وذكر الاستغفار
للمستأذنين دليل على أن الأفضل ألا يستأذن . قالوا : وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أمتهم
ومقدمهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم إلا بإذن . قيل نزلت يوم الخندق .
كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان .

(١) أى إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فداكم فلا تفرقوا
عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن
الداعى . أولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به
أبواه . فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت
المخفوض .

(٢) يخرجون قليلا قليلا .

(٣) حال أى ملاوذين . اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذلك وذلك بهذا ، أى ينسأون
عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض .

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ^(١) إِلَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حِرْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِئَاسَةً ^(٢) وَمَا أُنزِلَتْ بِهِ
 حَرْمَةٌ عَلَيْهِمْ فِي حُرْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَتَمَتَّعُوا بِمَا عَمِلُوا ^(٣) وَتُحْذَرُ
 الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْمَوْتِ ^(٤) وَمَا أُنزِلَتْ بِهِ حَرْمَةٌ عَلَيْهِمْ فِي حُرْمَةِ اللَّهِ أَنْ
 يَتَمَتَّعُوا بِمَا عَمِلُوا ^(٥) وَتُحْذَرُ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْمَوْتِ ^(٦) وَمَا أُنزِلَتْ
 بِهِ حَرْمَةٌ عَلَيْهِمْ فِي حُرْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَتَمَتَّعُوا بِمَا عَمِلُوا ^(٧) وَتُحْذَرُ
 الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْمَوْتِ ^(٨) وَمَا أُنزِلَتْ بِهِ حَرْمَةٌ عَلَيْهِمْ فِي حُرْمَةِ اللَّهِ أَنْ
 يَتَمَتَّعُوا بِمَا عَمِلُوا ^(٩) وَتُحْذَرُ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْمَوْتِ ^(١٠)

(١) أى (فليحذر الذين) يصدون (عن أمره) دون المؤمنين . وهم المنافقون . يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) . وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه . والضمير في (أمره) لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام . والمعنى عن طاعته ودينه . ومفعول (يحذر) (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأحوال أو تسلط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدرجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة . والآية تدل على أن الأمر للإيجاب .

(٢) (إلا) تنبيه على ألا يخالفوا أمر من له (ما في السموات والأرض) .

(٣) أدخل (قد) ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد . والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به خلقا وملكا وعاما ، فكيف تحفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجهدون في سترها ؟

(٤) وفتح الياء وكسر الجيم يعقوب . أى ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة . والخطاب والغيبة في قوله (قد يعلم ما أتم عليه ويوم يرجعون إليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ، ويجوز أن يكون (ما أتم عليه) عامما ، و(يرجعون) للمنافقين .

(٥) (فينبئهم) يوم القيامة .

(٦) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويحازيهم حق جزائهم .

(٧) فلا يخفى عليه خافية . وروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت . والله أعلم .

سورة الفرقان مكية

وهي سبع وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) الَّذِي لَهُ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ (٨) (٩) (١٠)

(١) تفاعل من البركة . وهي كثرة الخير وزيادته . ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثره .
 أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله . وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده . والمستعمل منه الماضي فحسب .

(٢) هو مصدر فرق بين الشئين إذا فصل بينهما . وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام ، أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفترقا . فمفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ، ألا ترى إلى قوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .
 (٣) حمد عليه الصلاة والسلام .

(٤) العبد أو الفرقان .

(٥) للجن والإنس . وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام .

(٦) منذرا أي محوفا ، أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار . ومنه قوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) .

(٧) رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من (الذي نزل) . وجوز الفصل بين البديل والمبدل منه بقوله (ليكون) لأن المبدل منه صلتة (نزل) و(ليكون) تعليل له . فكأن المبدل منه لم يتم إلا به . أو نصب على المدح .

(٨) (له ملك السموات والأرض) على الخلوص .

(٩) (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام .

(١٠) (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية .

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ^(٢) وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ^(٣) آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ ^(٤)
 شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ ^(٥) وَلَا يَمْلِكُونَ ^(٦) لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
 وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ^(٧) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ
 وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ^(٨)

(١) أى أحدث (كل شيء) وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان
 واهرمن . ولا شبهة فيه لمن يقول إن الله شيء ويقول بخلق القرآن لأن الفاعل بجميع صفاته
 لا يكون مفعولا له . على أن لفظ (شيء) اختص بما يصح أن يخلق بقرينة (وخلق) . وهذا
 أوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد .

(٢) فهياه لما يصلح له بلاخل فيه، كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذى تراه
 فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا . أو قدره للبقاء إلى أمد معلوم .

(٣) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو لدلالة (نذيرا) عليهم لأنهم المنذرون .

(٤) أى الأصنام .

(٥) أى أنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والملك والخالق والتقدير عبادة عجزه
 لا يقدرون على خلق شيء (وهم يخلقون) .

(٦) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها .

(٧) (ولا يملكون موتا) إمامة (ولا حياة) أى إحياء (ولا نشورا) إحياء بعد الموت .
 وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها .

(٨) (وقال الذين كفروا) ما هذا القرآن (إلا) كذب اختلقه واحترعه مجد من عند نفسه .
 (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى - قاله النضر بن الحرث .

فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ^(١) وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأُولِينَ ^(٢) أَكْتَتِبَهَا ^(٣)
 فِيهِى تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا ^(٤) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ^(٥) وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ ^(٦)
^(٧)

(١) هذا إخبار من الله، ردّ للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار. وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديتها. أو حذف الجاز وأوصل الفعل أى بظلم وزور. وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب. والزور أن يهتوه بنسبة ما هو برىء منه إليه.

(٢) أى هو أحاديث المتقدمين وما سطره كرتهم وغيره، جمع أسطار وأسطورة كأحدوثه.

(٣) كتبها لنفسه.

(٤) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلاً) آخره. فيحفظ ما يلقى عليه ثم يتلوه علينا.

(٥) (قل) يا محمد (أنزله) أى القرآن.

(٦) أى يعلم كل سر خفى فى السموات والأرض. يعنى أن القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على أنه من عند علام الغيوب.

(٧) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم.

(٨) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لاتغير وتسميتهن إياه بالرسول سخريه منهم، كأنهم قالوا أى شىء لهذا الزاعم أنه رسول.

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَكُونُ
 مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
 الظَّالِمُونَ إِن نَّبِيعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ
 الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ
 لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝

(١) حال والعامل فيها (هذا) .

(٢) أى إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب
 المعاش كما تردد. يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش . ثم نزلوا عن
 ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف . ثم نزلوا إلى
 أن يكون مرفوداً بكثر بلى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش . ثم نزلوا
 إلى أن يكون رجلاً له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو (نأكل) نحن كقراءة على وحمزة .
 وحسن عطف المضارع وهو (يلقى) و(تكون) على (أنزل) وهو ماضٍ لدخول المضارع وهو
 (فيكون) بينهما . وانتصب (فيكون) على القراءة المشهورة لأنه جواب لولا بمعنى هلا ،
 وحكمه حكم الاستفهام .

(٣) أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمرة تسجيلاً عليهم
 بالظلم فيما قالوا . وهم كفار قريش .

(٤) سحر بفتح ، أو ذا سحر وهو الرثة . عنوا أنه بشر لا ملك .

(٥) انظر كيف ضربوا (يبنوا) لك الأمثال (الأشباه) . أى قالوا فيك تلك الأقوال
 واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفترى والممل عليه والمسحور .

(٦) (فضلوا) عن الحق .

(٧) فلا يجدون طريقاً إليه .

(٨) أى تكاثر خير الذى إن شاء وهب لك فى الدنيا خيراً مما قالوا . وهو أن يجعل لك
 مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور . و (جنات) بدل من (خيراً) . (ويجعل) بالرفع
 مكى وشامى وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز فى جزائه الجزم والرفع .

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ^(٢) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ ^(٣)
 مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ^(٥) وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ^(٧)
 مُتَرَبِّينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ^(٩) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ^(١٠)
 ثُبُورًا كَثِيرًا ^(١١) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ^(١٣)

(١) عطف على ما حكى عنهم . يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ،
 أو متصل بما يليه كأنه قال (بل كذبوا بالساعة) فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ؟ وكيف
 يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها ؟

(٢) وهبنا للكذابين بها نارا شديدة في الاستعار .

(٣) أى النار أى قابلتهم .

(٤) أى إذا كانت منهم برأى الناظرين في البعد .

(٥) أى سمعوا صوت غليانها . وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر .

أو إذا رأتهم زبانتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار .

(٦) من النار .

(٧) (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) - مكي - فان الكرب مع الضيق كما أت الروح
 مع السعة . ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السموات والأرض . وعن ابن عباس رضى الله
 عنهما أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرح .

(٨) أى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقترنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم
 في الأغلال ، أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد .

(٩) حينئذ .

(١٠) هلاكا . أى قالوا واتبورا ، أى تعال يا ثبور فهذا حينك .

(١١) فيقال لهم : (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أى إنكم وقعتم فيما
 ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير .

(١٢) (أذلك) المذكور من صفة النار (خير) .

(١٣) أى وعدها . فالراجع إلى الموصول محذوف . وإنما قال (أذلك خير) ولا خير
 في النار توبيخا للكفار .

كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ^(١) لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ^(٢) كَانَ ^(٤)
 عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ^(٦) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ ^(٧) وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ^(٨)
 فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ ^(٩) ^(١٠)

(١) كانت لهم) ثوابا (ومصيرا) مرجعا . وإنما قيل (كانت) لأن ما وعد الله كأنه كان لتحقيقه . أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل أن خلقهم .

(٢) أى ما يشاءونه .

(٣) حال من الضمير في (يشاءون) .

(٤) الضمير لما يشاءون .

(٥) أى موعودا .

(٦) مطلوبوا أو حقيقا أن يسأل . أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) . (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) . (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) .

(٧) (ويوم نحشرهم) للبعث، عند الجمهور . وبالياء مكى وي زيد ويعقوب وحفص .

(٨) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير . وعن الكلبي : يعنى الأصنام ينطقها الله

وقيل عام . و " ما " يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم .

(٩) وبالنون شامى .

(١٠) والقياس ضلوا عن السبيل . إلا أنهم تركوا الحز كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى

الطريق أو للطريق . وضل مطاوع أضله . والمعنى أنتم أوقعتهم وهم في الضلال عن طريق الحق

بإدخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ . وإنما لم يقل أصلتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل

وزيد (أنتم) (وهم) لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده، لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب

وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسئول عنه . وفائدة

سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبيح عبادتهم بتكذيبهم بإهم

فتزيد حسرتهم .

قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا اَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ اَوْلِيَاءَ وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
 وَاٰبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١) فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ (٢)

(١) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك
 أو غيرهما ندًا .

(٢) أى ما كان يصح (لنا) ولا يستقيم أن نتولى أحدا دونك . فكيف يصح لنا أن نحمل
 غيرنا على أن يتولونا دونك . (نُتَّخِذَ) ، يزيد . واتَّخِذَ يتعدى إلى مفعول واحد نحو اتَّخَذَ وِلِيًّا وإلى
 مفعولين نحو اتَّخَذَ فُلَانًا وِلِيًّا ، قال الله تعالى (أم اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ) . وقال (واتَّخَذَ اللَّهُ
 إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) . والقراءة الأولى من المتعدى لواحد وهو (من أولياء) والأصل أن تُتَّخَذَ أولياء
 وزيدت (من) لتأكيد معنى النفي . والقراءة الثانية من المتعدى إلى المفعولين . فالمفعول الأول
 ما بنى له الفعل والثاني (من أولياء) . و(من) للتبويض أى لا تُتَّخَذُ بعض أولياء لأن من لا تزد
 فى المفعول الثانى ، بل فى الأول . تقول ما اتَّخَذْتَ من أحد وِلِيًّا ولا تقول ما اتَّخَذْتَ أحدا
 من ولى .

(٣) (ولكن متعتهم وآباءهم) بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب .

(٤) أى ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع .

(٥) (وكانوا) عند الله .

(٦) أى هلكتى جمع بائر كعائذ وعود .

(٧) يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) . وهذه المفاجأة
 بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول . ونظيرها
 (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل) إلى قوله (فقد جاءكم بشير ونذير)
 وقول القائل .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(٨) بقولكم فيهم أنهم آلهة ، والباء على هذا كقوله (بل كذبوا بالحق) . والجازر والمجرور بدل
 من الضمير . كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون . وعن قبيل البلاء . ومعناه فقد كذبوكم بقولهم
 (سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) . والباء على هذا كقولك : كتبت
 بالقلم .

فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٣﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ
 فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٤﴾ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٥﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٦﴾

(١) (فما يستطيعون) أى فما يستطيع أهلكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم .
 وبالتاء حفص ، أى فما تستطيعون أتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم .

(٢) خاطب المكلفين على العموم . (يظلم) أى يشرك لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه .
 ومن جعل مخلوق شريك خالقه فقد ظلم . يؤيده قوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) .

(٣) فسر بالخلود في النار . وهو يليق بالمشرك دون الفاسق إلا على قول المعتزلة
 والخواارج .

(٤) كسرت (إن) لأجل اللام في الخبر . والجملة بعد (الآ) صفة لموصوف محذوف . والمعنى
 (وما أرسلنا قبلك) أحدا (من المرسلين) إلا آكلين وماشين . وإتمام حذف اكتفاء بالجار والمجرور
 أى (من المرسلين) . ونحوه (وما من آله مقام معلوم) . أى وما منّا أحد . قيل هو احتجاج على
 من قال (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق) وتسلية للنبي عليه الصلاة والسلام .

(٥) (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى محنة وابتلاء . وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الأسواق . يعنى أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغنى
 من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا ، أم لا تصبرون فيزداد عنكم ؟
 وحكى أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا . فرأى خصيئا في مواكب ومراكب
 نخطر بباله شيء فإذا بمن يقرأ هذه الآية . فقال : بلى ، فصبوا ربنا . أو جعلتك فتنة لهم
 لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكنت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا . فإنما
 بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا .

(٦) علما بالصواب فيما يتلى به أو بمن يصبر ويحزع .

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٦﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٧﴾

(١) لا ياملون بالخير ، لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث . أو لا يخافون عقابنا إما لأن الراجي قلق فيما يرجوه كالحائف ، أو لأن الرجاء في لغة تهامة الخوف .

(٢) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر . أو شهوداً على نبوته ودعوى رسالته .

(٣) (أو نرى ربنا) جهرة ، فيخبرنا برسالته واتباعه .

(٤) أى أضمرنا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم . واللام في (لقد)

جواب قسم محذوف .

(٥) وتجاوزوا الحد في الظلم .

(٦) وصف العتو بالكبر فبالغ في إفراطه أى أنهم لم يحسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم

بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو .

(٧) (يوم يرون الملائكة) أى يوم الموت أو يوم البعث . و (يوم) منصوب

بما دل عليه (لا بشرى) . أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى . و (يومئذ) مؤكد ليوم يرون .

أو بأضمار اذكر (يوم يرون الملائكة) . ثم أخبر فقال (لا بشرى) بالجنة (يومئذ) .

ولا ينتصب يرون لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف . ولا بشرى لأنها مصدر والمصدر

لا يعمل فيما قبله . ولأن المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا .

(٨) ظاهر في موضع ضمير . أو عام يقتضاهم بعمومه . وهم الذين اجترأوا الذنوب .

والمراد الكاذبون ، لأن مطلق الأسماء يتناول أكل المسميات .

٩) أى الملائكة .

(١٠) حراما محزوما عليكم البشرى . أى جعل الله ذلك حراما عليكم . إنما البشرى للمؤمنين .

والحجر مصدر . والكسر والفتح لفتان . وقرئ بهما . وهو من حجره إذا منعه . وهو من

المصادر المنصوبة بأفعال متروكة إظهارها . و (محجوراً) لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مانت

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٥٥﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَأً وَاحْسِنُ مَقِيلًا ﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمُومِ
 وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٥٧﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ ﴿٥٨﴾ وَالْمَشْجُورُ الْمُغْتَرَبُ ﴿٥٩﴾ وَالرَّحْمَنُ الْكَرِيمُ ﴿٦٠﴾ وَكَانَ

(١) (وقدمنا) الآية، هوصفة، ولاقدوم هنا. ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ماتحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا. والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغيار. والمشجور المفترق. وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع، ولا يقع به الانتفاع. ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير).

(٢) تمييز. والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحدثون.
 (٣) مكانا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم. ولانوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه. وروى أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. وفي لفظ الأحسن تهكم بهم.
 (٤) (و) اذ كر (يوم تشقق) والأصل تشقق فحذف التاء كوفي وأبو عمرو. وغيرهم أدغمها في الشين.

(٥) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها.

(٦) (ونزل الملائكة) مكي. و (تنزيلا) على هذا مصدر من غير لفظ الفعل. والمعنى أن السماء تفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد.
 (٧) مبتدأ.

(٨) ظرفه.

(٩) نعته. ومعناه الثابت، لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه.

(١٠) خبره.

(١١) (وكان) ذلك اليوم.

يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ^(١) وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ ^(٢)
 يَلْبِغْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ^(٣) يَبُولِي لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَا تَأْخِذًا ^(٤) خَلِيلًا ^(٥)
 لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ^(٦) وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ^(٧)

(١) شديداً . يقال عسر عليه فهو عسير وعسر . ويفهم منه يسره على المؤمنين . ففي الحديث "يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلواها في الدنيا" .

(٢) عضّ اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفها . فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنى عنه . واللام في (الظالم) للهدد . وأريد به عقبة لما تبين . أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار .

(٣) (باليتى اتخذت) في الدنيا .

(٤) محمد عليه الصلاة والسلام .

(٥) طريقا إلى النجاة والجنة وهو الإيمان .

(٦) وقرئ (ياويلتى) بالياء . وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويلته — وهى هلكه — يقول لها تعان فهذا أوانك . وإنما قلبت الياء ألفا كما في صحارى ومدارى .

(٧) فلان كناية عن الأعلام . فإن أريد الظالم عقبة لما روى أنه اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل . فقال له أبى بن خلف وهو خليله : وجهى من وجهك حرام ألا أن ترجع . فارتد . فالمعنى باليتى لم اتخذ أياً خليلاً فكنى عن اسمه . وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة بفعل كناية عنه . وقيل هو كناية عن الشيطان .

(٨) (لقد أضلني عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان (بعد إذ جاءني) من الله .

(٩) (وكان الشيطان) — أى خليله . سمّاه شيطانا لأنه أضله كما يضاه الشيطان . أو إبليس لأنه الذى حمله على مخالفة المصل ومخالفة الرسول — (للإنسان) المطيع له (خذولاً) هو مباغاة من الخذلان ، أى من عادة الشيطان ترك من يواليه . وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم .

وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ^(١) وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ^(٢) وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ^(٣) كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ ^(٤) فُؤَادَكَ

(١) (وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (إن قومى) قرىشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران . وهو مفعول ثان لاتخذوا . وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا .

(٢) أقبل عليه مسلماً ووعده النصرة عليهم . أى كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه . وكفالك بنى هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرلك عليهم . والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا . والباء زائدة أى وكفى ربك هاديا . وهو تمييز .

(٣) (وقال الذين كفروا) أى قرىش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) حال من القرآن أى مجتمعا . يعنى هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزل الكتب الثلاثة . وماله أنزل على التفريق . وهو فضول من القول وممارسة بما لا طائل تحته ، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا . و(نزل) هنا بمعنى أنزل ، وإلا لكان متدافعا بدليل (جملة واحدة) . وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدثوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناسبة ، وفزعوا إلى المحاربة ، وبذلوا المهج ، وما مالوا إلى الحجج .

(٤) جواب لهم . أى كذلك أنزل متفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين . وذلك فى (كذلك) إشارة إلى مدلول قوله (لولا نزل عليه القرآن جملة) لأن معناه لم أنزل عليك القرآن متفرقا ؟ فأعلم أن ذلك (لنثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تبعه وتحفظه . لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شىء وجزءا عقيب جزء . ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه . أو (لنثبت به فؤادك) عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول ، لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب .

وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا^(١) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا^(٢)
 الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورًا مَّكَانًا وَاضَلُّ سَبِيلًا^(٣)

(١) معطوف على الفعل الذي تعلق به (كذلك). كأنه قال : كذلك فزقناه ورتلناه أى قدرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة، أو أمرنا بترتيل قراءته . وذلك قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلاً) أى اقرأه بترسل وتثبت . أو بيناه تبييناً . والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت .

(٢) (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان . إلا أتيناك بالجواب الحق الذى لا محيد عنه . وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم ، أى من سؤالهم . وإنما حذف من مثلهم لأن فى الكلام دليلاً عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وإن عمر أحسن وجهاً كان فيه دليل على أنك تريد من زيد . ولما كان التفسير هو التفسير عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت ، كما قيل معناه كذا وكذا . أولاً يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون (هلا أنزل عليك القرآن جملة) إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك فى حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته . يعنى أت تنزله مفزقا وتحديهم بأن يأنوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها أدخل فى الإعجاز من أن ينزل كله جملة .

(٣) (الذين) مبتدأ و (أولئك) مبتدأ ثان و (شر) خبر (أولئك) . و (أولئك) مع (شر) خبر (الذين) . أو التقدير : هم (الذين) ، أو أعنى (الذين) . و (أولئك) مستأنف (شر مكانا) أى مكانة ومترلة أو مسكنا ومترلا (واضل سبيلا) أى وأخطأ طريقا ، وهو من الإسناد المجازى . والمعنى أن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومترله . ولو نظرتهم بعين الإنصاف وأتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسيلكم اضل من سبيله . وفى طريقته قوله (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه) الآية . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « يحشر

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (١) وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ (٢)
 وَزِيرًا (٣) فَقُلْنَا أذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا (٤)
 فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٥) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ (٦) اغْرَقْنَاهُمْ (٧) وَجَعَلْنَاهُمْ (٨)
 دُمُورًا (٩)

الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم . قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « الذي أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم » .

(١) (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن .

(٢) بدل أو عطف بيان .

(٣) هو في اللغة من يرجع إليه من الوزر وهو الملجأ . والوزارة لاتنافي النبوة . فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء و يؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا .

(٤) إلى فرعون وقومه .

(٥) التدمير الإهلاك بأمر عجيب . وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة ، أعنى إلزام الحجمة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم .

(٦) أي (و) دمرنا (قوم نوح) .

(٧) يعني نوحا وإدريس وشيثا . أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع .

(٨) (أغرقناهم) بالطوفان .

(٩) وجعلنا إغراقهم أو قصتهم .

لِلنَّاسِ آيَةٌ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا^(٤) وَعَادَا^(٥) وَنَمُودًا^(٦) وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا^(٧)
 بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا^(٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ^(٩) وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا^(١٠)

(١) عبرة يعتبرون بها .

(٢) وهياتنا .

(٣) لقوم نوح . وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تظليمتهم نأظهم ، أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه .

(٤) أي النار .

(٥) (و) دقمنا (عادا) .

(٦) حمزة وحفص على تاويل الفييلة . وغيرهما (ونموداً) على تاويل الحى - أولأنه اسم الأب الأكبر .

(٧) هم قوم شعيب . كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيباً فيبناهم حول الرس - وهى البئر غير مطوية - انهارت بهم فحسف بهم وبديارهم . وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا . أو هم أصحاب الأخدود . والرس الأخدود .

(٨) (و) أهلكتنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيراً) لا يهلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فاهلكوا .

(٩) يتنا له القصص العجيبة من قصص الأولين .

(١٠) أي أهلكتنا إهلاكا .

(وكلاً) الأول منصوب بما دل عليه (ضربنا له الأمثال) وهو أنذرنا أو حذرنا .
 والثانى تبترنا لأنه فارغ له .

وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مِنْ السَّيِّئِ فَلَمْ يَكُونُوا بِرَوْحِهَا يُنصِتُونَ (١)
 لَّا يَرْجُونَ نُصُورًا (٢) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا (٣) أَهَذَا الَّذِي
 بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤) إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَاهِتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا
 عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ (٥) مَن أَضَلُّ سَبِيلًا (٦)

(١) (ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم - وهى أعظم قرى قوم لوط .
 وكانت نحسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة - (التي أمطرت مطر السوء) أى
 أمطر الله عليها الحجارة . يعنى أن قرينها مروا مرارا كثيرة فى متاجرم إلى الشام على تلك
 القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء . و (مطر السوء) مفعول ثان . والأصل أمطرت
 القرية مطرا . أو مصدر محذوف الزوائد أى إمطار السوء .

(٢) أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فاتفكروا فيؤمنوا ؟

(٣) بل كانوا قوما كفسرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون . أولا يأملون نشورا كما
 يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول إلى ثواب أعمالهم .

(٤) (إن) نافية .

(٥) اتخذ هزوا فى معنى استهزا به . والأصل اتخذ موضع هزوا أو مهزوا به .

(٦) محكى بعد القول المضممر . و(هذا) استصغار واستهزاء . أى قائلين (أهذا الذى بعث
 الله رسولا) . والمحذوف حال . والعائد إلى (الذى) محذوف أى بعثه .

(٧) (إن) مخففة من الثقيلة ، واللام فارقة . وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى
 دين الإسلام لولا فرط لجاحهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم

(٨) هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإهمال .

(٩) هو كالجواب عن قولهم (إن كاد ليضلنا) لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى الضلال ، إذ لا يضل غيره إلا من هو ضال فى نفسه .

أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ^(٢) أَمْ تَحْسَبُ
 أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
 سَبِيلًا ^(٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِئًا ^(٤)
^(٥) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
 سَبِيلًا ^(٦)

(١) أى من أطاع هواه فيما يأتى ويذير فهو عابد هواه وجاعله إلهه . فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى ؟ يروى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثانى . وعن الحسن هو فى كل متبع هواه .

(٢) أى حفيظا تحفظه من متابعة هواه ، وعبادة ما يهواه . (أفأنت تكون عليه) موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى — عزفه أن إليه التبليغ فقط .

(٣) (أم) منقطعة ، معناه بل أنتحسب . كأن هذه المذمة أشد من التى تقدمتها حتى حقت بالإضرار عنها إليها . وهى كونهم مسلوبى الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ، ومشبهين بالأنعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة . فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال ، وتركهم الاستدلال . ثم هم أرجح ضلالة منها . لأن الأنعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسئ إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيتها ومشاربها . وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنىء ، والعذب الروى . وقالوا : لللائكة روح وعقل ، وللهائم نفس وهوى . والآدمى يجمع الكل ابتلاء . فإن غلبته النفس والهوى فضلت الأنعام ، وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام . وإتمام ذكر الأكل لأن فيه من لم يصده عن الإسلام إلا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولأن فيه من آمن .

(٤) (ألم) تنظر إلى صنع ربك وقدرته .

(٥) أى بسطه فعم الأرض . وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة . وهو كما قال فى ظل الجنة (وظل ممدود) إذ لا شمس معه ولا ظلمة .

(٦) أى دائما لا يزول ولا تذهب الشمس .

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (١) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٢)
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا (٣) وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤)
 وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ بُشْرًا (٥) بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (٦) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (٧)

(١) ثم جعلنا الشمس عليه على الظل (دليلا) لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل . فالأشياء تعرف بأضدادها .

(٢) أى أخذنا ذلك الظل الممدود إلى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير .
 أو قليلا قليلا أى جزءاً بجزءاً بالشمس التي تأتي عليه .

وجاء بـ ثم لتفاضل ما بين الأمور فكأن الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من الثاني .
 شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت .

(٣) جعل الظلام الساتر كاللباس .

(٤) (سباتا) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم . والسبت القطع . والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته . وقيل السبات الموت ، والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة . وهو كقوله تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل) . ويعضده ذكر النشور في مقابلته إذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت .

(٥) أى ينشر فيه الخلق للعاش .

وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار نعمته على خلقه لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية ، وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر .
 وقال لقمان لابنه : كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور .

(٦) (الريح) مكي . والمراد به الجنس .

(٧) تخفيف بشر جمع بشور .

(٨) أى قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر . وهذه استعارة مليحة .

(٩) مطرا .

طَهُورًا^(١) لِنُحَيْيَ بِهِ بِلَدَةِ مَيْتًا^(٢) وَنُسْقِيَهُ^(٣) مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَى^(٤) كَثِيرًا

(١) بليغا في طهارته . والطهور صفة كقولك : ماء طهور أى طاهر . واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار . ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام "لأصلاة إلا بطهور" أى بطهارة . وحكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهراً لغيره . وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى . إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن . وبعضه قوله تعالى (ويتزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) . وإلا فليس فعول من التفعيل فى شيء . وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد . لأن بناء الفعول للبالغة فإن كان الفعل متعديا فالفعول متعدون إن كان لازما فلازم .

(٢) بالمطر .

(٣) ذكر (ميتا) على إرادة البلد أو المكان .

(٤) أى ونسقى الماء البهائم والناس . و(مما خلقنا) حال من (أنعاما وأنسى) أى أنعاما وأنسى مما خلقنا . وسقى وأسقى لغتان . وقرأ المفضل والبرجمي (ونسقيه) . والأناسى جمع لأنسى على القياس ككرسى وكراسى ، أو إنسان . وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت .

وقدم إحياء الأرض على سقى الأنعام والأناسى لأن حياتها . سبب لحياتهما وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عاقبة منافع الأناسى متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقى الأنعام كالإنعام بسقيهم . وتنكير الأنعام والأناسى ووسفها بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ، فيهم غنية عن سقى السماء . وأعقابهم وبقاياهم — وهم كثير — يعيشون بما ينزل الله من رحمته . وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء . ولما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وبيان أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة فى مواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ^(١) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ^(٢) فَلَا تَطِيعَ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ^(٣)

(١) (ليذكروا) حمزة وعلى . يريد ولقد صرّفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر، ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا . فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجمودها وقلة الاكتراث لها .

أو صرّفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطلّ وجود ورذاذ وديمة فأبوا إلا الكفران وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء . وقرأ الآية . وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد . ويتترع من هنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي . ومن نسب الأمطار إلى الأنواء ومجد أن تكون هي والأنواء من خلق الله تعالى كفر . وإن رأى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر .

(٢) أى لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها . ولكن شئنا أن نجعل لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمتناك به فتكون وحدك ككلهم — ولذا خوطب بالجمع يأتيها الرسل — فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم . وكما آثرناك على جميع الأنبياء فأثر رضائي على جميع الأهواء . وأريد بهذا تهيبه وتهيب المؤمنين وتحريكهم .

(٣) (وجاهدكم) بالله، يعنى بعونه وتوفيقه — أو بالقرآن . أى جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه — (جهادا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق . ويجوز أن يرجع الضمير في (به) إلى ما دل عليه (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته . فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم . فقال له (وجاهدكم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكل مجاهدة .

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ
 بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا (١) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٢) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ (٣)

(١) خلاهما متجاورين متلاصقين . تقول : مرجت الدابة اذا خلقتها ترى . وسمى
 المائين الكثيرين الواسعين بحرين .

(٢) أى أحدهما .

(٣) صفة لعذب ، أى شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة .

(٤) صفة للملح أى شديد الملوحة .

(٥) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان
 وفي الحقيقة منفصلان .

(٦) وسترا ممنوعا عن الأعين كقوله (حجابا مستورا)

(٧) أى النطفة .

(٨) إنسانا .

(٩) أراد تقسيم البشر قسمين : ذوى نسب أى ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان
 وفلانة بنت فلان ، وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن كقوله تعالى (جعل منه الزوجين الذكر
 والأنثى) . (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين : ذكرا وأنثى .
 وقيل (جعلها نسبا) أى قرابة (وصهرا) مصاهرة . يعنى الوصلة بالنكاح من باب الأنساب
 لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما .

(١٠) (مالا ينفعهم) إن عبده .

وَلَا يَضُرُّهُمْ^(١) وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا^(٢) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا^(٣) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ
 يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا^(٤) وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ^(٥)
^(٦)

(١) (ولا يضرهم) إن تركوه .

(٢) (وكان الكافر على) معصية ربه معيناً ومظاهراً . وفعل بمعنى مفاعل غير عزيز .
 والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون . والمظاهرة المعاونة . والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم
 يتابع الشيطان ، ويعاونه على معصية الرحمن .

(٣) (مبشراً) للؤمنين (ونذيراً) منذراً للكافرين .

(٤) (قل ما أسألكم عليه) على التبليغ (من) جعل إلّا فعل (من شاء أن يتخذ إلى ربه
 سبيلاً) . واستثنائه من الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال : ما أطلب
 منك ثواباً على ما سعيت إلّا أن تحفظ هذا المال ولا تضعه . فليس حفظك المال
 لنفسك من جنس الثواب . ولكن صورته بصورة الثواب كأنه يقول إن حفظت مالك اعتد
 حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المشاب بالثواب . ولعمري إنه عليه الصلاة
 والسلام مع أتمته بهذا الصدد . ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلاً تقربهم إليه بالإيمان والطاعة
 أو بالصدقة والنفقة . وقيل المراد لكن (من شاء أن يتخذ) بالإِنفاق (إلى) رضاء (ربه سبيلاً)
 فليفعل . وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً إلّا اتخاذه المدعو سبيلاً إلى ربه
 بطاعته . فذلك أجرى لأن الله يجرني عليه .

(٥) اتخذ من لا يموت ويكلا ، لا يهلك إلى من يموت ذليلاً . يعني ثق به وأسند أمرك
 إليه في استكفاء شروهم ولا تتكل على حي يموت . وقرأها بعض الصالحين فقال : لا يصح
 لدى عقل أن يثق بعدها بخلوق . والتوكل الاعتماد عليه في كل أمر .

(٦) (وسبح) من لا يكل إلى غيره من توكل عليه .

بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ^(٢) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ^(٣) ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنِ ^(٤)
فَسَأَلَ بِهِ ^(٥) خَيْرًا ^(٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ^(٧)

(١) بتوفيقه الذي يوجب الحمد . أو قل سبحانه الله وبحمده ، أو نزهه عن كل العيوب
بالثناء عليه .

(٢) أى كفى الله خيرا بذنوب عباده . يعنى أنه خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم .

(٣) أى في مدة مقدار هذه المدة ، لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار . روى عن مجاهد أوفا
يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة . وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة ،
تعليا لخلق الرفق والتثبت .

(٤) أى هو (الرحمن) . فالرحمن خبر مبتدأ محذوف . أو بدل من الضمير في (استوى) .
أو (الذي خلق) مبتدأ و(الرحمن) خبره .

(٥) بلا همزة مكى وعلى .

(٦) (به) صلة (سل) ، كقوله (سأل سائل بعذاب واقع) كما تكون "عن" صلته في قوله
تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) . فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به ، وسأل عنه كقولك
بحث عنه وقتش عنه . أو صلة (خيرا) ويكون (خيرا) مفعول (سل) ، أى (فاسأل) عنه رجلا
عارفا بخبرك برحمته أو (فاسأل) رجلا (خيرا) به وبرحمته . أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى
مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقبل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل
الكتاب حتى يعرف من ينكره . ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي بالجمامة . يعنون
مسيامة وكان يقال له رحمان الجمامة .

(٧) أى إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للشركين صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما
الرحمن) ؟ أى لا نعرف الرحمن فنسجد له . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه
بهذا الاسم ، والسؤال عن المجهول بما . أو عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم
كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم .

أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ^(٢) تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(٣)
وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ^(٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً ^(٥)

(١) للذي تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم متأ به . (يا أمرنا) على وحمزة كأن بعضهم قال لبعض (أنسجد لما يأمرنا) مجد أو (يا أمرنا) المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو . فقد عاندوا ، لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأنّ فعلان من أبنية المبالغة ، تقول : رجل عطشان اذا كان في نهاية العطش .

(٢) (وزادهم) قوله (اسجدوا للرحمن) تباعدا عن الإيمان .

(٣) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما . وللشمس بيت وللقمر بيت . فالجمل والعقرب بيتا المريخ ، والثور والميزان بيتا الزهرة ، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد ، والسرطان بيت القمر ، والأسد بيت الشمس ، والقوس والحوت بيتا المشتري ، والجدى والدلو بيتا زحل . وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كلّ واحد منها ثلاثة بروج : فالجمل والأسد والقوس مثلثة نارية ، والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية ، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية ، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية . سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهوره . وقال الحسن وقتادة ومجاهد : البروج هي النجوم الجبار لظهورها .

(٤) في السماء .

(٥) يعني الشمس لتوقدها . (سرجا) حمزة وعلى أي نجوما .

(٦) مضيئا بالليل .

(٧) فعلة من خلف كالركبة من ركب . وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كلّ واحد منهما الآخر . والمعنى جعلهما ذوى خلفه أحدهما الآخر عند مضيئه أو يخلفه في قضاء ما فانه من الورد .

لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ^(١) أَوْ أَرَادَ شُكْرًا^(٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هُونًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا^(٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا^(٤)
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا^(٥)

(١) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما. (يذكر) حمزة وخاف أي يذكر الله .
أو المنسى فيقضى .

(٢) أي يشكر نعمة ربه عليه فيهما .

(٣) (وعباد) مبتدأ خبره (الذين يمشون) . أو (أولئك يمشون) و (الذين يمشون) وما بعدهما
صفة . والإضافة إلى (الرحمن) للتخصيص والتفضيل . وصف أوليائه بعدما وصف أعداءه .

(٤) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هينا . والهون الرفق واللين . أي يمشون
بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضر بون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم
أشرا وبطرا . ولذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ، ولقوله (و يمشون في الأسواق) .

(٥) (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول
يسامون فيه من الإيذاء والإفك . أو تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلم .
قيل نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك . فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة .
هذا وصف نهارهم . ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع
قائم . والبيتوتة خلاف الظلول . وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم . وقالوا من قرأ شيئا من
القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما . وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان
بعد العشاء . والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره .

(٦) هلا كالأزما . ومنه الغريم ملازمته . وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ، ثم
عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون إلى الله في صرف
العذاب عنهم .

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ^(١) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ^(٢) وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ^(٣) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ^(٤)

(١) أى إن جهنم. و(ساعات) فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره (مستقراً) والمخصوص بالذم محذوف. معناه (ساعات مستقرا ومقاما) هى. وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها. أو بمعنى أحرنت وفيها ضمير اسم إن و (مستقرا) حال أو تمييز .

و يصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين ، وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم .

(٢) لم يجاوزوا الحد فى النفقة. أو لم يأكلوا للتعم ولم يلبسوا للتصانف . وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى. فالإسراف مجاوزة القدر. وسمع رجل رجلا يقول: لا خير فى الإسراف. فقال لا إسراف فى الخير. وقال عليه الصلاة والسلام "من منع حقاً فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف".

(٣) بضم التاء كوفى. وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى . وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى : والقتر والإقتار والتقتير ، التضيق الذى هو نقيض الإسراف .

(٤) (وكان) إنفاقهم (بين ذلك) أى الإسراف والإقتار (قواما) أى عدلا بينهما . فالقوام العدل بين الشئيين. والمنصوبان أى (بين ذلك قواما) خبران . وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير . وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الآية . وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته . فقال : الحسنة بين السئتين ، فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية . وقيل أولئك أصحاب مجد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة . ولكن لسد الجوع وستر العورة ودفع الحر والقتر . وقال عمر رضى الله عنه : كفى سرفا ألا يشتهى الرجل شيئا إلا أكله .

(٥) أى لا يشركون .

وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا ^(٤) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ^(٨)

(١) أى حرّمها يعنى حرّم قتلها .

(٢) (إلا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الأرض بالفساد . وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون .

ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين طهرهم الله مما أتم عليه .

(٣) أى المذكور .

(٤) جزاء الإثم .

(٥) (يضاعف) بدل من (يلق) لأنهما فى معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هى لقاء الأثام كقوله :

مضى تاتنا تلهم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

بجزم تلهم لأنه بمعنى تاتنا إذ الإتيان هو الإلمام . (يضعّف) مكىّ ويزيد ويعقوب . (يضعّف) شامى . (يضاعف) أبو بكر على الاستئناف أو على الحال . ومعنى (يضاعف له العذاب يوم القيامة) أى يعذب على مرور الأيام فى الآخرة عذابا على عذاب . وقيل إذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عدّب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه .

(٦) جزمه جازم (يضاعف) ورفع رافعه لأنه معطوف عليه .

(٧) فى العذاب . (فيهى) مكىّ وحفص بالإشباع . وإنما خص حفص بالإشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد . والعرب تمدّ للبالغة مع أن الأصل فى هاء الكناية الإشباع .

(٨) حال أى ذليلا .

إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ (٤)
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
 مَتَابًا (٦) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧)

(١) (إِلَّا مَنْ تَابَ) عن الشرك . وهو استثناء من الجنس في موضع النصب .

(٢) (وَأَمِنْ) بمحمد عليه الصلاة والسلام .

(٣) (وَعَمِلَ) بعد توبته (عملا صالحا) .

(٤) أى رفقهم للحاسن بعد القبائح . أو يحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات : الإيمان والطاعة . ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا . (يبدل) مخففا البرجمى .

(٥) يكفر السيئات .

(٦) يبدلها بالحسنات .

(٧) أى (ومن تاب) وحقق التوبة بالعمل الصالح (فإنه يتوب) بذلك (إلى الله تعالى متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب .

(٨) أى الكذب . يعنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقر بونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله ، إذ مشاهدة الباطل شركة فيه . وكذلك النظارة إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء ، فاعليه فى الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا . وسبب وجود الزيادة فيه . وفى مواعظ عيسى عليه السلام إياكم ومجالسة الخاطئين . أو (لا يشهدون) شهادة (الزور) على حذف المضاف . وعن قتادة المراد مجالس الباطل . وعن ابن الحنمية لا يشهدون اللهو والغناء .

(٩) بالزحش وكل ما ينبغى أن يأتى وي طرح . والمعنى (وإذا مروا به) أهل (اللغو) والمستغلين به .

(١٠) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) . وعن الباقر رضى الله عنه : إذا ذكروا الفروج كتبوا عنها .

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخْرِجُوا عَلَيْهَا صُحُفًا وَعُمِيَانًا^(٢) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ^(٣) وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا^(٤)

(١) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن .

(٢) هذا ليس بنفى الخور بل هو إثبات له ونفى الصمم والعمى ، ونحوه : لا يلقانى زيد مسأما هو نفي للسلام لا للقاء . يعنى أنهم إذا ذكروا بها (خروا سجداً وبكياً) سامعين بأذان واعية ، مبصرين بعيون راعية ، لما أمروا به ونهوا عنه ، لا كالمنافقين وأشباههم . دليله قوله تعالى (ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) .

(٣) (من) للبيان كأنه قيل (هب لنا) قرة أعين . ثم بينت القرة وفسرت بقوله (من أزواجنا وذرياتنا) . ومعناه أن يجعلهم الله لهم (قرة أعين) . وهو من قولهم : رأيت منك أسداً . أى أنت أسد . أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح . (وذرياتنا) أبو عمرو وكوفي غير حفص لإرادة الجنس . وغيرهم (ذرياتنا) .

(٤) إنما نكر لأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا . وإتما قيل أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهى قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم . قال الله تعالى (وقليل من عبادى الشكور) ويجوز أن يقال فى تنكير أعين إنما أعين خاصة وهى أعين المتقين . والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأقربا عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم . وقيل ليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه .

(٥) أى أمة يقتدون بنا فى الدين . فاكفى بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللبس . أو واجعل كل واحد منا إماما . قيل فى الآية مايدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها .

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ^(٤)
 خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقْرَأًا ^(٦) وَمَقَامًا ^(٧) قُلْ مَا يَعْبُرُوا بِكُمْ رَبِّي
 لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

(١) أى الغرفات . وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس .
 دليله قوله (وهم فى الغرفات آمنون) .

(٢) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفسوس
 وغير ذلك .

(٣) (وَيُلَقَّوْنَ) كوفى غير حفص .

(٤) (تَحِيَّةً) دعاء بالتمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة . يعنى أن الملائكة يحيونهم
 ويسلمون عليهم . أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه .

(٥) حال .

(٦) أى الغرفة .

(٧) موضع قرار وإقامة . وهى فى مقابلة (ساعات مستقرا ومقاما) .

(٨) (ما) متضمنة لمعنى الاستفهام . وهى فى محل النصب . ومعناه ما يصنع بكم ربى لولا
 دعاؤه إياكم إلى الإسلام . أو لولا عبادتكم له . أى أنه خلقكم لعبادته كقوله (وما خلقت
 الجن والإنس إلا ليعبدون) أى الاعتبار عند ربكم لعبادتكم . أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
 معه آلهة . وهو كقوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) . وقال الضحاك (ما يعبا)
 ما يبالى بمغفرتكم (لولا دعاؤكم) معه إلهها آخر .

(٩) (فقد كذبتهم) رسولى ياهل مكة .

(١٠) العذاب .

(١١) أى ذا لزام أو ملازما . وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل .

سورة الشعراء مكية

وهي مائتان وعشرون وسبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسِكَ (٣)
 أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٤) إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ (٥)
 (٦) (٧) (٨)

(١) طس ويس وحم مماله كوفي غير الأعشى والبرجمي وحفص . ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة . وغيرهما يدغمها .

(٢) الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله . والمراد به السورة أو القرآن . والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة (تلك آيات الكتاب المبين) .

(٣) لعل للإشفاق (باخع) قاتل (تنسك) من الحزن . يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحرنا على ما فاتك من إسلام قومك .

(٤) لنلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة ألا يؤمنوا .

(٥) (إن نشأ) إيمانهم .

(٦) دلالة واضحة .

(٧) أى فتظل ، لأن الجزء يقع فيه لفظ الماضى فى معنى المستقبل تقول : إن زرتى أكرمتك أى أكرمك ، كذا قاله الزجاج .

(٨) رؤسائهم ومقدموهم أو جماعاتهم . يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم .

لَهَا خَلِضِعِينَ ^(١) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا
عَنْهُ مُعْرِضِينَ ^(٢) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ^(٣)
أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ^(٤) ^(٥) ^(٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(٨)

(١) متقادين . وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فينا وفي بنى أمية فتكون لنا عليهم
الدولة فذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، ويلحقهم هوان بعد عزة .

(٢) أى وما يجتدد لهم الله بوجيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به .

(٣) (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسياأتهم) فسيعامون (أنباء)
أخبار (ما كانوا به يستهزئون) . وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعامون إذا مسهم عذاب الله
يوم بدر أو يوم القيامة ما الشئ الذى كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسياأتهم أنباؤه وأحواله
التي كانت خافية عليهم .

(٤) (كم) نصب بأنبتنا .

(٥) صنف من النبات .

(٦) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام .

وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج النبات
على سبيل التفصيل ، وكل تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة . وبه نبه على كمال
قدرته .

(٧) أى إن فى إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى . وقد علم
الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى إيمانهم . ووحد آية مع الإخبار بكثرتها
لأن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا . أو المراد إن فى كل واحد من تلك الأزواج لآية أى آية .

(٨) (العزير) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم .

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ ^(١) أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ^(٢)
 أَلَّا يَتَّقُونَ ﴿١٠١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ^(٤) أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٠٢﴾ وَيَضِيقُ ^(٣)
 صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ ^(٥) إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٠٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ ^(٧)

(١) (وإذ) مفعول به أى (و) اذكر (إذ نادى ربك) دعا (موسى)

(٢) (أن) بمعنى أى (أت القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر ، وبنى إسرائيل بالاستعباد
 وذبح الأولاد . سبّل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كأن معنى (القوم
 الظالمين) وترجمته (قوم فرعون) . وكأنهما عبارتان تعقبان على مؤدى واحد .

(٣) أى اتهم زاجرا فقد أن لهم أن يتقوا . وهى كلمة حث وإغراء . ويحتمل أنه حال
 من الضمير فى (الظالمين) أى يظلمون غير متقين الله وعقابه . فأدخلت همزة الإنكار
 على الحال .

(٤) الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيئ .

(٥) (ويضيق صدرى) بتكذيبهم لى . مستأنف . أو عطف على (أخاف) . (ولا ينطلق
 لسانى) بأن تغلبنى الحمية على ما أرى من المحال ، وأسمع من الجدل . وبنصبهما يعقوب
 عطفاً على (يكذبون) . فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير ، وبالتكذيب وحده
 بتقدير الرفع .

(٦) أى أرسل إليه جبريل واجعله نبياً يعبثنى على الرسالة . وكان هرون بمصر حين بعث
 موسى نبياً بالشام . ولم يكن هذا الالتباس من موسى عليه السلام توقفاً فى الامتثال بل التماس
 عون فى تبليغ الرسالة . وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف فى امتثال
 الأمر . وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل .

(٧) أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف . أو سمى تبعة الذنب ذنباً كما سمي
 جزاء السيئة سيئة .

فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٢﴾
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ أَرْسَلَ مَعَنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ ﴿٥﴾

(١) (فأخاف) أن يقتلوني به قصاصا. وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة ، و فرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة. ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع. و جمع له الاستجابتين معا في قوله (قال كلاً فاذهبا) لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع برده عن الخوف. والتس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله (اذهبا) أي جعلته رسولا معك (فاذهبا). و عطف (فاذهبا) على الفعل الذي يدل عليه (كلاً). كأنه قيل ارتدع يا موسى عما نظن فاذهب أنت وهرون .

(٢) مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك .

(٣) أي معكما بالعون والنصرة ، ومع من أرسلنا إليه بالعلم والقدرة .

(٤) خبر لإت. و (معكم) لغو . أو هما خبران . أي سامعون . والاستماع في غير هذا الإصغاء للسمع . يقال استمع فلان إلى حديثه أي أصغى إليه . ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع .

(٥) لم يثن الرسول كما ثنى في قوله (إنا رسولا ربك) لأن الرسول يكون بمعنى المرسل و بمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته . وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى في الوصف به الواحد والتثنية والجمع ، أو لأنهما لاتحادهما و اتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد ، أو أريد إن كل واحد منا .

(٦) (أن أرسل معنا بنى إسرائيل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وفيه معنى القول . يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما . فأتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة . حتى قال البواب : إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين . فقال : ائذن له لعلنا نضحك منه . فأتيا إليه الرسالة . فعرف فرعون موسى . فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) . وإنما حذف فأتيا فرعون فقلا ، اختصارا . والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة . أي ألم تكن صغيرا فربيناك .

(٧) قبل ثلاثين سنة .

وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا
 مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤﴾

(١) يعنى قتل القبطى . فعرض إذ كان ملكا .

(٢) (وأنت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازى . أو كنت على ديننا الذى
 تسميه كفرا . وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر ، وكان يعاينهم بالثقية .
 (٣) أى إذ ذلك .

(٤) الجاهلين بأنها تبلغ القتل . والضال عن الشيء هو الذاهب عن معرفته . أو الناسين
 من قوله (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) . فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع
 الضالين موضع الكافرين . (وإذا) جواب وجزاء معا . وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء
 له لأن قول فرعون (وفعلت فعلتك) معناه أنك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى :
 «نعم (فعلتها) مجازيا لك» تسليما لقوله لأن نعمته كانت جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء .

(٥) (ففررت منكم) إلى مدين (لما خفتكم) أن تقتلونى . وذلك حين قال له مؤمن
 من آل فرعون (إن الملائم يأترون بك ليقتلوك فأخرج) الآية .

(٦) نبوة وعلمها فزال عنى الجهل والضلالة .

(٧) من جملة رسله .

(٨) كرت على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله وأبى أن تسمى نعمة لأنها تقمة حيث
 بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب
 فى حصوله عنده وتربيته . ولو تركهم لرأه أبواه فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه
 وإخراجه من حجر أبويه إذا حققت . وتعبيدهم تدليلهم واتخاذهم عبيدا . ووجد الضمير
 فى (تمنها) و(عبدت) وجمع فى (منكم) و(خفتكم) لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده
 ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله (إن الملائم يأترون بك ليقتلوك) . وأما الامتنان
 فنه وحده وكذا التعبيد . (وتلك) إشارة إلى خصلة شغاء مبهمة لا يدرى ماهى إلا بتفسيرها .
 ومحل (أن عبدت) الرفع عطف بيان لتلك . أى تعبيدك بنى إسرائيل (نعمة تمنها على) .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(١) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^(٢) إِنْ
 كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ^(٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ^(٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ
 الْأُولِينَ ^(٥) قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدِي أُرْسِلْ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونًا ^(٦) قَالَ رَبُّ
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ^(٧) قَالَ لَنْ آتِيَنَّكُمْ إِلَّا هُنَّ بَنَاتٌ
 لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ^(٧)

(١) أى إنك تدعى أنك رسول رب العالمين فما صفته؟ لأنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول: ما زيد؟ تعنى أطويل أم قصير أفتيه أم طيب؟ نص عليه صاحب الكشاف وغيره.

(٢) (قال) موسى مجيباً له على وفق سؤاله .

(٣) أى وما بين الجنسين .

(٤) أى إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل ، فكفى خلق هذه الأشياء دليلاً . أو إن كان يربى منكم الإيمان الذى يؤدّى إليه النظر الصحيح ، نفعكم هذا الجواب . وإلا لم ينفع . والإيمان العلم الذى يستفاد بالاستدلال . ولذا لا يقال الله موقن .

(٥) (قال) أى فرعون لمن حوله من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الأماور وكانت للولك خاصة: (ألا تستمعون)، معجبا قومه من جوابه لأنهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوتهما وأن لها رباً . فاحتاج موسى إلى أن يستدل بما شاهدوا حدوثة وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الأولين) أى هو خالقكم وخالق آبائكم . فإن لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم . وإتما قال (رب آبائكم) لأن فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم .

(٦) (قال) أى فرعون (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) حيث يزعم أن فى الوجود لها غيرى وكان فرعون ينكر إلهية غيره .

(٧) (إن كنتم تعقلون) فاستدلون بما أقول فتعرفون ربكم . وهذا غاية الإرشاد حيث عمم أولاً بخلق (السموات والأرض) وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته .

قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ^(١) قَالَ فَاتِّبِعْ بِهَا إِنْ كُنْتَ ^(٢)
 مِنَ الصَّادِقِينَ ^(٣) فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ^(٤)

ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخلفين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به . ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان .

وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله . فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه . فقال معجبا لهم من جواب موسى (ألا تستمعون)؟ فعاد موسى إلى مثل قوله الأول . فحنته فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب . فعاد ثالثا إلى مثل كلامه الأول مبينا أن الفرد الحقيقي ، إنما يعرف بالصفات ، وأن السؤال عن الماهية محال . وإليه الإشارة في قوله تعالى (إن كنتم تعقلون) . أي إن كان لكم عقل علمكم أنه لا يمكن معرفته إلا بهذا الطريق . فلما تحير فرعون ولم يتبين له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت إلها غيري) أي غيري إلها (لأجعلنك من المسجونين) أي (لأجعلنك) واحدا من عرفت حالهم في سجن . وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل . ولو قيل لأبجنتك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر .

(١) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي (أ) تفعل بي ذلك (ولو جئت بك بشيء مبين) أي جاتيا بالمعجزة .

(٢) بالذی بین صدقك .

(٣) (إن كنت من الصادقين) أن لك بينة . وجواب الشرط مقدر أي فأحضره .

(٤) ظاهر الثعبانية لاشيء يشبه الثعبان ، كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر . روى أن العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول : يا موسى مرني بما شئت ، ويقول فرعون : أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها . فأخذها فعادت عصا .

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنِّي
 هَذَا لَسَّحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
 تَأْمُرُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤﴾
 يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٥﴾ جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٦﴾

(١) فيه دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة. وكان بياضها نورياً. روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها؟ فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه؟ قال فرعون يدك. فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويستد الأفق.

(٢) أي فرعون.

(٣) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف، ونصب المحل وهو النصب على الحال من الملاء أي كائنين حوله. والعامل فيه (قال).

(٤) (عليم) بالسحر. ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره).

(٥) منصوب لأنه مفعول به من قولك: أمرتك الخير.

(٦) تشيرون في أمره من حبس أو قتل. من المؤامرة وهي المشاورة. أو من الأمر الذي هر ضد النهي. لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الإلهية وخط عن منكيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه خوفاً، طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم. أو جعلهم أمرين ونفسه مأمورا.

(٧) أنحر أمرهما ولا تباغت قتلها خوفاً من الفتنة.

(٨) شرطاً يحشرون السحرة.

(٩) عارضوا قول فرعون (إن هذا لساحر عليم) بجاءوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه.

(١٠) أي يوم الزينة. وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى (موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى). والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان. ومنه مواقيت الإحرام.

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ^(١) لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ
 الْغَالِبِينَ ^(٢) فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنْ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ
 الْغَالِبِينَ ^(٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْتَرِينَ ^(٤) قَالَ لَهُمْ مُوسَى
 أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ^(٥) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ
 إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ^(٦) فَالْتَقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ^(٧)

(١) أى اجتمعوا . وهو استبطاء لهم فى الاجتماع . والمراد منه استعجالهم .

(٢) (لعلنا نتبع السحرة) فى دينهم (إن كانوا هم الغالبين) أى غلبوا موسى فى دينه .

وليس غرضهم اتباع السحرة . وإنما الغرض الكلى ألا يتبعوا موسى فساوقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى .

(٣) وبكسر العين على . وهما لغتان .

(٤) أى (قال) فرعون (نعم) لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقترين عندى فى المرتبة والجاه ، فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج . ولما كان قولهم (أئن لنا لأجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه ، وكان قوله (وإنكم إذا لمن المقترين) معطوفا عليه ، دخلت (إذا) قازية فى مكانها الذى تقضيه من الجواب والجزاء .

(٥) (ألقوا ما أتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته .

(٦) سبعين ألف جبل .

(٧) سبعين ألف عصا . وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا ، وكذا العصى .

(٨) أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية .

(٩) تبلع .

(١٠) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيتهم

أنها حيات تسعى .

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ رَبِّ مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿٣﴾ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ءِِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ
 الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ
 خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤﴾
 إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

(١) عبر عن الخور بالإنقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الإلقاءات ، ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم القوا .

(٢) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء .

(٣) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه . وقيل إن فرعون لما سمع منهم (آمنّا برب العالمين) قال إياى عنيتم ؟ قالوا (رب موسى وهارون) (٤) (قبل أن آذن لكم) بذلك .

(٥) (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) وقد تواطم على أمر ومكر .

(٦) (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم . ثم صرح فقال (لأقطعن أيدىكم وأرجلكم من خلف) من أجل خلاف ظهر منكم .

(٧) كأنه أراد به تريب العامة لئلا يتبعوهم فى الإيمان .

(٨) لا ضرر — وخبر (لا) محذوف أى فى ذلك ، أو علينا — (إنّا إلى ربنا منقلبون .
 إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لأن كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون . أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك ، بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا — أو (لا ضير) علينا فيما تتوعدنا به — إنه لا بد لنا من الانقلاب (إلى ربنا) بسبب من أسباب الموت . والقتل أهون أسبابه وأرجاها . أو لا ضير علينا فى قتلك . إنك إن قتلنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان .

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ أُسْرَ بَعَادَىٰ ^(١) إِنكُمْ مَتَّبِعُونَ ^(٢) فَارْسَلْ
 فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ^(٣) إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ^(٤)
 وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ^(٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ^(٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ

(١) ويوصل الهمزة مجازياً .

(٢) (أسر بعبادى) بنى إسرائيل. سبأهم عباده لإيمانهم بنبيه. أى سر بهم ليلاً - وهذا بعد سنين من إيمان السحرة - (إنكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه . علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم . يعنى أنى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم . وروى أنه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتهم حتى خرج موسى بقومه . وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بنى إسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فأتى سامر الملائكة ألا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل أبقار القبط ، واخبروا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم (أسر بعبادى) حتى تنتهى إلى البحر فيأتيك أمرى .

(٣) (أرسل فرعون فى المدائن حاشرين) أى جامعين للناس بعنف . فلما اجتمعوا قال (إن هؤلاء لشردمة قليلون) والشردمة الطائفة القليلة . ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا ، واختار جمع السلامة الذى هو للقلة . أو أراد بالقلة الذلة لاقلة العدد . أى أنهم لقلتهم لايبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم . وإنما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه . فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف .

(٤) أى أنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم علينا وقتلهم أبقارنا .

(٥) شامى وكوفى . وغيرهم (حذرون) . فالحذر المتيقظ ، والحاذر الذى يجتهد حذره . وقيل المؤدى فى السلاح . وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه . يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور . فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده . وهذه معاذير اعترض بها إلى أهل المدائن لثلا يظن به العجز والفتور .

(٦) بسايتين .

وَعْيُونٍ (١) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢) (٣) (٤) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٦)
فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ (٧) فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٩)
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (١٣) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ (١٤)

(١) وأنها جارية .

(٢) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة . وسماها كنوزاً لأنهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى .

(٣) ومنزل .

(٤) بهي بهيج . وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر .

(٥) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذى وصفنا ، ورفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كذلك .

(٦) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم .

(٧) فلحقوهم — (فاتبعوهم) يزيد — (مشرقين) حال . أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها . أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس .

(٨) أى تقابلاً بحيث يرى كل فريق صاحبه . والمراد بنو إسرائيل والقبط .

(٩) أى قرب أن يلحقنا عدونا وأماننا البحر .

(١٠) (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله إياه .

(١١) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم .

(١٢) (معى) حفص .

(١٣) أى سيهدينى طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم . (سيهدينى) بالياء يعقوب .

(١٤) أى القلزم أو النبل .

فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ^(٣) وَأَزْلَفْنَا ^(٤) نَمَّ الْآخِرِينَ ^(٥)
 وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ - أَجْمَعِينَ ^(٦) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ^(٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(٩)

- (١) أى فضرِب (فانفلق) وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الأسباط .
 (٢) أى جزء تفرق منه .
 (٣) كالجبل المنطاد في السماء .
 (٤) (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) . قوم فرعون . أى قربناهم من
 بنى إسرائيل أو من البحر .
 (٥) (وأنجيننا) من الفرق .
 (٦) فرعون وقومه . وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث
 فإنهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طول العهيم .
 روى أن جبريل عليه السلام كان بين بنى إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول
 لبنى إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم ، ويستقبل القبط فيقول: رويدكم يا بحق آخركم بأولكم .
 فلما انتهى موسى إلى البحر ، قال يوشع لموسى: أين أمرت؟ فهذا البحر أمامك وغشيك
 آل فرعون . قال موسى: ههنا . فغاض يوشع الماء . وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا .
 وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء والمكُون
 لكل شيء والكائن بعد كل شيء .
 (٧) أى فيما فعلنا بموسى وفرعون .
 (٨) لعبرة عجيبه لا توصف .
 (٩) أى المارقين .
 (١٠) قالوا لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على
 قبر يوسف .
 (١١) بالانتقام من أعدائه .
 (١٢) بالإنعام على أوليائه .

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ^(٤) قَالُوا
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ^(٥) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ^(٧)
أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ^(٨) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ^(٩)
قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ^(١٠) أَنْتُمْ وَعَابَاءُكُمْ ^(١١) الْآقْدَمُونَ ^(١٠) فَإِنَّهُمْ ^(١١)

(١) على مشركى قريش .

(٢) خبره .

(٣) قوم إبراهيم أو قوم الأب .

(٤) أى أى شىء تعبدون . وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام . ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة .

(٥) وجواب (ما تعبدون) ، (أصناما) كىسألونك (ماذا ينفقون قل العفو) . (ماذا قال ربكم قالوا الحق) . لأنه سؤال عن المعبود لا عن العبادة . وإنما زادوا (تعبد) فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها . ولذا عطفوا على تعبد (فنظّل لها عافيين) فنقيم على عبادتها طول النهار . وإنما قالوا (فنظّل) لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ، أو معناه الدوام .

(٦) أى إبراهيم .

(٧) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (إذ تدعون) عليه .

(٨) (أو ينفعونكم) إن عبدتموها (أو يضرون) إن تركتم عبادتها .

(٩) إضراب . أى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا تعبد لها شىء من ذلك . ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم .

(١٠) الأولون .

(١١) أى الأصنام .

عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ^(١) ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ^(٢) ﴿٢﴾
 وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ^(٣) ﴿٣﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ^(٤) ﴿٤﴾
 وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ^(٥) ﴿٥﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي ^(٦) ﴿٦﴾

(١) العدو والصديق يحيثان في معنى الوحدة والجماعة . يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي في يوم القيامة كقوله (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) . وقال الفراء هو من المقلوب أي فإني عدوهم . وفي قوله (عدو لي) دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم إلى القبول ولو قال فإنتهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة .

(٢) استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنه قال لكن (رب العالمين الذي خلقني) بالتكوين في القرار المكين (فهو يهدين) لمنهج الدنيا ولمصالح الدين . والاستقبال في (يهديني) مع سبق العناية لأنه يحتمل (يهديني) للأهم الأفضل والأتم الأكل . أو (الذي خلقني) لأسباب خدمته (فهو يهديني) إلى آداب خلته .

(٣) أضاف الإطعام ، إلى ولي الإنعام ، لأن الركون إلى الأسباب عادة الأنعام .

(٤) قال ابن عطاء : هو الذي (يحييني) بطعامه ، ويرويني بشرايه .

(٥) وإنما لم يقل أمرضني لأنه قصد الذكر ، بإسان الشكر ، فلم يضاف إليه ما يقتضى الضر . قال ابن عطاء : (وإذا مرضت) برؤية الخلق ، (فهو يشفين) بمشاهدة الحق . قال الصادق (وإذا مرضت) برؤية الأفعال (فهو يشفين) بكشف ممة الإفضال .

(٦) ولم يقل إذا مت لأنه الخروج من حبس البلاء ، ودار الفناء ، إلى روض البقاء ، لوعده اللقاء . وأدخل (ثم) في الإحياء ، لتراخيه عن الإفناء . وأدخل الفاء في الهداية والشفاء لأنهما يعقبان الخلق والمرض لا معا معا .

(٧) طمع العبيد في الموالى بالإفضال ، لا على الاستحقاق بالسؤال .

(٨) قيل هو قوله (إني سقيم) . (بل فعله كبيرهم) . (هذا ربي) للبارغ . "هي أختي" لسأرة . وما هي إلا معارضة جائزة . وليست بخطايا يطاب لها الاستغفار . واستغفار الأبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم وتعليم للأتم في طلب المغفرة .

يَوْمَ الدِّينِ ﴿١﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحَمْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢﴾ وَأَجْعَلْ لِي
 لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٥﴾
 وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٩﴾
 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١١﴾

(١) يوم الجزاء .

(٢) حكمة أو حكما بين الناس بالحق . أو نبوة لأن النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله .

(٣) أى الأنبياء . ولقد أجاهبه حيث قال (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) .

(٤) أى ثناء حسنا وذكرنا جميلا فى الأمم التى تبنى بعدى . فأعطى ذلك . فكل أهل دين يتولونه ويتنون عليه . ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به .

(٥) يتعاقى بمحذوف أى وارثا (من ورثة جنة النعيم) أى من الباقيين فيها .

(٦) اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام . وكان وعده الإسلام يوم فارقه .

(٧) الكافرين .

(٨) الإنزء من الخزى وهو الهوان . أو من الخزاية وهو الحياء . وهذا نحو الاستغفار كما بينا .

(٩) الضمير فيه للعباد لأنه معلوم . أو للضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه أى (ولا تخزنى) فى (يوم) يبعث الضالون وأبى فيهم .

(١٠) هو بدل من (يوم) الأول .

(١١) (لا ينفع مال ولا بنون) أحدا (إلا من آتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق . فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى (فى قلوبهم مرض) . أى أت المال إذا صرف فى وجوه البره وبنوه صالحون فإنه ينفع به وبهم سليم القلب . أو جعل المال والبنون فى معنى الغنى كأنه قيل

وَأَزَلَّتْ أَلْحَنَةُ لِلْمُتَّقِينَ ^(١) وَبُرِّزَتْ أَلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ^(٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ^(٣)
مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ^(٤) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ^(٤)

(يوم لا ينفع) غنى إلا غنى (من أتى الله بقلب سليم)، لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه. وقد جعل (من) مفعولا لينفع أى (لا ينفع مال ولا بنون) إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع . ويجوز على هذا (إلا من أتى الله بقلب سليم) من فتنه المال والبنين . وقد صوب الجليل ، استثناء الخليل ، إكراما له . ثم جعله صفة له في قوله (وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم) .

وما أحسن ما رتب عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سالمهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم . ثم أقبل على آهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ، وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة . ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرجح في الآخرة من رحمته . ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخاصين وابتهل إليه ابتهاج الأوابين ، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكفرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا .

(١) أى قربت . عطف جملة على جملة . أى تزلف من موقف السعداء فينظرون إليها .

(٢) أى أظهرت حتى يكاد يأخذهم لها .

(٣) للكافرين .

(٤) يوتخون على إشراركهم فيقال لهم (أين آهتكم؟) (هل) ينفعونكم بنصرتهم لكم؟ أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم؟ لأنهم وآهتهم وقود النار .

فَكَبِئُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَاوُونَ ^(١) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ^(٢) قَالُوا وَهَمَّ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ ^(٣) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَالِّلٍ مِّمَّنْ ^(٤) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٥)
وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ^(٦) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ^(٧) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ^(٨)

(١) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في المجيم (هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم . والكببة تكرير الكب . جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى . كأنه إذ ألقى فى جهنم ينكب مرة إثر مرة حتى يستقر فى قعرها . نعوذ بالله منها .

(٢) شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن .

(٣) يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصحّ التقاؤل والتخاصم . ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين .

(٤) نعدلكم أيها الأصنام فى العبادة (رب العالمين) .

(٥) أى رؤساؤهم الذين أضلوهم أو إبليس وجنوده ومن سنّ الشرك .

(٦) فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء ، إذ لا يتصادق فى الآخرة إلا المؤمنون . وأما أهل النار فيبينهم النعادي (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) أو (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) من الذين كُنا نعدّهم شفعا وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله ، وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس . والحميم — من الاحتام وهو الاهتمام — الذى يهّمه ما يهّمك . أو من الحامة بمعنى الخاصة . وهو الصديق الخاص . وجمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعا فى العادة . وأما الصديق — وهو الصادق فى ودادك الذى يهّمه ما أهّمك — فقليل . وسئل حكيم عن الصديق فقال : اسم لامعنى له . وجاز أن يراد بالصديق الجمع .

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً^(١) فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً^(٣) وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ^(٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(٥) كَذَبَتْ قَوْمٌ
نُوحَ الْمُرْسَلِينَ^(٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ^(٧) إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ^(٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ^(١٠)
^(١١) ^(١٢) ^(١٣)

(١) رجعة إلى الدنيا. وجواب (لو) محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت . أو (لو) في هذا
بمعنى التفتي — كأنه قيل فليت لنا كرتة — لما بين معنى لو وليت من التلاقي .

(٢) فيما ذكر من الأنبياء .

(٣) أى لعبرة لمن اعتبر .

(٤) فيه أن فريقا منهم آمنوا .

(٥) المنتقم ممن كذب إبراهيم بنار الجحيم .

(٦) المسلم كل ذى قلب سليم إلى جنة النعيم .

(٧) القوم يذكرو ويؤنث . قيل ولد نوح في زمن آدم عليه السلام . ونظير قوله (المرسلين)
— والمراد نوح عليه السلام — قولك فلان يركب الدواب ويابس البرود ، وماله إلا دابة أو برد .
أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلا ، فلذا جمع . أولأت من كذب واحدا منهم فقد كذب
الكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل . وكذا جميع ما في هذه السورة .

(٨) نسبا لا دينا .

(٩) (ألا تتقون) خالق الأنام ، فتركوا عبادة الأصنام .

(١٠) كان مشهورا بالأمانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام في قريش .

(١١) (وأطيعون) فيما أمركم به وأدعوكم إليه من الحق .

(١٢) على هذا الأمر .

(١٣) جزاء .

إِنَّ أُجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ قَالُوا انْتُمْ مِنْ
 لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿٥﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾
 إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٧﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

(١) بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحنص .

(٢) فلذلك أريده .

(٣) كثره ليقتره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلّة : فعلة الأول كونه أمينا فيما بينهم ، وعلّة الثانى حسم طمعه منهم . كأنه قال : إذا عرقت رسالتى وأمانتى (فاتقوا الله) . ثم إذا عرقت احترازى من الأجر (فاتقوا الله) .

(٤) الواو للحال و"قد" مضمره بعدها ، دليله قراءة يعقوب (وأتباعك) جمع تابع كشاهد وأشهاد . أو تبع كبطل وأبطال .

(٥) السفلة . والرذالة الخسة والدناءة . وأما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا . وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة . والصناعة لاتزرى بالديانة . فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى . ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأضعفهم نسبيا . وما زالت أتباع الأنبياء كذلك .

(٦) وأى شىء أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات . إنما أطلب منهم الإيمان .

(٧) قيل إنهم طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وقالوا إن الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظرونه . فقال ما على إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون) أن الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم .

(٨) أى ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في إيمانكم .

إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ^(١) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْتَه يَنْتَه لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ^(٢)
 قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ^(٣) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ^(٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا
 بَعْدُ الْبَاقِينَ ^(٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ^(٧)
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(٨) كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ^(٩)

(١) ما على - إلا أن أنذركم إنذاراً بيناً بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أتم أعلم نشانكم .

(٢) لئن لم تنته يانوح عما تقولون .

(٣) من المقتولين بالحجارة .

(٤) ليس هذا إخباراً بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم . ولكنه أراد أنهم كذبوني في وحيك ورسالتك .

(٥) أي فاحكم بيني وبينهم حكماً . والفتاحة الحكومة . والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لأنه يفصل بين الخصومات .

(٦) ونجيتي ومن معي من المؤمنين) من عذاب عملهم . (معي) حفص .

(٧) الفلك السفينة . وجمعه فلك . فالواحد بوزن قفل . والجمع بوزن أسد .

(٨) المملوء . ومنه شحنة البلد أي الذي يملؤه كفاية .

(٩) أي بعد إنجاء نوح ومن آمن .

(١٠) (الباقيين) من قومه .

(١١) المنتقم بإهانة من جحد وأصر .

(١٢) المنعم بإعانة من وحد وأقر .

(١٣) هي قبيلة . وفي الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة .

إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ ^(١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
 عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ^(٢) آيَةً ^(٣) تَعْبَثُونَ ^(٤) وَتَخْتَدُونَ
 مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ^(٥) وَإِذَا بَطَشْتُمْ ^(٦) بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ^(٨) وَأَتَّقُوا ^(٩) الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ
 وَبَنِينَ ^(٩) وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١١﴾ إِنْ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١٠)

(١) في تكذيب الرسول الأمين .

(٢) مكان مرتفع .

(٣) برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون من مرة ٣٣ .

(٤) تلعبون .

(٥) مأخذ الماء أو قصورا مشيدة أو حصونا .

(٦) ترجون الخلود في الدنيا .

(٧) (وإذا) أخذتم أحدا بعقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط .
والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب .

(٨) (فاتقوا الله) في البطش (وأطيعوا) فيما أدعوكم إليه .

(٩) (الذي أمدكم بما تعلمون) من النعم . ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين)
قرن البنين بالأنعام لأنهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها .

(١٠) (إنى أخاف) إن عصيتموني (عذاب يوم عظيم) .

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ^(١) إِنْ هَذَا إِلَّا
 خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ^(٢) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ^(٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ^(٤) إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(٦)
 كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ^(٧) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ^(٨)
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ^(٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١٠) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١١) أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا
 ءَامِنِينَ ^(١٢) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ ^(١٣) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ^(١٤)

(١) أى لا تقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت . ولم يقل أم لم تعظ لرؤوس الآى .
 (٢) ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابتداء إلا عادة الأولين ، أو ما نحن
 عليه دين الأولين . (الآ خلق الأولين) مكى وبصرى ويزيد وعلى . أى ما جئت به اختلاق الأولين
 وكذب المتنبيين قبلك كقولهم (أساطير الأولين) . أو خلقنا نخلق الأولين نموت ونحيا كما حيوا
 (وما نحن بمعذبين) فى الدنيا ولا بعث ولا حساب .
 (٣) أى هودا .

(٤) (فاهلكاهم) بريح صرصر عاتية .

(٥) إنكار لأن يتركوا خالدن فى نعيمهم لا يزالون عنه .

(٦) (أتركون) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (أمين) من العذاب والزوال

والموت . ثم فسر بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل .

(٧) عطف (ونخل) على (جنات) مع أن الجنة تتناول النخل أول شىء ، تفضيلا للنخل
 على سائر الشجر .

(٨) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف .

(٩) لين نضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمرة .

وَتَخْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَدَرِهِينَ^(٢) ﴿١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٣) ﴿٢﴾ وَلَا تُطِيعُوا
 أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ^(٣) ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ^(٤) ﴿٤﴾ قَالُوا
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ^(٥) ﴿٥﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ^(٦) ﴿٦﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ^(٧) ﴿٧﴾

(١) تنقبون .

(٢) شامى وكوفى . حاذقين . حال . وغيرهم (فرهين) أشمرين . والقراءة الكيس والنشاط .

(٣) الكافرين ، أو التسعة الذين عقروا الناقة . جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكيم -
 وانتراد الأمر - وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من
 من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل .

(٤) (الذين يفسدون في الأرض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالإيمان والعدل .
 والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين
 مخلوطة ببعض الصلاح .

(٥) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله . وقيل هو من السحر الرثة وأنه بشر .

(٦) (إن كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة .

(٧) (لها شرب) نصيب من الماء فلا تراحموها فيه (ولكم شرب) لا تراحمكم هى فيه .
 روى أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا . بفعل صالح يتفكر .
 فقال له جبريل : صل ركعتين واسأل ربك الناقة . ففعل . فخرجت وثبتت سقبا مثلها
 فى العظم وصدرها ستون ذراعا . وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وإذا كان يوم شرب
 لا تشرب فيه الماء . وهذا دليل على جواز المهاياة لأن قوله (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)
 من المهاياة .

وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ فَعَقَرُوهَا
فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿٤﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾
كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

(١) بضرب أو عقراً أو غير ذلك .

(٢) عظم اليوم لحلول العذاب فيه . ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الرقت
إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد .

(٣) عقرها قدار . ولكنهم راضون به فأضيف إليهم . روى أن دأقها قال : لا أعقها
حتى ترضوا أجمعين . فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين؟ فنقول نعم . وكذلك
صبيانهم .

(٤) (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفاً من نزول العذاب بهم لا ندم توبة . أو ندموا حين
لا ينفع الندم . وذلك عند معاينة العذاب . أو على ترك الولد

(٥) (فأخذهم العذاب) المقدم ذكره

(٦) أراد بالعالمين الناس . أتطئون الذكور من الناس مع كثرة الإناث . أو أتطئون أتم
من بين من عداكم من العالمين الذكور ، أي أتم مختصون بهذه الفاحشة . و(العالمين) على هذا
كل ما ينكح من الحيوان .

(٧) (من) تبين لما خلق أو تبعض . والمراد بما خلق المباح منهم . وكانوا يفعلون مثل
ذلك بنسائهم . وفيه دليل على تحريم أديار الزوجات والمملوكات . ومن أجازته فقد أخطأ خطأ
عظيماً .

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ^(١) ﴿١﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْلُوطَ ^(٢) لَتَكُونَنَّ مِنْ
 الْمُخْرَجِينَ ^(٣) ﴿٢﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ^(٤) ﴿٣﴾ رَبِّ نَجِّنِي
 وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ^(٥) ﴿٤﴾ فَجَجِنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ^(٦) ﴿٥﴾ إِلَّا عَجُوزًا ^(٧)
 فِي الْغَيْرِينَ ^(٨) ﴿٦﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ^(٩) ﴿٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ^(١٠)

(١) العادي المتعدى في ظلمه المتجاوز فيه الحد. أى بل أنتم قوم أحق بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة .

(٢) (لئن لم تنته) عن إنكارك علينا وتقيح أمرنا .

(٣) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردهنا من بلدنا . ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال .

(٤) هو أبلغ من أن يقول "قال". فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد بأنه مساهم لهم في العلم . والتلى البعض يقلى الفؤاد والكبد . وفيه دليل على عظم المعصية لأن قلاه من حيث الدين

(٥) من عقوبة عملهم .

(٦) يعنى بناته ومن آمن معه .

(٧) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك . والراضى بالمعصية فى حكم العاصى . واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وإن لم تشاركهم فى الإيمان .

(٨) صفة لها ، أى فى الباقيين فى العذاب فلم تنج منه . والغابر فى اللغة الباقي . كأنه قيل إلا عجوزا غارة أى مقدراً غبورها إذ الغبور لم يكن صفتها وقت نجاتهم .

(٩) والمراد بتدميرهم الاتفكك بهم .

(١٠) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله . وقيل لم يرض بالاتفكك حتى أتبعه مطرا من حجارة .

فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤﴾
 إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥﴾ إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٧﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ
 الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨﴾ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَةً هُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٩﴾

(١) (فساء) فاعله (مطر المنذرين). والمخصوص بالذم - وهو مطرهم - محذوف.
 ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين.

(٢) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر، عن الخليل. (ليكة) حجازي وشامي
 وكذا في (ص) علم للبلد. قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين التجنوا إلى غيضة إذ ألح عليهم الوحج.
 والأصح أنهم غيرهم. نزلوا غيضة بعينها بالبادية. وأكثر شجرهم المقل. بدليل أنه لم يقل هنا
 أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين. ففي الحديث أن شعيبا
 أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة.

(٣) أتموه ولا تنقصوا الناس حقوقهم. فالكيل واف وهو مأور به، وطفيف وهو
 منهى عنه، وزائد وهو مسكوت عنه. فتركه دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم
 يفعل فلا شيء عليه.

(٤) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر. وهو الميزان أو القبان. فإن كان من القسط
 وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي.

(٥) يقال بخصته حقه إذا نقصته إياه.

(٦) دراهمهم ودانيرهم بقطع أطرافهما.

(٧) ولا تبالغوا فيها في الإفساد نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع. وكانوا
 يفعلون ذلك فنهوا عنه، يقال عثا في الأرض إذا أفسد. وعثي في الأرض لغة في عثا.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ^(١) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
 الْمَسْحُورِينَ ^(٢) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ ^(٣)
 فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ^(٤) إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(٥)
 قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ^(٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ ^(٧)

(١) الجبلّة عطف على "كم". أى اتقوا الذى خلقكم وخلق (الجبلّة الأولين) الماضين .

(٢) إدخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم : التسخير ، والبشرية .
 وتركها فى قصة نود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحورا . ثم قرر بكونه بشرا مثلهم .

(٣) (إن) مخففة من الثقيلة . واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية . وإنما تفرقتا على فعل
 الظنّ وثانى مفعوليه ، لأن أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيدا لمنطلق . فلما
 كان بابا (كان) و(ظننت) من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك فى البابين فليل إن كان زيد
 لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا .

(٤) (كسفا) حفص . وهما جمعا كسفة وهى القطعة . وكسفه قطعه .

(٥) أى السحاب أو الظلّة .

(٦) أى إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعا
 من السماء عقوبة .

(٧) بفتح الياء مجازى وأبو عمرو . وبسكونها غيرهم .

(٨) أى أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب . فان أراد أن يعاقبك
 بإسقاط كسف من السماء فعل ، وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشئنة .

(٩) هى سحابة أظلمت بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحرّ سبعة أيام فاجتمعوا تحتها
 مستجيرين بها مما نالهم من الحرّ فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا .

إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٢)
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٣) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤) نَزَلَ بِهِ
 الرُّوحُ الْأَمِينُ (٥) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (٦) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (٧)

(١) وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا لمعانيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر ، ولأن كل قصة منها كتبت برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جدية بأن تفتح بما افتتحت به صاحبها وأن تختتم بما اختتمت به .

(٢) أى القرآن .

(٣) منزل منه .

(٤) (نزل) محفف . والفاعل (الروح الأمين) أى جبريل لأنه أمين على الوحي الذى فيه الحياة . حجازى وأبو عمرو وزيد وحفص . وغيرهم بالتشديد ونصب (الروح) . والفاعل هو الله تعالى . أى جعل الله الروح نازلا به . والباء على القراءتين للتعدية .

(٥) أى حفظك وفهمك إياه وأثبتته في قلبك لإثبات ما لا ينسى كقوله (ستقرئك فلا تنسى) .

(٦) بلغة قريش وجرهم .

(٧) فصيح ومصحح عما صحفته العامة . والباء إما أن يتعلق بالمنذرين . أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام . أو بتزل أى نزله (بلسان عربى) لتندبر به . لأنه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نضع بما لا نفهمه فيتعدّر الإنذار به . وفي هذا الوجه أت تنزله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزله على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك . ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أحراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها . وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلّم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا إلا إلى معانى الكلام وإن كلّم بغيرها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها وإن كان ماهرا بمعرفتها . فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لتزوله بلسان عربى مبين .

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (٢) أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٤)
 وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (٥) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (٦)

(١) وإِنَّ الْقُرْآنَ .

(٢) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية . وقيل إن معانيه فيها . وفيه دليل على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة .

(٣) (أولم تكن لهم آية) شامى . جعلت (آية) اسم كان . وخبره (أن يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة . وقيل فى (تكن) ضمير القصة و (آية) خبر مقدم والمبتدأ (أن يعلمه) . والجملة خبر كان . وقيل كان تامة والفاعل (آية) و (أن يعلمه) بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أى أولم تحصل لهم آية . وغيره (يكن) بالتذكير و (آية) بالنصب ، على أنها خبره و (أن يعلمه) هو الاسم . وتقديره (أولم يكن لهم) علم علماء (بنى إسرائيل) آية .

(٤) كعبد الله بن سلام وغيره . قال الله تعالى (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به لأنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) . وخط فى المصحف (علموا) بواو قبل الألف .

(٥) جمع أعجم وهو الذى لا يفصح . ولذلك الأعجمى . إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد . ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى ، شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين . والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح . وقرأ الحسن (الأعجميين) . وقيل (الأعجمين) مخفيف (الأعجميين) كما قالوا الأشعرون أى الأشعريون بحذف ياء النسبة . ولولا هذا التقدير لم يجوز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه عجماء .

(٦) والمعنى أنا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على أن البشارة بإنزاله وصفته فى كتبهم ، وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا . فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام . ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لمخوذهم عذرا ولسموه سحرا .

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ (٢) حَتَّى يَرَوْا
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣) فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٤) فَيَقُولُوا هَلْ
 نَحْنُ مُنظَرُونَ (٥) أَفِعْدَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ (٦) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٧)

(١) هو مدلول قوله (ما كانوا به مؤمنين) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر (فى قلوب
 المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والإصرار عليه . يعنى مثل هذا السلك
 (سلكناه) فى قلوبهم وقدرناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن
 يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له ، كما قال (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه
 بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) . وهو حجتنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد
 خيرها وشرها .

(٢) بالقرآن . وموقمه من قوله (سلكناه فى قلوب المجرمين) موقع الموضع والملخص لأنه
 مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقتر هذا المعنى من أنهم لا يزالون
 على التكذيب به ومجوده حتى يعاينوا الوعيد . ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير
 مؤمن به .

(٣) المراد معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك إيمان يأس فلا ينفعهم .

(٤) بغاة .

(٥) وهم لا يشعرون) يأتياه .

(٦) (فيقولوا) و (فيأتيهم) معطوفان على (يروا) .

(٧) يسألون النظر والإمهال طرفة عين فلا يجابون إليها .

(٨) توبيخ لهم وإنكار عليهم قولهم (فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)

ونحو ذلك .

(٩) قيل هى سنو ملة الدنيا .

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ^(١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ^(٢) وَمَا
أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ^(٣) ذِكْرَىٰ^(٤) وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ^(٥)

(١) من العذاب .

(٢) (ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين .

والمعنى أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم ، وأنهم يمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن . فقال الله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون) أشرا و بطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل . ثم قال : هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم . فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم . قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغترت بحياته ، والتذبت بمراته ، وسكن إلى ما لوفاته . والله تعالى يقول (أفأرأيت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) . وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال : عظمي . فلم يزد على تلاوة هذه الآية . فقال ميمون : قد وعظت فأبلغت . وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرأها عند جلوسه للحكم .

(٣) رسل ينذرونهم . ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية . وإذا زيدت فتأ كيد وصل الصفة بالموصوف .

(٤) منصوبة بمعنى تذكرة لأن أنذر وأذكر متقاربان فكأنه قيل مُذَكَّرُونَ تذكرة . أو حال من الضمير في (منذرون) أي ينذرونهم ذوى تذكرة . أو مفعول له أى ينذرون لأجل التذكرة والموعظة . أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه (ذكرى) والجملة اعتراضية . أو صفة بمعنى (منذرون) ذوو (ذكرى) . أو تكون (ذكرى) متعلقة بأهلكنا مفعولا له . والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمتهم الحجمة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم .

(٥) (وما كنا ظالمين) فهلك قوما غير ظالمين .

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴿٢﴾ إِنْهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٣﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ
الْمُعَذِّبِينَ ﴿٤﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٥﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

(١) (وما تنزلت به) أى القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم وما يستظيئون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه . لما قال المشركون إن الشياطين تلقى القرآن على عهد ، أنزل .

(٢) لمنوعون بالشهب .

(٣) مورد النهى لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الإخلاص .

(٤) خصمهم لنفى التهمة ، إذ الإنسان يساهل قرابته . أو ليعلموا أنه لا يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأن النجاة فى اتباعه دون قرابه . ولما نزلت صعد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال : "يا بنى عبد المطلب ، يا بنى هاشم ، يا بنى عبد مناف ، يا عباس عم النبي ، يا صفيّة عمّة رسول الله : إني لا أملك لكم من الله شيئاً " .

(٥) وأن جانبك وتواضع . وأصله أن الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه . وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه . فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً فى التواضع وإن الجانب .

(٦) من عشيرتك وغيرهم .

(٧) يعنى أنذر قومك . فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم . وإن عصوك ولم يتبعوك فبترأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره .

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١١﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٢﴾
 وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤﴾ هَلْ
 أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿١٥﴾ تَنْزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٦﴾

(١١) (وتوكل) على الذي يقهر أعداءك بعزته ، وينصرك عليهم برحمته ، يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم . والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ، ويقدر على نفعه وضره . وقالوا المتوكل من إذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله . وقال الجنيد رضى الله عنه : التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه . فإن حاجتك إليه في الدارين . (فتوكل) مدنى وشامى عطف على (فقل) أو (فلا تدع) .

(١٢) (الذى يراك حين تقوم) متهددا (وتقلبك) أى (و) يرى (تقلبك في الساجدين) في المصلين . أتبع كونه رحيا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة . وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهددين من أصحابه ليطمع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم . وقيل معناه (يراك) حين تقوم للصلاة بالناس جماعة . وتقلبه (في الساجدين) تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أنهم . وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة : هل تجد الصلاة بالجماعة في القرآن ؟ فقال لا يحضرنى . فللا له هذه الآية .

(١٣) (إنه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله . هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له إذ لامشقة على من يعلم أنه يعمل بمراى مولاه وهو كقولك : بعينى ما يتحمل المتحملون من أجل .

(١٤) أى هل أخبركم أيها المشركون (على من تنزل الشياطين) ؟ نزل جوابا لقول المشركين إن الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم ثم نبأ فقال (تنزل على كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ) مرتكب للآثام وهم الكهنة والمنبثثة كسطيح وطليحة ومسيامة . ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الأفاكين ويذتهم . فكيف تنزل الشياطين عليه ؟

يَلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ^(١) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ^(٢)

(١) هم الشياطين . كانوا قبل أن يجربوا بالرحم يستمعون إلى الملاء الأعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما أطلعوا عليه من الغيوب . ثم يوحون به إلى أوليائهم . و (يلقون) حال أى تنزل ملقن السمع . أو صفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء . أو استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الأفاكين ؟ فقيل يفعلون كيت وكيت .

(٢) (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به إليهم لأنهم يستمعونهم ما لم يسمعوا .

وقيل (يلقون) إلى أوليائهم (السمع) أى المسموع من الملائكة . وقيل الأفاكون (يلقون السمع) إلى الشياطين ويتلقون وحيهم إليهم . أو (يلقون) المسموع من الشياطين إلى الناس ، وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم . والأفاك الذى يكثر الإفك . ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك ، فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه . وعن الحسن وكلهم . وإنما فرق بين (وأنه لتزليل رب العالمين) و (وما تنزل به الشياطين) و (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) وهن أخوات لأنه إذا فرق بينهما بآيات ليست منهتهن ثم رجع إليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما إذا حدثت حديثا وفى صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع إليه .

(٣) (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاوون) . نزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم .

أى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقبح فى الإنسان ومدح من لا يستحق المدح ، ولا يستحسن ذلك منهم إلا (الغاوون) أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون . قال الزجاج : إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابوه فهم الغاوون . (يتبعهم) نافع .

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ^(١) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ^(٢) إِلَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ^(٣) وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ^(٤) وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ^(٥)

(١) (ألم ترأنهم في كل واد) من الكلام (يهيمون) خبرأت. أى في كل فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو وباطل يخوضون. والهاشم الذاهب على وجهه لا مقصد له. وهو تمثيل لدهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنته وأبجلهم على حاتم.

(٢) عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله .

فتن يجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال : وجب عليك الحد، فقال : قد درأ الله عنى الحد بقوله (وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد. ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم .

(٣) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر . وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصاحبه الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب . وقال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد والغفله لكنّه بالحضور .

(٤) وَهَجَّوْا (من بعد ما ظلموا) هَجَّوْا ، أى ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين . وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه . وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له " اجهم فوالذى نفسى بيده هو أشد عليهم من النبيل " وكان يقول لحسان " قل وروح القدس معك " .

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١١﴾

(١١) ختم السورة بما يقطع أجاد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله (الذين ظلموا) وإطلاقه، وقوله (أى منقلب ينقلبون) وإبهامه. وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد إليه. وكان السلف يتواعظون بها. قال ابن عطاء: (وسيعلم) المعرض عنا ما الذى فاته منا. و (أى) منصوب ينقلبون على المصدر لا يعلم لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها. أى ينقلبون أى الانقلاب.

سورة النمل مكية

وهي ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ^(١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ^(٢)
 الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ^(٣) ^(٤) ^(٥)

(١) أى (و) آيات (كتاب مبين). و(تلك) إشارة إلى آيات السورة. والكتاب المبين الواح. وإبائه أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بين للناظرين فيه إبانة. أو القرآن وإبائه أنه بين ما أودع فيه من العلوم والحكم. وعلى هذا عطفه على القرآن كمطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخى والجواد. ونكر الكتاب ليكون أنعم له. وقيل إنما نكر الكتاب هنا وعزفه في الحجر وعزف القرآن هنا ونكره ثم، لأن القرآن والكتاب اسمان علمان للترنل على مجد عليه الصلاة والسلام، ووصفان له لأنه يتمرأ ويكتب. فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف.

(٢) فى محل النصب على الحال من (آيات)، أى هداية وبشارة. فالعامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة. أو الجر على أنه بدل من (كتاب) أو صفة له. أو الرفع على هى (هدى وبشرى)، أو على البدل من (آيات)، أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أى (تلك آيات) وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة. وقيل (هدى) لجميع الخلق (وبشرى للمؤمنين) خاصة.

(٣) يديمون على فرائضها وستنها.

(٤) يؤدون زكاة أموالهم.

(٥) من جملة صلة الموصول. ويحتمل أن تم الصلاة عنده. وهو استثناء كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينًا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢١﴾
 وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾
 وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ
 إِنِّي آنستُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ سَاءِ نَبَأٍ قَبَسٍ ﴿٢٤﴾

ويدل عليه أنه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو (هم) حتى صار معناها وما يوقن
 بالآخرة حتى الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يجملهم
 على تحمل المشاق .

(١) (زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال (أفمن زين له سوء
 عمله فرآه حسنا) .

(٢) يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق .

(٣) القتل والأسريوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال .

(٤) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم نخسروا ذلك
 مع خسران النجاة وثواب الله .

(٥) لتؤتاه وتلقته (من لدن حكيم عليم) من عند أي (حكيم) وأي (عليم) . وهذا معنى
 تكثيرهما . وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأفاصيل وما في ذلك
 من لطائف حكمته ودقائق علمه .

(٦) منصوب باذكر ، كأنه قال : على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى
 عليه السلام .

(٧) (إذ قال موسى لأهله) لزوجه ومن معه عند مسيره من مدين إلى مصر (إني
 آنست) أبصرت (نارا) .

(٨) (بخبر) عن حال الطريق لأنه كان قد ضله .

(٩) (بشهاب) بالتنوين كوفي . أي شعلة مضيئة . (قبس) نار مقبوسة . بدل أو صفة .
 وغيرهم (بشهاب قبس) على الإضافة لأنه يكون قبسا وغير قبس . ولا تدافع بين قوله (سأتكم)
 (بشهاب قبس) .

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴿٢﴾
 وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ يَمْوَسِيٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

هنا و (على آتيكم) في القصص مع أن أحدهما ترج والآخر تيقن ، لأن الراجي إذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ؛ وبجيبته بسين التسوية عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة. وبأول لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار. ولم يدرك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة. واختلاف الألفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى ، وجواز النكاح بغير لفظ التزوج .

(١) تستدفنون بالنار من البرد الذي أصابكم . والطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد .

(٢) أي النار التي أبصرها .

(٣) (نودي) موسى (أن) مخففة من الثقيلة . وتقديره (نودي) بأنه (بورك) . والضمير ضمير الشأن . وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزمخشري لأن قوله (بورك) دعاء . والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة . أو مفسرة لأن في النداء معنى القول . أي قيل له (بورك) أي قدس أو جعل البركة والخير في (من في) مكان (النار) وهم الملائكة (ومن حولها) أي حول مكانها - أي موسى ، لحدوث أمر ديني فيها . وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه .

(٤) هو من جملة ما نودي ، فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره .

(٥) الضمير في (إنه) للشأن. والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر. و (العزير الحكيم) صفتان للخبر. أو يرجع إلى مادّل عليه ما قبله . أي إن مكلمك (أنا) و (الله) بيان لأننا و (العزير الحكيم) صفتان لابن . وهو نميد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات .

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَلْمُوسَى
لَا يَخْفَى مِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (٤) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَمِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (٨)

(١) (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها . وهو عطف على (بورك) لأن المعنى
(نودى أن بورك من في النار... و) أن (ألق عصاك) . كلاهما تفسير لنودی . والمعنى
قيل له (بورك من في النار) وقيل له (ألق عصاك) . ويدل عليه ما ذكر في سورة القصص
(وأن ألق عصاك) بعد قوله (أن ياموسى إنى أنا الله) على تكرير حرف التفسير .

(٢) تتحرك . حال من الهاء في (رأها) .

(٣) (كأنها جان) - حية صغيرة - حال من الضمير في (تهتز) .

(٤) (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه .
(ولم يعقب) ولم يلتفت ، أو لم يرجع . يقال قد عقب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن
ولى . فنودى (ياموسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون
حال خطابى إليهم . أو لا يخاف لدى المرسلون من غيرى .

(٥) أى لكن (من ظلم) من غيرهم ، لأن الأنبياء لا يظلمون . أو لكن (من ظلم) منهم ،
من زل من المرسلين بقاء غير ما أذنت له مما يجوز على الأنبياء كما فرط من آدم ويونس وداود
وسليمان عليهم السلام .

(٦) أى أتبع توبة (بعد) زلة .

(٧) أقبل توبته ، وأغفر زلته وأرحمه فأحقق أمنيته . وكأته تعريض بما قال موسى
حين قتل القبطى (رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له) .

(٨) (وأدخل يدك في جيب قبضك وأخرجها بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس .
(من غير سوء) برص . و (بيضاء) و (من غير سوء) حالان .

فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ وَحَدُّوا بِهَا
 وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥﴾

(١) كلام مستأنف . و (في) يتعلق بمحذوف . أى اذهب في (تسع آيات) . أو (والى
 عمالك ... وأدخل يدك - - - في) جملة (تسع آيات) .

(٢) (إلى) يتعلق بمحذوف أى مرسلا (إلى فرعون وقومه) .

(٣) خارجين عن أمر الله كافرين .

(٤) أى معجزاتنا .

(٥) حال أى ظاهرة بيّنة . جعل الإبصار لها وهو فى الحقيقة لتأقلمها للملابستهم إياها
 بالنظر والتفكر فيها ، أو جعلت كأنها تبصر فتهدى لأن الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا أن
 يهدى غيره . ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى .

(٦) ظاهر لمن تأمله . وقد قوبل بين المبصرة والمبين .

(٧) قيل الجحود لا يكون إلا من علم من الجاحد . وهذا ليس بصحيح لأن الجحود
 هو الإنكار . وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به . وقد يكون بعد المعرفة تعنتا . كذا ذكر فى شرح
 التاويلات . و ذكر فى الديوان : يقال جحد حقه وبحقه بمعنى .

(٨) والواو للحال وقد بعدها مضمرة . والاستيقان أبلغ من الإيقان .

(٩) أى جحدوها بالستهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم .

(١٠) حال من الضمير فى (و جحدوا) . وأى ظلم أخش من ظلم من استيقن أنها آيات من عند
 الله ثم سماها سحرا يتنا .

(١١) ترقعا عن الإيمان بما جاء به موسى .

(١٢) وهو الإغراق هنا والإحراق تمة .

والآيات حجة لنا على المعتزلة فى ترك الأصلح .

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ^(٢) وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا
عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ^(٤)
وَقَالَ يَتْلِيَهَا النَّاسُ عَلَيْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ^(٥)

(١) أعطينا .

(٢) طائفة من العلم ، أو علما سنياً غزيراً . والمراد علم الدين والحكم .

(٣) هنا محذوف ليصح عطف الواو عليه . ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الغاء
كقولك أعطيته فشكر . وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلما به وعرفا حق النعمة فيه (وقال
الحمد لله الذى فضلنا) . والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما .
وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير . وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته
وأهله ، وأن نعمة العلم من أجل النعم ، وأن من أوتيها فقد أوتي فضلا على كثير من عباده .
وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة ،
لأنهم القوام بما بعثوا من أجله . وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمداوا الله على
ما أوتوه ، وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم . وما أحسن قول عمر
رضى الله عنه : كل الناس أقره من عمر . رضى الله عنه .

(٤) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه . وكانوا تسعة عشر . قالوا أوتى النبوة مثل
أبيه فكانه ورثه . وإلا فالنبوة لا تورث .

(٥) (وقال) تشهيراً لنعمة الله تعالى واعترافاً بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة
التي هى علم منطق الطير . والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤنث المفيد وغير المفيد .
وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض . روى أنه صاحت فاختة فأخبر
أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاوس فقال يقول : كما تدين تدان . وصاح هدهد
فقال يقول : استغفروا الله يا مذنبين . وصاح خُطَّاف فقال يقول : قدموا خيرا تجدوه . وصاح
رَّحمة فقال تقول : سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه . وصاح قمرى فأخبر أنه يقول : سبحان

وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ^(٢) وَحِثِيرٍ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ^(٤)

ربى الأعلى . وقال الحدأة تقول : كل شيء هالك إلا الله ، والقفاة تقول : من سكت سلم ،
والديك يقول : اذكروا الله يا غافلين ، والنسر يقول : يا بن آدم عش ما شئت أترك الموت ،
والعقاب يقول : فى البعد من الناس أنس ، والضفدع يقول : سبحان ربى القدوس .

(١) المراد به كثرة ما أوتي كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله (وأوتيت من كل شيء) .
والنون فى (علمنا) و (أوتينا) نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا . فكلم أهل طاعته على الحال
التي كان عليها . وليس التكبر من لوازم ذلك .

(٢) قول وارد على سبيل الشكر كقوله "أنا سيد ولد آدم ولا خفر" . أى أقول هذا القول

شكرا ولا أقوله نخرا .

(٣) (و) جمع (سليمان جنوده من الجن والإنس والطير) . روى أت معسكره كان مائة
فرسخ : خمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للطير ،
 وخمسة وعشرون للوحش . وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة
منكوحة وسبعائة سرية . وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا فى فرسخ .
 وكان يوضع منبره فى وسطه . وهو من ذهب وفضة . فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسى
 من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس
 وحول الناس الجن والشياطين ، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حر الشمس وترفع ريح
 الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر . ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ، ويأمر الرخاء
 تسيّره . فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض أتى قد زدت فى ملكك ألا يتكلم
 أحد بشيء إلا ألقته الريح فى سمعك . فيحكى أنه مرّ بحزرات فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما
 فالقته الريح فى أذنه . فنزل ومشى إلى الحزرات وقال أتى جئت إليك لثلاثتى ما لا تقدر عليه
 ثم قال : لتسيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود .

(٤) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليسكونوا

مجمعين . وذلك للكثرة العظيمة . والوزع المنع . ومنه قول عثمان رضى الله عنه : ما يزع

السلطان أكثر مما يزع القرآن .

حَتَّى إِذَا اتُّوا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ ^(١)
لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ^(٢) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ^(٣)

(١) أى ساروا حتى إذا بلغوا وادى النمل — وهو واد بالشام كثير النمل . وعدى بعلى لأن
إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء — (قالت نملة) عرجاء تسمى طاخية أو منذرة —
وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس . فقال : سلوا عما شئتم . فسأله أبو حنيفة رضى
الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى : فأخبر . فقال أبو حنيفة رضى الله
عنه كانت أنثى . فقيل له بماذا عرفت ؟ فقال بقوله (قالت نملة) ولو كانت ذكراً لقال قال
نملة . وذلك أن النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والأنثى فتميز بينهما بعلامة نحو قولهم
حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى — (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنه
أما جعلها قائلة والنمل مقولاً لم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم .

(٢) لا يكسر نكم . والحطم الكسر . وهو نهى مستأنف . وهو فى الظاهر نهى لسليمان
من الحطم وفى الحقيقة نهى لمن عن البروز والوقوف على طريقة لا أرى نك هاهنا . أى لا تحضر
هذا الموضوع . وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنه من ضرورات
الشعر .

(٣) قيل أراد (لا يحطمنكم) جنود سليمان — بجاء بما هو أبلغ — (وهم) لا يعلمون
بمكانكم . أى لو شعروا لم يفعلوا . قالت ذلك على وجه العذر واصفة لسليمان وجنوده بالعدل .
فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسّم ضاحكاً من قولها) متعجباً من حذرها واهتمامها
لمصالحها ونصيحتها للنمل . أو فرحاً لظهور عدله . و(ضاحكاً) حال مؤكدة لأن (تبسّم) بمعنى
ضحك . وأكثر ضحك الأنبياء التبسّم ، كذا قاله الزجاج .

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ
 أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٣﴾
 وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٤﴾

(١) (أوزعني) ألهمني . وحقيقته كفتى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك (التي أنعمت عليّ) من النبوة والملك والعلم (وعلى والديّ) لأنّ الإنعام على الوالدين إنعام على الولد .

(٢) (وأن أعمل) في بقية عمري عملاً (ترضاه وأدخلني) الجنة (برحمتك) لا بصالح عملي ، إذ لا يدخل الجنة أحد إلا برحمته كما جاء في الحديث .

(٣) أى في زمرة أنبيائك المرسلين ، أو مع (عبادك الصالحين) .

روى أنّ النملة أحسّت بصوت الجنود ولا تعلم أنّهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوفقت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهنّ ثمّ دعا بالدعوة .

(٤) (ماليّ) مكىّ وعلىّ وعاصم . وغيرهم بسكون الياء . والتفقّد طلب ما غاب عنك . (أم) بمعنى بل . والمعنى أنّه تعرّف الطير فلم يجد فيها الهدهد . فقال (ماليّ) لا أراه على معنى أنّه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك . ثمّ لاح له أنّه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب . وذكر أنّ سليمان عليه السلام لما حجّ خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فترّل ليصلى فلم يجد الماء . وكان الهدهد قنّاقته وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجه فتستخرج الشياطين الماء . فتفقده لذلك . وذكر أنّه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال . فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه . ثمّ قال لسيد الطير وهو العقاب علىّ به . فارتفع فنظر فإذا هو مقبل فقصدته فناشده الله فتركه . فلما قرب من سليمان أرنحى ذنبه وجناحيه يمزّهما على الأرض ، وقال : يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله . فارتعد سليمان وعقا عنه .

لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي ^(٢) بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ^(٣)
فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ ^(٤) وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّامٍ ^(٥)

(١) (لأعذبنه) بتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو بالتفريق بينه وبين إلفه، أو بإلزامه خدمة أقرانه، أو بالحبس مع أضداده. وعن بعضهم أضيقت السجون معاشرة الأضداد. أو بإلزامه القفص، أو بطرحه بين يدي النمل ليأكله. وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصاحبة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع. وإذا سخر له الطير لم يتم السخيرة إلا بالتأديب والسياسة.

(٢) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله (لأعذبنه) وحذف نون العاد للتخفيف (ليأتيني) بنونين، مكى الأولى للتأكيد، والثانية للعاد.

(٣) بحجة له فيها صدر ظاهر على غيبته.

والإشكال أنه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه. والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنه من أين درى أنه يأتي بسطان حتى قال والله (ليأتيني بسطان)؟ وجوابه أن معنى كلامه ليكون أحد الأمور. يعني إن كان الإتيان بالسطان لم يكن تعذيب ولا ذبح. وإن لم يكن كان أحدهما. وليس في هذا ادعاء دراية.

(٤) (فكث) الهدهد بعد تفقد سليمان إياه — وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان — (غير بعيد) أي مكثاً (غير) طويل أو (غير) زمان بعيد كقوله عن قريب. ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسرعه خوفاً من سليمان. فلما رجع سأله عما لقي في غيبته (فقال أحطت بما لم تحط به) علمت شيئاً من جميع جهاته. ألهم الله الهدهد فكأف سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي من فضل النبوة والعلوم الجمّة، ابتلاء له في علمه. وفيه دليل بطلان قول الرافضة: إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه.

(٥) غير منصرف، أبو عمرو، وجعله اسماً للقبيلة أو المدينة. وغيره بالتنوين. جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر.

بِنَبِيٍّ يَقِينٍ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۖ (١) أَلَا يَسْجُدُوا

(١) النبا الخبر الذي له شأن وقوله (من سبأ بنبا) من محاسن الكلام . ويسمى البديع ، وقد حسن وبدع لفظا ومعنى هاهنا . ألا ترى أنه لو وضع مكان (بنبا) بنجر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال .

(٢) هي بلقيس بنت شراحيل . وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك . وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس .

(٣) الضمير راجع إلى سبأ على تأويل القوم ، أو أهل المدينة .

(٤) حال . و "قد" مقدره .

(٥) (وأوتيت) من أسباب الدنيا ما يليق بها .

(٦) سرير عظيم كبير . قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا . وكان من ذهب وفضة . وكان مرصعا بأنواع الجواهر ، وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد ، وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق . واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك . وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام .

(٧) أي (فصدّهم عن) سبيل التوحيد . (فهم لا يهتدون) إلى الحق . ولا يبعد من الهدى التهدي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها .

(٨) (ألا) بالتشديد . أي (فصدّهم عن السبيل) لثلا (يسجدوا) فحذف الجازع مع أن وأدغمت النون في اللام . ويجوز أن تكون (لا) مزيدة . ويكون المعنى (فهم لا يهتدون) إلى أن يسجدوا . وبالتخفيف ، يزيد وعلى . وتقديره : (ألا يا هؤلاء) (يسجدوا) . ف (ألا) للتنبيه و (يا) حرف نداء ومناداه محذوف . فمن شدّد

لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا
تُعَانُونَ ﴿٣١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٢﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٣﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ
﴿٣٤﴾

لم يقف إلا على (العرش العظيم) . ومن خفف وقف على (فهم لا يهتدون) ثم ابتداء
(ألا يا سجدوا) . وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج إنه لا يجب
السجود مع التشديد . لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لآتي بها أو ذم لتاركها .
وإحدى القراءتين أمر والأخرى ذم للتارك .

(١) سُمِّيَ الْخَبْوُ بِالْمَصْدَرِ .

(٢) قنادة : خبء السماء المطر ، وخبء الأرض النبات .

(٣) وبالتاء فيهما على وحفص .

(٤) وُصِفَ الْمَهْدُ عَرْشَ اللَّهِ بِالْعَظِيمِ تَعْظِيمَ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَوُصِفَ عَرْشُ بَلْقَيْسَ تَعْظِيمَ لَهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى عُرُوشِ أبنَاءِ جَنَسِهَا مِنَ الْمَمْلُوكِ .
إلى هاهنا كلام المهدهد .

(٥) لما فرغ من كلامه (قال) سليمان للمهدهد (سننظر) من النظر الذي هو التأمل
(أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) . وهذا أبلغ من أم كذبت ، لأنه إذا كان
معروفا بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة ، وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب
فما أخبر به فلم يوثق به . ثم كتب سليمان كتابا صورته : من عبد الله سليمان بن داود إلى
بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى . أما بعد فلا (تعلوا على
وأتونى مسامين) . وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه . وقال للمهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه)
يسكون الهاء تخفيفا ، أبو عمرو وعاصم وحمة . ويختلسها كسرا لتدل الكسرة على الياء المحذوفة ،
يزيد وقالون ويعقوب . (فألقه) بإثبات الياء ، غيرهم .

(٦) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله (وجدتها وقومها يسجدون للشمس)
وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك .

ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا مَاذَا يَرْجِعُونَ ^(١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأِ إِنِّي آَلَيْتُ إِلَىٰ
 كِتَابٍ كَرِيمٍ ^(٢) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ^(٣)
 أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ ^(٤) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأِ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ^(٥)

(١) (ثم) تنح (عنهم) إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بسمع منك . (فانظر) ما الذي يردونه من الجواب .

(٢) أخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة . فانتهت فزعة . أو أنها والجناد حوالها فرفرف ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة . فلما رأت الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (إني) وافتح الياء مدني (ألقى إلى كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه ، أو محتوم . قال عليه الصلاة والسلام "كرم الكتاب ختمه" وقيل من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به . أو مصدر بسم الله الرحمن الرحيم . أولأنه من عند ملك كريم .

(٣) هو تبيين لما ألقى إليها لأنها لما قالت (إني آلت إلى كتاب كريم) ، قيل لها ممن هو ؟ وما هو ؟ فقالت (إنه من سليمان وإنه) كيت وكيت .

(٤) لا ترفعوا (على) ولا تكبروا كما تفعل الملوك - (أن) مفسرة كدوله (وانطلق الملائة منهم أن امشوا) يعني أي امشوا - (وآتوني) مؤمنين أو منقادين . وكتب الأنبياء مبنية على الإيجاز والاختصار .

(٥) أشيروا على في الأمر الذي نزل بي . والفتوى الجواب في الحادثة . اشتقت على طريق الاستعارة من الفاء في السن . والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأي . وفسدها بالرجوع إلى استشارتهم تطيب أنفسهم لياثلوها ويقوموا معها .

مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ^(١) قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ^(٢) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ^(٣)

(١) (ما كنت) فاصلة أو مضمية حكما (حتى تشهدون) — بكسر النون . والفتح لحن ، لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب . وأصله تشهدونني فحذفت النون الأولى للنصب . والياء لدلالة الكسرة عليها . وبالياء في الوصل والوقف ، يعقوب — أى تحضروني أو تشيروني . أو تشهدوا أنه صواب . أى لا أت الأمر إلا بحضوركم . قيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف .

(٢) (قالوا) مجيبين لها : (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أرادوا بالقوة الأجساد والآلات ، وبالأس النجدة والبلاء في الحرب . (والأمر إليك) أى موكل إليك ونحن مطيعون لك . فربنا بأمرك نطعك ولا نخالفك . كأنهم أشاروا عليها بالقتال . أو أرادوا : نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة . وأنت ذات الرأي والتدبير . فانظري ماذا ترين نتبع رأيك . فلما أحست منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه حيث قالت (إن الملوك إذا دخلوا قرية) عوة وفهرا (أفسدوها) نحرّبوها (وجعلوا أعزّة أهلها أذلة) أذلّوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا . فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب . ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت . وقيل هو تصديق من الله لقولها . واحتج الساعى في الأرض بالفساد بهذه الآية . ومن استباح حراما فقد كفر . وإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين . ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدنة وما رأت من الرأي السديد .

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَ
سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ ﴿٢﴾

(١) أى (مرسلة) رسلا (بهديّة) فتنظرة (بم) - أى بما ، لأن الألف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام - (يرجع المرسلون) بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم . فإن كان ملكا قبلها وانصرف . وإن كان نبيا ردها ولم يرض منا إلا أن يتبعه على دينه . فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن ، راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة اللحم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر ، وخمسمائة جارية على رماك في زى الغلمان ، وألف لبنة من ذهب وفضة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت ، وحقا فيه ذرة عذراء ، وجرعة معوجة الثقب . وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى (بم يرجع المرسلون) . وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا . وقالت فيه إن كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف . وأخبر بما في الحق وانقب الذرة ثقبا واسلك في الخرزة خيطا . ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولك منظره . وإن رأيت به شيا لطيفا فهو نبي . فأقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله . فأمر سليمان الحق فضر بوا لبنات الذهب والفضة ، وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ ، وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة . وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنة . وأمر بأولاد الحق ، وهم خلق كثير ، فأقيموا عن اليمين واليسار . ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه . واصطفقت الشياطين صفوفها فراسخ ، والإنس صفوفها فراسخ ، والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك . فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا . ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق . فأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق ؟ فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الذرة . وأخذت دودة بيضاء الخيط بقمها ونفذت فيها * ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها . ثم رد الهدية وقال للمنذر (ارجع إليهم).

(٢) (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان ، قال : أتمدونني بمال) ؟ (أتمدونني)

(*) قوله فيها أى في الخرزة المأزذرها .

بَلْ أَتَمُّ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ^(١) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ^(٢) فَلَنآتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا^(٣)
وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا^(٤)

بنونين وإثبات الياء في الوصل والوقف ، مكى وسهل . وافقهما مدنى وأبو عمرو في الوصل . (أتمدوى) حمزة ويعقوب في الحالين . وغيرهم بنونين بلاياء فيهما . والخطاب للرسول . (فما آتانا الله) من النبوة والملك والنعمة . وافتح الياء مدنى وأبو عمرو وحفص . والفرق بين قولك أتمدنى بمال وأنا أغنى منك ، وبين أن تقوله بالفاء ، أتى إذا قلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي في الغنى وهو مع ذلك يمدنى بمال ، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بمالا أحتاج معه إلى إمداده كأنى أقول له أنك على ما فعلت فأتى غنى عنه . وعليه ورد (فما آتانا الله خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا .

(١) الهدية اسم المهدي ، كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدي له . تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه . والمعنى أن ما عندي خير مما عنديكم . وذلك أن الله آتانا الدين الذى فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع ، وآتانا من الدنيا ما لا يستراد عليه . فكيف يرضى مثلى بأن يمد بمال ؟ بل أتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا . فلذلك تفرحون بما تزدون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ هممكم . وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية .

ووجه الإضراب أنه لما أنكر عليهم الإمداد وهأل إنكاره ، أضراب عن ذلك إلى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها .

(٢) آيت بلقيس وقومها . خطاب للرسول ، أو الهدهد مجملا تابا آخر إليهم .

(٣) لا طاقة لهم بها . وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدر أن يقابلوهم .

(٤) من سبأ .

أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ
يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مَنِ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ
مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٣﴾

(١) الذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك . والصفار أن يقعوا في أسر واستعباد .

(٢) لما رجع إليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة ، قالت هو نبي ومالنا به طاقة . ثم جعلت عرشها في آحسبعة أبيات وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت إلى سليمان إنى قادمة إليك لأنظر ما الذى تدعو إليه . وشخصت إليه فى اثنى عشر ألف قیل تحت كل قیل ألوف . فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ماخصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع إطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان . أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها . وهذا بعيد عند أهل التحقيق . أو أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتبينه أم تنكره اختباراً لعقلها .

(٣) (قال عفریت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكك وقضائك (وإنى عليه) على حملة (لقوى أمين) آتى به كما هو لا أخذ منه شيئاً ولا أبتله . فقال سليمان عليه السلام : أريد أعجل من هذا . (قال الذى عنده علم من الكتاب) — أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفریت ، أو جبريل عليه السلام . والكتاب على هذا اللوح المحفوظ . أو الخضر . أو أصف بن برخيا كاتب سليمان . وهو الأصح . وعليه الجمهور . وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وهو : يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام . أو يا إلهنا وإله كل شىء لها واحدا لا إله إلا أنت . وقيل كان له علم بمجارى الغيوب إلهاما — (أنا آتيك به)

فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ
 أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ
 كَرِيمٌ ﴿١١﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴿١٢﴾

بالعرش . و (آتيك) في الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل . ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن تدره أبصرت العرش بين يديك . ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام : مدّ عينيك حتى يلمس طرفك . فدّ عينيه فنظر نحو اليمن . فدعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدره الله تعالى قبل أن يرتد طرفه .

(١١) (فلما رآه) أي العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أي حصول مرادى وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) على وإحسانه إلى بلا استحقاق منى بل هو فضل حال من العوض صاف عن الغرض (ليلوني) ليمتحنني (أشكر) إنعامه (أم أكفر) .

(٢) (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لأنه يحطّ به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة ، فالشكر قيد للنعمة الموجودة ، وصيد للنعمة المفقودة . وفي كلام بعضهم : « إن كفران النعمة بوار . ولما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها . فاستدع شاردتها بالشكر . واستدم رهنها بكرم الجوار . واعلم أن سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا » أي لم تشكر الله نعمه . (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فإن ربي غني) عن الشكر (كريم) بالإنعام على من يكفر نعمه . قال الواسطي : ما كان ميتا من الشكر فهو لنا ، وما كان منه من النعمة فهو إلينا وله المنّة والفضل علينا .

(٣) غيروه . أي اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله .

نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ
 أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٦﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَافِرِينَ ﴿٧﴾

(١) بالجزم على الجواب .

(٢) (أتهتدى) إلى معرفة عرشها ، أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه .

(٣) (فلما جاءت) بلقيس .

(٤) ها للتبويه . والكاف للتشبيه وذا اسم إشارة . ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك ، لئلا يكون تلقينا .

(٥) (قالت كأنه هو) فأجابت أحسن جواب . فلم تقل هو هو ، ولا ليس به . وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للأمرين . أولمآ شبهوا عليها بقولهم (أهكذا عرشك) شبهت عليهم بقولها (كأنه هو) مع أنها علمت أنه عرشها .

(٦) من كلام بلقيس . أى (وأوتينا العلم) بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسول ، من قبل هذه المعجزة ، أى إحضار العرش ، أو من قبل هذه الحالة ، (وكنا مسلمين) منقادين لك مطيعين لأمرك . أو من كلام سليمان وملائته . عطفوا على كلامها قولهم (وأوتينا العلم) بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها . أو أوتينا العلم بإسلامها ومجئها طائعة من قبل مجئها (وكنا مسلمين) موحدين خاضعين .

(٧) متصل بكلام سليمان . أى وصدها عن العلم بما علمناه — أو عن التقدم إلى الإسلام — عبادة الشمس ونشوعها بين أظهر الكفرة . ثم بين تشاها بين الكفرة بقوله (لأنها كانت من قوم كافرين) . أو كلام مبتدأ . أى قال الله تعالى (وصدها) قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل . أو (صدها) الله أو سليمان عما (كانت تعبد) بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل .

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا^(١)
 قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ^(٢) قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي^(٣) وَأَسْلَمْتُ
 مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا^(٤)
^(٥)

(١) (قيل لها ادخلي الصرح) أي القصر أو حوض الدار. (فلما رأته حسبتة لجة) ماء عظيما
 (وكشفت عن ساقها) بالهمزة مكى. روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر
 من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره، ووضع سريره في صدره
 بغلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس. وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره
 وتحقيقا لنبوته. وقيل إن الجن كرهوا أن يتروجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية.
 وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك
 هو أشد. فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار. فاختر عقلها
 بتكثير العرش، واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها. فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس
 ساقا وقدمًا— إلا أنها شعراء— فصرف بصره. قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر
 إلى ساقها وهي اجنبية. فلا يصح القول بمثله.

(٢) (قال) لها (إنه صرح ممرد) مملس مستو— ومنه الأمرد— (من قوارير) من الزجاج.

وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها. فعملت لها الشياطين النورة فأزالته. فنكحها سليمان
 وأحبها وأقرها على ملكها. وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له.

(٣) (إنني ظلمت نفسي) بعبادة الشمس.

(٤) (أخاهم) في النسب.

(٥) بدل.

أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ
لِي لَسْتُمْ عَابِدُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ ﴿٤﴾ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿٦﴾

(١) بكسر النون في الوصل ، عاصم وحمة وبصرى . وبضمّ النون غيرهم إتباعا للباء .
والمعنى بأن اعبدوا الله وحده .

(٢) (فإذا) للفتحة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة . وهي العامل في (إذا) .
والمعنى فإذا قوم صالح (فريقان) مؤمن به وكافر به (يختصمون) فيقول كل فريق الحقّ معي .
وهو مبين في قوله (قال الملاّ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أعلمون
أت صالحا مرسل من ربه؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قل الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم
به كافرون) . وقال الفريق الكافر (يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) .

(٣) (قال يا قوم لم تستعجلون) بالعذاب الذي توعدون قبل التوبة ؟ هلّا تطالبون
المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالإجابة .

(٤) (قالوا) تشاء منا بك لأنهم حَقَطُوا عند مبعثه ، لتكذيبهم . فنسبوه إلى مجيئه . والأصل
(طيرنا) . وقرئ به . فادغمت التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء .

(٥) (وبمن معك) من المؤمنين .

(٦) أى سبيكم الذى يحيىء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته . أو عملكم مكتوب
عند الله . فإنما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة . ومنه (وكلّ إنسان أزمانه طائر في عنقه) .
وأصله أن المسافر إذا مرّ بطائر يزجره . فإن مرّ سائحاً تيامن . وإذا مرّ بارحاً تشاءم . فلما

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ^(١) وَكَانَ فِي آلِ مَدْيَنَةَ تِسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ ^(٢)
 فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ^(٣) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ
 ثُمَّ لَنَنقُوَنَّ لَوْلِيَيْهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٤)

نسبوا الخير واشترى إلى الطائر استعير لما كان سببها من قدر الله وقسمته ، أو من عمل العبد
 الذي هو السبب في الرحمة والنقمة .

(١) تختبرون أو تعذبون بذنوبكم .

(٢) مدينة ثمود وهي الحجر .

(٣) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به . فكأنه قيل تسعة أنفس . وهو من
 الثلاثة إلى العشرة . وعن أبي دؤاد رأسهم قدار بن سالف . وهم الذين سعوا في عقر الناقة .
 وكانوا أبناء أشرافهم .

(٤) يعني أن شأنهم الإفساد البحت لا يخالط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين
 قد يندرم منه بعض الصلاح . وعن الحسن : يظلمون الناس ولا يمتنعون الظالمين من الظلم .
 وعن ابن عطاء يتبعون معائب الناس ولا يسترون عوراتهم .

(٥) قالوا : تقاسموا بالله تحالفوا — خبر في محل الحال بإضمار قد ، أي (قالوا) متقاسمين .
 أو أمر ، أي أمر بعضهم بعضا بالقسم — (لنبيئته) لنقتلنه بيانا أي ليلا (وأهله) ولده وتبعه
 (ثم لنقولن) لولى دمه ما حضرنا (مهلك أهله) حفص . (مهلك) أبو بكر وحماد والمفضل
 من هلك . فالأقول موضع الهلاك والثاني المصدر . (مهلك) غيرهم من أهلك وهو الإهلاك
 أو مكان الإهلاك . أي لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له ؟ أو ما حضرنا موضع هلاكه
 فكيف توليناه ؟ (وإننا لصادقون) فيما ذكرنا .

(لنبيئته) بالتاء وبضم التاء الثانية (ثم لنقولن) بالتاء وضم اللام ، حمزة وعلى .

وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^(١) ﴿١﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾ فَتِلْكَ بَيْتُهُمْ
خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَأَنْجَيْنَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتَاؤُنَّ الْفَاحِشَةَ
وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥﴾ أَيْنَكُمْ لَتَاؤُنَّ الرَّجَالَ^(٦) ﴿٦﴾

(١) مكروهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله . ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون .
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة . روى أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصل فيه
فقالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فتحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث . فخرجوا
إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلى فقتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم . فبعث الله صخرة من
الخطب حيالهم . فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب . فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا
ما فعل بقومهم . وعذب الله كلاً منهم في مكانه ونجى صالحاً عليه السلام ومن معه .

(٢) بفتح الألف كوفت وسهم ، وبكسرهما غيرهم على الاستئناف . ومن فتحه رفعه على
أنه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم . أو نصبه على معنى لأننا أو على
أنه خبر كان أي فكان عاقبة مكروهم الدمار بالصيحة .

(٣) ساقطة منهمة من خوى النجم إذا سقط . أو خالية من الخواء . وهي حال عمل
فيها ما دل عليه (تلك) .

(٤) بظلمهم .

(٥) (إن) فيما فعل بتمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون .

(٦) (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره . وكانوا أربعة آلاف .
نجوا مع صالح من العذاب .

(٧) (و) اذكر (لوطا) . و (إذ) بدل من (لوطا) أي واذكر وقت قول لوط (أتأتون
الفاحشة) أي إتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها ، من بصر

شَهْوَةٌ مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
 إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْزِلُوا عَلَيْنَا آيَاتٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَقُولَ بِئْسَ مَا كُنَّا فَعَلْنَا لَعْنَةُ اللَّهِ
 عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
 مَا هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُ لَقَدْ تَلَّوْنَهَا قَبْلَ هَذَا لَئِنْ لَّمْ يَنظُرُوا آيَاتِنَا لَعَلَّ يَكْفُرُوا بِهَا
 فَأَجْمَعُنَّهُمْ وَاهْلِكُوهُمْ إِلَّا امْرَأَتَهَا وَبَنِيهَا الْمَدِينَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا جَمْعٌ
 مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَإِنَّمَا تَكْفُرُ بآيَاتِنَا لَعْنَةُ
 اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَإِنَّمَا تَكْفُرُ بآيَاتِنَا
 لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
 مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٨﴾

القلب . أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يرتكبونها في ناديتهم معالنين بها لا يتستر
 بعضهم من بعض بجانة وانهما كما في المعصية . أو (تبصرون) آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم .
 ثم صرح فقال (أنتم لتأتون الرجال) بهمزتين كوفي وشامي .

(١) للشهوة .

(٢) أى أن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى ،
 فهى مضادة لله فى حكمته .

(٣) تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك . أو أريد بالجهل السفاهة والجانة
 التى كانوا عليها . وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله (بل أتم قوم تجهلون) و(بل أتم قوم
 تفتنون) فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين .

(٤) أى لوطا ومتبعيه . نخب (كان) ، (جواب) . واسمه (أن قالوا) .

(٥) يتزهون عن القاذورات ، ينكرون هذا العمل القذر ويفيظنا إنكارهم . وقيل هو
 استهزاء كقوله (إنك لأنت الحليم الرشيد) .

(٦) نخلصناه من العذاب الواقع بالقوم .

(٧) (قدرناها) بالتشديد ، سوى حماد وأبى بكر . أى قدرنا كونها من الباقين
 فى العذاب .

(٨) (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين)
 الذين لم يقبلوا الإنذار .

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ^(١) اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٠﴾
 آمَنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥)

(١) أمر رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء . وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذى بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما . أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم .

(٢) (آله خير أما يشركون) بالياء بصرى وعاصم . ولا خير فيما أشركوه أصلاً حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء . وإتما هو إلزام لهم وتهكم بحالهم . وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إثارة من زيادة خير ومنفعة . فقيل لهم — مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً — لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط ليعلموا أن الإيثارة يجب أن يكون للخير الزائد . وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأها قال " بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم " . ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال (أم من خلق السموات والأرض) والفرق بين (أم) و (أم) في (أما يشركون) و (أمن خلق السموات) أن تلك متصلة ، إذ المعنى أيهما خير ، وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة . لما قال (آله خير) أم الآلهة ، قال بل أمن (خلق السموات والأرض) خير ، تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء .

(٣) مطراً .

(٤) صرف الكلام عن الغيبة إلى التكلم تأكيداً لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذاناً بأن إنبات الحدائق — المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع حسنها — بماء واحد ، لا يقدر عليه إلا هو وحده .

(٥) بالماء .

حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ (١)
 هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٢) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهْرًا (٣)
 وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَأَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ هُمْ (٤)
 لَا يَعْلَمُونَ (٥) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ (٦)

- (١) بساين . والحديقة البستان وعليه حائط . من الإحداق وهو الإحاطة .
 (٢) ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت .
 (٣) حسن . لأن الناظر يبتهج به .
 (٤) ومعنى الكيتونة الانبغاء . أراد أن تأتي ذلك محال من غيره .
 (٥) أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له .
 (٦) (يعدلون) به غيره . أو (يعدلون) عن الحق الذي هو التوحيد . و (بل هم) بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم .
 (٧) (أم من جعل الأرض) وما بعده بدل من (أم من خلق) فكان حكمها حكمه
 (٨) دحاها وسواها للاستقرار عليها .
 (٩) (خلالها) ظرف أي وسطها . وهو المفعول الثاني . والأول (أنهارا) .
 و (بين البحرين) مثله .
 (١٠) (وجعل لها) للأرض (رواسي) جبلاً تمنعها عن الحركة .
 (١١) العذب والمالح .
 (١٢) مانعاً أن يختلطاً .
 (١٣) (لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون .
 (١٤) الاضطراب ائتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى الجأ . يقال اضطره إلى كذا .
 والفاعل والمفعول مضطر . والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر
 إلى الجأ والتضرع إلى الله ، أو المذنب إذا استغفر ، أو المظلوم إذا دعا ، أو من رزع يديه ولم
 ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر .
 (١٥) الضر أو الجور .

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْعُونَ ﴿٢﴾ أَمْ يَهْدِيكُمْ
 فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَأَلَيْسَ لَهُ مَعَ
 اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ أَمْ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

(١) أى فيها . وذلك توارثهم سكاها والتصرف فيها قرنا بعد قرن . أو أراد بالخلافة الملك والتسلط .

(٢) وبالياء أبو عمرو . وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص . و (ما) مزيدة . أى (تدعون) تذكرًا قليلا .

(٣) (أم من يهديكم) يرشدكم (في ظلمات البر والبحر) بالنجوم ليلا ، وبعلامات في الأرض نهارا .

(٤) (الريح) مكى وحمة وعلى .

(٥) من البشارة . وقد مرّ في الأعراف .

(٦) قدام المطر .

(٧) ينشئ الخلق .

(٨) وإنما قيل لهم (ثم يعيده) وهم منكرون للإعادة لأنه أزيحت ملتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار ، فلم يبق لهم عذر في الإنكار .

(٩) أى (يرزقكم من السماء) المطر (و) من (الأرض) النبات .

(١٠) حجتكم على إشراكم .

(١١) (إن كنتم صادقين) فى دعواكم أن مع الله إلها آخر .

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ^(٢) بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ^(٣)

(١) (من) فاعل (يعلم) . و (الغيب) — هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق — مفعول . (والله) بدل من (من) . والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله . نعم إن الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممن في السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجرون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون : ما في الدار أحد إلا حمار . وقالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية . والله تعالى يقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) . وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة .

(٢) وما يعلمون متى ينشرون .

(٣) (بل أدرك) مكى وبصرى ويزيد والمفضل . أى انتهى وتكامل ، من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا . (بل أدرك) عن الأعشى . افعل . (بل أدارك) غيرهم . استحكم . وأصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل يمكن التكلم بها . (في الآخرة) أى في شأن الآخرة ومعناها . والمعنى أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته ، وهم شاكون جاهلون . وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) . والإضرابات الثلاثة تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم . وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ، ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ، ثم بأنهم يخبطون في شك وصرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ، ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى . وقد جعل الآخرة مبتدأ عمائم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى منعهم عن التدبر والنفكر . ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية — وهو وصف المشركين بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة — بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه ، أنه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لتصور علمهم ،

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا اِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿١﴾ لَقَدْ
 وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَاَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴿٢﴾ اِنْ هَذَا اِلَّا اَسْطِيزُ الْاَوَّلِينَ ﴿٣﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤﴾

وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت
 جزء أعمالهم ، لا يكون — مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به . وجاز أن
 يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لأجهل الناس : ما أعلمك ! على سبيل
 المزهق . وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوكة فضلا أن يعرفوا
 وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته . ويجوز أن يكون (أدرك) بمعنى انتهى وفنى من قولك
 أدركت الثمرة . لأن تلك غايتها التي عندها تعدم . وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة .
 و (تدارك) ، من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك .

(١) (أنا لمخرجون) من قبورنا أحياء . وتكرير حرف الاستفهام في (أنا) و (أنا) في قراءة
 عاصم وحمة وخلف إنكار بعد إنكار . وجحد عقيب مجحد ودليل على كفر مؤكّد مبالغ فيه .
 والعامل في (إذا) ما دل عليه (لمخرجون) وهو نخرج . لأن اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام
 أو إن أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله ، فكيف إذا اجتمعن ؟ والضمير في (إنا) لهم ولآبائهم
 لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآبائهم . لكنّه غلبت الحكاية على الغائب . (وَاَبَاؤُنَا) عطف على
 الضمير في (كنا) لأن المفعول جرى مجرى التوكيد .

(٢) (لقد وعدنا هذا) أي البعث من قبل محمد صلى الله عليه وسلم . قدم هنا (هذا) على
 (نحن وَاَبَاؤُنَا) وفي المؤمنون (نحن وَاَبَاؤُنَا) على (هذا) ليدل على أن المقصود بالذکر هو
 البعث هنا ، وثمة المبعوثون .

(٣) ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم .

(٤) أي آنحرام الكافرين . وفي ذكر الإجماع لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله

تعالى (قدم عليهم ربهم بذنبيهم) وقوله (مما خطيئاتهم أغرقوا) .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٥﴾

(١١) (ولا تحزن عليهم) لأجل أنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فإسلبوا. (ولا تكن) في حرج صدر من مكركم وكيدهم لك فات الله يعصمك من الناس . يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح ، وهو قراءة غير ابن كثير ، وبالكسر وهو قراءته .

(١٢) (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب (إن كنتم صادقين) أن العذاب نازل بالمكنب .

(١٣) استعجلوا العذاب الموعود فليل لهم عسى أن يكون ردفاكم بعضه وهو عذاب يوم بدر . فزيدت اللام للتأكيد كالباء في (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) . أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم . ومعناه تبعكم ولحقكم . وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ، فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده .

(١٤) (وإن ربك لذو فضل) أى إفضال (على الناس) بترك المعاملة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أى أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم .

(١٥) (وإن ربك ليعلم ما تكنن صدورهم) تخفى (وما يعلنون) يظهر من القول . فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت . قدّر . أو أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه . وقرئ (تكنن) يقال كنت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته .

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ إِنَّ هَذَا
 الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢﴾
 وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٥﴾

(١) سمى الشيء الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية . والتاء فيهما كالتاء في العاقبة . ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة فى أنها أسماء غير صفات . ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للبالغة كالراوية . كأنه قال وما من شىء شديد الغيبوبة إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبتته فى اللوح المحفوظ . والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة .

(٢) أى يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) فإثمهم اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا . وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا . يريد اليهود والنصارى .

(٣) وإنا القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن . أى من بنى إسرائيل . أو منهم ومن غيرهم .

(٤) (إن ربك يقضى) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به بعد له . لأنه لا يقضى إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما . أو بحكمته . ويدل عليه قراءة من قرأ (بحكمه) جمع حكمة .

(٥) (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى عليه . أو (العزيز) فى انتقامه من المبطلين ، (العليم) بالفصل بينهم وبين المحققين .

(٦) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين . وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلغ وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك . وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته .

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿١﴾
 وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
 فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
 تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَيَوْمَ نُحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا
 مِّنْهُمْ لِيَتَّبِعُنَا وَمِنَّا مَكْرُومٌ يُمِرُّ بِالْإِثْمِ وَالْجُرْأَةِ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا

(١) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شَبَّهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس
 وبالصم الذين ينطق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع
 ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصره إلا الله تعالى . ثم أكد حال الصم بقوله (مدبرين) لأنه إذا
 تباعد عن الداعى بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته . (ولَا يُسْمِعُ الصُّمَّ) مكى
 وكذا فى الروم . (وما أنت تهادى العمى) وكذا فى الروم ، حمزة .

(٢) أى ما يجدى إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها .

(٣) مخلصون من قوله (بلى من أسلم وجهه لله) يعنى جعله سالما خالصا له .

(٤) ستمى معنى القول ومؤذاه بالقول . وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب . ووقوعه
 حصوله . والمراد مشاركة الساعة وظهور أشراتها وحين لا تنفع التوبة .

(٥) (دابة) هى الجحاسة . فى الحديث "طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها
 أربع قوائم وزغب وريش وجناحان" وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أبل
 وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعير ، وما بين المفصلين
 اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)
 أى لا يوقنون بخروجى لأن نحر وجهها من الآيات . وتقول أَلَا لعنة الله على الظالمين . أو تكلمهم
 ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر . وفتح (أَنْ) كوفى
 وسهل على حذف الجار أى تكلمهم بأن . وغيرهم كسروا لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار
 القول . أى تقول الدابة ذلك . ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك .
 ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أى واذا كرىوم يجمع
 من كل أمة من الأمم زمرة .

مَنْ يُكَذِّبْ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ^(٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَ كَذَّبْتُمْ
بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمَ أَنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ
عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ^(٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسِكُنَا
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ^(٦)

(١) (من) للتبيين .

(٢) (يُكذِّبْ بِآيَاتِنَا) المتزلة على أنبيائنا .

(٣) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب . وهذه عبارة

عن الجماعة الكثيرة .

(٤) (حتى إذا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى ، تهديدا :

(أ كذبتهم بآياتي) المتزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال ، كأنه (قال أ كذبتهم بآياتي)
بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق
أو بالتكذيب ؟ (أم ما ذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها . فإنكم لم تخلقوا عبثا .

(٥) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن

النطق والاعتذار كقوله (هذا يوم لا ينطقون) .

(٦) (مبصرا) حال . جعل الإبصار للنهار وهو لأهله . والتقابل مراعى من حيث

المعنى لأن معنى (مبصرا) ليصروا فيه طرق التقاب في المكاسب (إن في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون) يصدقون فيعتبرون . وفيه دليل على صحة البعث لأن معناه ألم يعلموا أنا جعلنا الليل
والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك
من ثواب وعقاب . فإذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ (٢)
 إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَانِحِينَ (٤) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا
 جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ (٥) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (٧)

(١) (و) اذكر (يوم ينفخ في الصور) وهو قرن ، أو جمع صورة . والناخ إسرافيل عليه السلام .

(٢) اختير (فزع) على يفتح للإشعار بتحقى الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة . والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون .

(٣) إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة . قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام . وقيل الشهداء ، وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش . وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة . ومثله (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) .

(٤) (أتوه) حمزة وحفص وخلف . (أتوه) غيرهم وأصله أتوه (دانحين) حال ، أى صاغرين . ومعنى الإتيان حضورهم الموقف ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له .

(٥) (تحسبها) — بفتح السين شامى وحمزة ويزيد وعاصم . وبكسرها غيرهم . حال من المخاطب — (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة — من حمد في مكانه إذا لم يبرح — (وهي تمر مرة السحاب) حال من الضمير المنصوب في (تحسبها) أى مثل مرة السحاب . والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمتها وهي تسير سيراً سريعاً كالسحاب إذا ضربته الريح . وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحزكت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش :

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تُهملج

(٦) مصدر عمل فيه ما دل عليه بما لأن مرورها كثر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك صنعا . وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل .

(٧) أى أحكم خلقه .

إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ
 فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٢﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ
 تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ
 ﴿٤﴾

(١) (يفعلون) مكى وبصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى . وغيرهم بالناء . أى أنه عالم
 بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك . ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أى
 بقوله لا إله إلا الله عند الجمهور (فله خير) حاصل من جهتها وهو الجنة . وعلى هذا لا يكون
 (خير) بمعنى أفضل ، ويكون (منها) فى موضع رفع صفة لخير أى بسببها .

(٢) كوفى- أى (من فرع) شديد مفرط الشدة وهو خوف النار . أو من فرع ما وإن قل .
 وبغير تنوين ، غيرهم .

(٣) كوفى ومدنى . وبكسر الميم غيرهم . والمراد يوم القيامة .

(٤) أمن يعدى بالجاز وبنفسه كقوله (أفأمنوا مكر الله) .

(٥) بالشرك .

(٦) (فكبت وجوههم) ألقيت يقال كبت الرجل ألقته على وجهه . أى ألقوا على
 رؤوسهم فى النار . أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها . أى ألقوا فى النار .
 ويقال لهم تكيئا عند الكب : (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك
 والمعاصى .

(٧) منكرة .

الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣﴾
 وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمِنْ أُمَّتِي فِيمَا هَدَيْتَنِي لِنَفْسِي وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ
 إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٤﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴿٥﴾
 وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

(١) جعلها حرماً آمناً يأمن فيها اللاجئ إليها ولا يختل خلاها ولا يعضد شوكتها ولا ينفر صيدها .

(٢) (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة .

(٣) المتقادين له .

(٤) من التلاوة أو من التسلو كقوله (واتبع ما يوحى إليك من ربك) .

أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكاً كما فعلت قريش (وأن أكون) من الخفاء الثابتين على ملة الإسلام (وأن أتلو القرآن) لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام . وخص مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاد إليه وأعظمها عنده . وأشار إليها بقوله (هذه) إشارة تعظيم لها وتقريب دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه . ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها .

(٥) (فمن اهتدى) باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الخنيفية واتباع ما أنزل على من الوحي، فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلى .

(٦) أى ومن ضل ولم يتبعنى فلا على وما أنا إلا رسول منذر (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) .

(٧) أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة ، وأن يهتد أعداءه بما سيرهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها . وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقات الله في الدنيا .

(٨) بالنساء مدني وشامي وحفص ويعقوب . خطاب لأهل مكة . وبالبايع غيرهم . أى كل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه . فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه .

سورة القصص

مكية ثمانون وثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى
وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾

(١) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد. ويقال أبنته . فأبان لازم ومتعد . أى مبين خيره وبركته . أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد .

(٢) نقرأ عليك ، أى يقرؤه جهريلا بأمرنا . ومفعول (نتلو) ، (من نبأ موسى وفرعون) أى نتلو عليك بعض خبرهما .

(٣) حال . أى محقين .

(٤) لمن سبق فى علمنا أنه مؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم .

(٥) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل . كأن قائلا قال : وكيف كان نبؤهما ؟ فقال (إن فرعون علا) طغى وجاوز الحد فى الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية .

(٦) أى أرض مملكته يعنى مصر .

(٧) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه . أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى ، فأكرم القبطى وأهان الإسرائيلى .

يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ (١) وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٢) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
 (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) هم بنو إسرائيل. و (يستضعف) حال من الضمير في (وجعل). أو صفة لشيءا .
 أو كلام مستأنف .

(٢) أى يترك البنات أحياء للخدمة . وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود
 فى بنى إسرائيل يذهب ملكك على يده . وفيه دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن
 لم ينفعه القتل . وإن كذب فما معنى القتل ؟ و (يذبح) بدل من (يستضعف) .

(٣) أى أن القتل ظلما إنما هو فعل المفسدين إذ لا طائل تحته ، صدق الكاهن .
 أو كذب .

(٤) تفضل . وهو دليل لنا فى مسألة الأصلح . وهذه الجملة معطوفة على (إن فرعون
 علا فى الأرض) لأنها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له . أو حال
 من (يستضعف) أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم . وإرادة الله تعالى كائنة
 بفعلت كالمقارنة لاستضعافهم .

(٥) قادة يقتدى بهم فى الخير ، أو قادة إلى الخير ، أو ولاة وملوكا .

(٦) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم .

(٧) مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد . ومعنى التمكين (لهم فى الأرض) —
 أى أرض مصر والشام — أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم .

(٨) (وئرى) بضم النون ونصب (فرعون) وما بعده . وبالياء ورفع (فرعون) وما بعده ،
 على وحمة . أى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم .
 (وئرى) نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون . أو رفع على الاستئناف .

مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ
 فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ
 إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾ فَالْتَقَطَهُ ءَالَ فِرْعَوْنَ
 فِرْعَوْنَ ﴿٦﴾

(١) من بنى إسرائيل . ويتعلق بنرى دون (يحذرون) لأن الصلاة لا تتقدم على الموصول .

(٢) الحذر التوقى من الضرر .

(٣) (وأوحينا إلى أم موسى) بالإلهام أو بالرؤيا أو بإخبار ملك كما كان لمريم . وليس
 هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا .

(٤) (أن) بمعنى أى أو مصدرية .

(٥) (فإذا خفت عليه) من القتل بأن يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فألقيه في) البحر
 — قيل هو نيل مصر — (ولا تخافى) من الغرق والضياح (ولا تحزنى) بفراقه (إنا رآدوه إليك)
 بوجه لطيف لتريبته (وجاعلوه من المرسلين) .

وفى هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان . والفرق بين الخوف والحزن
 أن الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع ، والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به . فنهيت
 عنهما . وبشرت برده إليها وجعله من المرسلين . وروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف
 وليد . وروى أنها حين ضربها الطلق كانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل
 مصافية لها فعابلتها . فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها . فقالت ماجئتك
 إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه . فلما
 نرجت القابلة جاءت عيون فرعون . فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم
 ماتصنع لما طاش من عقلها . فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدري مكانه . فسمعت
 بكاءه من التنور . فانطلقت إليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما . فلما ألح فرعون فى طلب
 الولدان أوحى إليها بإلقائه فى اليم فألقته فى اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر .

(٦) أخذه (آل فرعون) . قال الزجاج : كان فرعون من أهل فارس من إصطخر

لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًّا وَحَزْنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٣)
 وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا (٦)

(١) أى ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا ، كقولهم : لاوت ما تلده الوالدة ،
 وهى لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك . كذا قاله الزجاج . وعن هذا قال
 المفسرون إن هذه لام العاقبة والضرورة . وقال صاحب الكشاف : هى لام كي التى معناها
 التعليل كقولك : جئتك لتكرمنى . ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك
 لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام
 الذى هو نتيجة المحبى .

(٢) (وحزنا) على وحمزة . هما لغتان كالعدم والعدم .

(٣) (خاطين) تخفيف خاطئين — أبو جعفر . أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم
 ومن هو سبب هلا كههم على أيديهم . أو (كانوا خاطئين) فى كل شىء فليس خطوهم فى تربية
 عدوهم ببدع منهم .

(٤) روى أنهم حين التقطوا التابوت عاجلوا فتحه فلم يقدروا عليه فعاجلوا كسره فأعياهم .
 فددت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعاجلته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه فأحبوه .
 وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرئت . فقال الغواة من قومه : هو الذى نحذر
 منه فأذن لنا فى قتله . فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لى ولك) فقال فرعون لك لى .
 وفى الحديث " لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها " . وهذا على سبيل الفرض . أى
 لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ، وكان أسلم كما أسلمت . و(قرة) خبر مبتدأ
 محذوف أى هو قرة ، و(لى ولك) صفتان لقرة .

(٥) خاطبته خطاب المملوك أو خاطبت الغواة .

(٦) (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل ايمن ودلائل النفع . وذلك لما عاينت من النور
 وبرء البرصاء .

أَوْ نَخِّدُهُ^(١) وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ^(٢) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ^(٤)

(١) أو نتبناه فإنه أهل لأن يكون ولدا للوك .

(٢) حال . وذو حالها آل فرعون . وتقدير الكلام (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) وقالت امرأة فرعون كذا (وهم لا يشعرون) أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه . وقوله (إن فرعون) الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم . وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان .

(٣) وصار (فؤاد أم موسى فارغاً) صفراً من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون . (إن كادت لتبدي به) لتظهر به . والضمير لموسى . والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها . قيل لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه . وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه . و (إن) مخففة من الثقيلة أى إنها كادت لولا ربطنا على قلبها — والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر — (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدها . وهو (إن أَرَادَوه إِلَيْكَ) . وجواب لولا محذوف أى لأبدته . أو فارغاً من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه (إن كادت لتبدي) بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحاً وسروراً بما سمعت لولا أنا طامناً قلبها وسكناً قلقه الذى حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعده الله لا بتبني فرعون . قال يوسف بن الحسين : أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت بشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياتها وربط على قلبها .

(٤) مريم .

(١) قُصِيه فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جَنْبِ وَهْمٍ (٣) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٤) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ (٥)
 مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ
 لَهُمْ نَصِاحُونَ (٦) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ (٧)

(١) اتبعى أثره لتعلمى خبره .

(٢) أى أبصرته .

(٣) عن بعد . حال من الضمير فى (به) أو من الضمير فى (بصرت) .

(٤) (وهم لا يشعرون) أنها أخته .

(٥) (وحرمتنا عليه المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع . أى منعناه أن يرضع ثديا غير
 ثدى أمه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك . والمراضع جمع مريض وهى المرأة التى
 ترضع . أو جمع مريض وهو موضع الرضاع وهو الثدي ، أو الرضاع .

(٦) من قبل قصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه .

(٧) (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا : (هل أدلكم)
 — أرشدكم — (على أهل بيت يكفلونه) أى موسى (لكم وهم له ناصحون) ؟
 النصح إخلاص العمل من شائبة الفساد . روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون)
 قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله نخذوها حتى نخبر بقصة هذا الغلام . فقالت إنما أردت
 وهم للملك ناصحون . فانطلقت إلى أمها بأمرهم بخافت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه
 وهو يبكى يطلب الرضاع . فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها . فقال لها فرعون : ومن أنت
 منه فقد أبى كل ثدى إلا ثديك ؟ فقالت : إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي
 إلا قباني . فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد . فعندها تمت
 واستقرت فى علمها أنه سيكون نبيا . وذلك قوله (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) بالمقام معه
 (ولا تحزن) بفرقه .

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ
عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ
(٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦)

وقوله (ولا تحزن) معطوف على (تقر). وإنما حل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم
كما قال السدي لأنه مال حربى لا أنه أجرة على إرضاع ولدها .

(١) أى وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا .

(٢) هو داخل تحت علمها أى (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون)
أنه حق فيرتابون . ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بنجر موسى فخرعت .

(٣) (ولما بلغ موسى) أشده) نهاية القوة وتتمام العقل — وهو جمع شدة كنعمة وأنعم ،
عند سيويوه — واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة — ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على
رأس أربعين سنة — (آتيناه حكما) نبوة (وعلمنا) فقها ، أو علما بمصالح الدارين .

(٤) أى كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالأمميين . قال الزجاج : جعل الله تعالى إيتاء العلم
والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين . والعالم الحكيم
من يعمل بعلمه لأنه تعالى قال (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) . فجعلهم جهالا
إذ لم يعملوا بالعلم .

(٥) (ودخل المدينة) أى مصر (على حين غفلة) حال من الفاعل أى مختفيا (من
أهلها) . وهو بين العشاءين أو وقت القائلة يعنى انتصاف النهار . وقيل لما شب وعقل أخذ
يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على تغفل .

(٦) ممن شايعه على دينه من بنى إسرائيل . قيل هو السامرى . وشيعة الرجل أتباعه
وأنصاره .

وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ^(١) فَاسْتَغْنَاهُ ^(٢) الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ
فَوَكَرَهُ ^(٣) مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ^(٤) قَالَ هَذَا مِنْ ^(٥) عَمَلِ الشَّيْطَانِ ^(٦) إِنَّهُ عَدُوٌّ
مُضِلٌّ ^(٧) مَبِينٌ ^(٨) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ^(٩) إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ ^(١٠) الرَّحِيمُ ^(١١) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا ^(١٢) لِلْمُجْرِمِينَ ^(١٣)

(١) من مخالفه من القبط وهو فاتون . وقيل فيهما (هذا . وهذا) وإن كانا غائبين على جهة الحكاية . أى إذا نظر إليهما الناظر قال (هذا من شيعته وهذا من عدوه) .

(٢) فاستغناه .

(٣) ضربه (موسى) يجمع كفه . أو بأطراف أصابعه .

(٤) فقتله .

(٥) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد .

(٦) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن ، أولأنه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل . وعن ابن جرير : ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر .

(٧) ظاهر العداوة .

(٨) يارب .

(٩) (أتى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفر لى) زلتى (فغفر له) زلته (إنه هو الغفور) بإقالة الزلل (الرحيم) بإزالة النجس .

(١٠) (فلن أكون) معينا للكافرين . و(بما أنعمت على) قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك على بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون ظاهرا للمجرمين) . أو استعطف كأنه قال رب اعصمني

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ^(١) فَإِذَا الَّذِي آسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ ^(٢) قَالَ لَهُ ^(٣) مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ^(٤) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ
يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا ^(٥)

بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة . (فلن أكون) إن عصمتني (ظهيرا للمجرمين) . وأراد
بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في حملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد .

(١) (خائفا) على نفسه من قتله القبطي - أن يؤخذ به (يرقب) حال ، أى يتوقع المذكور
وهو الاستغاثة منه ، أو الأخبار ، أو ما يقال فيه . وقال ابن عطية (خائفا) على نفسه
(يترقب) نصرة ربه . وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله
بعض الناس إنه لا يسوغ الخوف من دون الله .

(٢) (فإذا) - للفاجأة وما بعدها مبتدأ - (الذى استنصره) - أى موسى - يستغيثه .
والمعنى أن الإسرائيليين - الذى خلصه موسى استغاث به نانيا من قبطي - آخر .
(٣) أى للإسرائيليين .

(٤) أى ضال عن الرشده ظاهر الغي - فقد قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك . والرشد
في التدبير ألا يفعل فعلا يفضي إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته .

(٥) (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش) بالقبطي - (الذى هو عدو لها) لموسى والإسرائيليين -
لأنه ليس عدو دينهم ما أولئك القبط كانوا أعداء بني إسرائيل - (قال) الإسرائيليين لموسى عليه
السلام - وقد توهم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطي - إذ قال له (إنك لغوي مبين) -
(أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعنى القبطي .

بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ
 مِنَ الْمَصَابِحِينَ ﴿١٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى
 إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١١﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾

(١٠) ما تريد (إلا أن تكون جباراً) قتالاً بالفضب (في) أرض مصر (وما تريد أن تكون
 من المصاحين) في كظم الغيظ . وكان قتل القبطى - بالأمس قد شاع ولكن خفى فأنله .
 فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطى أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله
 (وجاء رجل) - هو مؤمن آل فرعون . وكان ابن عم فرعون - (يسعى) - صفة لرجل
 أو حال من رجل لأنه وصف بقوله (من أقصى المدينة) - (قال يا موسى إن الملائكة)
 يأمر بعضهم بعضاً بقتلك . أو يتشاورون بسببك - والائتمار التشاور . يقال الرجلان
 يتأمران ويتأمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر - (فأخرج)
 من المدينة .

(١١) (لك) بيان وليس بصلة (الناصحين) لأن الصلة لا تتقدم على الموصول ،
 كأنه قال : إني من الناصحين . ثم أراد أن يبين فقال (لك) كما يقال سقيا لك
 ومرحبا لك .

(١٢) (فخرج) موسى من المدينة (يتربب) التعرض له في الطريق ، أو أن يلحقه
 من يقتله .

(١٣) أى قوم فرعون .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢﴾ وَلَمَّا
 وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ
 تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

(١) نحوها . والترجى الإقبال على الشيء . و(مدین) قرية شعيب عليه السلام . سميت
 بمدین بن إبراهيم . ولم تكن في سلطان فرعون . وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام .
 (٢) أى وسطه ومعظم نهجه . قال ابن عباس رضى الله عنهما "خرج ولم يكن له علم
 بالطريق إلا حسن الظن بربه" . بغائه ملك فانطلق به إلى مدین .

(٣) وصل .

(٤) ماءهم الذى يسقون منه . وكان بئرا .

(٥) على جانب البئر .

(٦) جماعة كثيرة .

(٧) من أناس مختلفين .

(٨) (يسقون) مواشيهم .

(٩) في مكان أسفل من مكانهم .

(١٠) تطردان غنمهما عن الماء ، لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان
 من السقى . أو لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم . والذود الطرد والدفع .

(١١) ما شأنكما ؟ وحقيقته ما مخطوبكما من الذیاد فسمى المخطوب خطبا .

(١٢) (لا نسقى) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم . (يصدر) شامى ويزيد
 وأبو عمرو ، أى يرجع . والرعاء جمع راع كقيام وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقى الأغنام
 (كبير) فى حاله ، أو فى السن لا يقدر على رعى الغنم . أبلتا إليه عذرهما فى توليها السقى
 بأنفسهما .

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ^(٣)

(١) فسقى غنمهما لأجلهما رغبة في المعروف وإغاثة للهوف. روى أنه نحي القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فأعطوه دلوهم. وقالوا استقى بها وكانت لا يترعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة.

وترك المفعول في (يسقون) و (تذودان) و (لا نسقى) و (فسقى) لأن الغرض هو الفعل لا المفعول. ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذباد وهم على السقى ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا، وكذا في (لا نسقى) و (فسقى) فالمقصود هو السقى لا المسقى. ووجه مطابقة جوابهما سؤاله أنه سألهما عن سبب الذود. فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقى إلى أن يفرغوا. وإنا رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقى الماشية لأن هذا الأمر في نفسه ليس بمحظور والدين لا ياباه. وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم. ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة، خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة.

(٢) أي ظل سَمرة. وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتكشفة.

(٣) (إني) لأي شيء (أنزلت إلي من خير) قليل أو كثير، غث أو سمين، محتاج. وعدى (فقير) باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب. قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه. ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى إذ لا نقص في الشكوى إلى المولى. ويحتمل أن يريد إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة. قال ذلك رضا بالبدل السنّي وفرحا به وشكرا له. وقال ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار، لما ورد على سره من الأنوار.

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجَّوْتِ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَّأْتِ اسْتَجْرَهُ
﴿٤﴾

(١) (على استحياء) في موضع الحال أي مستحية . وهذا دليل كمال إيمانها وشرف دنصرها لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيحيها أم لا . فأنته مستحية قد استترت بكم درعها . و (ما) في (ما سقيت) مصدرية أي جزاء سقيك . روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حقل ، قال لهما : ما أعجلكما ؟ قلنا وجدنا رجلا صالحا رحما فسقى لنا . فقال لإحدهما : اذهبي فادعيه لي . فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها يمسدها فوصفته فقال لها : امشي خلفي وانعني لي الطريق .

(٢) أي قصته وأحواله مع فرعون . والقصص مصدر كالتعلل سمي به المقصوص .

(٣) (قال) له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا . وفيه دليل جواز العمل بجزير الواحد ولو عبدا أو أنثى ، والمشى مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع . وأما أخذ الأجر على البرّ والمعروف فقليل إنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام . على أنه روى أنها لما قالت (ليجزيك) كره ذلك . وإنما أجبها لتلا يخيب قصدها لأن للقاصد حرمة . ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع . فقال شعيب : ألسنت جاعما ؟ قال بلى ! ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما . وإنما أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا . فقال شعيب عليه السلام : هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا . فأكل .

(٤) اتخذها أجزيرا ليعرى الغنم . روى أن كبراهما كانت تسمى صفراء والصفري صفيراء .

وصفراء هي التي ذهبت وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها .

إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ^(١) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ ^(٢)
 إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجِرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ ^(٤) فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ
 عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٦)

(١) فقال وما علمك بقوته وأمانته؟ فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشي خلفه. وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أن أمانته وقوته أمران متحققان. وقولها (إن خير من استأجرت القوي الأمين) كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك. وقيل (القوي) في دينه (الأمين) في جوارحه. وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته. وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة: بنت شيب، وصاحب يوسف في قوله: (عسى أن ينفعا)، وأبو بكر في عمر.

(٢) أزوجك.

(٣) قوله (هاتين) يدل على أنه كان له غيرها. وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقداً لقال قد أنكحك.

(٤) (على أن) تكون أجيراً - من أجرته إذا كنت له أجيراً - (ثماني حجج) ظرف. والحجة السنة. وجمعها حجج. والزوج على رعى الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة.

(٥) أى (فإن أمتت) عمل عشر حجج. فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك. أو فإتمامه من عندك ولا أحتمه عليك. ولكك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع. (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الأجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر أن الأمر إذا تعاطمك فكانه شق عليك ظنك باثنين: تقول تارة أطيعه وطورا لا أطيعه.

(٦) (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة. والمراد باشرطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعوته، لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك.

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ۝

(١) قال (موسى ذلك) مبتدأ . وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب . والمخبر
(بيني وبينك) . (بيني وبينك) الذي فلته وعاهدته فيه وشارطته عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج
كلانا عنه لا أنا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك .

(٢) أى أى أجل (قضيت) من الأجلين يعنى العشر أو الثمان - و (أى) نصب
بقضيت و (ما) زائدة مؤكدة لإيهام أى . وهى شرطية - (فلا عدوان على) جوابها . أى
لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه . قال المبرد : قد علم أنه لا عدوان عليه فى أيهما . ولكن
جمعهما ليجعل الأقل كالأتم فى الوفاء ، وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب
الزيادة على الأقل .

(٣) هو من وكل إليه الأمر . وعدى بعلى لأنه استعمل فى موضع الشاهد والرقيب .
روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء عليهم السلام . فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت
نخذ عصا من تلك العصى . فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام
يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب . فمسها وكان مكفوفا فضنّ بها فقال خذ غيرها . فما
وقع فى يده إلا هى سبع مرّات . فعلم أن له شأنا . ولما أصبح قال له شعيب : إذا بلغت
مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلاء وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تينا أخشاه عليك
وعلى الغنم . فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فشى على أثرها . فإذا عشب وريف
لم ير مثله فنام فإذا التين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلتها وعادت إلى جنب موسى دامية
فلما أبصرها دامية ، والتين مقتولا ارتاح لذلك . ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها
ملاى البطون غزيرة اللبن . فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا . وقال له :
إنى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء . فأوحى إليه فى المنام أن اضرب
بعصاك مستقى الغنم ، ففعل . ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء . فوفى له بشرطه .

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ^(١) آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ^(٢) أَوْ جَدْوَةٍ^(٣) مِنْ النَّارِ
لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ^(٤) مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾^(٥)

(١) قال عليه السلام "قضى أوفاهما وترجح صغراهما". وهذا بخلاف الرواية

التي مرت .

(٢) (وسار) بامرأته نحو مصر. قال ابن عطاء: لما تم أجل المحنة، ودنا أيام الزلقة،
وظهرت أنوار النبوة، سار بأهله ليشتركوا معه في لطائف صنع ربه .

(٣) (بخبر) عن الطريق لأنه قد ضل الطريق .

(٤) الجذوة — باللغات الثلاث وقرئ بهن . فعاصم بفتح الجيم . وحمة وخلف بضمها .
وغيرهم بكسرها — العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن .

(٥) (نودي من شاطئ الواد الأيمن) بالنسبة إلى موسى (في البقعة المباركة)
بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العويج . (من) الأولى والثانية لإبداء الغاية
أى أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة . و (من الشجرة) بدل (من شاطئ الواد)
بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب .

(٦) (أن) — مفسرة أو مخففة من الثقيلة — (يا موسى إني أنا الله رب العالمين)
قال جعفر : أبصر نارا دلته على الأنوار لأنه رأى النور في هيئة النار . فلما دنا
منها شملته أنوار القدس ، وأحاطت به جلايبب الأنس . فخطب بالطف خطاب ،
واستدعى منه أحسن جواب . فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ما سأل ، وأمن مما خاف

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٥﴾ أَسَلْتُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ
تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴿٦﴾

(١) (و) نودى (أن ألق عصاك) . فالقاها فقلها الله نعمانا .

(٢) تتحرك .

(٣) حية في سعيها ، وهي نمبان في جثتها .

(٤) (ولم يعقب) لم يرجع . فليل له : (يا موسى أقبل ولا تخف) .

(٥) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية .

(٦) أدخل (يدك في) جيب قبضك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس
(من غير) برص .

(٧) بفتحين مجازى وبصرى . (الرهب) حفص . (الرهب) غيرهم . ومعنى الكل الخوف .
والمنى واضم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من فرق أى لأجل الحية . عن ابن عباس
رضى الله عنهما : كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه . وقيل معنى ضم الجناح
أن الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاهها بيده كما يفعل الخائف من الشيء .
فليل له إن اتقاهك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك
تحت عضدك مكان اتقائك لها . ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب ما هو غضاضة
عليك وإظهار معجزة أخرى . والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر .
وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه . أو أريد بضم جناحه إليه
تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب ، استعارة من قول

فَذَانِكَ بُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٤﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ
 أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٦﴾

الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وآلا بجناحاه مضمومان إليه مشمران . ومعنى
 (من الرهب) من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضم إليك جناحك .
 جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلّة فيما أمر به من ضمّ جناحه إليه . ومعنى (واضم
 إليك جناحك) و (اسلك يدك فى جيبيك) على أحد التفسيرين واحد . ولكن خولف بين العبارتين
 لاختلاف الغرضين إذ الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء ، وفى الثانى إخفاء الرهب .
 ومعنى (واضم يدك إلى جناحك) فى طه ، أدخل يمينك تحت يسراك .

﴿١١﴾ مخففاً منى ذلك . ومشدداً منكى وأبو عمرو ، منى ذلك . فأحدى النونين عوض
 من اللام المحذوفة . والمراد اليد والعصا .

﴿٢﴾ حجتان نيرتان بيّتان . وسميت الحجّة برهانا لأنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برّهرّة .

﴿٣﴾ أى أرسلناك (إلى فرعون وملئه) بهاتين الآيتين .

﴿٤﴾ كافرين .

﴿٥﴾ (أن يقتلون) به . بغيرياء . وبالياء يعقوب .

﴿٦﴾ (معى) حفص .

﴿٧﴾ حال أى عونا يقال رداًته أعتته . وبلا همز مدّى .

﴿٨﴾ (يصدّقنى) عاصم وحزمة . صفة أى (ردء) مصدقاً لى . وغيرهما بالجزم جواب لأرسله .

ومعنى تصديقه موسى إعانته إياه بزيادة البيان فى مظانّ الجدال إن احتاج إليه ليثبت دعواه ،
 لأن يقول له صدقت . ألا ترى إلى قوله (هو أفصح منى لسانا فأرسله) . وفضل الفصاحة
 إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان ، لا لقوله صدقت . فسحبان و باقل فيه يستويان .

﴿٩﴾ (يكذّبونى) فى الحالين — يعقوب .

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ
بِآيٰتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغٰلِبُونَ ^(١) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى
بِآيٰتِنَا بَيَّنَّتْ قٰلُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا
فِي ءَابَآئِنَا الْآوٰلِينَ ^(٢) وَقَالَ مُوسَى رَبِّيْٓ أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدٰى مِنْ
عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ^(٣)

(١) سنقويك به - إذ اليد تستد بشدة العضد لأنه قوام اليد . والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور - (ونجعل لك) غلبة وتسلطا وهيبة في قلوب الأعداء (فلا يصلون إليك بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون) الباء تتعلق بوصول ، أي لا يصلون إليك بسبب آياتنا . وتم الكلام . أو نجعل لك سلطانا أي نسلطك بآياتنا . أو محذوف أي اذهب بآياتنا . أو هو بيان للغالبون لا صلة . أو قسم جوابه (لا يصلون) مقديما عليه .
(٢) واضحات .

(٣) أي سحر عمله أنت ثم تفتريه على الله . أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر ، وليس بمعجزة من عند الله .

(٤) حال منصوبة عن هذا أي كأننا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم .

(٥) أي (ربي أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعد حسن العقبي ، يعني نفسه . ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساجرين ولا يفلح عنده الظالمون . (واقبة الدار) هي العاقبة المحمودة . لقوله تعالى (أولئك لهم عقبي الدار جنات عدن) . والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان ، وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران . (قال موسى) بغير واو ، مكى . وهو حسن لأن الموضوع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفتريا . ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوافق الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر . (ربي أعلم) حجازى وأبو عمرو (ومن يكون) حمزة وعلى .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدَ لِي يَدَهُمْ
 عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
 مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(١) قصد بنفى علمه بإله غيره نفى وجوده، أى مالكم من إله غيرى . أو هو على ظاهره
 وأن إلهها غيره غير معلوم عنده .

(٢) أى اطيخ لى الآجر واتخذة . وإنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل
 الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة، ولأنه أفصح وأشبه بكلام الجبارة ، إذ أمر هامان
 وهو وزيره بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام، دليل التعظيم والتجبر .

(٣) قصرا عاليا .

(٤) أى أصعد ، والاطلاع الصعود .

(٥) حسب أنه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان .

(٦) (وإنى لأظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه أن له إلهاً وأنه أرسله إلينا
 رسولا . وقد تناقض المخدول . فإنه قال (ما علمت لكم من إله غيرى) ، ثم أظهر حاجته
 إلى هامان ، وأثبت لموسى إلهاً ، وأخبر أنه غير متيقن بكذبه . وكأنه تحصن من عصا موسى
 عليه السلام فلبس وقال (لعلى أطلع إلى إله موسى) . روى أن هامان جمع خمسين ألف
 بناءً وبني صرحاً لم يبلغه أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بيناحه فقطعه
 ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ، و قطعة فى البحر ،
 و قطعة فى المغرب . ولم يبق أحد من عماله إلا هلك .

(٧) تعظم .

(٨) أرض مصر .

(٩) أى بالباطل . فلاستكبار بالحق لله تعالى . وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ
 فى كبر الشأن . كما حكى رسولنا عن ربه "الكبرياء ردأى والعظمة لزارى" إن ازحى
 واحدا منهما ألقىته فى النار" . وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق .

وَوَضُّوْا أَعْيُنَهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُوْنَ^(١) فَمَا خَذَلْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ^(٢)
فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ^(٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى
النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصُرُونَ^(٤) وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ^(٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً^(٦)

(١) (يرجعون) نافع وحمة وعلى وخلف ويعقوب .

(٢) من الكلام المفخّم الذي دلّ به على عظمة شأنه . شبههم - استقلالاً لعدددهم
وإن كانوا الجحّم الغفير - بحصيات أخذهنّ أخذ بكفه فطرحهنّ في البحر .

(٣) (فانظر) يا محمد وحدّر قومك فإنك منصور عليهم .

(٤) قادة .

(٥) أى عمل أهل النار . قال ابن عطاء : نزع عن أسرارهم التوفيق ، وأنوار التحقيق .
فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد . وفيه دلالة خلق أفعال العباد .

(٦) (لا ينصرون) من العذاب .

(٧) ألزمتهم طردا وإبعادا عن الرحمة . وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم .

(٨) المطرودين المبعدين أو الهالكين المشرّهين بسواد الوجوه وزرقة العيون . (يوم)

ظرف للمقبوحين .

(٩) (ولقد آتينا موسى) التّراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) قوم نوح وهود
ومالخ ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب . والبصيرة نور القلب الذي
يبصر به الرشيد والسعادة ، كما أن البصر نور العين الذي يبصر به الأجساد . يريد آتيناها
التّوراة أنوارا للقلوب - لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل - وإرشادا
- لأنهم كانوا يخبطون في ضلال - (ورحمة) لمن اتبعها لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى
نيل الرحمة .

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا
إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا
فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا
﴿٣﴾

(١) يتعظون .

(٢) (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب . وهو الذي وقع فيه ميقات موسى .

(٣) أي كلمناه (وقربناه نجياً) .

(٤) من جملة الشاهدين للوحي إليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته .

(٥) (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الأخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها ، فأرسلناك مجددًا لتلك الأخبار مبينًا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى . كأنه قال وما كنت شاهدًا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناك إليك . فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارًا ، فإذا هذا الاستدراك شبهه الاستدراكين بعده .

(٦) مقبلاً .

(٧) وهم شعيب والمؤمنون به .

(٨) تقرؤها عليهم تعلمًا منهم ، يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه . و (تتلوا) في موضع نصب خبر ثان ، أو حال من الضمير في (ثاويًا) .

وَأَنكَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ^(١) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً^(٢) مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ^(٣) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ^(٤) فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥)

(١) وانكأ أرسلناك وأخبرناك بها وعلمنا كما .

(٢) (إذ نادينا) موسى أن (خذ الكتاب بقوة) .

(٣) (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة .

(٤) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة .

(٥) عقوبة .

(٦) من الكفر والظلم . واما كانت أكثر الأعمال تزاوّل بالأيدى نسبت الأعمال إلى الأيدى وإن كانت من أعمال القلوب تغلبها للأكثر على الأقل .

(٧) (فيقولوا) عند العذاب (لولا أرسلت إلينا رسولا) . (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف . والثانية تحضيضية . والفاء الأولى للعطف والثانية جواب (لولا) لكونها في حكم الأمر إذ الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد . والفاء تدخل في جواب الأمر . والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا (أرسلت إلينا رسولا) محتجين علينا بذلك ، لما أرسلنا إليهم . يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجّة كقولهم (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) . فإذا قلت : كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه ؟ قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للإرسال ولكن

فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ
يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ
كَافِرٍ ^(٤) لَّئِيمٍ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ ^(٥)

العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال
فأدخلت عليها (لولا). وجرى بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى
قولك : ولولا قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا .

(١) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز .

(٢) أى كفار مكة .

(٣) هلا أعطى (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة .

(٤) (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم
الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتي موسى) من قبل القرآن؟ (قالوا) فى موسى
وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا - (سحران) كوفى، أى ذوا سحر . أوجعلوهما سحريين مباغنة
فى وصفهما بالسحر - (وقالوا إنا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) . وقيل إن أهل مكة
كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة و(قالوا) فى موسى ومحمد
(ساحران تظاهرا)، أو فى التوراة والقرآن (سحران تظاهرا). وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء
اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه فى كتابهم . فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم
بقول اليهود فقالوا عند ذلك (ساحران تظاهرا) .

(٥) مما أنزل على موسى ومما أنزل على .

(٦) جواب (فاتوا) .

(١) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠١﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
 أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٣﴾
 الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ
 عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّآ كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿١٠٥﴾

(١) (إن كنتم صادقين) في أنهما سحران .

(٢) (فإن لم يستجيبوا) دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ، (فاعل) أنهم قد أزموا
 ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى .

(٣) أى لا أحد أضل (من اتبع) في الدين (هواه) . و(بغير هدى) حال ، أى مخذولا
 يحل بينه وبين هواه .

(٤) التوصل تكثير الوصل وتكريره . يعنى أن القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً وعدا
 ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفعلوا .

(٥) (الذين آتيناهم الكتاب) من قبل القرآن . وخبر (الذين) ، (هم به) بالقرآن
 (يؤمنون) . نزلت في مؤمنى أهل الكتاب .

(٦) (وإذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا) من قبل نزول
 القرآن (مسلمين) كائنين على دين الإسلام مؤمنين بحمد عليه السلام . وقوله (إنه) تعليل للإيمان به
 لأن كونه حقا من الله حقيقى بأن يؤمن به وقوله (إنا) بيان لقوله (آمنا) لأنه يحتمل
 أن يكون إيمانا قريبا العهد وبعيده فأخبروا بأن إيمانهم به متقدم .

أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ^(٢)
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ^(٣) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا
 لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ^(٤) لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ^(٥) إِنَّكَ
 لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٦)

(١) بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن . أو بصبرهم على القرآن قبل نزوله
 وبعد نزوله . أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب .

(٢) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الأذى .

(٣) يزكون .

(٤) (وإذا سمعوا) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للآعين (لنا أعمالنا
 ولكم أعمالكم) أمان منا لكم بأن تقابل لغوكم بمثله

(٥) لا تزيد مخالطتهم وصحبتهم .

(٦) (إنك) لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك
 وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخالف فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين)
 بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات . قال الزجاج : أجمع المفسرون
 على أنها نزلت في أبي طالب . وذلك أنه قال عند موته : يا معشر بني هاشم صدقوا محمداً تفاجوا .
 فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك . قال فما تريد يا بن أخي ؟
 قال أريد منك أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله . قال يا بن أخي أنا قد علمت
 أنك صادق ولكنني أكره أن يقال جزع عند الموت . وإن كانت الصيغة عامة . والآية حجة
 على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان . وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء
 اختيارهم . فدل أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة

وَقَالُوا إِن تَدَّبِعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا
 ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٥)
 وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ^(٦)

(١) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا. فآلقمهم الله الحجر بأنه مكّن لهم في الحرم الذي أقننه بحرمة البيت وأقنن قطانه بحرته. والثمرات تجي إليه من كل أوب وهم كفرة فأتى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام؟ وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز.

(٢) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل. أي تجلب وتجمع.

(٣) معنى الكليّة الكثرة كقوله (وأوتيت من كل شيء).

(٤) هو مصدر لأن معنى (يجي إليه) يرزق، أو مفعول له، أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة المتخصّصة بالصفة.

(٥) متعلق بـ (من لدنا). أي قليل منهم يقرّون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهالة لا يعلمون ذلك. ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده، ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به.

(٦) هذا تحوير لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا. و (كم) نصب بـ (أهلكنا) و (معيشتها) بحذف الجاز وإيصال الفعل أي في معيشتها. والبطر سوء احتمال الغنى وهو ألا يحفظ حق الله فيه.

(٧) (فتلك) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار ببلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم.

(٨) حال، والعامل فيها الإشارة.

مَنْ بَعَدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ^(١) وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ^(٢) وَمَا كَانَ رَبُّكَ
 مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ^(٣)
 وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ^(٤) وَمَا أُوْتِيتُمْ
 مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ^(٥)

(١) (إلا قليلا) من السكنى أى لم يسكنها إلا المسافر وماز الطريق يوما أو ساعة .

(٢) (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها ، أى لا يملك التصرف فيها
 ضميرنا .

(٣) (وما كان ربك مهلك القرى) فى كل وقت (حتى يبعث فى أمها) — وبكسر الهمزة
 حمزة وعلى . أى فى القرية التى هى أمها أى أصلها ومعظمها — (رسولا) لإلزام الحجمة وقطع
 المَعذرة . أو (وما كان) فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الأرض (حتى
 يبعث) فى أم القرى — يعنى مكة ، لأن الأرض دحيت من تحتها — (رسولا) يعنى مجمدا
 عليه السلام .

(٤) أى القرآن .

(٥) أى وما أهلكتهم للانتقام إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم
 على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الإعذار إليهم .

(٦) (وأى شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهى
 مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك (وأبقى) لأنه
 دائم .

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٢﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ
 فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
 (٤)

(١) (أفلا تعقلون) أت الباقي خير من الفاني . وخير أبو عمرو بين اليباء والتاء . والباقون
 بالتاء لا غير . وعن ابن عباس رضى الله عنهما « إن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة
 أصناف : المؤمن والمنافق والكافر . فالمؤمن يترقد والمنافق يترين والكافر يتمتع . » ثم قرأ هذه
 الآية بقوله : (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى الجنة - فلا شيء أحسن منها لأنها دائمة ولذا سميت
 الجنة بالحسنى - (فهو لاقية) أى رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه) متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم
 القيامة) من الذين أحضروا النار ؟ ونحوه (فكذبوه فإنهم لمحضرون) . نزلت فى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأبى جهل لعنه الله ، أو فى على وحزرة وأبى جهل ، أو فى المؤمن والكافر .
 ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله ، عقبه بقوله
 (أفمن وعدناه) أى أبعد هذا التفاوت الجلى يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة ؟ والفاء
 الثانية للتسيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد . و(ثم) لترانجى حال الإحضار عن حال
 التمتع . (ثم هو) على . كما قيل عضد فى عضد . شبه المنفصل بالمتصل .

(٢) ينادى الله الكفار نداء توبيخ . وهو عطف على (يوم القيامة) . أو منصوب باذكر .

(٣) (فيقول أين شركائى) بناء على زعمهم . ومفعولا (تزعمون) محذوفان . تقديره
 (كنتم) تزعموهم شركائى . ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يجوز الاقتصار
 على أحدهما .

(٤) أى الشياطين أو أئمة الكفر . ومعنى (حق عليهم القول) وجب عليهم مقتضاها
 وثبت . وهو قوله (لأملأت جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

رَبَّنَا هَتُّوْنَا الَّذِينَ آغْوَيْنَا آغْوَيْنَا آغْوَيْنَاهُمْ كَمَا آغْوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا
 يَعْبُدُونَ ^(٤) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ^(٦)
 لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ^(٧) وَيَوْمَ يناديهِمْ فِيمَا قُلُوا مَاذَا آجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ^(٨)

(١) مبتدأ .

(٢) (الذين آغويننا) أى دعوناهم إلى الشرك وسؤلناهم الغى . صفة . والراجع إلى
 الموصول محذوف . والخبر (أغويناهم) .

(٣) الكاف صفة مصدر محذوف تقديره آغويناهم فغفوا غيا مثل ما (غويننا) . يعنون
 أننا لم نغو إلا باختيارنا . فهؤلاء كذلك غفوا باختيارهم . لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة
 وتسويلا . فلا فرق إذا بين غينا وغيمهم . وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان
 فى مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل
 وأنزل عليهم من الكتب . وهو قوله (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق)
 إلى قوله (ولوموا أنفسكم) .

(٤) (تبرأنا إليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا إيانا يعبدون) بل يعبدون
 أهواءهم ويطيعون شهواتهم . وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقورتين لمعنى الجملة
 الأولى .

(٥) (وقيل) للشركين (ادعوا شركاءكم) أى الأصنام لتخلصكم من العذاب .

(٦) فلم يجيبوهم .

(٧) وجواب (لو) محذوف أى لما رأوا العذاب .

(٨) الذين أرسلوا إليكم . حتى أولا ما يوتجهم به من اتخاذهم شركاء ، ثم ما يقوله
 الشياطين أو أئمة الكفر عند تو يبتغهم لأنهم إذا وتجوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين
 هم الذين استغفروهم ، ثم ما يشبه السماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ، ثم ما يكتون
 به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل .

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ^(٢) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ^(٣) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ^(٥)

(١) خفيت عليهم الحجج أو الأخبار . وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون
إذ لم يكن عندهم جواب .

(٢) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والنجاة رجاء أن يكون عنده عذر وحمية لأنهم
يتساوون في العجز عن الجواب .

(٣) (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بربه وبما جاء من عنده (وعمل صالحا ،
فعسى) أن يفتح عند الله . وعسى من الكرام تحقيق . وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام ،
وترغيب للكافرين على الإيمان .

(٤) نزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم) . يعني نفسه أو أبا مسعود . وفيه دلالة على الأفعال . و يوقف على (ويختار) . أى
(وربك يخلق ما يشاء) و (ربك يختار) ما يشاء . (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم أن يختاروا
على الله شيئا ما وله (الخيرة) عليهم . ولم يدخل العاطف فى (ما كان لهم الخيرة) لأنه بيان
لقوله ويختار ، إذ المعنى أن الخيرة لله . وهو أعلم بوجوه الحكمة فى أفعاله فليس لأحد من
خالقه أن يختار عليه . ومن وصل على معنى (ويختار) الذى (لهم) فيه (الخيرة) ، فقد أبعد .
بل (ما) لئنى اختيار الخلق ، تقريرا لاختيار الحق . ومن قال ومعناه (ويختار) للعباد (ما) هو
خير لهم وأصاح ، فهو مائل إلى الاعتال . و (الخيرة) من التخيير يستعمل بمعنى المصدر وهو
التخيير ، و بمعنى المتخير كقولهم محمد خير الله من خلقه .

(٥) أى الله برىء من إشرائهم وهو متره عن أن يكون لأحد عليه اختيار .

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ^(١) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ ^(٢)
 فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ^(٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ^(٤)
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ سَرْمَدًا ^(٥) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٦) مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ^(٧)
 أَفَلَا تَسْمَعُونَ ^(٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا ^(٩) إِلَى يَوْمِ ^(١٠)
 الْقِيَامَةِ ^(١١) مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ^(١١)

(١) (يعلم ما) تضمير (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده
 (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه . وقولهم حلاً اختير عليه غيره في النبوة .

(٢) (وهو) المستأثر بالإلهية المختص بها .

(٣) تقرير لذلك كقولك : القبلة الكعبة لا قبلة إلا هي .

(٤) الدنيا .

(٥) هو قوله (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) . (الحمد لله الذي صدقنا وعده) .
 (وقيل الحمد لله رب العالمين) والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة .

(٦) القضاء بين عباده .

(٧) (وإليه تُرجعون) بالبعث والنشور . وفتح التاء وكسر الجيم يعقوب .

(٨) (أريت) محذوف الهمزة ، على .

(٩) هو مفعول ثانٍ لجعل ، أى دائماً من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر
 الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد . والميم مزيدة ووزنه فعمل .

(١٠) والمعنى أخبروني من يقدر على هذا .

(١١) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال (ليل تسكنون فيه) بل ذكر الضياء وهو ضوء
 الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده . والسلام ليس

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ
 تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ وَتَزَعَّنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
 فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ قُرُونًا
 (٤)

بتلك المتزلة . ومن ثم قرن بالضياء (أفلا تسمعون) . لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر
 من ذكر منافعه ووصف فوائده . وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام
 ما تبصره أنت من السكون ونحوه .

(١١) أى (لتسكنوا) بالليل (ولتبتغوا من) فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر
 (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه . وقال الزجاج : يجوز أن يكون معناه (لتسكنوا)
 فيهما (ولتبتغوا من) فضل الله فيهما . ويكون المعنى (جعل لكم) الزمان ليلا ونهارا (لتسكنوا
 فيه ولتبتغوا من فضله) فيه .

(١٢) كَرَّرَ التَّوْبِيخَ لِاتِّحَادِ الشُّرَكَاءِ لِيُؤْذَنَ أَنْ لَا شَيْءَ أَجْبَلَ لِعُضْبِ اللَّهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِهِ
 كَمَا لَا شَيْءَ أَدْخَلَ فِي مَرْضَاتِهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ .

(١٣) وَأَخْرَجْنَا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) يَعْنِي نَبِيِّهِمْ ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لِلْأُمَّمِ شُهَدَاءَ عَلَيْهِمْ يَشْهَدُونَ
 بِمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ (فَقُلْنَا) لِلْأُمَّمِ (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) فَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرْكِ وَمُخَالَفَةِ الرِّسْلِ (فَعَلِمُوا)
 حِينَئِذٍ (أَنَّ الْحَقَّ) التَّوْحِيدَ (لِلَّهِ) وَغَابَ عَنْهُمْ غِيْبَةُ الشَّيْءِ الضَّائِعِ (مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) مِنَ الْوَهْيَةِ
 غَيْرِ اللَّهِ وَالشَّفَاعَةَ لَهُمْ .

(٤) لَا يَنْصَرَفُ لِلْعِجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ . وَلَوْ كَانَ فَاعُولًا مِنْ قُرْنَتِ الشَّيْءِ لَا نَصَرَ .

كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ^(١) وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ^(٢) لَتَتَوَّأَّ بِالْعِصْبَةِ ^(٣) أُولَى الْقُوَّةِ ^(٤) إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ^(٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ^(٦) وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ^(٧)

(١) كان إسرائيلياً ابن عم لموسى . فهو قارون بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب . وموسى بن عمران بن قاهث . وكان يسمى المنور لحسن صورته . وكان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى .

(٢) من البغى وهو الظلم . قيل ملكه فرعون على بنى إسرائيل فظلمهم . أو من البغى الكبير . تكبر عليهم بكثرة ماله وولده . أو زاد عليهم فى الثياب شبرا .

(٣) (ما) بمعنى الذى فى موضع نصب بآتيناه . وإت واسمها وخبرها صلة الذى . ولهذا كسرت إت . والمفتاح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به ، أو مفتاح بالفتح وهو الخزانة . والأصوب أنها المقاليد .

(٤) لتتوأ بالعصبة . فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل إذا أنقله حتى أماله . والعصبة الجماعة الكثيرة . وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح . ولا يزيد المفتاح على إصبع . وكانت من جلود .

(٥) الشدة .

(٦) أى المؤمنون . وقيل القائل موسى عليه السلام . ومحل (إذ) نصب بتوؤ .

(٧) لا تنظر بكثرة المال . كقوله (ولا تفرحوا بما آتاكم) . ولا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن . وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها .

(٨) البطرين بالمال .

(٩) (أبتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف إلى أبواب الخير .

وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ
 فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أوتيتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي
 أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً

(١) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك . وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها .

(٢) (وأحسن) إلى عباد الله . أو أحسن بشرك وطاعتك لخالق الأنام ، كما أحسن إليك بالإنعام .

(٣) (ولا تبغ الفساد في الأرض) بالظلم والبغي .

(٤) أى المال .

(٥) أى على استحقاق لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء . وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا . أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة . و (عندى) صفة لعلم . قال سهل : ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح . والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الأفعال والأقوال . والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ، ولم يفتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاه لنفسه . فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا .

(٦) (أولم يعلم) قارون . هو إثبات لعلمه بأن الله (قد أهلك ... من القرون) قبله (من هو) أقوى منه وأغنى . لأنه قد قرأه فى التوراة . كأنه قيل (أولم يعلم) فى جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يفتخر بكثرة ماله وقوته . أو نفى لعلمه بذلك . لأنه لما قال (أوتيته على علم عندى) قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى بقى به نفسه مصارع الهالكين .

وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ^(٢) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ ^(٣) قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ
 قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ^(٤) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ^(٥)

(١) (وأكثر جمعا) لئال . أو أكثر جماعة وعددا .

(٢) (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم ، بل يدخلون النار بغير حساب .
 أو يعرفون بها بغير سؤال . أو يعرفون بسيماهم فلا يسألون . أو لا يسألون لتعلم من جهتهم
 بل يسألون سؤال توبيخ . أو لا يسأل عن ذنوب الماضين (المجرمون) من هذه الأمة .

(٣) في الحمرة والصفرة . وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها
 سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه . وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر . وعن
 يمينه ثلثائة غلام وعن يساره ثلثائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج . و (في زينته) حال
 من فاعل (خرج) أى مترينا .

(٤) قيل كانوا مسلمين . وإنما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر . وقيل
 كانوا كفارا .

(٥) قالوه غبطة . والغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه
 الآية . والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه . وهو كقوله تعالى (ولا تمنوا
 ما فضل الله به بعضكم على بعض) . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضر الغبطة؟
 قال لا إلا كما يضر العضاء الحبظ .

(٦) الحظ الجذ وهو البخت والدولة .

(٧) (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبي ، لغابطي قارون .

(٨) أصل ويلك الدعاء بالهلاك . ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى .
 وفي التبيان في إعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى ألزمكم الله (ويلكم) .

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ^(١)
فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ^(٢) فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^(٣)
^(٤)

(١) أى لا يلقن هذه الكلمة وهى (ثواب الله خير) ، (إلا الصابرون) على الطاعات عن الشهوات وزينة الدنيا ، وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير .

(٢) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم . فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه . فجمع بنى إسرائيل وقال إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم . فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت . قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل . بفعل لها ألف دينار أو طستا من ذهب أو حكها . فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه . وإن أحصن رجمناه . قال قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . قال فأت بنى إسرائيل يزعمون أنك بفرقت بفلانة . فأحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق . فقالت جعل لى قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسى . فغز موسى ساجداً بيكى . وقال يارب إن كنت رسولك فاغضب لى . فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك . فقال يا بنى إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليزمر مكانه ومن كان معى فليعتزل . فاعتزلوا جميعاً غير رجلين . ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب . ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط . ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق . وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم . وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه . ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم . فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترجمه فوعزتى لى واسترحمنى مرة لرحمته . فقال بعض بنى إسرائيل إنما أهلكه ليرث ماله ففدا الله حتى خسف بداره وكنوزه .

(٣) جماعة .

(٤) يمنعونه من مذاب الله .

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ^(١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ
 يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا ^(٢)
 أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكْفُرُونَ ^(٣) لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ^(٤) تِلْكَ ^(٥)
 الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ^(٥)

(١) من المتقنين من موسى ، أو من الممتنعين من عذاب الله . يقال نصره من عدوه
 فانتصر أى منعه منه فامتنع .

(٢) وصار (الذين تمنوا) منزلته من الدنيا (بالأمس) — ظرف لتمنوا . ولم يرد به اليوم
 الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة — (يقولون: وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء
 من عباده ويقدر!) (وى) متفصلة عن (كأن) عند البصريين . قال سيبويه : وى كلمة تنبه
 على الخطأ وتندم يستعملها التادم بإظهار ندامته . يعنى أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنئهم
 وقولهم (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون) وتندموا .

(٣) (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا نتمناه بالأمس (لخسف بنا) . وفتحتين حفص
 ويعقوب وبهمل . وفيه ضمير الله تعالى .

(٤) أى تندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) .

(٥) (تلك) تعظيم لها وتفضيخ لشأنها . يعنى (تلك الدار الآخرة) التى سمعت بذكرها
 وبلغك وصفها (نجعها) — خبر (تلك) و (الدار الآخرة) نعتها — (للذين لا يريدون
 علواً فى الأرض) — بغياً، ابن جبير . وظلماً، الضحاك . أو كبراً — (ولا فساداً) عملاً
 بالمعاصى أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله . ولم يعلق الموعد بترك العلوّ والفساد
 ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) فعلق

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ^(١) ﴿١٠٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ ^(٢)
 بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٣) ﴿١٠١﴾ إِنَّ ^(٤)
 الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ^(٥) لَرَأَدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ ^(٦)

الوعيد بالركون . وعن عليّ رضي الله عنه إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها . وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى هاهنا . وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض . وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله (إن فرعون علا في الأرض) (ولا تبغ الفساد في الأرض) .

(١) (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) .

(٢) مرّ في النمل .

(٣) معناه فلا يجزون . فوضع (الذين عملوا السيئات) موضع الضمير لأنّ في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً فضّل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين .

(٤) (إلا) مثل (ما كانوا يعملون) . ومن فضله العظيم ألا يجزى السيئة إلا بمثلها ، ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعائة .

(٥) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه .

(٦) (لرأذك) بعد الموت (إلى معاد) أى معاد و (إلى معاد) ليس لغيرك من البشر . فلذا نكّره . أو المراد به مكة . والمراد رده إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ، ومرجعاً له اعتداد ، لغلبة رسول الله وقهره لأهلها ، ولظهور عز الإسلام وأهله وذلل الشرك وحزبه .. والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه . ولما وعد رسوله الرد إلى معاده قال (قل) للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وما له من الثواب في معاده .

وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ^(١) وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ^(٢) فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا ^(٣) لِلْكَافِرِينَ ^(٤) وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ
آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ^(٥) وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ^(٦) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ^(٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ^(٨) كُلُّ شَيْءٍ
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ^(٩) لَهُ الْحُكْمُ ^(١٠) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ^(١١)

(١) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم . (من) فى محل نصب بفعل مضمر أى يعلم .

(٢) (وما كنت ترجوا أن) يوحى (إليك) القرآن (إلا رحمة من ربك) هو محمول على المعنى . أى وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك . أو إلاً بمعنى لكن للاستدراك . أى ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك الكتاب .

(٣) معيناهم على دينهم .

(٤) (ولا يصدك) — هو على الجمع — أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله — أى القرآن — (بعد إذ أنزلت إليك) الآيات . أى بعد وقت إنزاله . و (إذ) يضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ .

(٥) إلى توحيدهِ وعبادته .

(٦) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ، ولأن العصمة لا تمنع النهى والوقف على (آخر) لازم . لأنه لو وصل لصار (لا إله إلا هو) صفة لـ (إله آخر) . وفيه من الفساد ما فيه .

(٧) أى إلا إياه . فالوجه يعبر به عن الذات . وقال مجاهد : يعنى علم العلماء إذا أريد به وجه الله .

(٨) القضاء فى خلقه .

(٩) (ترجعون) بفتح التاء وكسر الجيم ، يعقوب . والله أعلم .

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ^(١)

(١) الحِسبان قوة أحد القيصين على الآخر كالظن ، بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما ، والعلم فهو القطع على أحدهما . ولا يصح تعليقها بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل . فلو قلت : حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون ، فإذا أردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحِسبان حتى يتم لك غرضك . والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحِسبان هنا (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا . فالترك أول مفعولى (حسب) ، ولقولهم آمنا هو الخبر . وأما غير مفتونين فتمة الترك لأنه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقول عنتره * فتركته جزر السباع ينشئه * ألا ترى أنك قبل المجيء بالحِسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام . وهو استفهام توبيخ . والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقّة وهجر الشهوات ، وبال فقر والقحط وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال ومخاطبة الكفار على أذاهم وكيدهم . وروى أنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين ، أو فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله .

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (١)
 أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢)
 مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣)

(١) (ولقد) اخترنا - وهو موصول بـ (أحسب) أو (يفتنون) - (الذين من قبلهم) بأنواع الفتن. فمنهم من يوضع المشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ومنهم من يمشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه. (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الإيمان (وليعلمن الكاذبين) فيه. ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده، أنه يوجد. والمعنى وليتميزت الصادق منهم من الكاذب. قال ابن عطاء: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء. فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين. ومن بطر في أيام الرخاء وجرع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

(٢) (أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي يفوتونا. يعني أن الجزاء يلحقهم لاحتمال. واشتمال صلة (أن) على مسند ومسند إليه مسد مسد مفعولين كقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) ويجوز أن يضمن (حسب) معنى قدر. و(أم) منقطعة. ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحساب أبطل من الحساب الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه. وقالوا الأول في المؤمنين، وهذا في الكافرين.

(٣) (ما) في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم. أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أي بس حكما يحكمونه حكمهم.

(٤) أي (من كان) يأمل ثوابه أو يخاف حسابه - فالرجاء يحتملها - (فإن أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لاحتمال. فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله. (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما. وقال الزجاج (من) للشرط ويرتفع بالابتداء. وجواب الشرط (فإن أجل الله لآت) كقولك إن كان زيد في الدار فقد صدق الوعد.

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ^(١)
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ^(٢)
 وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
 بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
 فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرَجِعِكَ فَانرِجْهُمَا كَإِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٤)

(١) (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله - أو الشيطان بدفع وساوسه . أو الكفار -
 (فإنما يجاهد لنفسه) لأن منفعة ذلك ترجع إليها (إن الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم
 ومجاهدتهم . وإنما أمر ونهى رحمة لعباده .

(٢) (لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي ، بالإيمان والتوبة .

(٣) أي أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام .

(٤) وصي حكيم أمر في معناه وتصرفه ، يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما أمرته
 بأن يفعل . ومنه قوله (ووصي بها إبراهيم بنيه) أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها . وقولك
 وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك . وكذلك معنى قوله
 (ووصينا الإنسان بالديه حسنا) ووصيناه بليتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا ، أي
 فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله (وقولوا للناس حسنا) . ويجوز
 أن يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضممار اضرب إذا رأيت متهيبا للضرب . فنصبه باضممار
 أولها أو أفعال بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له . كأنه قال قلنا أولها معروفا
 ولا تطعهما في الشرك إذا حملك عليه . وعلى هذا التفسير إن وقف على (بالديه) وابتدئ
 (حسنا) حسن الوقف . وعلى التفسير الأول لا بد من إضممار القول . معناه وقلنا : (وإن
 جاهداك) أيها الإنسان (لتشرك بي ما ليس لك به علم) - أي لا علم لك بالهيمته . والمراد
 بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال (لتشرك بي) شيئا لا يصح أن يكون إلها - (فلا تطعهما)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ^(١) وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ
نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ
الْعَالَمِينَ ^(٢) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ^(٣)

في ذلك . فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (إلى) مرجع من آمن منكم ومن أشرك .
فأجازيكم حق جزائكم . وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتها على الشرك ، وحث
على الثبات والاستقامة في الدين .

روى أن سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه ألا تأكل ولا تشرب حتى يرتد .
فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف .

^(١) (والذين) مبتدأ والخبر (لندخلهم في الصالحين) في جملتهم . والصلاح من أبلغ صفات
المؤمنين وهو متمنى الأنبياء عليهم السلام . قال سليمان عليه السلام (وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين) . وقال يوسف عليه السلام (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) . أو في مدخل
الصالحين وهو الجنة .

^(٢) نزلت في المنافقين . أي إذا مسه أذى من الكفار جزع من ذلك كما يجزع من
عذاب الله تعالى . وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (إنا كنا معكم) أي متابعين
لكم في دينكم ثابتين عليه ببنائكم فأعطونا نصيبنا من الغنم . (أو ليس الله بأعلم) أي هو أعلم
(بما في صدور العالمين) من العالمين بما في صدورهم . ومن ذلك ما في صدور هؤلاء
من النفاق وما في صدور المؤمنين من الإخلاص . ثم وعد المؤمنين وأعد المنافقين بقوله
(وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي حالها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ
 وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٢﴾ وَلِيَحْمِلَنَّ
 أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لَّنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ فَالِقَاتِ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴿٦﴾

(١) أمرهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر . وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن يتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم . والمعنى تعليق الحمل بالاتباع ، أى إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم . وهذا قول صناديد قريش . كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أتم . فإن كان ذلك فإننا نتحمل عنكم الإثم .

(٢) لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف .

(٣) أى أنقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسبب كفرهم .

(٤) أى أثقالا أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم . وهو كما قال (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) .

(٥) يخلقون من الأكاذيب والأباطيل .

(٦) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين . وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت : يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا ؟ قال : كدار لها بابان دخلت وخرجت . ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره . وهذا التوهم زائل هنا فكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب

فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانَ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا
 آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿٩﴾

لفظاً وأملاً بالفائدة . ولأن القصة سبقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أقمته وما كبده من طول المصابرة تسلياً لتبينا عليه السلام . فكان ذكر الألف أنعم وأوصل إلى الغرض وجرى بالمميز أولاً بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة .

(١) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وظلّة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما .

(٢) (وهم الظالمون) أنفسهم بالكفر .

(٣) أى نوحاً .

(٤) وكانوا ثمانية وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافت ونسأؤهم .

(٥) أى السفينة أو الحادثة أو القصة .

(٦) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها .

(٧) نصب بإضمار اذكر . أو معطوف على نوح . أى (و) أرسلنا (إبراهيم) . وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رضى الله عنهما (وإبراهيم) بالرفع على معنى (و) من المرسلين (إبراهيم) .

(٨) بدل اشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها . أو ظرف لأرسلنا . يعنى أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغاً صلح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى .

(٩) (خير لكم) من الكفر .

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ
 إِفْكًَا ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا
 عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا
 فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٤﴾

(١) إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم .

(٢) أصناما .

(٣) وتكذبون أو تصنعون . وقرأ أبو حنيفة والسلمي رضي الله عنهما (وتخلقون) من خلق

بمعنى التكثير في خلق .

(٤) وقرئ (أفكا) وهو مصدر نحو كذب ولعب ، والإفك مخفف منه كالإفك واللعب

من أصلهما . واختلافهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله .

(٥) لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق .

(٦) (فابتغوا عند الله الرزق) كله فإنه هو الرازق وحده لا يرزق غيره .

(٧) فاستعدوا للقاءه بعبادته والشكر على أنعمه . وافتح التاء وكسر الجيم يعقوب .

(٨) أي وإن تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضرهم
 وإنما ضرروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم . وأما الرسول فقد تم أمره
 حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقتترانه بآيات الله ومعجزاته . أي وإن كنت
 مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق
 ولا يكذب . وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله (فما كان جواب قومه) محتملة أن تكون
 من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه ، والمراد بالأثم قبله قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم ؛
 وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول
 قصة إبراهيم وآخرها . فإن قلت فالجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه

أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ - إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ^(٥)
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ^(٦)

فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله؟ قلت نعم وبيانه أت إيراد قصة إبراهيم عليه السلام ليس إلا لإرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له بأن أباه إبراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله (وإن تكذبوا) على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمداً (فقد كذب) إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله (فقد كذب أمم من قبلكم) لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه .

(١) وبالتاء كوفي غير حفص .

(٢) أى قد رأوا ذلك وعلموه .

(٣) ليس بمعطوف على (يبدي) وليست الرؤية واقعة عليه . وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر - فى قوله (فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) - على البدء دون الإنشاء . بل هو معطوف على جملة قوله (أولم يروا كيف يبدي الله الخلق) .

(٤) أى الإعادة .

(٥) سهل .

(٦) (قل) يا محمد . وإن كان من كلام إبراهيم فتقديره وأوحينا إليه أن قل .

(٧) (فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم ، لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة . وبدأ وأبدأ بمعنى .

(٨) أى البعث (*) وبالمد حيث كان مكى وأبو عمرو . وهذا دليل على أنهما نشأتان ، وأن كل واحدة منهما لإنشاء أى ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود . غير أن الآخرة

(*) قوله وبالمد أى مد الشين بعد تحريكها .

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴿٢﴾
 وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا
 لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

إنشاء بعد إنشاء مثله. والأولى ليست كذلك. والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ
 النشأة الآخرة. إلا أن الكلام معهم وقع في الإعادة. فلما قزرهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم
 بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء. فإذا لم يعجزه الإبداء وجب ألا يعجزه الإعادة. فكأنه قال
 ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة. فلتنبه على هذا المعنى أبرز
 اسمه وأوقعه مبتدأ .

(١) قادر .

(٢) (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية . أو بالحرص
 والقناعة ، أو بسوء الخلق وحسنه ، أو بالإعراض عن الله وبالإقبال عليه ، أو بمتابعة
 البدع وبملازمة السنة .

(٣) تردون وترجعون .

(٤) (وما أنتم بمعجزين) ربكم ، أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه
 (في الأرض) الفسيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها .

(٥) (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم ولا ناصر يمنعكم من عذابي .

(٦) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته .

وَلِقَائِهِ أَوْلَيْكَ يَبْسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ مَا
 كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴿٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿٤﴾

(١) جنتي .

(٢) (ما كان جواب) قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمان (إلا أن) قال بعضهم
 لبعض (اقتلوه أو حرقوه) أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين . فكانوا جميعا في حكم
 القائلين . فاتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) حين قذفوه فيها . روى أنه لم ينتفع
 في ذلك اليوم بالنار . يعني يوم ألقى إبراهيم في النار وذلك لذهاب حرها .

(٣) فيما فعلوا به وفعلنا .

(٤) (وقال) إبراهيم لقومه .

(٥) حمزة وحفص . (مودة بينكم) مدني وشامي وحماد ويحيى وخلف . (مودة بينكم) مكي
 وبصري وعلي . (مودة بينكم) الشمني والبرجمي . النصب على وجهين على التعليل أي
 لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب
 فيكون ذلك سبب تحابهم ، وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله (اتخذ إلهه هواه) . و (ما) كافة
 أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف ، أو اتخذتموها (مودة بينكم)
 أي مودودة بينكم كقوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) .
 وفي الرفع وجهان: أن يكون خبرا لإت و (ما) موصولة ، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي
 مودة بينكم . والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة . ومن أضاف المودة
 جعل (بينكم) اسما لا ظرفا كقوله (شهادة بينكم) ومن تون (مودة) ونصب (بينكم)
 فعلى الظرف .

(٦) تتبرأ الأصنام من عابديها .

وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا^(١) وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ^(٢)
 فَتَأْمَنَ لَهُ^(٣) لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٤)
 وَوَهَبْنَا لَهُ^(٥) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاطَيْنَاهُ^(٦)
 وَوَهَبْنَا لَهُ^(٧) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاطَيْنَاهُ^(٨)
 وَوَهَبْنَا لَهُ^(٩) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاطَيْنَاهُ^(١٠)
 وَوَهَبْنَا لَهُ^(١١) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاطَيْنَاهُ^(١٢)

(١) أى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الأتباع القادة .

(٢) (وماواكم النار) أى ماوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (وما لكم من ناصرين) ثمة .

(٣) لإبراهيم عليه السلام .

(٤) هو ابن أنحى إبراهيم ، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه .

(٥) (وقال) إبراهيم (إنى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين وهى من برية الشام . ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان . وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها إبراهيم .

(٦) (إلى) حيث أمرنى (ربى) بالهجرة إليه .

(٧) الذى ينعنى من أعدائى .

(٨) الذى لا يأمرنى إلا بما هو خير .

(٩) (ووهبنا له إسحاق) ولدأ (ويعقوب) ولد ولد . ولم يذكر إسماعيل لشهرته .

(١٠) أى فى ذرية إبراهيم فإنه شجرة الأنبياء .

(١١) والمراد به الجنس يعنى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

(١٢) أى إبراهيم .

أَجْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ^(٣) وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ^(٤)
 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ^(٦)
 أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ^(٧) وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا ^(٨)
 كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(٩)
 كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(١٠)

(١) الثناء الحسن والصلاة عليه إلى آخر الدهر ومحبة أهل المثل له ، أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره .

(٢) فيه دليل على أنه تعالى قد يعطى الأجر في الدنيا .

(٣) أى من أهل الجنة ، عن الحسن .

(٤) أى (و) اذكر (لوطا) .

(٥) الفعلة البالغة في القبح وهى اللواط .

(٦) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلها قال : لم كانت فاحشة ؟ فقيل لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها . قالوا : لم يتردد على ذكر قبل قوم لوط .

(٧) (وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق . وقيل اعتراضهم السابغة بالفاحشة .

(٨) مجلسكم . ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله .

(٩) أى المضارطة ، والمجاعة ، والسباب ، والفحش في المزاح ، والحذف بالحصى ، ومضغ العلك ، والفرقة ، والسواك بين الناس .

(١٠) (إن كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب .

(إنكم ، أنتم) شامى وحفص وهو الموجود في الإمام . وكل واحد بهمزة كوفي غير حفص . (آينكم) ، (آينكم) بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو ، و(آينكم) ، (آينكم) بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد .

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
 إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا
 أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ
 بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣﴾
 وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ

(١) انصرفي (بأنزال العذاب) على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بمجملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش .

(٢) بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعني إسحق ويعقوب .

(٣) إضافة (مهلكوا) لم تفد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال . والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم . و (هذه القرية) تشعر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام . قالوا لأنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام .

(٤) أي الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة وهم عليه مصرون . وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم .

(٥) (قال) إبراهيم .

(٦) أي أتهلكونهم وفيهم من هو بريء من الظلم وهو لوط .

(٧) أي الملائكة .

(٨) (نحن أعلم) منك .

(٩) (لننجينه) يعقوب وكوفي ذر عاصم .

(١٠) (كانت من) الباقيين في العذاب . ثم أخبر عن مسير الملائكة إلى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله : (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم . و (أن) صلة أكدت

وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا نَحْفَ وَلَا نَحْزَنُ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكَّ
 كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا
 كَانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَإِلَى مَدِينِ

وجود الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل كما
 أحس يجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور
 (سوى بهم) (*) مدنى وشامى وعلى .

(١) (وضاق) بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته . وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع
 عبارة عن فقد الطاقة . كما قالوا رحب الذراع إذا كان مطيقا . والأصل فيه أن الرجل إذا طالت
 ذراعه نال ما لا يتاله القصير الذراع . فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة . ونصب على التمييز .

(٢) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص . والكاف في محل الجزر .

(٣) تصب (أهلك) بفعل محذوف أى (و) تنجى (أهلك) .

(٤) (متزلون) شامى .

(٥) عذابا .

(٦) بفسقهم ونحروجهم عن طاعة الله ورسوله .

(٧) من القرية .

(٨) هى آثار منازلهم الخربة . وقيل الماء الأسود على وجه الأرض .

(٩) يتعلق بتركنا أو بينة .

(١٠) (و) أرسلنا (إلى مدين) .

(*) قوله سوى بهم أى بإشمام كسرة السين الضمة .

اخاهم شعيباً فقال يلقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا
 في الارض مفسدين ﴿٢﴾ فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
 جاثمين ﴿٥﴾ وعادا وممودا وقد تبين لكم من مسكنهم وزين لهم الشيطان
 اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ﴿١١﴾ وقرؤن وفرعون وهلمن
 ﴿١٢﴾

(١) وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة . أو خافوه .

(٢) قاصدين الفساد .

(٣) الزلزلة الشديدة ، أو صيحة جبريل عليه السلام ، لأن القلوب رجفت بها .

(٤) في بلدهم وأرضهم .

(٥) باركين على الركب ميتين .

(٦) منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله (فاخذتهم الرجفة) يدل عليه لأنه في معنى

الإهلاك .

(٧) حمزة وحفص وسهل ويعقوب .

(٨) (وقد تبين لكم) ذلك - يعني ما وصفه من إهلاكهم - (من) جهة (مساكنهم)

إذا نظرتم إليها عند مروركم بها . وكان أهل مكة يمترون عليها في أسفارهم فيبصرونها .

(٩) من الكفر والمعاصي .

(١٠) السبيل الذي أمروا بسلوكه هو الإيمان بالله ورسوله .

(١١) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا .

(١٢) أي وأهلكهم .

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا
 سَابِقِينَ ﴿١﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنُهْنِمُ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
 وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن
 أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢﴾
 مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ
 بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

(١) فائتين . أدركهم أمر الله فلم يفوتوه .

(٢) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب .

(٣) هي ريح عاصف فيها حصباء . وهي لقوم لوط .

(٤) هي لمدين وثمود .

(٥) يعني قارون .

(٦) يعني قوم نوح وفرعون .

(٧) ليعاقبهم بغير ذنب .

(٨) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان .

(٩) (أولياء) أي آلهة . يعني مثل من أشرك بالله الأوثان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت) فيما تتخذ لنفسها من بيت فإن ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما تقي البيوت . فكذلك الأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة . جعل حاتم (اتخذت) حالا (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن من بيتها . عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن . وقيل مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ (٢) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)
وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤)

يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبنى بيتا بأجر وجص أو ينحته من صخر .
وكما أن أوهن البيوت إذا استقرتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت ، كذلك أضعف الأديان إذا
استقرتها ديناً ديناً عبادة الأوثان . وقال الزجاج في جماعة : تقدير الآية (مثل الذين اتخذوا
من دون الله أولياء) لو كانوا يعلمون (كمثل العنكبوت) .

(١) بالياء بصرى وعاصم ، وبالنساء غيرهما غير الأعشى والبرجمي . و (ما) بمعنى الذى

وهو مفعول (يعلم) . ومفعول (يدعون) مضمرة أى يدعوونه ، يعنى يعبدونه .

(٢) (من) فى (من شىء) للتبيين .

(٣) (وهو) الغالب الذى لا شريك له (الحكيم) فى ترك المعالجة بالعقوبة . وفيه تجهيل

لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شىء (الحكيم)
الذى لا يفعل كل شىء إلا بحكمة وتدير .

(٤) (الأمثال) نعت والخبر (نضربها) نبيتها .

(٥) كان سفهاء قريش وجهاتهم يقولون إن ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت

ويضحكون من ذلك . فذلك قال (وما يعقلها إلا العالمون) به وبأسمائه وصفاته . أى لا يعقل
صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلا هم ، لأن الأمثال والتشبيهات إنما هى الطرق إلى المعانى
المستورة حتى تبرزها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال
الموحد . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال " العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه " . ودأت الآية على فضل العلم على العقل .

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ^(١)
 أَتَلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ^(٢) إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
 عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ^(٤) وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ^(٦)

(١) إلا (بالحق) أى محققا . يعنى لم يخلقهما باطلا بل لحكمة . وهى أن تكونا مساكن عباده
 وعبرة للعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته . ألا ترى إلى قوله (إن فى ذلك لآية للمؤمنين)
 وخصهم بالذكور لانتفاعهم بها .

(٢) (اتل) تتقربا إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه .

(٣) أى دم على إقامة الصلاة .

(٤) الفعلة القبيحة كالزنا مثلا .

(٥) هو ما ينكره الشرع والعقل . قيل من كان مراعىا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهى
 عن السيئات يوما ما . فقد روى أنه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلى
 بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه . وروى أن قتي من الأنصار كان يصلى معه
 الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه . فوصف له فقال إن صلاته ستناه . فلم يلبث
 أن تاب . وقال ابن عوف إن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت فى معروف وطاعة وقد حجزتك
 عن الفحشاء والمنكر . وعن الحسن من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة
 وهى وبال عليه .

(٦) أى والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات . وإنما قال (ولذِكْرُ اللَّهِ) ليستقل بالتعليل
 كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكركم الله . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (ولذِكْرُ اللَّهِ) إياكم
 برحمته (أكبر) من ذكركم إياه بطاعته . وقال ابن عطاء ذكركم الله أكبر من ذكركم له لأن
 ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأمانى ولأن ذكركم لا يفنى وذكركم لا يبقى . وقال سلمان
 ذكركم الله أكبر من كل شىء وأفضل . فقد قال عليه السلام "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾

عند مليكم وأرفوها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا
أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال "ذكر الله" وسئل أى الأعمال
أفضل؟ قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله . أو ذكر الله أكبر من أن تحويه
أفهامكم وعقولكم ، أو ذكر الله أكبر من أن تلقى معه معصية ، أو ذكر الله أكبر فى النهى
عن الفحشاء والمنكر من غيره .

(١) (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب .

(٢) (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) الخصلة (التي هي أحسن) للثواب وهي مقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم — كما قال (ادفع بالتي هي أحسن) — (إلا الذين ظلموا منهم)
فأفراطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصيح ولم ينفع فيهم الرفق . فاستعملوا معهم الغلظة .
وقيل (إلا الذين) آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو (إلا الذين) أثبتوا الولد
والشريك وقالوا يد الله مغلولة . أو معناه (ولا تجادلوا) الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية (إلا
التي هي أحسن إلا الذين ظلموا) فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلهم بالسيف . والآية
تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين ، وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تتحقق
المجادلة .

(٣) من جنس المجادلة بالأحسن . وقال عليه السلام " ما حدثكم أهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم (وقولوا آمنا) بالله وكتبه ورسله . فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن
كان حقا لم تكذبوهم " .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ
هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (١) وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٢) بَلْ هُوَ

(١) ومثل ذلك الإنزال (أنزلنا إليك الكتاب) أى أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية.
أو كما أنزلنا الكتب إلى من قبلك (أنزلنا إليك الكتاب) .

(٢) فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به (هم عبد الله بن سلام ومن معه) ومن هؤلاء
من يؤمن به (أى من أهل مكة) (من يؤمن به) . أو أراد بالذين أتوا الكتاب الذين
تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، (ومن هؤلاء) الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون
عليه ككعب بن الأشرف وأضرأ به .

(٤) من قبل القرآن .

(٥) خص اليمين لأن الكتابة غالبا تكون باليمين . أى ما كنت قرأت كتابا من الكتب
ولا كنت كاتباً .

(٦) أى لو كان شيء من ذلك ، أى من التلاوة ومن الخط (لارتاب المبطلون)
من أهل الكتاب ، وقالوا الذى نجد نعته فى كتبنا أسمى لا يكتب ولا يقرأ وليس به ،
أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده . ستمهم مبطلين لإنكارهم نبوته .
وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ .

(٧) أى القرآن .

ءَايَاتُ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

(١) أى فى صدور العلماء به وحفظه . وهما من خصائص القرآن : كون آياته بينات الإعجاز ، وكونه محفوظا فى الصدور . بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف .

(٢) (وما يجحد بآياتنا) الواضحة (إلا) المتوغلون فى الظلم .

(٣) (آية) بغير ألف مكى وكوفى غير حفص . أرادوا هلا (أنزل عليه آيات) مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك .

(٤) (إنما الآيات عند الله) يتزل أيتها شاء ولست أملك شيئا منها .

(٥) كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات ، وليس لى أن أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة ، والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك .

(٦) أى (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات — إن كانوا طالبين للحق غير متعتين — هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لاتزول كما تزول كل آية بعد كونها ، أو تكون فى مكان دون مكان .

(٧) أى (إن) فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعتين .

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ^(١)
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَاْتِيَنَّهُمْ
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ^(٢)

(١) أى (كفى بالله) شاهدا بصدق ما ادعاه من الرسالة و انزال القرآن على
 وبتكذيبكم . (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على امرى وامركم ، وعالم بحقى
 وباطلكم . (والذين آمنوا) منكم (بالباطل) وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله)
 وآياته (اولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان .
 إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله (وأنا أو إياكم لعل هدى أو فى ضلال مبین) .
 وروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا : يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله ؟
 فنزلت .

(٢) (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم (أمطر علينا حجارة من السماء) الآية . (ولولا
 أجل مسمى) وهو يوم القيامة ، أو يوم بدر ، أو وقت فنائهم بأجلهم . والمعنى (ولولا
 أجل) قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم ، والحكمة تقتضى تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى ،
 (لجاءهم العذاب) عاجلا .

(٣) (وليأتينهم) العذاب عاجلا أو ليأتينهم العذاب فى الأجل المسمى فجأة (وهم
 لا يشعرون) بوقت مجيئه .

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ
 الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴿٣﴾ فَإِنِّي
 فَأَعْبُدُونَ ﴿٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ ﴿٥﴾

(١) أى استحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى
 (من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) . ولا وقف على (بالكافرين) لأن (يوم) ظرف
 إحاطة النار بهم .

(٢) بالياء كوفى ونافع .

(٣) أى جزاء أعمالكم .

(٤) وبسكون الياء بصرى وكوفى غير عاصم .

(٥) (أرضى) بفتح الياء شامى . يعنى أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه
 ولم يتش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح ديناً وأكثر عبادة .
 والبقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتاً كثيراً . وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب
 وأحس على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الدينى من مكة حرسها الله
 تعالى . وعن سهل إذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فانخرجوا منها إلى أرض المطيعين .
 وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا
 من الأرض استوجب الجنة" .

(٦) (فاعبدونى) بالياء يعقوب . وتقديره (فإياى) اعبدوا (فاعبدونى) . وجرى بالفاء
 فى (فاعبدون) لأنه جواب شرط محذوف ، لأن المعنى (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) فإن لم تخلصوا العبادة
 لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها . ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ^(١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ
الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمَلِينَ^(٢)
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^(٣) وَكَانَ مِنْ دَابَّةٍ^(٤) لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا^(٥)

تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص . ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أى
واجدة مرارته وكرهه كما يعيد الذائق طعم المذوق . لأنها إذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة
وطنها .

(١) (ثم إلينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب . (يرجعون) يحيى . (ترجعون)
يعقوب .

(٢) لتزليتهم من الجنة لئلا . (لنؤوينهم) كوفى غير عاصم من النواء وهو النزول الإقامة .
وثوى غير متعد . فإذا تعدى زيادة الحمزة لم يجاوز مفعولا واحدا . والوجه فى تعديته إلى ضمير
المؤمنين وإلى الغرف إما إجرأؤه مجرى لتزليتهم أو لنؤوينهم . أو حذف الجواز وإيصال الفعل .
أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم .

(٣) يوقف على (العالمين) على أن (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أى هم (الذين
صبروا) على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن
المعاصى . والوصل أجود ليكون (الذين) نعتا للعالمين .

(٤) ولم يتوكلوا فى جميع ذلك إلا على الله .

(٥) لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر
والضبعة . فنزلت . أى وكم من دابة . (وكان) بالمد والهمز ، تكى . والدابة كل نفس دبّت على
وجه الأرض عقلت أو لم تعقل .

(٦) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله . وعن الحسن (لا تحمل رزقها) لا تدخره . إنما
تصبح فيرزقها الله . وقيل لا يدخر شىء من الحيوان قوتا إلا ابن آدم والفأرة والثملة .

اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٢) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ مَنْ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
 يُؤْفِكُونَ ^(٣) اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ^(٤)
 إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(٥) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٦)

(١) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ، ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو
 وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها ، لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب
 لكنتم أعجز من الدواب التي لا تتحمل .

(٢) (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والعيلة (العليم) بما فى ضمائركم .

(٣) أى (ولئن) سألت هؤلاء المشركين (من خلق السموات والأرض) على كبرهما وسعتهما
 (و) من الذى (سخر الشمس والقمر ليقولن الله) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم
 بهذا كله ؟

(٤) أى إن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان
 الضمير مبهما مثله . قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه .

(٥) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم . فى الحديث "إن من عبادى من لا يصلح إيمانه
 إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته
 لأفسده ذلك" .

(٦) أى هم مقترون بذلك .

(٧) (قل الحمد لله) على إنزاله الماء لإحياء الأرض ، أو على أنه من أقر بنحو ما أقروا به
 ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا بإقرار المشركين .

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ^(١) وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ
 الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(٢) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ^(٣)
 دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ^(٤)

(١) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نزيهم من الآيات وتقيم عليهم من الدلالات .
 أو (لا يعقلون) ما تريد بقولك (الحمد لله) .

(٢) أى وما هى ، لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها ، إلا كما يلعب الصبيان ساعة
 ثم يتفترقون . وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لأمرها . وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح
 بعوضة ؟ واللغو ما يتلذذ به الإنسان فيلهيه ساعة ثم يتقضى .

(٣) (الحيوان) أى الحياة . أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها . فكأنها في ذاتها
 حياة . والحيوان مصدر حي وقياسه حيوان فقلبت الياء الثانية واوا . ولم يقل لى الحياة
 لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب . والحياة حركة والموت سكون . فمجيئه
 على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة . ويوقف على (الحيوان) . لأن التقدير
 (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا اللغو الفانى على الحيوان الباقى . ولو وصل
 لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك . وليس كذلك .

(٤) هو متصل بمخدوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم . معناه هم على ما وصفوا
 به من الشرك والعناد (إذا ركبوا فى الفلك) .

(٥) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا
 يدعون معه إلها آخر .

(٦) فلما نجاهم إلى البرّ) وأمنوا (إذا هم يشركون) عادوا إلى حال الشرك .

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
 حَرَمًا مَأْمُونًا وَمِيخَاطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ
 اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠)

(١) (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة . قيل هي لام كي . وكذا في (وليتمتعوا) فيمن
 قرأها بالكسر . أى لكى يكفروا وكى يتمتعوا . والمعنى يعودون إلى شركهم ليكونوا بالود
 إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين
 المخلصين على الحقيقة . فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة
 إلى ازدياد الطاعة لا إلى التلذذ والتمتع . وعلى هذا لا وقف (على يشركون) . ومن جعله
 لام الأمر — مثبتا بقرائة ابن كثير وحزمة وعلى (وليتمتعوا) بسكون اللام ، على وجه التهديد
 كقوله (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وتحقيقه في أصول الفقه — يقف عليه .

(٢) (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم ، عند تدبيرهم .

(٣) أى أهل مكة .

(٤) (جعلنا) بلدهم .

(٥) ممنوطا مصونا .

(٦) يأمن داخله .

(٧) يستلبون قتلا وسبيا .

(٨) أى (أ) بالشيطان والأصنام (يؤمنون ، وبنعمة الله) أى بمحمد عليه السلام

والإسلام (يكفرون) ؟ !

(٩) بأن جعل له شريكا .

(١٠) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب .

لَمَّا جَاءَهُمُ الْيَسَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾

(١) أى لم يتلثموا فى تكذيبه حين سمعوه .

(٢) هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفى صار إيجاباً .
يعنى ألا يثوبون فيها وقد افترروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب .
أو ألم يصح عندهم أن (فى جهنم مثنوى للكافرين) حين اجترعوا مثل هذه الجراءة . وذكر
المثنوى فى مقابلة (لنبوتهم) يؤيد قراءة الثانى .

(٣) أطلق المجاهدة ولم يقيدھا بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس
والشيطان وأعداء الدين .

(٤) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً .

(٥) (سبنا) أبو عمرو . أى لتزيينهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقاً .

وعن الدارانى (والذين جاهدوا) فيما علموا (لنهدينهم) إلى ما لم يعلموا . فقد قيل من
عمل بما علم وفق لما لا يعلم . وقيل إن الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم ، إنما هو تقصيرنا
فما نعلم . وعن فضيل (والذين جاهدوا) فى طلب العلم (لنهدينهم) سبيل العمل به . وعن سهل
(والذين جاهدوا) فى إقامة السنة (لنهدينهم) سبيل الجنة . وعن ابن عطاء (جاهدوا)
فى رضانا (لنهدينهم) الوصول إلى محل الرضوان . وعن ابن عباس (جاهدوا) فى طاعتنا
(لنهدينهم) سبيل ثوابنا . وعن الحنيد (جاهدوا) فى التوبة (لنهدينهم) سبيل الإخلاص ،
أو (جاهدوا) فى خدمتنا لنتحقق عليهم سبيل المناجاة معنا والأئس بنا ، أو (جاهدوا)
فى طلبنا تحرياً لرضانا (لنهدينهم) سبيل الوصول إلينا .

(٦) (وإن الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة فى الدنيا وبالثواب والمغفرة فى العقبى .

بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ قَدْ تَمَّ طَبْعُ الْمَجْلَدِ الثَّانِي
مِنْ "تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْجَلِيلِ الْمَسْمُومِ (بِمَدَارِكِ التَّنْزِيلِ
وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ) تَأْلِيفِ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ الْعَلَامَةِ
أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيِّ"
بِدَارِ الْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرِيَّةِ بِبُولَاقِ مِصْرَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ
مِنْ شَهْرِ شَوَّالِ لِسَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ
مِنْ الْهَجْرَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ
وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ ، فِي عَهْدِ حَضْرَةِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ
الْمَلِكِ الصَّالِحِ "فِيَارُوقِ الْأَوَّلِ" مَلِكِ مِصْرَ
حَفِظَهُ اللَّهُ وَأَدَامَهُ ، وَأَيَّدَ مَلِكُهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ، وَأَعَزَّهُ
الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ

مَدِيرِ الْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرِيَّةِ

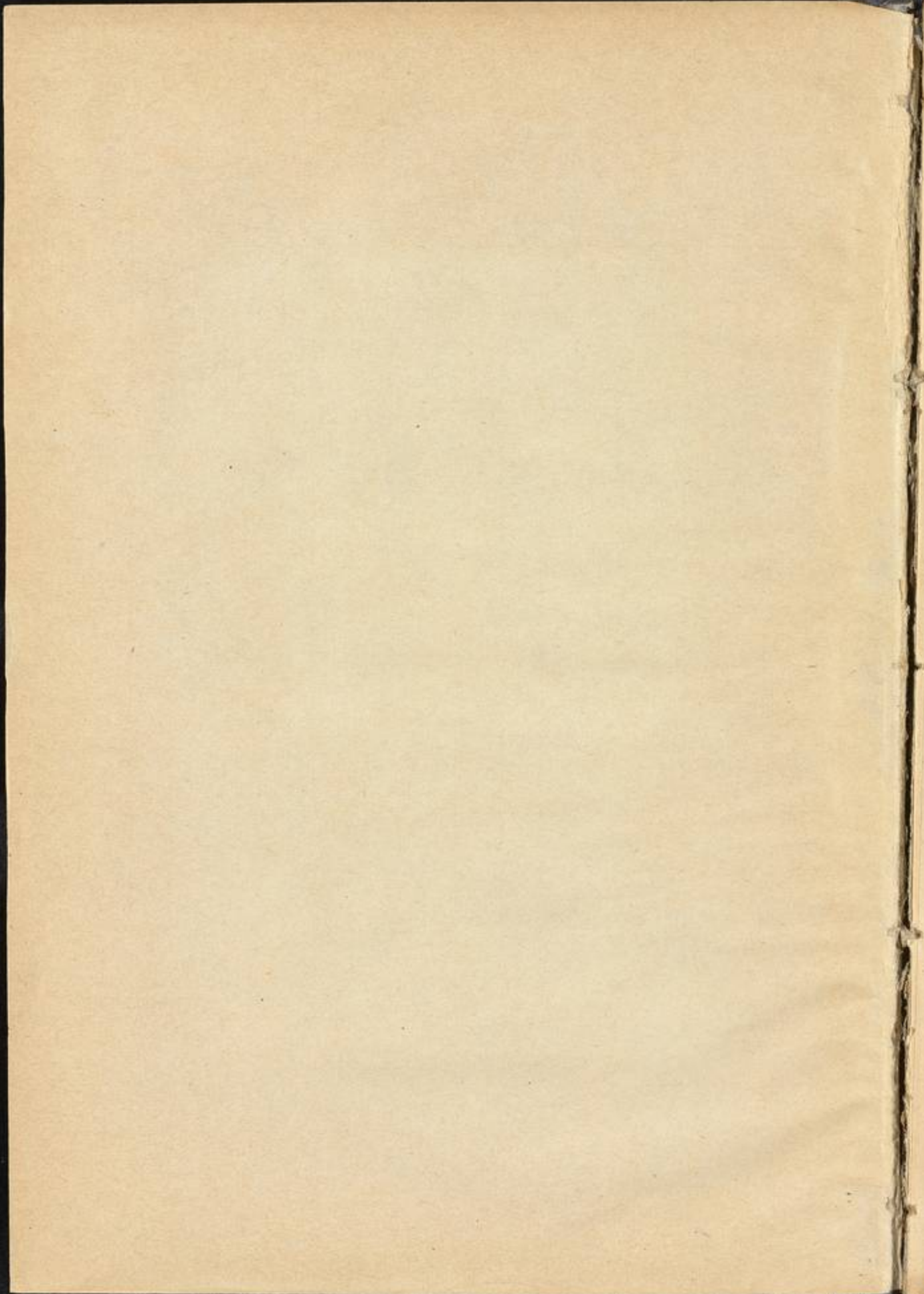
مُحَمَّدُ الْوَكِيلِيُّ الْبَرَاهِمِيُّ

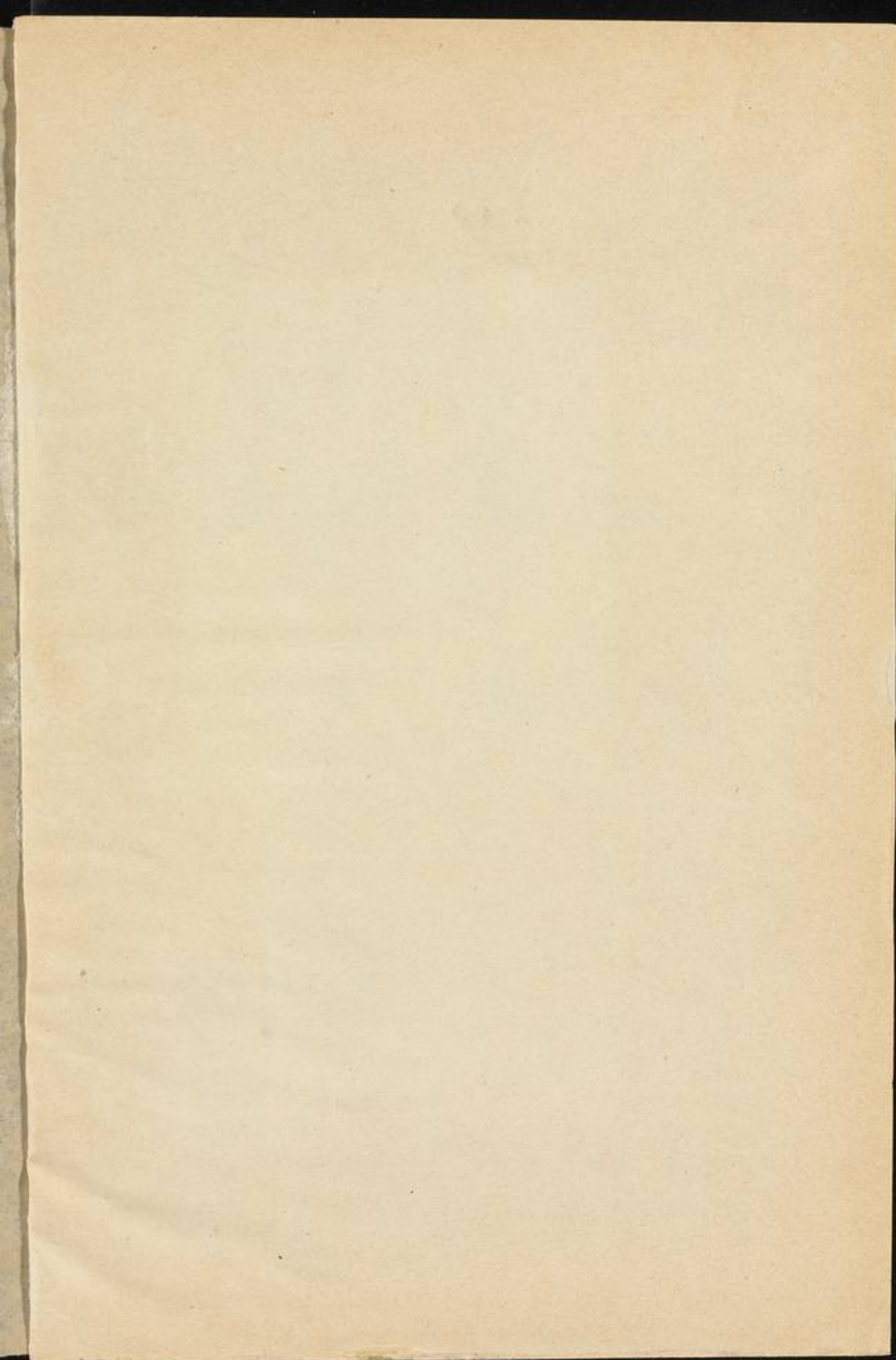
تصويب

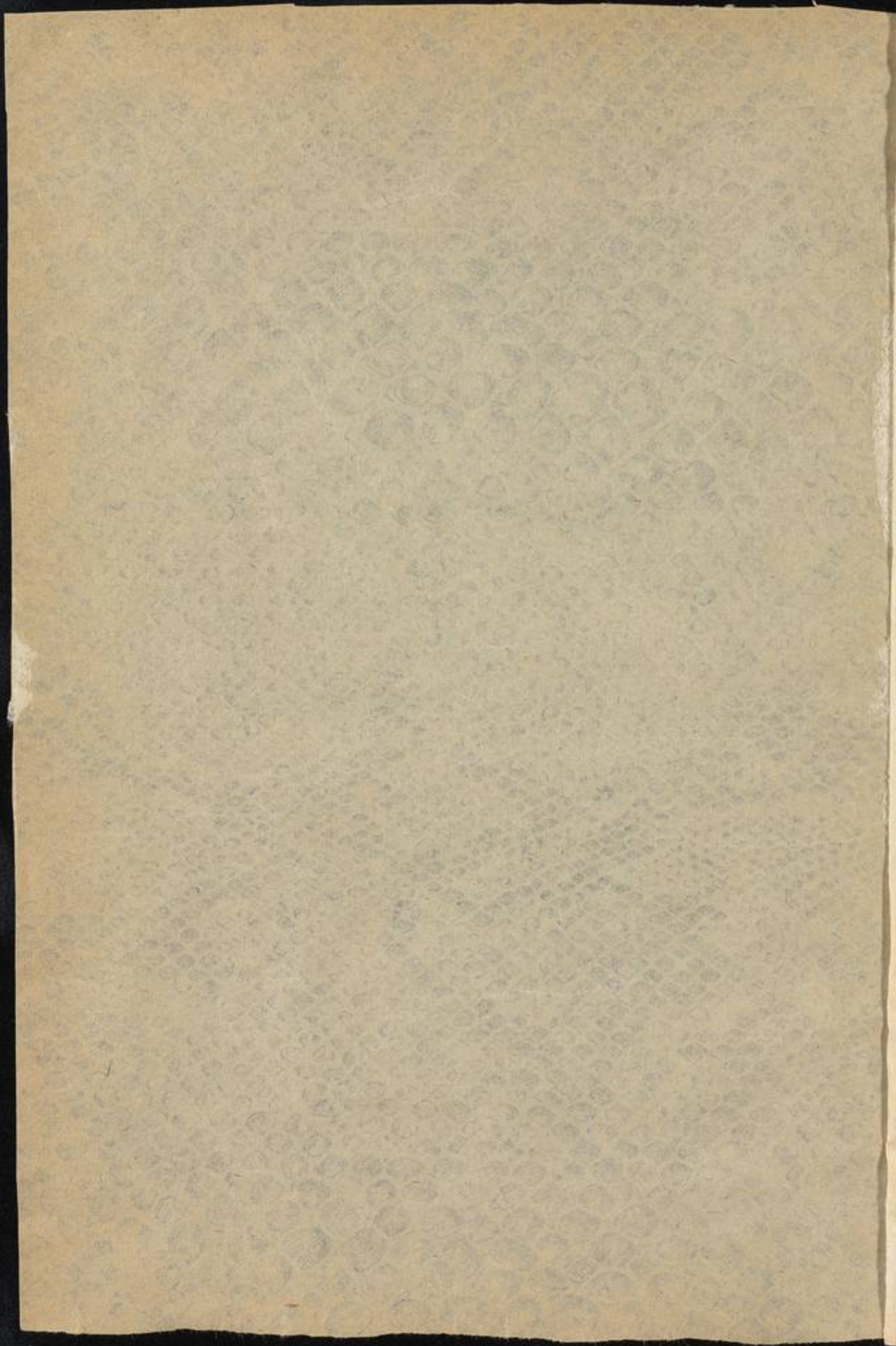
سقطت بعض نقط الكلمات وعلامات الشكل ونحو ذلك فأثرنا زيادة في الدقة
والكمال تصويبها فيما يلي وإن تكن غير خافية على القارى :

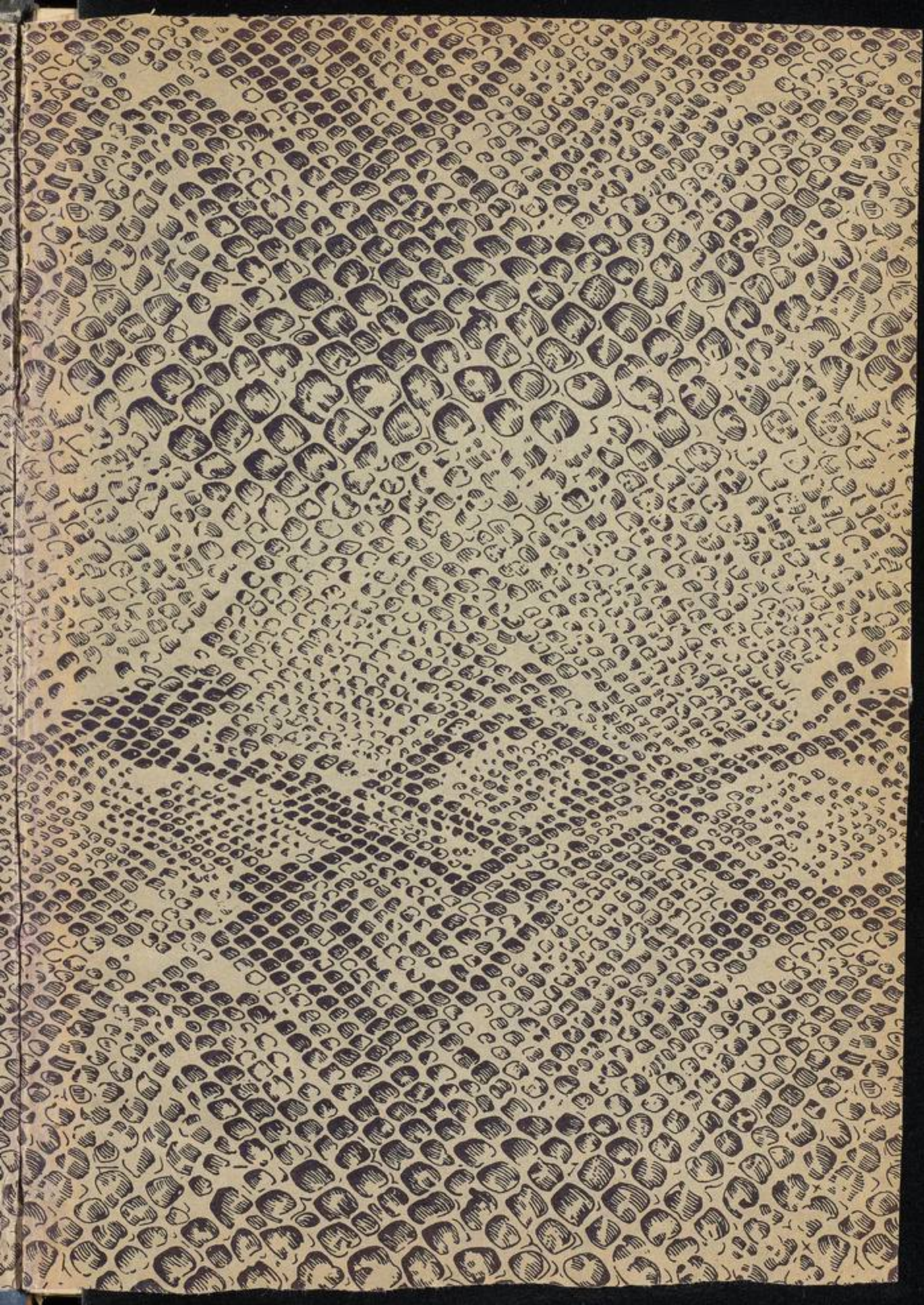
	الخطأ	الصواب		الخطأ	الصواب		
	ضعيفا	ضعيفا	٦ ١٠١	السا	النار	١٣	٤
	ونمير أهلنا	ونمير أهلها	١٠ ١١٧	ومن	فن	٢٥	١١
	وينأون عنه	وبنأون عنه	٥ ١٢٤	مَادَا	مَادَا	٤	٢٢
	فلها دخلوا عليه	فلها دخلوا عليه	١٨ ١٢٥	ءَامَنْتُمْ	ءَامَنْتُمْ	١	٣٣
	يُحِو الله ما يشاء	يُحِو الله ما يشاء	١٠ ١٥٣	لَأَمَلَاتْ جَهَنَّمَ	لَأَمَلَاتْ جَهَنَّمَ	١٩	٣٧
	بِحَزْنَيْنَ	بِحَزْنَيْنَ	١ ١٨٢	إِنَّهُ	إِنَّهُ	٤	٤٥
	الْمَرَاتِ	أَثْمَرَاتِ	٢ ١٩٨	تَسَالَتِ	تَسَالَتِ	٢٣	٦٠
	بما آتيناهم	بما آتيناهم	١٤ ٢٠٩	توبوا إليه	توبوا إليه	٥	٦٣
	تَتَّخِذُونَ	تَتَّخِذُونَ	١٠ ٢٢٣	فَكِيدُونِي	فَكِيدُونِي	٢	٦٤
	وَقَضَيْنَا	وَقَضَيْنَا	٤ ٢٣٦	مهلكوا	مهلكوا	٢٢	٧٠
	هذه الدنيا (أعمى)	هذه الدنيا أعمى	٩ ٢٦١	ربك	ربك	٧	٧٣
	قائل	قابل	١٥ ٢٩٠	ولا يلتفت منكم	ويلتفت منكم	١٣	٧٣
	وما منع الناس	وما منع الناس	٧ ٢٩٩	ما نشاء	مانشاء	١٣	٧٥
	لِفَتْنِهِ	لِفَتْنِهِ	١ ٣٠١	وملأيه	وملأيه	٤	٧٨

الصواب	الخطأ	السطر	رقم الصفحة	الصواب	الخطأ	السطر	رقم الصفحة
فِينْبِهِمْ	فِينْبِهِمْ	٣	٥٢٧	قل إنما أنا بشر	قل إنما أنا بشر	٧	٣١٦
فِتْنَةٌ	فِتْنَةٌ	٧	٥٢٧	فوربك	فورتك	١٢	٣٣٩
وَتَمُودًا	وَتَمُودًا	١	٥٤٢	إني ظلمت نفسي	إني ظلمت نفسي	٧	٣٥٨
يَسْرِفُوا	بَسْرِفُوا	١	٥٥٣	والخير	والخير	١١	٣٥٨
قَالَ	قَالَ	٣	٥٦٣	وأطيعوا	وأطيعوا	٢٠	٣٧٤
فَنَجَّيْنَاهُ	فَنَجَّيْنَاهُ	٣	٥٨٣	سأتلوا	سأتلوا	٢٠	٣٧٨
لَايَةٌ	لَايَةٌ	١	٥٨٤	من تراب	من راب	٩	٤٢٦
قَالَ رَبِّي	قَالَ رَبِّي	٤	٥٨٥	يدعوا	يدعو	١٢	٤٣٠
أَتَمِدُونِي	أَتَمِدُونِي	٤	٦١٠	يهن الله	يهن الله	٤	٤٣٢
فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ	فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ	١٨	٦١٢	الْبَيْتِ	الْبَيْتِ	٣	٤٣٤
بِيوتهم	بِيوتهم	٢	٦١٧	نعم	بعم	١٨	٤٤٢
من الجنة	من الجنة	٢٠	٦٥٩	في جنات	في جنات	١٥	٤٥٠
لهم	لهم	٣	٦٦١	أَفْضَمَ	أَفْضَمَ	٣	٤٩٥









COLUMBIA UNIVERSITY



0026814200

893.7K84

DN5

v. 2

DEC 14 1961

